

منهج أهل السنة والجماعة

في

الرد على النصارى

دراسة علمية من خلال جهود
الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى

تأليف

عبد الراضي بن محمد عبد المحسن

مدرس الفلسفة ومقارنة الأديان والمذاهب
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الدار العالمية للطباعة والنشر

منهج أهل السنة والجماعة

في

الرد على النصارى

دراسة علمية من خلال جهود
الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى

تأليف
عبد الراضي بن محمد عبد المحسن
مدرس الفلسفة ومقارنة الأديان المساعد
بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر
القاهرة
خلف ٦٠ ش راتب باشا حدائق شبرا
هاتف : ٦٤٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨

○ الطبعة الأولى ○

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

○ الطبعة الثانية ○

١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

طبعة خاصة

بإذن كتابى من الناشر

مكتبة التربية الإسلامية

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ شارع راتب باشا - حدائق شبرا القاهرة ت : ٦٤٧٥٠٢٦

الإهداء :

إلى والدى الكريم ..

سائلاً المولى - عز وجل - أن يجعلنى فى ميزان حسناتك -

إلى أخوىّ .. فتحى ، رمضان

تقديراً ، وعرفاناً

إلى زوجتى ..

هبة ربى ، ورفيقة دربى .

عبد الراضى محمد عبد المحسن

مقدمة

﴿ الحَمْدُ للهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً ، قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ، وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً ، مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً ﴾ . (١)

من يُرِدِ اللّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يُرِدْ أن يُضِلَّه يجعل صدره ضَيِّقاً حَرَجاً كأنما يَصَّعَّدُ فى السماء ، إن الدِّينَ عند الله الإسلام ، ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقْبَلَ منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .

وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله ، تَنَزَّه عن الوَالِدِيَّةِ والمَوْلُودِيَّةِ وعن المُكَافَأة والمُنَاظَرَة ، وعن المُضَاهَاة والمُمَاثَلَة ، وعن النِّد والشَّرِيك ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فى السَّمٰوَات والأرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَنِ عَبْداً ، لقد أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ، وكُلُّهم آتِيهِ يوم القِيَامَةِ فَرْداً ﴾ . (٢)

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، بعثه للعالمين بشيراً ونذيراً ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، النبىّ الأمىّ الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والأنجيل ، يَعْرِفُونَهُ كما يعرفون أبناءهم ، فأنبياؤهم به بَشَّرتْ ، وكتبهم عنه أخبرت ، وآيات النبوة عليه دلَّت .

أما بعد :

فقد كان ظهور الإسلام وانتشار دعوته بين أصحاب الديانات المختلفة فى شبه الجزيرة العربية باعثاً لنشأة الجدل بين المسلمين وأتباع تلك الديانات ، ذلك الجدل الذى لم يكن - فى بادئ الأمر - يتجاوز الدعوة إلى الإسلام والاعتراض على بعض عقائد هذه الديانات من جهة ، والسؤال عن كُنْه الإسلام ومحاولة دفع هذه الاعتراضات من جهة أخرى .

ولما كانت النصرانية هدفاً لكثير من تلك الاعتراضات والحملات التصحيحية والتقويمية التى وجهها القرآن الكريم لأصحاب العقائد المخالفة ، بُغْيَةَ الخروج بهم من دائرة الشرك والوثنية إلى دعوة الفطرة والوحدانية فقد قام النصارى - بدورهم - يَرُدُّون على تلك الاعتراضات ، ويَحْتَجُّون لدينهم وعقائدهم فى عدد من المجادلات

---

(١) الكهف : (١ - ٥)

(٢) مريم : (٩٣ - ٩٥)

المُوَجَّهة ضد الإسلام .

وقد كانت هذه المجادلات بسيطة فى بداية الأمر ، ثم نَشطَ النصارى للعمل ضد الإسلام بقوة ، مستعينين بالمنطق والفلسفة وبكبار علمائهم وفلاسفتهم فى تصنيف الكتابات الجدلية العنيفة التى تستهدف جوهر الإسلام ، وتُلَوِّح بعدم أصالة دعوته ، وتنشر الدعاوى الزائفة حول نبيه ﷺ للتشكيك فى صحة نبوته .

ولقد مَثَّلَ هذا الهجوم اللاهوتى تَحَدِّياً للمسلمين ، فكان حافزاً لمفكرى الإسلام ومناظريه على التصدي له ، بل وسحقه بقوة يدعمها الحق والحجة والأسس المنهجية للجدل الدينى ، فقام علماء الإسلام يُصَنِّفُون الكتب والمجادلات المُفْحِمَة .

فكتب الجاحظ أول رسالة جدلية - وصلت إلينا - ضد النصارى ، توالت بعدها الجهود الإسلامية والمؤلفات الكثيرة لأسماء لامعة : كالقاضى عبد الجبار ، والجوينى ، والغزالى ، والرازى ، وابن حزم ، وأبى الوليد الباجى ، والقرطبى المفسر ، والقرافى الفقيه .

وما أن حَلَّ النصف الثاني من القرن السابع الهجرى حتى تَبَوَّأَ الإمام ابن تيمية مكان الصدارة فيه ، ليضيف إلى تلك الجهود المشكورة أكبر الإسهامات وأبعدها أثراً ، وليؤلف أغزر وأعمق ما كُتِبَ عن النصرانية فى تاريخ الإسلام مستعيناً بأدوات بحث لم تتوفر للكثيرين من سابقيه ، منها ما وهبه الله إياها : كالحافظة القوية ، والذكاء الحاد ، والبصيرة النافذة والبديهة الحاضرة ، ومنها ما هو نتاج الدرس والتحصيل : كالمعرفة الموسوعية ، واستيعاب تراث السابقين من عقائد وفلسفات ومذاهب ، وكرسوخ القدم فى الجدل والحوار والمناظرة .

لهذا جاءت دراسته للنصرانية : حافلة ، شاملة ، مستوعبة معظم قضاياها ومشكلاتها وأطروحاتها ، فتراه وأنت تطالع مقالاته فى النصرانية قد تَسَنَّمَ ذِرْوَةَ طَوْدٍ شامخ يُشْرِف منه على آراء النصارى وعقائدهم وعباداتهم مُلِمّاً بالنصرانية محيطاً بمسالكها ، فيصف عن حِسٍّ ، ويُفَنِّدُ عن بصيرة ، ويُمَهِد بكليات يَشُدُّها بأدلة الاستقراء من صحيح المنقول وصريح المعقول ، حتى لنستطيع القول أن قوة المَحَجَّة ، وصدق الحُجَّة ، ودَحْض الشُبْهَة ، هى أوضح سمات منهجه وأَبْيَنُ خصائص نهجه .

وقد دفعنى ذلك لمحاولة الوقوف على طبيعة منهجه فى دراسة النصرانية سواء فى جانبه النظرى أو التطبيقى ، والبحث عن الأصول العلمية والقواعد المنهجية التى اتبعها فى دراسته ، وبيان الخصائص العامة والسمات المميزة لمنهجه ، ومدى دقة هذا المنهج . كيف طَبَّقَهُ ؟ وإلى أى النتائج قَادَه ؟ وما رأى الدراسات العلمية الحديثة فى تلك النتائج التى قاده إليها ذلك المنهج ؟

كذلك حفزنى على هذه الدراسة ما رأيته من موافقة الدراسات النقدية الغربية المعاصرة - فى كثير من القضايا - لفكر ابن تيمية وآرائه فى دراسة النصرانية ، مما يجعل لدراسته قيمة علمية ترفع به إلى مَصَافِّ الرواد فى حقل الجدل الدينى ومقارنة الأديان .

كما دفعنى إليها ذلك التجاهلُ المُتَعَمَّد لجهود ابن تيمية فى حقل الجدل الدينى ومقارنة الأديان على الرغم من أصالة تلك الجهود وَجِدَّتِها ، ذلك التجاهل الذى يرقى إلى حَدِّ التآمر بالسكوت المطبق عن الإشارة إلى إسهاماته ومؤلفاته ، سيان فى ذلك دوائر العلم الغربية التى اهتمت بنشر التراث الإسلامى ، أو المفكرون المحدثون من أبناء العالم الإسلامى .

دفعنى إلى ذلك - أيضاً - تلك الكتابات التى تناولت دراسة ابن تيمية للنصرانية ، سواء من قِبَلِ الباحثين المسلمين أم غير المسلمين ، والتى ضمها قارب واحد تقاذفته أمواج عاتية أقصته عن شَطِّ المنهجية العلمية ، وألقت به على رمال التناقضات الفكرية والأخطاء العلمية .

وذلك لأوجه القصور التى شابتها ، والتى تمثلت فى :

١ - الوقوف عند حَدِّ الإدراك الظاهريِّ لأُمَّهات المسائل والقضايا التى عرضت لها دراسة ابن تيمية دون العودة إلى أسس الفكر الذى طرحها .

٢ - تجنب الإشارة - كُلِّيَّةً - إلى المنهج الذى اتَّبعه ابن تيمية فى دراسة النصرانية ، والذى شكَّل معالم الدراسة ، وعليه قامت النتائج والآراء التى طرحها ابن تيمية فى دراسته .

٣ - جزئية التناول فى بعضها .

٤ - عدم الإلمام الكافى بفكر الإمام ابن تيمية وبتراثه على وجه العموم .

فالدراسة الأولى التى قام بها (دى ماتيو) المستشرق الإيطالى كمقدمة لترجمته الإيطالية لكتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية ، بالاضافة إلى أنها بعيدة عن متناول الباحث المسلم ، فإنها لم تُوَفِّ الإمام حقه وتبرز دوره وإسهامه فى حقل الجدل الدينى مع النصارى ، كما أن غياب النظرة الموضوعية عنها ، وتحامل صاحبها على الإمام متأثراً فى ذلك بالاتجاه السائد فى العالم الغربى بالحَطِّ من كل ما هو إسلامىٌّ على وجه العموم ، وبالعلماء والمفكرين من أهل السُّنَّة وأصحاب المنهج القرآنىِّ على وجه الخصوص ، قد أفقدها المصداقية و الجدوى .

والثانية : موضوعها « قضية الألوهية عند ابن تيمية وموقفه من تثليث النصارى »[1] ويكشف عنوان الدراسة أن رأى ابن تيمية فى الثليث المسيحىِّ جاء تابعاً لدراسة أعَمّ هى موقفه من قضية الألوهية ، كما أنها دراسة جزئية لموقف الإمام من إحدى قضايا النصرانية ، مما يجعل الاكتفاء بهذه الدراسة نزعاً لعضو من كِيَانٍ يَنْبِضُ بالحياة والحركة .

أما الثالثة : فدراسة بعنوان « ابن تيمية ونقده للنصرانية »[2] وتعتبر هذه الدراسة نقلاً أميناً لردود ابن تيمية على رسالة بولس الأنطاكى استغرق ذلك النقل حوالى مائة صفحة أى ثلث البحث تقريباً ، وقد خلا البحث من أى تأصيل لمنهج الإمام والاكتفاء بوصفه أنه منهج يعتمد على الكتاب والسُّنَّة ، ولا يخفى على أحد أن الكتاب والسنة دعامة أية دراسة إسلامية .

كما تعتبر الدراسة ذيلاً لدراسة دى ماتيو ، إذ ردَّدَتْ نفس دعاوى واتهامات دى ماتيو لابن تيمية دون مناقشاتها أو الرد عليها .

وقد أوْقَعَتْها متابعتها لدى ماتيو وغيره من كَتَبَةِ النصارى فى مجموعة من الأخطاء العلمية : فَظَنَّتْ - أولاً - أن الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح كتابان مختلفان هما (الجواب الصحيح) ، و (تخجيل أهل الإنجيل) وطالبت بفصل الكتابين كُلٌّ على

---

(١) تقدمت بها الباحثة / عزة محمد حسن لنيل درجة الماجستير من كلية البنات / جامعة الأزهر .
(٢) تقدمت بها الباحثة / فايزه محمد بكرى لنيل درجة الماجستير من كلية البنات / جامعة الأزهر .

حدة ثم ظَنَّت أن (الصَفِىُّ ابن العسَّال) من كُتَّاب النصارى قد أَلَّف (الصحائح فى جواب النصائح) لِيرُدَّ به على كتاب (تخجيل أهل الإنجيل) الذى طالبت بفصله عن الجواب الصحيح

فكان ذلك حافزاً لى على تصويب هذه الأخطاء ، وتصحيح تلك المفاهيم ، وإكمال النقص الذى اعتور الدراسات السابقة

ودفعنى إلى البحث فى هذا الموضوع - أيضاً - تلك الحملة الشرسة التى يتعرض لها علماء أهل السُنَّة على وجه العموم والإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية على وجه الخصوص ، من قبَلِ المزايدين على المشروع الحضارى الإسلامى ، وأدعياء العصرية والمفتونين بالحداثة ، والمُستَعْبَدِين لمناهج العلم الغربى ، فقد اجتمع هؤلاء الفرقاء على اتهام علماء السلف بالنُّصيَّة والجمود ومخاصمة المناهج العقلية والفكر الحر ، ويدحض ذلك الاتهامَ الباطلَ الكشفُ عن المناهج العقلية الرصينة لعلماء السلف فى أدق الدراسات وأعمقها ، وهى دراسة الأديان المقارنة

كما دفعنى إلى دراسة الموضوع الحاجةُ المَاسَّةُ إلى الكشف عن المناهج الإسلامية الأصيلة فى الرد على النصرانية المُبَدَّلة ، والتى تعين مسلمى اليوم فى رد غائلة الهجوم التَّترى لجحافل المُنَصِّرين التى اجتاحت العالم الإسلامى تُفْرِخُ وتَبِيْضُ فيه ، وتَبُثُّ من السموم والأدواء ما يُثْقِلُ كاهل المسلمين ، وتثير من الشبهات والغبار على عقائدهم وشريعتهم ما تَخِرُّ له الجبال هَدّاً لشدة بهتانه وكِبْر إفْكِه

ولما كانت طبيعة الدراسة تُحكَم وتَتَحكَّمُ بمنهج البحث المُتَّبَع فيها فقد خَطَطْتُ لنفسى منهجاً تَحْلِيلياً نَقْدِياً مُقَارِناً ، راعيتُ فيه التجرد من كل مَيْلٍ أو هوى أو تعصب لرأى أو قضية ، فلم أبْغِ إلا الحق ، ولم أصْبُ إلا إليه ولم أقتصر فيه على مجرد التقاط صور لمعالجات ابن تيمية لقضايا النصرانية كآلة التصوير ، بل تلك الصور أساس - فقط - للدراسة ، والاستقراء ، والفحص والتحليل ، والمقارنة ، كذلك احترزتُ بهذا المنهج من الوقوع فى خطأين عابا الدراسات السابقة

أولهما البدء بافتراض صحة مبدأ أو نظرية ما ثم البحث عن الشواهد والبراهين التى تؤيد صحتها ، فإذا ما أَبَتْ النصوص النطق بهذا التأييد لم يكن هناك مَفَرٌّ من التَّعسف في التأويل ولىّ الأعناق ومخالفة المقاصد الصحيحة

الثانى استنفاد الجهد بالبحث فى الجزئيات والوقوف عند حدودها ، مما يُعَسِّر استيعاب منهج الإمام بتكامل أجزائه وترابط قواعده ، ويَجُرُّ فى أعقابه الكثير من الحيرة وسوء التقدير ومن ثَمَّ إلى أخطاء قد لا تُغْفر لنا ، كما أن الإمام فى أَمَسِّ الحاجة إلى تحاشيها .

وقد جاءت الدراسة - أيضاً وَفْقَ طبيعة البحث - فى ثلاثة أبواب وخاتمة :

جعلت **الباب الأول** كـ « مَدْخَل لدراسة ابن تيمية للنصرانية » وهو عبارة عن ثلاثة فصول :

١ - **الفصل الأول** : تحدثتُ فيه عن « دوافع ابن تيمية لدراسة النصرانية » وبَيَّنْتُ فيه أن هذه الدوافع متعددة : منها ما هو دينىّ ، وما هو اجتماعىّ ، وما هو علمّى ، وما هو سياسىّ ، وما هو خليط من كل ذلك أو بعضه .

وقد تَلَخَّصَتْ تلك الدوافع فى عاملين :

أولهما : الاحتكاك بين المسلمين والنصارى ، والذى اتخذ الأشكال التالية :

(أ) الصراع العسكرى .

(ب) مشكلات الأقليات .

(ج) التنصير

(د) حركة الجدل الدينى بين الإسلام والنصرانية .

الثانى : الدعوة إلى الإسلام ، وأخذ ذلك مظهرين :

(أ) نشر الهداية بين المسلمين .

(ب) الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين .

٢ - **الفصل الثانى** : عَرَضْتُ فيه « مصادر ابن تيمية فى دراسة النصرانية » مُبَيِّناً تأثير كل مصدر منها عليه ، ومواضع استفادته منه بشكل مباشر أو غير مباشر ، موضحاً فى كل مرة قيمة كل مصدر من تلك المصادر وقد كَشَفَتْ قائمة المصادر التى أَثْبَتُّ اعتماده عليها عن موسوعيّة معرفته ، وعن

اطلاعه على المصادر الأصلية للنصرانية . وعدم اعتماده على الواسطة فى النقل عنهم ، كما كشفتْ عن اطلاعه على نسخ مختلفة ومتعددة للكتاب المقدس عند النصارى .

ونظراً للأهمية البالغة لقضية المصادر ، وتأثيرها فى تكوين الشخصية العلمية للمفكر ، باعتبارها الروافد التى تغذى تلك الشخصية ، وكذلك لارتباطها الوثيق بمسألة التأثير والتأثر : فقد حرصتُ على التَّتَبع الدقيق لمصادر الإمام ، وقَسَّمْتُها بحسب أصنافها وتأثيرها عليه إلى :

(أ) مصادر عامة ، وهى التى لا ينحصر تأثيرها واستفادته منها فى مسألة معينة .

(ب) مصادر خاصة ، وهى التى استعان بها لغرض معين ينحصر تأثيرها فيه .

(ج) مصادر حية ، وهى التى تشترك مع القسم الثانى فى حجم تأثيرها إلاّ أنها تمتاز بالحياة والحركة ، فهى إمّا أشخاص تتحرك ، أو أخبار تدور على الألسنة .

٣ - **الفصل الثالث** : بَيَّنْتُ فيه « مؤلفات ابن تيمية فى النصرانية » و وضَّحْتُ غزارتها وتعددها ، وأن الجواب الصحيح ، على الرغم من ضخامته هو أحد تلك المؤلفات ، وقد نَفَيتُ فى هذا الفصل المزاعم والمفاهيم المغلوطة حول هذا الكتاب و أثْبَتُّ أنه كتاب واحد ، وإنْ عُرِف بأكثر من اسم ، وأبطلتُ الدعوى الرامية إلى فصل أجزائه عن بعضها تحت مسميات مختلفة ، وعلّلتُ للأسباب التى حالت دون إحلاله مَحلّه اللائق به فى حقل الجدل الدينى مع النصارى .

وقد كشف هذا الفصل عن رسالة مخطوطة لابن تيمية محفوظة بدار الكتب المصرية بعنوان « كلمة الله عيسى ابن مريم وخلق القرآن » تدور حول المسيح - عليه السلام - والفارق بين كلام الله - تعالى - فى القرآن ، وبين كلمة الله التى هي المسيح ابن مريم .

وخصَّصْتُ **الباب الثانى** لاستخلاص « منهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية » فى

جانبه النظريّ ، كمجموعة من الأصول والقواعد التى تتميز بعدد من الخصائص المنهجية ، وقد اشتمل هذا الباب على فصول ثلاثة :

١ - **الفصل الأول** : كَشَفْتُ فيه عن « قواعد المنهج » التى اتَّبعها ابن تيمية وأدار عليها دراسته للنصرانية ، مُبَيِّناً مجموعة الأصول المنهجية التى كان الإمام ابن تيمية أوَّلَ من أرساها فى حقل الجدل الدينى مع النصارى خاصة ، ومع أهل الكتاب والملل المخالفة عامة ، وقد انحصرت أصول المنهج التَّيْمِىّ فى خمسة أصول ، انفرعت عنها مجموعة من القواعد المنهجية الجزئية التى ارتبطت بتلك الأصول ، وقامت عليها ، وهى :

(أ) النقل .

(ب) العقل .

(جـ) الإسلام هو الدين المُوَثِّق لغيره من الأديان .

(د) تأسيس اليقين فى المعرفة كمقدمة ضرورية لبناء اليقين فى الاعتقاد .

(هـ) تناول النصرانية فى مقامين :

أحدهما : تبديل دين المسيح .

والثانى : تكذيب محمد (صلى الله عليه وسلم) .

٢ - **الفصل الثانى** : بيَّنتُ فيه (خصائص المنهج) و أوضحتُ مجموعة السمات التى ميزت منهج الإمام فى دراسته للنصرانية و خَلَصْتُ فيه إلى أن تلك السمات المميزة لمنهجه تجعل منه قيمة علمية فريدة ، إذ تتضمن عدداً من الخصائص المنهجية التى تتطلع المناهج العلمية الحديثة إلى تحقيقها فى الدراسات العلمية المعاصرة ، لما تحظى به من رؤى منهجية وموضوعية هادفة من أجل الوصول إلى الحقائق والبرهنة عليها وتتمثل فى :

(أ) الأصُولِيّة .

(ب) المقارنة .

(جـ) التحليل الفلسفى .

(د) الموضوعيّة

(هـ) المجادلة بالتى هى أحسن

٣ - **الفصل الثالث** : أبرزْتُ فيه مدى تأثره بمنهجه السلفى فى صياغة وتأسيس قواعد منهجه فى دراسة النصرانية ، وأكّدتُ على أن منهج الإمام فى دراسة النصرانية كان سلفياً فى بعض أصوله ، مبرزاً بذلك أصالة منهجه السلفى ، ومدى تطابقه مع المناهج العقلية الدقيقة المُتّبَعَة فى حقل الجدل الدينى ومقارنة الأديان .

وأفردتُ **الباب الثالث** لدراسة الجانب التطبيقى من منهج الإمام فى دراسته للنصرانية ، فدرستُ فيه آراءه فى النصرانية ، والتى جاءت - وفق منهجه - فى فصلين :

١ - **الفصل الأول** : عَرَضتُ فيه آراءه فى « تبديل دين المسيح » فقدّمتُ له بمقدمة عن أسباب تبديل دين المسيح كما يراها ابن تيمية ، وكَشَفَتْ تلك المقدمة عن أعمق آرائه وأكثرها أصالة وجِدة ، والتى تمثلت فى عَزْوِهِ تبديل دين المسيح إلى :

(أ) دور بولس .

(ب) تأثير الوثنية .

(ج) الجهل بتعاليم الأنبياء .

وقد أضفتُ إلى تلك العوامل اثنين من الأسباب التى كان لها أثر بالغ - فى تبديل دين المسيح - إلى جانب الأسباب التى ذكرها الإمام ، وذلك إكمالاً للنفع وتماماً للفائدة ، و تتمثل فى :

(أ) تأثير الحكام .

(ب) اختفاء الإنجيل .

ثم تناولتُ مظاهر تبديل دين المسيح ، والتى ينطلق الإمام فى حصرها من كون الكلام فى الفروع مبنياً على الكلام فى الأصول ، لينتهى إلى أن عامة

ما عليه النصارى من الدين مُبَدَّلٌ مُبْتَدَع ، لم يُبْعَث به رسول ، ولم ينزل به كتاب ، بل وضَعَه لهم أكابرهم وعلماؤهم فَعَرَضتُ مظاهر تبديل دين المسيح التى نَصَّ عليها الإمام ، وهى :

١ - التثليث .

٢ - الصلب والفداء .

٣ - تحريف الإنجيل .

٤ - الأسرار السبعة .

٥ - الرهبانية .

٦ - الصلاة .

٧ - الصوم .

٨ - تقديس الصليب .

٩ - تعطيل الختان .

١٠ - تحليل لحم الخنزير .

١١ - الغلو .

مُبَيِّناً وجوه التبديل فى كُلٍّ منها ، وطُرق الإمام فى معالجتها حتى يكشف مدى مخالفة النصارى لدين المسيح ، مُقَدِّماً هذه المظاهر كما يعتقدها النصارى ، ومن خلال أطروحاتهم واستدلالاتهم عليها فى كتبهم ، دون تَزَيُّدٍ عليهم .

٢ - الفصل الثانى : عَرَضتُ فيه دعاوى النصارى فى « تكذيب محمد ﷺ والتى تمثلت فى زعمهم أنه ﷺ :

(أ) ليست هناك حاجة إليه .

(ب) لم تُبَشِّر به النبوات .

(جـ) لم يُؤَيَّد بالمعجزات .

(د) لم يُرسَل إلاَّ إلى العرب .

(هـ) وأن الإسلام هرطقة مسيحية .

ثم بيَّنتُ الحجج والأدلة التى هدم بها الإمام ابن تيمية تلك الدعاوى من أساسها ، وتواصلا مع منهجه العام - الذى يَقْرِنُ - فيه بين الهدم وإعادة البناء ، فإن الإمام بعد أن دحض دعاوى النصارى ، وأتى عليها من جذورها ، قام يُشَيِّدُ بناءً جديداً فى إثبات نبوة محمد ﷺ بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة ، والتى تمثلت فى :

(أ) البشارات .

(ب) القرآن الكريم .

(ج) المعجزات .

(د) سيرة النبى وأخلاقه (ﷺ) .

وقد كشف هذا الفصل عن إسهامات أصيلة للإمام تفرَّد بها ، كبعض البشارات التى لم يوردها أحد من المصنفين فى ذلك الحقل قبله ، وكتقسيمه المُبْتَكَر لأنواع المعجزات والآيات النبوية ، وكوجوه الإعجاز القرآنى التى دَلَّ عليها .

وفى الخاتمة بيَّنتُ « القيمة العلمية لمنهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية » والتى أكدت تفرده وأصالته فى حقل الجدل الدينى ومقارنة الأديان ، وَسُمُوُّه على الأخطاء والتناقضات الفكرية التى تعيب المناهج العلمية وتحط من قدرها ، وقد كشفت عن ذلك فى جانبين :

أحدهما : موقف الدراسات العلمية الحديثة من منهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية ، وفيه تَبَيَّنَ مطابقة الدراسات العلمية وتأييدها لمنهجه فى جانبيه النظرى والتطبيقى .

فعلى المستوى النظرى أيَّدَت الدراسات الحديثة الأصل المنهجىَّ الجديدعلى حقل الجدل الدينى مع النصارى والذى أرساه ابن تيمية ،

وفحواه أن (الإسلام هو الدين الموثَّق لغيره من الأديان ، فجاءت آراء ودراسات علماء الغرب مؤكِّدة على ضرورة الأخذ بذلك الأصل المنهجى فى علم المقابلة بين الأديان) .

وعلى المستوى التطبيقىّ تطابقت الدراسات الحديثة مع ما قرره الإمام من أسباب لتبديل دين المسيح تمثلت فى :

- دور بولس .
- تأثير الوثنية .

كذلك جاءت الدراسات الغربية الحديثة مطابقة لدراسة الإمام النقدية للكتاب المقدس عند النصارى ، والتى قادته إلى عدد من النتائج خلاصتها :

١ - الطعن فى سند الكتاب المقدس .

٢ - الشك فى صحة بعض نصوصه .

٣ - اختلاف نسخه وتراجمه .

الثانى : مدى تميز منهج ابن تيمية بين غيره من المناهج ، فَعَقَدتُ مقارنةً بين دراسة الإمام للنصرانية و بين دراسة القرافى الفقيه ، أبطلتُ من خلالها دعوى « دى ماتيو » ، بنقل ابن تيمية لمباحث القرافى و رجحتُ عدم اطلاع الإمام على كتاب « الأجوبة الفاخرة » للقرافى ، كما وضحت وجوه الخلاف بين الإمامين فى : المنهج ، والهدف ، والمصادر التى اعتمد عليها كُلٌّ منهما ، والأخطاء العلمية التى وقع فيها القرافى ونَجَا منها ابن تيمية .

ذلك الخلاف الذى دفعنى إلى القطع بجدة منهج الإمام ابن تيمية فى دراسته للنصرانية ، واستقلاله فى : أصوله ، ومنطلقاته ، وأهدافه ، ذلك الاستقلال الذى يَسْمُو به على التبعية وينأى به عن التَّرَدِّى فى أَسْر التقليد والنقل دون تمحيص .

* * * *

ثم ألحقت بذلك مجموعة النتائج التى قادتنى إليها الدراسة وأتبعتُ تلك النتائج بملاحق لمصورات المخطوطات والوثائق التى استعنت بها ، وأردفتها بثبت للمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فى بحثى ، ثم بفهرس لموضوعات الدراسة .

* * * *

وفى النهاية أسأل الله أن أكون قد أصَبتُ فيما أهْدِفُ إليه وأسأله تعالى أن يعلِّمَنى ما جَهِلتُه ، وأن ينفعنى بما قد أكون عَلِمتُه ، فله الحمد والمنة فى البدء والختام .

مدينة الســادس من أكتوبر

فى : ٦ أكتـــوبر ١٩٩٠م .

١٦ من ربيع الأول ١٤١١هـ .

عبد الراضى محمد عبد المحسن

الباب الأول

مدخل لدراسة ابن تيمية للنصرانية

> الفَيْتَةُ ممَّن أدْرَكَ من العُلُومِ حَظًّا ، وكَادَ أنْ يَسْتَوْعِبَ السُّنَنَ والآثَارَ حِفْظاً ، إنْ تَكَلَّمَ فى التَّفْسِيرِ فَهُو حَامِلُ رَايَته أوْ أفْتَى فِى الفِقْه فَهُو مُدْرِكُ غَايَتِه ، أوْ ذَاكَرَ فى الحَدِيثِ فَهُوَ صَاحِبُ عِلْمِه وذُو رَايَتِه ، أوْ حَاضَرَ بالمِلَلِ والنِّحَلِ لَمْ يُرَ أوْسَعُ من نِحلَتِه فى ذلك ولاَ أرْفَعُ من دِرَايَتِه .
>
> ابنُ سَيِّدِ النَّاسِ

هذا الباب بمثابة المقدمة والتمهيد لتأصيل منهج الإمام ابن تيمية فى دراسة النصرانية بجانبيه النظرى والتطبيقى ، فهذا الباب يبحث فى الدوافع التى كانت وراء دراسته للنصرانية وصياغة منهجه فى تناولها ، كذلك يتناول هذا الباب قضية المصادر والروافد التى غَذَّت فكر ابن تيمية وشكّلت المادة العلمية التى تحكمت فى طبيعة منهجه ، أيضا يتناول الباب ما أفرزه ذلك المنهج من بحوث ودراسات تمثلت فى عدد من المؤلفات المنهجية التى تميز بها فكر الإمام على العموم ، وفكره الجدلى فى مقارنة الأديان على وجه الخصوص .

ويتضمن هذا الباب فصولاً ثلاثة هى :

الفصل الأول : دوافع دراسته للنصرانية .

الفصل الثانى : مصادره فى دراسة النصرانية .

الفصل الثالث : مؤلفاته فى النصرانية .

الفصل الأول

دوافع دراسته للنصرانية

لا شك أن هناك بعض الدوافع التى أدّتْ بابن تيمية للإقدام على دراسة النصرانية ، وأن معرفة هذه العوامل تُلقِى الكثير من الضوء على قضايا الدراسة ، وقيمتها ، ومنهج الإمام فيها ، والذى نهدف إلى رصد أصوله وعناصره والوقوف على أسسه وقواعده .

وهذه العوامل قد تكون مباشرة ، وقد تكون غير مباشرة ، منها ما هو قريب ، ومنها ما هو بعيد ، ، فيها العامل الدينىّ ، وفيها العامل السياسىّ ، بعضها علمىّ ، وبعضها اجتماعىّ ، وكثير منها خليط من ذلك كلّه ، أو بعضه .

والوقوف على تلك العوامل ليس سهلاً ميسوراً فى كل حال ، على الرغم من أن الإمام قد صرّح ببعض هذه العوامل ، وما ذاك إلا لأن المفكرين لا يذكرون فى العادة إلا الدوافع الظاهرة أو المباشرة ، ويتركون للباحثين استنباط بقية الدوافع من خلال معرفتهم بالمفكر وطبيعته ، وظروف عصره ، وما يمتلكون من مفاتيح لشخصيته العلمية.

ومن خلال ما ذكره ابن تيمية ، وكذلك من خلال دراستنا : لتراثه ، وعصره ، وحياته ، نستطيع أن نحدد البواعث التى كانت وراء دراسته للنصرانية فى العاملين التاليين :

أولا : الاحتكاك بين المسلمين والنصارى

لا شك أن المرء يتأثر بالأحوال والظروف المحيطة به ، يتفاعل معها وينفعل بها ويكون لها دخل كبير فى تكييف حياته وتعيين ملابساتها ، فكمايتأثر بالبيئة التى يعيش فيها بتحديد نوع التربية التى يتلقاها فى البيت ومعهد العلم ، يتأثر كذلك بالروح العامة التى تسود أساتذته ومعلميه والتلاميذ الذين يرافقونه ويعاشرونه ، ويتأثر بالتيارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى توجد فى عصره ، فتلك عوامل مهمة فى تكوين شخصيته وتكييف اتجاهها وتوجيه طريقها ومنهجها .

فإن كان هذا شأنَ الرجل العادى ، فما بَالنُا بالمفكر الذى هو واجهة عصره ومرآته اللامعة وعينه الفاحصة وعقله الدارس وحافظته القوية ولسانه الذاكر وشاهده الأمين ، وقلبه النابض ، وكاتبه الوفى ، وروحه الحيّة ؟

لا جدال فى أن تأثر المفكر بها أقوى وأكبر ، وتفاعله وانفعاله أشد وأعلى ، واستيعابه أعمق وأغزر ، وإحاطته أوسع وأشمل ، وثماره منها أنضج وأينع ، ونظراته أدق وأنفذ .

ولم يكن ابن تيمية من ذلك الصنف من العلماء الذين يحبسون أنفسهم داخل معاهد العلم ، ويقتصر تأثرهم وانفعالهم بعصرهم على الفكر والثقافة بل كان ذلك العالِم الذى لم تشغله علومه عن الاضطلاع بمسئولياته تجاه أبناء دينه ووطنه ، إيمانا منه بأن الإسلام عقيدة وعمل .

فعندما دعاه داعى الجهاد ، لم يتردد لحظة أن يكون فى طليعة المجاهدين للتتار ، إذ ألقى بنفسه فى الميدان عام (٧٠٢ هـ) ، وقاتل هو وجماعة من أصحابه فى واقعة (شقحب) التى انتهت بنصر المسلمين . (١)

هذا فضلاً عن مواقفه المشهودة مع قازان ملك التتار ، ومع سلطان مصر والشام فى حثه على الجهاد . (٢)

---

(١) ابن كثير / البداية والنهاية (٤/٢٥ – ٢٦) تصوير عن مطبعة السعادة بمصر – بدون ترقيم ، ابن عبد الهادى / العقود الدرية : ص : ١١٨ – ١١٩ ، مطبعة المدنى بمصر – بدون ترقيم .

(٢) البداية والنهاية (جـ ١٤ / ٧ – ١٥) .

لذلك كان تأثير الاحتكاك بين المسلمين والنصارى عظيم الشأن فى حياة ابن تيمية ، وكان فى أكثر من جهة وناحية كما سنرى ، وقد كان ذلك الاحتكاك حاداً وعنيفاً وتجلى فى أكثر من مظهر :

(أ) الصراع العسكرى :

شهد القرن السادس للميلاد ظهور محمد بن عبد الله نبياً ورسولاً مُبَشِّراً بدين الإسلام وشعاره (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لهداية الإنسانية جمعاء لعبادة الإله الواحد ، والقضاء على الوثنية سواء كان الوثن صنماً أم بشراً .

فوجه رسول الله ﷺ الرسل والكتب لدعوة الشرق والغرب لدين التوحيد الخالص [1] ، ولمّا أعرض الملوك والحكام وحالوا بين وصول الدعوة إلى أممهم وشعوبهم أعدَّ النبى – صلى الله عليه وسلم – العدة للجهاد والفتوح [2] ، وحمل خلفاؤه من بعده راية الجهاد وطوّفوا بها في الآفاق عالية خفاقة حتى تهاوت تحت ضربات سيوفهم أعظم إمبراطوريتين فى ذلك الزمان فارس والروم . [3]

فلما رأت الكنيسة أنها قد فقدت أهم معاقلها التى ارتبطت ببدء تاريخ المسيحية كالشام ومصر والإسكندرية ، بل وبعض معاقل المسيحية نفسها كإسبانيا ، لم تر فى الإسلام إلا خطراً جاثماً يهدد كيانها ، ولم تحاول تفهم طبيعة الديانة الإسلامية التى تحترم دعوة المسيح وتُكَرِّمه وأُمَّه وتنادى بالسلام عليه يوم وُلِدَ ويوم يَمُوت ويوم يُبْعَث حياً ، مما جعل رجال الكنيسة يضمرون الحقد للإسلام وأهله ، ويشعرون دائماً بالرغبة فى الانتقام من الإسلام والمسلمين . [4]

وظلت تلك الرغبة كامنة حتى جاء البابا أوربان الثانى (١٠٤٢ - ١٠٩٩ م) فدعا إلى اجتماع كَنَسِيٍّ كبير فى مدينة (كليرمون) الفرنسية ، وألقى خطبة فى الجموع التى احتشدت حوله ، أثار فيها كل رغبات الناس المنحطة والنبيلة معاً ، مطالباً جميع

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية (١٨٧/٤) ، تحقيق الدكتور محمد فهمى السرجانى ، طبع المكتبة التوفيقية بمصر .

(٢) السابق (١٨٨/٤) .

وانظر : الدكتور أسد رستم : كنيسة أنطاكية (٢١/٢) منشورات النور ، بيروت ، بدون ترقيم .

(٣) السير توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٦٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية .

(٤) سيأتى تفصيل تلك الدوافع ومظاهرها فى دراسة ظاهرة الغلو الدينى فى النصرانية

المسيحيين بشن حرب لإنقاذ الأراضى المسيحية المقدسة من أيدى المسلمين معلناً غفران جميع ذنوب من يشارك فيها ، مستهلاً بذلك الحروب الصليبية .(١)

وهى تلك الحركة الكبرى التى نبعت من الغرب الأوربى المسيحى فى العصور الوسطى ، واتخذت شكل هجوم حربى استعمارى على بلاد المسلمين ، وبخاصة فى الشرق الأدنى بقصد امتلاكها ، وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التى سادت غرب أوربا فى القرن الحادى عشر للميلاد ، واتخذت من استغاثة المسيحيين فى الشرق ضد المسلمين ستاراً دينياً للتعبير عن نفسها تعبيراً عملياً واسع النطاق .(٢)

وقد استمرت تلك الحركة المشئومة والحروب اللعينة طوال خمسة قرون (٣) كانت وبالاً على العالم الإسلامى شرقه وغربه ، طرفه وقلبه ، إذ تجسدت فيها معالم البغض والحقد والكراهية ، وعداوة الصليبيين للإسلام وأهله ، فكان القتل والحرق والتدمير الشامل لكل ما واجه الصليبيين فى طريقهم مع أن وصية المسيح : « مَنْ لَطَمَكَ على خَدِّكَ الأيمن فَأدِرْ له الآخَرَ أيضاً ، أحِبُّوا أعْدَاءَكُم ، وبَارِكُوا لاعِنِيكُم ، وأحْسِنُوا إلى مُبْغِضِيكُم ، وادْعُوا لِظَالِمِيكُم وطَارِدِيكُم » .(٤)

يصف ابن الأثير دخول الصليبيين بيت المقدس بعد تسليم حاميته بقوله : « عندما دخل الصليبيون بيت المقدس رَكِبَ الناسَ السَّيْفُ ، ولبث الإفرنج فى البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين ، وقتل الإفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً من المسلمين من أئمتهم ، وعلمائهم ، وزهادهم ، ممن فارق الأوطان وجاور ذلك الموضع الشريف » .(٥)

علق العلامة « مكسيموس مونروند » الفرنسىّ على هذه المذبحة قائلاً : « أصدر ديوان المشورة العسكرية حكماً مرهباً ، وهو أن يموت كل مسلم باقٍ داخل المدينة المقدسة حتى من احتمى ببيرق (راية) النبيل « تانكريد » ، إذ أراد أن يخلِّص حوالى

---

(١) د. أسد رستم : كنيسة أنطاكية ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .
د. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى (٣٥٠/١) مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السابعة ، وانظر : مايكل هارت : المائة ، ص ٢٠٦ ، طبع المكتب المصرى الحديث ، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م

(٢) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية (٢٥/١) مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م ، وانظر: مايكل هارت : المائة : ص ٢٠٦ .

(٣) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية (٢٥/١) .

(٤) متى (٣٩/٥ - ٤٥) .

(٥) ابن الأثير : الكامل (٢٨٣/١٠ - ٢٨٤)

ثلاثمائة شخص هربوا إلى جامع عمر ، فأرسل بيرقه ، ليحتموا تحته ، لكنَّ الصليبيين لم يحترموا البيرق وذبحوا ثلاثمائة مسلم عن أخرهم » .[1]

وما ذلك – فى اعتقادنا – إلا لأن هذه الحرب لم توجد إلا لتدمير الإسلام وإبادة المسلمين كما يقول (غاردنر) أحد المستشرقين فى كتابه (التبشير والاستعمار) [2] ، فذلك هو التفسير الوحيد الصحيح للفظائع والأهوال التى ارتكبها الصليبيون فى حملاتهم ، فقد بلغ من وحشيتهم أنهم كانوا يأتون على كل « ناطق وصامت » بديار الإسلام ، وكانوا يحرقون كل ما تصل إليه أيديهم من القصور والخانات ويعتدون على كل من يصادفون من النساء والبنات ، فضلاً عن حرق المساجد ودور العبادات . وقتل كل من يصادفون فى الشوارع والبيوتات حتى أنهم كانوا يقتلون المرأة بعد أن يذبحوا ابنها على صدرها .[3]

(ب) الأقليات :

ضَمَّت الدولة الإسلامية بين رعاياها جماعات من النصارى الذين ظلوا على دينهم وارتبطوا معها بمعاهدات أمان ، وقد مارس هؤلاء حياتهم بكل حرية ، إذْ نعموا بحالة من التسامح لم تعرف على مدار التاريخ .[4]

فسُمِحَ لهم بأداء الشعائر الدينية وتولى المناصب والأعمال والوظائف الحكومية ولم يَحُل أحد بينهم وبين ممارسة أى عمل اجتماعىّ أو تجارىّ .

فقد قامت معاملة المسلمين للأقليات النصرانية على قاعدة أصيلة لم يَثُر حولها نقاش كمبدأ مشروع ، ولم يضطرب تطبيقها على توالى الأزمنة ، هذه القاعدة تقوم علــى أن « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

إلا أن تلك الأقليات لم تَرْعَ حُرمة المعاهدات ، ولم تحفظ لأولئك المسلمين الذين عاشوا فى كَنَفِهم متمتعين بنفس حقوقهم ماتوجبه عليهم آيات العرفان والشكر ، أو روابط الأخوة فى الدار والوطن ، أو حسن الجوار ولطف المعاملة . فما أن دب الضعف فى أوصال الدولة الإسلامية وهاجمها أعداؤها من خارجها تتاراً كانوا أم صليبيين حتى تنكرت تلك الأقليات لواجباتها نحو المسلمين على نحو يثير القلاقل والفتن ، وراحوا يعملون كطابور خامس بين ظهرانىّ المسلمين ، وذلك على النحو التالى :

---

(١) العلامة مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة ، ص ١٢٥ ، طبع أورشليم ١٨٦٥م .

(٢) جلال العالم : دمروا الإسلام ، ص ٥٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م .

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية (١٢٢٦/٢) .

(٤) السير توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٧٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٥٧م .

١ - معاونة أعداء المسلمين :

فعند هجوم الصليبيين على البلاد الإسلامية لم يكونوا محتاجين إلى مرشدين يعرفونهم الطرق والمنافذ والمداخل والمخارج والخبايا والثغور .[(١)]

وقد اجتمعت كلمة النصارى من الْمَلَكِيِّين النساطرة واليَعَاقِبَة على مناصرة الصليبيين والتتار والوقوف صفاً واحداً كحلفاء لهم ، في عداوة المسلمين وحربهم ، كما حدث في حملة لويس التاسع على مصر [(٢)] ، وفي زحف هولاكو على بغداد [(٣)] .

ولم تقتصر خيانة النصارى علي المعونة العسكرية فحسب ، بل قاموا بعمليات التجسس لمصلحة الصليبيين ونقل الأخبار النافعة لهم وتحذيرهم من المخاطر التي قد يلاقونها عند صدام المسلمين .

وقصة الجاسوس القبطي أبي الفضائل بن دوخان وهو موظف كبير بالحكومة المصرية : مشهورةٌ ، فقد كان يراسل الفرنجة ويخبرهم عما يحدث عند المسلمين والحكام والأعيان وكان مبعوثو الفرنجة والنصارى يذهبون إلى مكتبه فيستقبلهم بحفاوة بالغة وينجز أعمالهم قبل غيرهم [(٤)] .

٢ - إساءة النصارى الذين شغلوا مناصب عالية في الدولة الإسلامية استعمال سلطاتهم بظلمهم للمسلمين وسلب أموالهم وأراضيهم والاستعلاء عليهم ومعاملتهم معاملة تتسم بالغلظة والوقاحة [(٥)] ، وقد مر بنا طرف من ذلك .

٣ - الجرأة على الإسلام :

بعد دخول التتار بغداد استطال النصارى بدمشق على المسلمين ، فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان ، وَرَشُّوه على ثياب المسلمين في الطرقات ، وصبُّوه على أبواب

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية (١٢٢٦/٢) .

(٢) محمـد الغزالـي : التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢٩٧ ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، بدون ترقيم .

(٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية (١١١٩/٢) .

(٤) محمد الغزالي : التعصب والتسامح ، ص ٢٩٨ ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩٨ .

(٥) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٩٧ .

المساجد ، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم ، وأهانوا من امتنع عن القيام للصليب

وصاروا يَمُرُّون به فى الشوارع إلى كنيسة مريم ، ويقفون به ويحيطون فى الثناء على دينهم ، ويقولون : « ظهر الدين الصحيح دين المسيح » (١) .

وقد سبَّ نصرانىٌّ النبىَّ ﷺ سنة ٦٩٣ هـ ، وأوى إلى أحد العلويين فحماه من غضب العامة فرأى الإمام ابن تيمية ذلك منكراً لا يحسن السكوت عليه ، فصحب شيخ الحديث ، وذهبا إلى نائب السلطنة بدمشق ، وخاطباه فى الأمر ، فأرسل ليحضر النصرانى ، فحضر ومعه بدوى أغلظ القول للعامة المجتمعين فحَصَبُوه ومن معه بالحجارة ، وقد أوذى شيخ الإسلام وصاحبه لاتهامهما بتحريض العامة (٢) .

(ج) التنصير :

بعد الفشل الذريع الذى مُنِيَتْ به الحملات الصليبية على العالم الإسلامى تأكدت الكنيسة من عدم جدوى الصراع المسلح لفرض النفوذ المسيحى على المسلمين بعد أن رأت عبث الجهود والتضحيات التى بذلتها فى الحروب الصليبية ، وكيف أنها ضحت بالأرواح والأموال دون أن تحصل على نتيجة واضحة ، فاتجهت لتنفيذ سياساتها عن طريق الغزو الفكرىّ (٣) .

وقد ظهرت – أخيراً – وثيقة تُلْقِى الضوء على ذلك التحول ، تتضمن وصية القديس لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التى انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع لويس فى أسر المصريين وسجنه فى مدينة المنصورة ، وقد أيقن بعد عودته لبلاده أن لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية ديار

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية (٢١٩/١٣) .

(٢) السابق ، ص ٣٣٤

(٣) الدكتور محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، ص ٣ ، طبع دار القلم بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٠م .

الدكتور مصطفى السباعى : الاستشراق والمستشرقون ، ص ٦ ، ٦٠ – ٦١ ، طبع المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

الإسلام وصون الحرمات والأعراض ، وأنهم قادرون دوماً على الانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة ، ولأنه لابد من سبيل آخر ، وهو تحويل التفكير الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى ، بأن يقوم العلماء المسيحيون بدراسة الحضارة الإسلامية ، ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به الفكر الإسلامي وهكذا تحولت المعركة إلى ميدان العقيدة بهدف تزييف عقائد المسلمين الراسخة والتى تحمل طابع الجهاد والاستشهاد (١)

وعلى الفور بدأت جهود المنصرين بوصول القديس (فرانسيس الأسيزى) إلى مصر وتقديم مواعظه الدينية فى حضرة السلطان الكامل ، ثم استمر أتباعه وأتباع القديس (دومنيك) يواصلون جهودهم فى نشر المسيحية بين المسلمين ، وكان أكثر الدعاة تحمساً (روجر بيكون ١٢١٤-١٢٩٤م) الذى كان يرى أن التنصير هو الطريقة الوحيدة التى يمكن توسيع رقعة العالم المسيحى بواسطتها (٢)

ولم تقتصر تلك الجهود على المشرق الإسلامى فحسب ، بل تزعم (ريموند لول Raymond Lull) الأسبانى تلك الحركة بالأندلس فكرس حياته لمهمة تنصير المسلمين وأقنع ملك ميورقة بإنشاء كلية الثالوث المقدس وفيها أخذ يُعِدُّ المنصرين للقيام بمهامهم ، وكانت أهم وسائل هذا الإعداد تعليم اللغة العربية ، فلا يمكن لمنصِّر أن ينجح نجاحاً مضموناً إلا إذا عرف لغة القوم الذين يحاول تنصيرهم (٣) .

وهكذا سار النصارى - قدماً - فى طريق تنفيذ وصية القديس لويس التاسع بغية تحقيق هدفين عظيمين (٤) :

---

(١) الدكتور على محمد جريشة - محمد شريف الزيبق : أساليب الغزو الفكرى ، ص ٢١ ، طبع دار الاعتصام ، مصر ، الطبعة الثانية

جلال العالم : دمروا الإسلام ، ص ٦٢ - ٦٣

(٢) الدكتور سعيد عاشور ، الحركة الصليبية (١٢٧٨/٢)

الدكتور حمدى زقزوق : الاستشراق ، ص ٢٧ ، كتاب الأمة (٥) ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ

(٣) الدكتور سعيد عاشور : الحركة الصليبية (١٢٧٩/٢)

(٤) الدكتور محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار ، ص ٥

الدكتور مصطفى السباعى الاستشراق ، ص ٢٣ - ٢٤

أحمد عبد الوهاب حقيقة التبشير ، ص ١٦٢ ، مكتبة وهبة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

١ - هدم الإسلام فى قلوب المسلمين ، وقطع صلتهم بالله ، وتحويلهم إلى مسوخ تفتقد الغايات والأهداف التى تتبنى على العقيدة القويمة والأخلاق الحميدة .

٢ - إخضاع العالم الإسلامى لسيطرة الاستعمار والتحكم فى مقدراته وطاقاته وإمكاناته .

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين يستخدم المنصِّرون وسائل كثيرة يطورونها بين الحين والآخر ، لتناسب روح العصر وتوائم ظروف المجتمع الإسلامى (١) .

(د) حركة الجدل الدينى :

نشط اللاهوتيون النصارى للعمل ضد الإسلام فى ذلك الوقت المبكر ، فراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ من خلال هجوم مكثف يستهدف جوهر الإسلام وحقائقه ، ملوِّحين بدعوى عدم أصالة الإسلام ، وخروجه من عباءة المسيحية كبدعة محرفة عن دين النصارى ، لكنها بدعة تهدِّد الدين الصحيح(٢) .

وتمثَّلتْ التكتيكات النصرانية لطعن الإسلام والنيل من بنائه الراسخ فى مجموعة من المحاور أهمها (٣) :

١ - التشكيك فى صحة الرسالة الإسلامية ومصدرها الإلهى ، والطعن فى صدق الوحى المحمدى ، والاجتهاد فى تفسير مظاهره .

٢ - التشكيك فى حاجة الإنسانية إلى دين الإسلام ، بعد اكتمال الدين بشريعة العدل (الموسوية) وشريعة الفضل (المسيحية) .

---

(١) الدكتور على جريشة : أساليب الغزو الفكرى ، ص ٣٠ .
جلال العالم : دمروا الإسلام ، ص ٦٥ .
أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير ، ص ٩١ .

(٢) رجاء جارودى : وعود الإسلام ، ص ٤١ ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
لويس غرديه : جورج قنواتى ، فلسفة الفكر الدينى (٢/٤٣) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م .
بابا دوبولس : تاريخ كنيسة أنطاكية ، ص ٥٢٨ ، منشورات النور ١٩٨٤م ، ترجمة الأسقف استفانس حداد

(٣) سنناقش هذه الدعاوى بالتفصيل فى الباب الثالث إن شاء الله

ولقد مَثَّل هذا الهجوم اللاهوتى تحدِّياً للإسلام والمسلمين فكان حافزاً لمفكرى الإسلام ومناظريه على التصدى له بل وسحقه ، فلجأوا إلى القرآن يستمدون منه موقف الإسلام من النصرانية (عقائدها وعباداتها) ، ثم اتجهوا إلى النصرانية ومذاهبها ، فهضموا أصولها ونظرياتها وأدلتها وحججها هضماً دقيقاً واستوعبوا مقالاتها استيعاباً تاماً وبذلك استطاعوا مجادلة النصارى مجادلات منهجية مفحمة .

ومن ثَمَّ فقد تبلورت القضايا الرئيسية للجدل الدينى بين الإسلام والمسيحية ، إذ استكمل المسلمون حججهم الدامغة ضد النصارى فى [١] :

١ - إثبات نبوة محمد ﷺ ودلائلها بالبراهين القاطعة خصوصاً ما تضمنته نصوص التوراة والإنجيل من ذلك .

٢ - إبطال التثليث وألوهية المسيح .

٣ - تفنيد عقيدة الصلب المسيحية وأحداثها الدراماتيكية .

٤ - وجوه تحريف الكتاب المقدس عند النصارى .

وقد بدأ اللاهوتيون النصارى طرح التساؤلات عن الإسلام ، وتصنيف المقالات الجدلية ضده [٢] ، فقدَّم يُوحَنَّا الدِّمشْقِىّ الإسلام فى كتابه عن (البدع) على أنه هرطقة مسيحية [٣] ، وكتب الرسائل الجدلية ضد الإسلام يُثَبِّت بها تلاميذه ، صاغها فى قالب حِوَارِىّ بطريقة السؤال والجواب [٤] .

ثم كتب تلميذه تيودور أبو قُرَّة بعض المحاورات القائمة على الجدل مع المسلمين طَرَقَ فيها كلَّ مواطن النزاع بين الإسلام والمسيحية [٥] ، فصَنَّف - وحده - سبع عشرة

---

(١) رشا حمود الصباح : الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى ، ص ٧٨ ، مقال بمجلة عالم الفكر التى تصدرها وزارة الإعلام بالكويت ، المجلد الخامس عشر (العدد الثالث) .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

(٣) سيأتى تفصيل هذه المسألة فى الفصل الثانى من الباب الثالث إن شاء الله .

(٤) لويس شيخو : المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ٢١٧ ، طبع الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٢٤م .

توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٣ ، أسد رستم : كنيسة أنطاكية ، ص ٧٦ .

(٥) لويس شيخو : المخطوطات العربية ، ص ٢٣

توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٣

رسالة جدلية عنيفة ضد الإسلام [١] .

وكان البطريق النسطورى (طيما ثاوس) يعقد مناظرات فى المسائل الدينية بحضرة الخليفة الهادى وهارون الرشيد ، وجمع هذه المناظرات فى كتاب لم يُعْثَر عليه للآن [٢] .

وقد انتقلت المبادرات إلى الجانب الإسلامى فى ظل خلفاء بنى العباس وعلى الأخص المأمون والمتوكل اللذين أوليا تلك المناظرات الجدلية اهتماماً متزايداً ، وشَجَّعا علماء الإسلام على تصنيف الردود والمجادلات لما لها من أثر بالغ على جهود نشر الدعوة الإسلامية التى تحمسا لها [٣] .

فكتب الهاشمى إلى عبد المسيح الكندى وكان عاملاً فى بلاط الخليفة المأمون يدعوه إلى الإسلام ويُفَنِّد مقالات النصرانية [٤] .

ورد الجاحظ - بناء على طلب المتوكل - على مقالة دينية كتبها أحد المسيحيين [٥] ، وفى نفس الفترة كتب على بن ربن الطبرىّ كتابيه « الرد على النصارى » ، « الدين والدولة » بناء على تكليف من المتوكل أيضاً [٦] ، وتلاه أبو عيسى الورّاق بكتابه « المقالات » ، والقاسم بن ابراهيم الشيعىّ الزيدىّ بكتابه « الرد على النصارى » [٧] .

ثم اشتدت حِدَّة المناظرات الجدلية فى مطلع القرن العاشر الميلادى على يد اثنين من كبار علماء اللاهوت اليعقوبيين ، وهما يحيى بن عدىّ الذى تصدى للرد على كتاب « المقالات » لأبى عيسى الوراق ، وعلى رسالة الكندى الفيلسوف فى الرد على

---

(١) رشا الصباح : بين الإسلام والمسيحية ، ص ٨٠ .
(٢) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٤ .
(٣) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .
الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى ، ص ٧٩ .
(٤) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٤ .
(٥) الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى ، ص ٨٠ ، وليس ذلك مقطوعاً به لدى محققى رسالة الجاحظ ، انظر الرد على النصارى بتحقيق د: محمد الشرقاوى ، ص ٢٢ ، دار الصحوة ، الطبعة الأولى
(٦) على بن ربن الطبرى : الدين والدولة ، ص ١٥٠ ، نشر المكتبة العتيقة ، تونس ، بدون تاريخ .
(٧) الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى ، ص ٨٢

النصارى ، والتى لا نعرف عنها شيئاً إلا من خلال رسالة يحيى بن عدىّ [١] ، ثم تولى تلميذه عيسى بن إسحاق بن زرعة الرد على « أوائل الأدلة » للبلخىّ [٢] .

وفند المهتدى الحسن بن أيوب مقالات النصرانية فى رسالته الهامة التى بعث بها إلى أخيه يشرح فيها سبب إسلامه [٣] .

أما القرن الحادى عشر الميلادى فقد شهد تحولاً في مجال حلقات الجدل الدينى إذْ انتقلت فيه السيادة والمبادرات للإسلام بواسطة مجموعة من فحول المناظرين الجدليين :

فتصدى عيسى بن جزلة للرد على (إيليا) مطران نصيبين اللاهوتى الشهير [٤] الذى كتب رسالة مطوّلة ضد الإسلام [٥] ، وخصّص الباقلانى فصلاً من كتابه (التمهيد) لتفنيد مقالات المسيحية [٦] ، وكذلك خصّص نابغة المعتزلة قاضى القضاة عبد الجبار الهمذانى الجزء الخامس من موسوعته (المغنى فى أصول الدين) للرد على النصارى [٧] ، وأفرد كتاباً لتثبيت دلائل النبوة تناول فيه أيضاً مقالات وعقائد النصارى[٨] .

وفى الأندلس كتب ابن حزم رائد علم الجدل الدينى ومقارنة الأديان أهم وأعنف مصنفات الجدل الدينى لا ضد النصارى وحدهم ، بل أيضاً ضد كل مخالفي الإسلام وخصومه ، وذلك فى موسوعته (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) [٩] .

---

(١) د . محمد الشرقاوى : مقدمة تحقيق الرد الجميل للغزالى ، ص ١٩ ، الطبعة الثانية ، دار الهداية ، القاهرة .

(٢) بولس سباط : مباحث فلسفية دينية ، ص ٥٢ ، القاهرة ١٩٢٩م .

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح (٢/٣١٣) .

(٤) د . محمد الشرقاوى : مقدمة تحقيق (النصيحة الإيمانية) لنصر بن يحيى المتطيب ، ص ٢٠ ، دار الصحوة ، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٥) رشا الصباح : الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى ، ص ٨٥ .

(٦) التمهيد ، ص ٧٨ - ٩٣ ، بتحقيق : محمود الخضيرى ، د . عبدالهادى أبو ريدة ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .

(٧) نشر بتحقيق : محمود الخضيرى ، طبع المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٥م .

(٨) حققه : د . عبدالكريم عثمان ، نشر دار العروبة ، بيروت .

(٩) له أكثر من نشرة ، منها نشرة عكاظ بالرياض - بتحقيق : د . عبدالرحمن عميرة ، د . محمد إبراهيم نصر

ثم رد القاضى أبو الوليد الباجى على رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله حاكم (سرقسطة) رداً يُظْهر رؤية إسلامية صحيحة وعميقة لاضطراب العقيدة النصرانية ، وتناقضها ، ومُجَافاتها للعقل ، والمنطق ، فضلاً عن مُصَادَمَتِها للفطرة السليمة ، وذلك بأسلوب قويم حكيم يُبْرِز محاسن الإسلام وحقائقه [١] .

وخَصَّصَ الجوينى فصلاً من كتابه (الشامل) للرد على النصارى [٢] ، وأفرد رسالة مستقلة لبيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل [٣] .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى انعكستْ الحملات الصليبية التى وصلت قبيل حلول منتصف هذا القرن على حركة الجدل الدينى فاستطاع المسيحيون العرب أمثال بارثليميو الإديسى ، وبولس الراهب الأنطاكى كتابة رسالات مُطَوَّلة ضد الإسلام [٤] .

وكتب الغزالى (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) يدحض فيه دعوى النصارى أُلوهيَّةَ عيسى - عليه السلام - معتمداً على ما جاء في أناجيلهم التى بأيديهم فى مبادرة جدلية تُعَدُّ من أقوى المجادلات حُجَّةً وأنصفها بياناً وأسلسها أسلوباً [٥] ، وقام أبو عبيدة الخزرجى بالرد على رسالة قسيس « طليطلة » القوطىّ بتفنيد أصول المسيحية وإبطالها وإثبات نبوة محمد ﷺ بالدلائل البينة ، والشواهد القاطعة والحجج الناصعة [٦] .

---

(١) توفر على نشرها وتحقيقها أستاذنا الدكتور محمد الشرقاوى ، طبع دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٢) الشامل فى أصول الدين : لإمام الحرمين أبى المعالى الجوينى ، الجزء الأول ، ص ٥٤٣ - ٦٠٧ ، بتحقيق الدكتور على سامى النشار ، فيصل بدير عون ، سهير محمد مختار ، طبع منشأة المعارف بالإسكندرية ، الطبعة الأولى عام ١٩٦٩

وقد توفر على تحقيق هذا الجزء أيضاً : هلموت كلوبفر ، ونشرته دار العرب بالقاهرة ، لكن تحقيقه لم يشتمل على الجزء الخاص بالنصارى ، فقد توقف قبله .

(٣) نشرها الدكتور أحمد حجازى السقا ، طبع ونشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٤) رشا الصباح : الإسلام والمسيحية ، ص ٨٥

(٥) توفر على تحقيقه ودراسته أستاذنا الدكتور محمد الشرقاوى ، ونشرته دار أمية بالرياض ثم دار الهداية بالقاهرة فى عدة طبعات آخرها عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٦) نشره الدكتور محمد شامة : بعنوان (بين الإسلام والمسيحية) وطبعته مكتبة وهبة طبعات متعددة آخرها ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

وفى هذا القرن أيضاً أخذ نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتَطَبِّب بزمام المبادرة فكتب « النصيحة الإيمانية فى فضيحة المِلّة النصرانية » ، عالج فيه موضوعات على جانب كبير من الأهمية ، كتعدد مذاهب النصارى واعتقاداتهم المتباينة الغامضة فى طبيعة المسيح بين اللاهوتيّة والناسوتيّة ، وإظهار تناقض كتبهم واختلافها ، وضعف سندها ، ودحض إلهية عيسى وبيان دلالة معجزاته على إلهيته ، وإثبات نبوة (محمد عليه الصلاة والسلام) (١) .

بحلول القرن الثالث عشر الميلادى ارتفعت حرارة الجدل الدينى على يد مجموعة من أعلام الفكر الإسلامى ، متعددى الاتجاهات والاهتمامات ، فمنهم الفيلسوف ، ومنهم المفسر ومنهم الفقيه والمتكلم ، وكذلك شهدت الحركة الجدلية تنوعاً فى الأخذ بالمبادرات الجدلية ، أو بالجدليات الدفاعية .

فكتب الفارابى الفيلسوف تفنيداً طويلاً للمسيحية (٢) ، ورّد القرطبى المفسِّر على كتاب « تثليث الوحدانية » بـ « الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، وإظهار محاسن دين الإسلام ، وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام » (٣) ، وتبادل ابن حبعين الرسائل مع فردريك الثانى حاكم صقلية (٤) .

وأجاب القرافى الفقيه على بولس الأنطاكى بـ « الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة » ، ثم أعقبها بطرح تساؤلات عميقة حول المسيحية (٥) .

وكتب أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى « تخجيل من حرف الإنجيل » ورد عليه ابن العسال بـ « الصحائح فى جواب النصائح » (٦) .

---

(١) نشره أستاذنا الدكتور محمد الشرقاوى ، وطبعته دار الصحوة عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م .

(٢) رشا الصباح : الإسلام والمسيحية ، ص ٨٥ .

(٣) نشرة الدكتور أحمد حجازى السقا ، طبع دار التراث العربى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

(٤) رشا الصباح : الإسلام والمسيحية ، ص ٩٧ .

(٥) القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، تحقيق الدكتور بكر عوض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، القاهرة ، بدون بيانات .

(٦) ابن العسال : الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٥ ، طبع على نفقة مرقس جرجس سنة ١٦٤٣ قبطية ، وانظر الجعفرى : الرد على النصارى ، مكتبة وهبة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

وقاربت حلقة الجدل الدينى بين الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى على الاكتمال فى القرن الرابع عشر الميلادى ، فلم يتبق لدينا بعد تلك الفترة إلا كتابات تعد على أصابع اليد الواحدة (١) . إذ أدرك ابن تيمية مدى قيمة وخطورة رسالة بولس الأنطاكى وضعف الردود الإسلامية عليها فشمر عن ساعد الجد وكتب أضخم موسوعة إسلامية فى الرد على النصرانية « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » .

يقول الإمام : « وكان من أسباب نصر الدين وظهوره أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء مِلَّتهم قديماً وحديثاً من الحجج السمعية والعقلية ، فاقتضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فَصْلُ الخطاب وبيان الخطأ من الصواب ، لينتفع بذلك أولو الألباب ، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب .

وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً ، وأُتْبِع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً و أصلاً ، وعقداً وحلاً ، وما ذكروه فى هذا الكتاب هو عمدتهم التى يعتمد عليها علماؤهم في مثل هذا الزمان وقبل هذا الزمان ، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال ، فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك ويتناقلها علماؤهم بينهم ، والنُّسَخ بها موجودة قديمة ، وهى مضافة إلى بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكى » (٢) .

ثم أكمل تلميذه ابن القيم تلك الحلقة ، فأجاب عن تساؤلات النصارى فى فصل من كتابه « إغاثة اللهفان » وبكتابه « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » (٣) .

---

(١) انظر مثلاً : تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، عبدالله الترجمان بتحقيق الدكتور محمود حماية ، نشر دار المعارف ١٩٨٤ .

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٩/١) ، مطبعة المدنى ، جدة .

(٣) نشره الدكتور أحمد حجازى السقا ، ونشرته المكتبة القيمة بمصر عام ١٣٩٨هـ .

ثانياً : الدعوة إلى الإسلام

بين الله – تبارك وتعالى – منهج الدعوة إلى الإسلام وأمر بالسير على نهجه فى قوله تعالى :

﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِيـــن ، اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ولاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيْلا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

فالقرآن هـو الأصـل الأول فى منهج الدعوة ، أما الأصـل الثـانى فهـو بيـان الرسول ﷺ لما قام به من أمر الكتاب الكريم ، قال تعالى :

﴿وما آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوه وما نَهَاكُم عَنْه فَانْتَهُوا ﴾ (٢) .

وقد حدَّد المولى – تبارك وتعالى – وسائل تبليغ هذا المنهج فى آية جامعة ، قال تعالى :

﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٣) .

ويرجع اختلاف الوسائل فى الدعوة – لدى الإمام – (٤) لاختلاف المدعوّ ، فالإنسان له ثلاثة أحوال :

١ – إما أن يعرف الحق ويعمل به .

٢ – وإما أن يعرفه ولا يعمل به .

٣ – وإما أن يجحده .

فصاحب الحال الأول هو الذى يُدْعى بالحكمة ، فإن الحكمة هى العلم بالحق والعمل به ، والنوع الثانى من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه فهذا يُوَعَظُ الموعظة الحسنة ، وهاتان الطريقتان : الحكمة والموعظة ، هما اللتان يحتاجهما عامة الناس ، فلابد من الدعوة بهذا وهذا .

---

(١) سورة الأعراف : (٣٠٢) .

(٢) سورة الحشر : (٧) .

(٣) سورة النحل : (١٢٥) .

(٤) د . محمد السيد الجليند : نظرية المنطق ، ص ٧٤ – ٧٥ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ، مطبعة التقدم ، القاهرة .

أما الجدل فلا يُدْعَى به ، بل هو من باب دفع الصَّائل ، فإذا عارض الحقَّ معارض جودل بالتى هي أحسن ، وقد قال تعالى فى الجدل ﴿ بالتى هى أحسن ﴾ ولم يقل بالحسنة كما قال فى الموعظة ، لأن الجدال فيه موافقة ومغاضبة ، فيحتاج أن يكون بالتى هى أحسن ، حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة .

وكما تعددت وسائل الدعوة الإسلامية فقد تعددت مجالاتها كذلك فهناك مجالان للدعوة :

١ - نشر الهداية الإسلامية بين المؤمنين بها ، وذلك بتصحيح العقيدة وتقويم الأعمال ، وتهذيب النفوس ، وتوثيق عُرَى الوحدة والألفة والأخوة بين المسلمين ، ومقاومة الإلحاد ، ومحاربة البدع والانحرافات والمبادئ الهدامة التى تتعارض مع الإسلام ، وكذلك ما تُبْتَلى به الأمة الإسلامية من صراع الشعوبيات ، وصخب الكلاميات ، وتناحر الطوائف ، وجنود الشيطان الذين يبثون فى مناخها الفكرى أخبث السموم ، وحملة الإسرائيليات ، ومروجى الشبهات ، والمفتونين ببدع المُحْدَثَات ، والمبشرين بأرض جديدة مطهرة من تراث ماضينا المجيد .

٢ - تبليغ الرسالة الإسلامية إلى غير المؤمنين بهامن المشركين وأتباع الديانات الأخرى تحقيقاً لمبدأ عالمية الرسالة وشمولها الجن والإنس .

وقد كان ابن تيمية - رحمه الله - من النماذج الفذة للدعاة المخلصين المستنيرين فى المجالين :

(أ) نشر الهداية بين المسلمين :

وَجَد - رحمه الله - عصره يموج بالبدع والانحرافات ويضطرب بالفتن والقلاقل فأخذ على عاتقه مهمة حرب المارقين من الدين والخارجين عن أصوله ، فتصدى لانحرافات الصوفية ومغالاة الشيعة وخرافات الباطنية ، وانتصر للحق من مذاهب الفلاسفة والقرامطة والإسماعيلية .

وقد تبين - رحمه الله - تشابهاً فى العقائد والأقوال يربط أهل الإلحاد والبدع بالنصارى (١) ، فدفعه ذلك لدراسة النصرانية والوقوف على مقالاتها رغبةً فى تحقيق هدفين :

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح (١ / ١٨)

١ - [1] معرفة حقيقة دين النصارى وبطلانه ، لمعرفة بطلان ما يشبه أقوالهم من أقوال أهل الإلحاد ، فإذا جاء نور الإيمان و القرآن أزهق الله به ما خالفه ، وأبان من فضائل الحق ومحاسنه ما كان به محقوقاً كما قال تعالى :

﴿ وقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ [2] .

فبيان دين الإسلام بالعلم ، وبيان أن ما خالفه ضلال وجهل هو تثبيت لأصل دين الإسلام ، واجتناب لأصل غيره من الأديان التى يقاتل عليهاأهلها ، ومتى ظهرت صحته وفساد غيره كان الناس أحد رَجُلَين : « إمّا رجل تبين له الحق فاتبعه فهذا هو المقصود الأعظم من إرسال الرسل ، وإما رجل لم يتبعه فهذا رجل قامت عليه الحجة إما لكونه لم ينظر فى أعلام الإسلام أو نظر وعلم فاتبع هواه أو قصر ، وإذا قامت عليه الحجة كان أرضى لله ولرسوله وأنصر لسيف الإسلام وأذل لسيف الكفار » [3] .

٢ - مَعْرِفَةُ النصرانية معرفةً تُجَنِّبُ المسلمَ الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم إلى صراط النصارى الضالين [4] .

فالله قد بعث محمداً ﷺ بدين الإسلام الذى هو الصراط المستقيم ، وفرض على الخلق أن يسألوه هدايته كل يوم مراراً في صلاتهم ، ووصفه بأنه صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم ولاالضالين[5] .

والصراط المستقيم هو تلك الشِّرعة والمنهاج الذى شرعه الله لنبيه ﷺ وهو إما أن يكون أموراً باطنة : من اعتقادات وإرادات ، أو أموراً ظاهرةً : من أقوال وأفعال ، قد تكون عبادات أو عادات ، وبين الاثنين ارتباط ومناسبة [6] .

---

(١) السابق (١٩/١) .
(٢) الإسراء : (٨١) .
(٣) الجواب الصحيح (٧٧/١) .
(٤) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص ٦ ، ٧ ، ٢١١ ، الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م على نفقة الأمير فهد بن عبد العزيز .
(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٣ .
(٦) السابق ، ص ١١ .

ويقع الفساد فى الدين بمخالفة هذا الصراط المستقيم ، وذلك إما بالاعتقاد الباطل المخالف له والتكلّم به ، أو فى العمل بخلاف الاعتقاد الحق والأوّل هو البدع ونحوها ، والثانى هو فسق الأعمال ونحوها (١) .

وقد توافرت لديه الأدلة الشرعية من الكتاب والسُّنة والإجماع على الأمر بمخالفة أهل الكتاب ، والنهى عن مشابهتهم (٢) :

قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بين يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ومُهَيْمناً عَلَيْه فاحكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فاستَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ، إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُم فِيه تَخْتَلِفُون ، وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، واحْذَرْهُم أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْك ﴾ (٣) .

(ب) الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين :

أُلقِيَتْ مهمة تبليغ الرسالة فى الإسلام على عاتق المؤمنين منذ البداية وكانت توجيهات القرآن فى الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين واضحة :

١ - قال تعالى :

﴿ أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٤) .

ولما كان العلم - لدى الإمام - أساس العمل الصالح ، فقد أوجب على الداعى إلى الإسلام أن يكون عالماً بما يدعو به وإليه وكذلك بمن يدعوه (٥) ، فإن الله قد بعث رسوله بالهُدَى ودين الحق ، والهُدَى يتضمن العلم النافع (٦) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢٥ .
(٢) السابق ، ص ١٣ - ١٧ .
(٣) المائدة : (٤٨ - ٤٩) .
(٤) النحل : (١٢٥) ، وانظر : آل عمران : (٢٠ ، ٦٤) ، الحج : (٦٧ - ٦٨) ، العنكبوت (٤٦) .
(٥) ابن تيمية : رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ١٧ .
(٦) الجواب الصحيح (١ / ٢١) .

وإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض في النار إن لم يكن عادلاً ، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان وأصول المعارف الإلهية والمعالم الكلية بلا علم[1] ؟

فدفعه ذلك إلى دراسة النصرانية دراسة تمكنه من الوقوف على الصواب والخطأ والصحيح والسقيم والمشروع والمبتدع والمأمور به والمنهيّ عنه والمنزَّل والمبدَّل من عقائد النصارى ومقالاتهم وعاداتهم وعباداتهم كي يكون على يقين من الحق والباطل والأصيل والزائف في مناظراتهم[2] وجدالهم ودعوتهم ، وذلك ليكشف لهم الحق ويزيل من أمامهم الشبهة .

يقول مخاطباً ملك قبرص[3] : « ما أريد للملك إلا ما ينفعه في الدنيا والآخرة وهما شيئان :

أحدهما : له خاصة ، وهو معرفته بالعلم والدين وانكشاف الحق وزوال الشبهة وعبادة الله كما أمر ، فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها وهو الذي بُعِثَ به المسيح وعلَّمه الحواريين .

الثاني : له وللمسلمين ، وهو مساعدته للأسرى الذين في بلاده وإحسانه إليهم ، وأمر رعيته بالإحسان إليهم ، والمعاونة لنا على خلاصهم فإن في الإساءة إليهم دركاً على الملك في دينه ودين الله تعالى » .

إذ كيف سيستطيع دعوة ملك قبرص للإسلام دون علمه بدين الملك الذي يرجو منه تبديله ؟ وكيف سيستطع كشف الشبهات التي تعترى عقيدته دون علمه بدين المسيح الصحيح الذي أوصى به الحواريين ؟

الجواب بالقطع أنه لن يتمكن من استمالة الملك وهدايته للإسلام دون معرفته بحقيقة دينه ، بل ستكون النتيجة إعراض المدعوّ وسخريته ممن يدعوه لترك دين لا يعلم الداعي

---

(١) الجواب الصحيح (١ / ٣٢) .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل (١ / ١٨٨) بتحقيق الدكتور رشاد سالم ، طبع جامعة محمد بن سعود ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

(٣) ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، مطبعة المدني ، جدة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

حقيقته ، وفى ذلك فساد عظيم منشؤه انتفاء العلم ، كما قال عمر بن عبد العـزيز : مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بغير علم كان ما يُفْسِدِ أكثر مما يُصْلِح (١) .

مما سبق يتضح لنا أن دوافع الإمام ابن تيمية لدراسة النصرانية دوافع متعددة منها ما هو مباشر ، ومنها ما هو غير مباشر ، ومنها ما هو دينى ، ومنها ما هو سياسى أو اجتماعى ، ومنها ما هو علمى ، ومنها ما هو خليط من كل ذلك جميعه ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

(أ) الاحتكاك بين المسلمين والنصارى والذى اتخذ أشكالاً عدةً منها :

١ - الصراع العسكرى .

٢ - مشكلات الأقليات .

٣ - التنصير .

٤ - حركة الجدل الدينى .

(ب) الدعوة إلى الإسلام ، واتخذ ذلك شكلين :

١ - نشر الهداية بين المسلمين .

٢ - الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين .

* * * * *

---

(١) ابن تيمية : رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ١٧ .

الفصل الثانى
مصادره فى دراسة النصرانية

لا شك أن البحث فى قضية المصادر يُشَكِّل أهمية بالغة لِمَا لها من تأثير فى تكوين الشخصية العلمية للمفكر ، وكذلك لارتباطها الوثيق بمسألة التأثير والتأثر .

والبحث فى مسألة المصادر وإن كان يُشَكِّل صعوبة كبيرة لدى الدارسين إلا أن الأمر مختلف جدًا عند دراسة المصادر العلمية لابن تيمية لأن الإمام - على الرغم من غزارة مصادره - درج علي الإشارة إلى كل باحث أو مصدر استعان به أو اعتمد عليه ، لذلك لن نعانى مَشَقَّةَ التَّكَهُّن بمصادر اعتمد عليها الإمام ولم يُشِر إليها .

ولَمَّا كان الإمام يُعِدُّ نفسه للدفاع عن الإسلام فى شَتَّى الميادين ، فقد اقتضاه ذلك أن يَعْكُف على نتاج مختلف الطوائف العلمية ومؤلَّفات علماء سائر الاتجاهات الفكرية مما انعكس على مؤلفاته هو فجاءت غزيرة ، طويلة النفس ، متنوعة الأغراض .

ويمكننا تقسيم الروافد التى استعان بها الإمام في دراسته للنصرانية إلى الأقسام التالية :

١ - مصادر عامة :

وهى تلك المصادر التى لا ينحصر تأثيرها فى مسألة معينة ، بل يمتد ليشمل مناحى كثيرة ، وتُمَثِّل رافداً شاملاً يُغَذِّى فكر الباحث على الدوام .

٢ - مصادر خاصة :

وهى التى استعان بها لغرض معين ينحصر تأثيرها فيه .

٣ - مصادر حية :

وهى إن كانت تشترك مع القسم الثانى فى اقتصار تأثيرها على مسألة معينة إلا أنها تمتاز بالحياة والحركة ، فهى إما أشخاص تتحرك أو أخبار تدور على الألسنة .

وسنعرض لها على النحو التالى :

أولاً : المصادر العامة :

(أ) القرآن الكريم :

وهو مصدر المصادر لدى ابن تيمية وحجر الزاوية فى فكره ، فَحَوْلَه يدور ، وعليه

يشير ، وإليه يتجه ، ونحوه ينحو ، ولقد أثَّر فى تكوين فكره تأثيراً ما بعده تأثير ، إذ كان الشغل الشاغل لحياته كلها : حفظاً ، ومدارسة ، وتفسيراً ، حتي ليعتبر نتاج ابن تيمية الفكرى كله عملاً من أعمال التفسير ، فهو يتساءل دائماً عن المقتضيات اللغوية ، أو التاريخية ، أو النفسية ، لكل نص قرآنى ، لأنه إنما يريد أن يتوصل إلى معرفة حقيقة الهداية النبوية ، [1] مما يسوغ لنا أن نلقبه بـ (الرجل القرآنى) .

ولا عجب من هذه المكانة التى تبوأها القرآن لدى الإمام ، فهو حَبْلُ الله المتين وكتابه المبين ، ما فرَّط الله – تبارك وتعالى – فيه من شئ ، فما من مسألة من المسائل الكلامية والفلسفية والعقائدية خاض فيها الخائضون إلا وكان القرآن قد أوضحها كمايرى ابن تيمية [2] .

كما أن القرآن إلى جانب كونه خبراً عن الصادق المعصوم ، قد امتاز – لدى الإمام – فى حقل الجدل ضد المخالفين بميزات عدة منها : [3]

١ – الصدق والموضوعية ، فهو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢ – الشمول : إذ تضمن حديثه عن النصرانية مثلاً : العقائد والكتب والشرائع .

٣ – المناهج العقلية ، فأخباره تشير إلى دلالات عقلية مُتَضَمَّنة فيها ، يُعْرَفُ بها العدل والقياس الصحيح ، ويُسْتَدَلُّ بها على المطالب الدينية .

وقد شرَع الإمام يستخلص مناهج القرآن العقلية وطرق الجدل مع المخالفين ، مستنداً إلى مواقف الرسل والأنبياء عليهم السلام ، مع مخالفيهم من الكفار ، فأخذ يُفَصِّل المعانى القرآنية لكل من [4] :

---

(١) هنرى لاووست : نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية فى السياسة والاجتماع ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ ، طبع دار الأنصار ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

(٢) د. مصطفى حلمى : قواعد المنهج السلفي ، ص ١٧٢ ، دار الدعوة بالإسكندرية ، الطبعة الثالثة ١٣٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(٣) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص ٣٨٢ ، طبع دار المعرفة ، بيروت ، بدون ترقيم ، درء تعارض العقل والنقل (٢٧/١ – ٢٨) بتحقيق د. رشاد سالم .

(٤) سنعرض لهذه الأدلة بالتفصيل فى الفصل الثالث من الباب الثانى إن شاء الله .

- الآيات .

- البيِّنَات .

- الهُدَى .

- البراهين .

مؤكداً أن طرق الاستدلال القرآنية كافية فى مخاطبة العامة والخاصة ، وتغنى عن مناهج النظر التى أسَّسها النُّظَّار والمجادلون ، لأن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأرسله بالآيات البينات ، وهى الأدلة البيِّنة الدالة على الحق ، فمن المحال أن يرسل الله رسولاً يأمر الناس بتصديقه ولا يكون هناك ما يعرفون به صدقه [١] .

وقد ارتبط بيان الإمام لطرق الاستدلال القرآنية بفهمه للقرآن ، ومن ثَمَّ بتفسيره : فهو يرى أن النبى ﷺ قد بيَّن القرآن كله [٢] وأن الصحابة قد تلقوا ذلك البيان عن النبى ﷺ [٣] ، وقد تلقى عنهم التابعون ذلك الفهم والتفسير [٤] .

لذلك فقد جعل مراتب التفسير أربعاً [٥] :

أولاها : تفسير القرآن بالقرآن .

الثانية : تفسير السُّنة للقرآن .

الثالثة : تفسير الصحابة للقرآن .

الرابعة : تفسير التابعين للقرآن .

---

(١) ابن تيمية : النبوات ، ص ١٥١ ، نشر مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، بتصحيح الشيخ حامد الفقى ، بدون ترقيم .

(٢) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، ص ٥ ، نشر محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م .

(٣) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، ص ٥ .

(٤) السابق ، ص ٦ .

(٥) السابق ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ .

٢ - السُّنة النبوية :

وهى المادة الخصبة التى بنى عليها ابن تيمية أبحاثه ، واستخرج منها الأدلة ووجوه الاستنباط ، إذ صدرت عن النبى ﷺ لتبيين القرآن فهى بمثابة المذكرة التفسيرية للقرآن .

لذلك يقوم نهج الإمام في المعرفة ، والبحث فى أصول الدين ، وفى المناظرات والجدل ، على الاعتماد على القرآن ، وعلى ما صَحّ عنده من حديث رسول الله ﷺ وسُنَّته مع الاستئناس بأقوال التابعين وآثارهم (١) .

وهو يقطع بأن النبى ﷺ قد بيَّن الدين كله : أصوله وفروعه ، باطنه وظاهره ، علمه وعمله ، ويَعْتَبِرُ هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان ، وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الأصل ، كان - لديه - أوْلى بالحق علماً وعملاً (٢) .

ونجد ذلك النهج التَّيْمِىَّ ماثلاً فى جميع ما كتبه من رسائل وما خطّه من كتب ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب (العقيدة الواسطية) التى لا يَسْتَدل لشئ من العقائد المذكورة فيها ، والواجب على المسلم اعتقادها في الله وصفاته وغير ذلك إلا بالكتاب والسنة والصحيح من الآثار (٣) .

وقد حفظ الإمام قدراً هائلاً من كتب السنة ، بل كاد أن يستوعب الآثار والسُّنَن حفظاً ، فكان إذا ذُكِر الحديث فهو صاحب علمه وذو رايته (٤) ، فله خبرة تامة بالرجال ، وجرحهم ، وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث وبالعالى والنازل ، وبالصحيح والسقيم ، فلم يبلغ أحد فى عصره رتبته ولا قاربه ، وهو عجيب فى استحضار واستخراج الحجج منه ، وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة والمسند ، بحيث يصدق

---

(١) د . محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص ١٢٢ ، سلسلة أعلام العرب (٥) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة النشر .

(٢) ابن تيمية : معارج الوصول ، ص ٣ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

(٣) ابن تيمية : العقيدة الواسطية ، بشرح الدكتور محمد خليل هراس ، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الرابعة .

(٤) مرعى بن يوسف الكرمىّ الحنبلىّ : الشهادة الذكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية ، ص ٢٦ ، طبع دار الفرقان ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

عليه القول : « كُلُّ حَدِيْثٍ لا يعرفه ابنُ تيمية فليس بحديث » (١) .

ويحتج الإمام ابن تيمية من الحديث بكل أنواع الصحيح : ما تواتر لفظه وما تواتر معناه ، وما تلقَّاه المسلمون بالقبول ، فعملوا به ، وما تلقاه أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق كمعظم أحاديث البخارى ومسلم ، كذلك يحتج بالضعيف الذى خَفَّ ضعفه ، وهو الحسن فى اصطلاح الترمذى ، وذلك فى الفروع والشواهد على أحكام لها أصل فى الدين ، أما الضعيف الذى لا يأخذ به فهو ما اشتد ضعفه بأن كان راويه متهماً بالكذب أو سيئ الحفظ (٢) .

وقد رتب الإمام كتب الحديث من حيث الصحة ، فذكر أن أصَحَّ كتب الحديث البخارى ، ثم مسلم ، وما جمع بينهما كالحميدى ، وبعد ذلك السُّنَن : سُنَن أبى داود ، والنسائى ، وجامع الترمذى ، ثم المسانيد : مسند الشافعى ومسند أحمد بن حنبل (٣) .

وبَعْدُ فلا عجب أيضاً من أن يولى الإمام السُّنة المطهرة تلك العناية الفائقة والاهتمام البالغ كمصدر من أهم مصادر بحوثه ، وروافد فكره فى دراسة النصرانية وغيرها فإذا كان القرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى وهو القاعدة الأولى من قواعد منهج الإمام فى البحث والدرس ، فإن السُّنة بمنزلة البيان والشرح والتفصيل له لقوله تعالى :

﴿وأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤) .

٣ - الكتاب المقدس :

ويتكون من قسمين :

أ - العهد القديم :

وهو نسختان نُسْخَةَ اليهود عامة ومعهم طوائف النصارى ونسخة السَّامرة (إحدى

---

(١) مرعى بن يوسف الحنبلى ، الشهادة الزكية ، ص ٤١ .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى (١٨/٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦) مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، تصويراً عن طبعة الرياض .

(٣) السابق (١٨/٧٤) .

(٤) النحل : (٤٤) .

طوائف اليهود) ، ويختلف تكوين العهد القديم حسب النسخة :

١ - نسخة اليهود والنصارى :

وهى مُكوَّنة من أربعة وعشرين سِفْراً طِبْقاً للأصل العَبْرَانِى ، وتسعة وثلاثين سفراً طبقاً للنسخة البروتستانتية وثلاثة وأربعين سفراً طبقاً للنسخة الأرثوذكسية ، وستة وأربعين سفراً طبقاً للنسخة الكاثوليكية ، قَسَّمها علماء الأديان إلى أربع مجموعات [1] :

المجموعة الأولى : التوراة أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وهى كالتالى :

١ - سفر التكوين ويسمى سفر الخليقة .

٢ - سفر الخروج .

٣ - سفر الأحبار ويسمى اللاويين .

٤ - سفر العدد .

٥ - سفر التثنية أو الاستثناء .

المجموعة الثانية : الأسفار التاريخية ، وهى اثنا عشر سفراً .

المجموعة الثالثة : الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد ، وهى خمسة أسفار .

---

(١) مدخل إلى العهد القديم فى ترجمة الكاثوليك للتوراة ، ص ٤٦ - ٤٧ ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٤ .

رحمة الله الهندى : إظهار الحق ، ص ٤٧ - ٤٨ ، بتحقيق محمد كمال فراج ، وتقديم الشيخ عبدالحليم محمود ، توزيع الأهرام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

- د . على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة ، ص ١٣ ، دار نهضة مصر ، بدون ترقيم .

- د . محمد عبد الله الشرقاوى : مقارنة الأديان ، ص ١٣ ، طبع دار الهداية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

وهناك تقسيم ثلاثىّ لمجموعات أسفار العهد القديم أوردته دائرة المعارف البريطانية على النحو التالى :

أ - التوراة ب - أسفار الأنبياء ج - المكتوبات ويسجل تاريخ بنى إسرائيل ، وقد أخذ كثير من العلماء المتخصصين بهذا التقسيم الثلاثى .

انظر : د . محمد عبدالله الشرقاوى ، مقارنة الأديان ، ص ١٤ .

المجموعة الرابعة : أسفار الأنبياء ، وعددها سبعة عشر سفراً .

وتشكل هذه الأسفار التسعة والثلاثون ما يسمى بالعهد القديم طبْقاً للأصل العبراني ، الذى عليه جمهور اليهود ، وهى التى ارتضاها جمهور البروتستانت من النصارى ، إلا أن هناك مجموعة أخرى من الأسفار اليهودية تسمى « الأسفار الخفية » زادت عن الأصل العبرى ، ولم يعتبرها جمهور اليهود من العهد القديم ، ولكن الكاثوليك أقرّوا بها ، وأقر ببعضها الأرثوذكس وتلك الأسفار هى [1] :

١ - طوبيا .

٢ - الحكمة .

٣ - المكابين الأول .

٤ - المكابين الثانى .

٥ - المكابين الثالث .

٦ - المكابين الرابع .

٧ - يهوديت .

٨ - الكهنوت أو سفر الحكمة ويسمى إيكليز ياسيتكس .

٩ - نشيد الأطفال الثلاثة .

١٠ - سوزان .

١١ - بل والتنين .

١٢ - أسفار ثلاثة منسوبة إلى عزرا .

---

(١) زكى شنودة : تاريخ الأقباط (١/٩١ - ٩٢) ، بدون بيانات .

مدخل إلى العهد القديم (ترجمة التوراة للكاثوليك) اعتماد بولس باسيم النائب الرسولى للاتين ، ص ٤٦ - ٤٧ .

ـ د . محمد عبدالله الشرقاوى : فى مقارنة الأديان ، ص ١٩ - ٢٠ .

ـ د . على عبدالواحد وافى : الأسفار المقدسة ، ص ٢٢ .

١٣ - بعض الزيادات فى سفر دانيال .

٢ - نسخة السامِرَة [١] :

وتتكون من سبعة أسفار فقط من ضمن كل الأسفار السابقة وهذه الأسفار السبعة هى :

١ - التكوين .	٢ - الخروج .
٣ - الأحبار .	٤ - العدد .
٥ - التثنية .	٦ - يوشع .
٧ - القضاة .	

كما أنها تَعْتَبِر سِفْرَى (يوشع ، القضاة) سفرين تاريخيين فحسب [٢] وتختلف أيضاً نصوص أسفار تلك النسخة عن نسخة اليهود والنصارى اختلافاً بَيِّناً [٣] .

وقد اطلع الإمام على العهد القديم بنسختيه ، بل اطلع على أكثر من نسخة من النُّسَخ الخاصة باليهود والنصارى وبالسامرة ، مما أتاح له فرص المقارنة بينهما وإثبات الاختلافات وسنعرض لذلك - إن شاء الله - عند بيان القيمة العلمية لمنهجه .

يقول الإمام : « ورأينا بعض ألفاظ التوراة التى تنقلها هذه الطائفة وهى مكتوبة عندهم يَدَّعون أنها هى التوراة الصحيحة المنقولة عندهم بالتواتر تخالف بعض ألفاظ

---

(١) السامرة : إحدى فرق اليهود ، وتضم أسباط بنى إسرائيل عدا سبطى يهوذا وبنيامين وبعض بنى لاوى ، وكانوا يسكنون فلسطين ، وهم ينكرون سائر أنبياء بنى اسرائيل عدا موسى وهارون ويوشع بن نون ، ويختلفون فيما بينهم فى الإقرار بالثواب والعقاب فى الآخرة ، وكانت قبلتهم إلى جبل يسمى « غريزيم» بين بيت المقدس ونابلس .

انظر : ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٨٢/١) مكتبة السلام العالمية ، مصر ، بدون ترقيم .

- الشهرستانى : الملل والنحل (٢٣/٢ - ٢٤) طبع الحلبى ، تحقيق عبدالعزيز الوكيل ، بدون ترقيم .

(٢) د . محمد الشرقاوى : فى مقارنة الأديان ، ص ٢٣ .

- على عبدالواحد وافى : الأسفار المقدسة ، ص ٦٦ .

(٣) د . على عبدالواحد وافى : الأسفار المقدسة ، ص ٦٦ .

وسنعرض لهذه المسألة بشئ من التفصيل عند دراسة القيمة العلمية لمنهج ابن تيمية فى خاتمة البحث إن شاء الله .

توراة الطائفة الأخرى »[1] .

ويقول : « وبين توراة اليهود والنصارى والسامرة اختلاف ، وبين نسخ الزبور اختلاف أكثر من ذلك وكذلك بين الأناجيل ، فكيف بنسخ النبوات[2] ؟

ويقول : « إنَّ الاختلاف فى نسخ التوراة ونسخ الإنجيل والزبور موجود قد رأيناه نحن بأعيننا ، ورآه غيرنا ، فرأيتُ عدة نسخ من الزبور يخالف بعضها بعضا اختلافا كثيرا »[3] .

ولم يكتف الإمام بمطالعة الكتاب المقدس من خلال التراجم العربية المنتشرة فى العالم الإسلامى ، بل حاول الوقوف عليه فى لغته الأصلية ، يقول الإمام :

« وقد سَمِعْتُ ألفاظَ التوراة بالعبرية من مُسْلِمة أهل الكتاب فوَجَدتُ اللغتين متقاربتين غاية التقارب حتى صِرتُ أفهم كثيرا من كلامهم العبرى بمجرد المعرفة بالعربية »[4] .

(ب) العهد الجديد :

وهى مجموعة الأسفار الخاصة بالنصارى التى يُقَدِّسُونها إلى جانب أسفار العهد القديم ، ويعتقدون أن تلك الأسفار مُوْحًى بها لأصحابها من الله بمعانيها لا بألفاظها ، وسُمِّيَتْ بالعهد الجديد تمييزاً لها عن الأسفار التى اعتمدها اليهود من العهد القديم[5].

ويتكوَّن العهد الجديد من سبعة وعشرين سِفْراً أقرَّها علماء النصارى من بين العديد من الكتب الأخرى المماثلة لها فى القرن الخامس الميلادى ، وتنقسم هذه الأسفار إلى أربع مجموعات كما يلى[6] :

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٢٢) ، وانظر (١/٣٥٢) .

(٢) السابق (٢/٢٦) ، وانظر (١/٣٨٠) .

(٣) السابق (٢/٢٢) ، كوانظر (١/٣٨٠) .

(٤) نقض المنطق ، ص ٩٢ - ٩٣ ، السنة المحمدية ، بدون ترقيم ، مجموع الفتاوى (٤/١١٠) .

(٥) د . محمد عبد الله الشرقاوى : فى مقارنة الأديان ، ص ٢٥ .
د . على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة ، ص ٨٥ .

(٦) مدخل إلى العهد الجديد (ترجمة العهد الجديد للكاثوليك) اعتماد بولس باسيم ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٥م .
د . محمد عبدالله الشرقاوى : فى مقارنة الأديان ، ص ٢٧ - ٣٠ .

أ - الأناجيل الأربعة .

ب - أعمال الرسل : وهو سِفْر واحد يُنْسَب إلى « لوقا » صاحب الإنجيل .

ج - الرسائل المقدسة : وهى إحدى وعشرون رسالة منها أربع عشرة رسالة كتبها بولس .

والرسائل السبع الباقية يُطْلَق عليها « الرسائل الكاثوليكية » وهى :

١ - رسالة يعقوب .

٢ - رسالة بطرس الأولى .

٣ - رسالة بطرس الثانية .

٤ - رسالة يوحنا الأولى .

٥ - رسالة يوحنا الثانية .

٦ - رسالة يوحنا الثالثة .

٧ - رسالة يهوذا .

د - سِفْر « رؤيا يوحنا » ويُطْلَق عليه كذلك « مشاهدات يوحنا » أو الأبوكاليس .

وهذا الترتيب لأسفار العهد الجديد هو الوارد فى الطبعات الحديثة عند طائفة البروتستانت (١) ، والتى سنعتمد عليها إن شاء الله فى كل ما ننقل من نصوص الكتاب المقدس إلا ما سنذكر نشرته ونسخته إن اقتضى الأمر .

وقد اطلع الإمام أيضاً على نسخ عديدة للعهد الجديد (٢) ، والذى يسميه الإنجيل لأن التسمية بالعهد الجديد تسمية حديثة ترجع إلى تاريخ طبع الكتاب المقدس فى مجلد واحد .

---

(١) انظر : الكتاب المقدس بعهديه (القديم والجديد) نسخة البروتستانت ، نشرة : « وليم واطس » لندن ١٨٥٧م ، طبع على نفقة جمعية ترقية المعارف المسيحية وأعادت طبعه مكتبة دار السائح ، بيروت ، ١٩٨٣م .

(٢) الجواب الصحيح (١/٣٥٢ - ٣٨٠) ، (٢/٢٢ - ٢٦) .

ثانياً : مصادر خاصة :

وتنقسم المصادر الخاصة إلى قسمين :

١ - مصادر مباشرة :

وهى تلك المصادر المقطوع باستفادته منها ، وذلك بالنّص عليها صراحة أو علي مؤلفها ، أو نقل عباراتها وأفكارها مع إسنادها إلى أصحابها .

والمصادر المباشرة أنواع ثلاثة :

أ - كتب . ب - رسائل . جـ - وثائق .

٢ - مصادر غير مباشرة :

وهى تلك المصادر التى لم ينقل عن أصحابها ، ولم يأخذ عنهم عباراتها ، ولم يذكر شيئاً عنهم أو عن مؤلفاتهم صراحة ، وإنما أخذ عنهم ضمناً دون قصد منه ، لذلك لم يشر إليها باعتبارها خلفية ثقافية ومرجعية فكرية له .

١ - المصادر المباشرة :

(أ) (الكتب) وهى :

١ - « القوانين » للصفى أبى الفضائل ماجد بن أبى سهل جرجس بن أبى البِشْر ابن العسال »[1] .

ويضم هذا الكتاب مجموع القوانين التى قررتها المجامع والآباء والقديسون ، وأصبحت قانوناً كنسياً معمولاً به ومحافظاً عليه داخل الكنائس المسيحية ، وقد ذكره الإمام فى الجواب الصحيح (١٥/٢) فى معرض التدليل على اتباعِ النصارى الدينَ الذى يشرعه لهم أكابرهم .

٢ - « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » لافتيشيوس المعروف بسعيد ابن البطريق بطريرك الإسكندرية .

---

(١) طُبِع هذا الكتاب فى مصر سنة ١٨٩٤م ، ثم قام الأنبا ايسيندوروس بإعادة طبعه سنة ١٩٢٧م (المخطوطات العربية ، ص ١٢) .

وفيه حاول صاحبه تدوين تاريخ البشرية منذ آدم حتى زمن الهجرة الإسلامية معتمداً على الكتاب المقدس بالاضافة إلى بعض الأخبار والشروح من الكتب الأخرى إلا أنه لم يلتزم ذلك النهج ، فقد خرج عن ذلك الإطار عندما حاول الانتصار لمذهبه الملكانى بمجادلة الفرق والمذاهب النصرانية الأخرى .

ويُعَدُّ الكتاب من أهم المصادر المسيحية التى تتناول تاريخ الديانة وتطورها واختلاف أصحابها ومقالاتهم ومذاهبهم ، وما لحقها من تبديل وتغيير حتى أضحت على الصورة التى عاصرت ظهور الإسلام .

لهذا نال الكتاب ومؤلِّفه عناية الإمام ، فعوَّل عليه كثيراً فى حكاية أقوال النصارى ومقالاتهم ، لأنه – فى نظره – أجَلُّ من جمع أخبارهم عندهم (١) .

ولم تقتصر عناية الإمام بالكتاب على هذا الحد ، بل راح يتناول حكاياته وأحداثه بالنقد والتمحيص ، مُصَحِّحاً له أخطاءه التاريخية .

كما أنه من ناحية أخرى بيَّن دلائل بطلان مقالات المذهب الملكانى الذى ينتصر له ابن البطريق (٢) .

إلا أنه لم يقصد مجادلة المذهب الملكانى وحده ، فهو لا يرى فارقاً بين النصاري إلا فى الطبائع ، لأن الجميع مُقِرُّون بالأمانة معترفون بالتثليث وبالحلول والاتحاد ، كما أنهم لا يثبتون على قول واحد ، فالجميع يقولون جميع الأقوال فى الإله فهو واحد ، واثنان ، وثلاثة ، ويقولون بألوهية مريم أيضاً .

إلا أنه لم يقصد مجادلة المذهب الملكانى وحده ، فهو لا يرى فارقاً بين النصارى إلا فى الطبائع ، لأن الجميع مُقِرُّون بالأمانة معترفون بالتثليث وبالحلول والاتحاد ، كما أنهم لا يثبتون على قول واحد ، فالجميع يقولون جميع الأقوال فى الإله فهو واحد ، واثنان ، وثلاثة ، ويقولون بألوهية مريم أيضاً (٣).

وإنما دفعه إلى ذلك تحقيق التوازن في استدلالاته بين من يُبْطِل أقوال النصارى

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح (١٧٩/٣) .

(٢) طبع كتاب التاريخ المجموع لابن البطريق بمطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت عام ١٩٠٥م .

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح (١٧٠/١ – ١٧١) .

بالحجج السمعية والعقلية ، وبين من ينقل مذاهبهم ، وينتصر لهم ، تحقيقاً لموضوعية الدراسة ومنهجية البحث القائمة على المقابلة والمقارنة ، خصوصاً بعد عرضه لرسالة الحسن بن أيوب كاملة .

وقد استغرقت تلك المناقشات حَيِّزاً كبيراً من الكتاب تجاوز مائة وعشرين صفحة من الجواب الصحيح (٣/٥ –١٢٥) .

٣ – « سربطرس » (١)

ذكره الإمام في الجواب الصحيح (١/١٢٢) وذكر أن النصارى يعتقدون أن بطرس أخذه عن المسيح وفيه أسرار العلوم .

٤ – كُتُب المِلَل والنِّحَل :

لم يكتف الإمام فى دراسته لمذاهب النصارى بالوقوف على تلك المقالات فى كتب أصحابها ، بل ذهب يتعرف على أصولها فى كتب الملل والنحل ، ومناهج المصنفين فيها وطرق نقولهم ، وتحرير بياناتهم ، فَهَالَهُ ما وجده بها من اختلافات وأخطاء دعته إلى النظر فيها نظر الفاحص المدقق ، فهداه بحثه إلى أن أسباب اختلاف كُتَّاب الملل والنحل فى مقالات النصارى ترجع للأسباب التالية :

١ – أنَّ نُقُولَ المصنفين فى الملل « عامته مما ينقله بعضهم عن بعض ، وكثير من ذلك لم يُحَرَّر فيه أقوال المنقول عنهم ، ولم يُذْكر الإسناد فى عامة ما يُنْقل » (٢) .

٢ – اختلاف الطوائف التى ينقلون عنها : « وقد يوجد نَقْلُ الناس لمقالاتهم مختلفاً وذلك بحسب قول الطائفة التى يَنْقُل ذلك الناقل قولها » (٣) .

---

(١) أظُنُّه كتاب (رؤيا بطرس لتلميذه اقليميس أو اكليمنضوس) فقد ذكر لويس شيخو أن لبطرس كتاباً منحولا يُنْسب إليه عنوانه (كتاب تعاليم القديس بطرس لتلميذه اقليميس) عن الخليقة وأعمال الشعب وما أوحاه إليه السيد المسيح من أحوال المستقبل ، وهذا الكتاب مخطوط بمكتبة الفاتيكان ومكتبة باريس .

(لويس شيخو ، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ٣٧ ، ٦١) .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية (٣/٢٠٧) دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون ترقيم .

(٣) الجواب الصحيح (٢/٣٠٧ –٣٠٨) .

٣ - أن « المعرفة بحقيقة أقوال الناس من غير نقل ألفاظهم ، وسائر ما به يُعْرف مُرَادُهم قد يتعسَّر على بعض الناس ، ويتعذر على بعضهم »[١] .

وقرر الإمام أن أجْمَعَ كِتَابٍ في الملل والنحل وأجودها نقلاً لمقالات غير الإسلاميين هو كتاب الشهرستاني[٢] ، رغم بعض الأقوال الضعيفة التي حكاها : كمناظرة إبليس للملائكة[٣] ، و أن كتاب (مقالات الإسلاميين) للأشعري : « هو أجْمَعُ كِتَابٍ رأيته في هذا الفن »[٤] ، لأن الأشعري « أعْلَمُ بمقالات المختلفين من الشهرستاني ، ولهذا ذكر مقالات لم يذكرها الشهرستاني ، وهو أعلم بمقالات أهل السنة وأقرب إليها ، وأوسع علماً من الشهرستاني »[٥] .

ومع هذا لم يُعَوِّل الإمام على الشهرستاني عندما أراد الحديث عن اختلاف فرق النصارى حول طبيعة المسيح ، بل نقل قول ابن حزم كاملاً[٦] .

وكذلك عند حديثه عن بعض فرق اليهود[٧] .

٥ - كُتُب دلائل النبوة :

وهذه نظراً لكثرتها وشهرتها لم يشأ أن يذكر في كل موضع استفاد فيه منها ما يدل على ذلك ، على الرغم من إشارته في بعض الأحيان إلى هذه المصادر .

وَيَرْجِعُ ذلك - في نظري - إلى تشابه هذه الكتب واتفاقها في معظم الدلائل بل ونقل أصحابها بعضهم عن بعض خصوصاً في مبحث البشارات ، فالكل يعتمد فيه على مؤلَّفات المهتدين للإسلام وبخاصة على بن رَبَّن الطبريّ .

إلا أن الإمام لم يكتف في هذا المبحث بنصوص المهتدين للإسلام ، بل أورد نصوصاً لم يذكرها أشهر من كتبوا في موضوع البشارات كعلي بن رَبَّن الطبريّ ،

---

(١) منهاج السنة (٢٠٨/٣) .
(٢) السابق (٢٠٨/٣ - ٢٠٩) .
(٣) السابق : ٢٠٩ .
(٤) ابن تيمية : النبوات ، ص ١٤٩ ، وانظر : منهاج السنة (٢٠٨/٣) .
(٥) السابق .
(٦) الجواب الصحيح (٣١١/٢ - ٣١٣) .
(٧) الجواب الصحيح (٢٩١/٣ - ٣٠٠ - ٣٠٥) .

والقرطبي المفسر صاحب الإعلام [1] ، و يَرْجع السبب في وجود بعض البشارات لدى بعض المؤلفين وعدم وجودها لدى البعض الآخر إلى اختلاف نسخ الكتاب المقدس التي يَنْقُل منها المصنِّفون ، وقد اختبر الإمام هذا الأمر بنفسه فوجد اختلافاً كبيراً بين هذه النسخ [2] ، فبعض النسخ فيها التصريح بنبوة محمد ﷺ والبعض الآخر ليس فيه ذلك .

ولم يكن الإمام مجرد ناقل للبشارات من كتب الدلائل ، بل كان يرجع إليها في النسخ العديدة التي اطلع عليها من الكتاب المقدس ، وقد بحث بنفسه عن علامات النبوة التي ذكرها ابنُ عُمَرَ لمحمد ﷺ في التوراة ، فلم يجدها ووجدها في نبوة أشعياء ، وعلل لذلك بأن كل هذه الكتب قد يطلق عليها « توراة » [3] .

ولم يصرح الإمام بمصادره من علماء أهل الكتاب المهتدين للإسلام إلا باسم الحسن ابن أيوب ، وأشار إلى الباقين إجمالاً عند حديثه عن البشارات وأنها كانت سبباً في إسلام الكثير منهم [4] ، وسنعرض لمواضع إفادته منهم بالتفصيل في مبحث البشارات .

إلا أنه ذكر ما اطلع عليه من مؤلفات دلائل النبوة لعلماء الإسلام ، مقارناً بين مناهجهم وطرائقهم في التصنيف ، ومن هؤلاء [5] :

١ - البيهقيّ (دلائل النبوة) ت ٤٥٨ هـ .

٢ - أبو نعيم الإصبهانيّ (دلائل النبوة) ت ٥٣٥ هـ .

٣ - أبو الشيخ الإصبهانيّ (دلائل النبوة) ت ٣٦٩ هـ .

---

(١) وذلك كبشارة داود : « سبحوا الله تسبيحاً جديداً ، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته ، وأعطاه النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحونه على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه » الجواب الصحيح (٣/٣١٤) .

(٢) الجواب (١/٢٠٦) (١/٣٥٢) (٢/٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧) .

(٣) الجواب الصحيح (٢/٢٧) (٣/٢٨٠ - ٢٨١) .

(٤) الجواب الصحيح (٣/٢٨٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧) .

(٥) ذكر الإمام ابن تيمية هؤلاء الأعلام وكتبهم مجتمعين في الجواب الصحيح (٤/٢٤٣ - ٢٤٤) فيما عدا ابن قتيبة أشار إليه بالجواب الصحيح (٣/٣٠٠)

٤ - أبو القاسم الطبرانىّ (دلائل النبوة) ت ٣٦٠ هـ .

٥ - الحافظ أبو زرعة الرازى شيخ مسلم (دلائل النبوة) ت ٢٦٤ هـ .

٦ - أبو بكر عبدالله بن أبى الدنيا (دلائل النبوة) ت ٢٨١ هـ .

٧ - أبو إسحاق الحربى (دلائل النبوة) ت ٢٨٥ هـ .

٨ - أبو جعفر الفريابى (دلائل النبوة) ت ٢٨٠ هـ .

٩ - أبو الفرج ابن الجوزىّ (الوفا فى فضائل المصطفى) ت ٥٩٧ هـ .

١٠ - أبو عبد الله المقدسى (دلائل النبوة) ت ٦٤٣ هـ .

١١ - القاضى عياض (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) ت ٥٤٤ هـ .

١٢ - القاضى عبد الجبار (تثبيت دلائل النبوة) ت ٤١٥ هـ .

١٣ - الجاحظ (حجج النبوة) ت ٢٥٠ هـ .

١٤ - الماوردى (أعلام النبوة) ت ٢٥٠ هـ .

١٥ - سليم الرازىّ الفقيه (أعلام النبوة) ت ٤٤٧ هـ .

١٦ - ابن قتيبة (دلائل النبوة) ت ٢٧٦ هـ .

٦ - كُتُب التفسير :

يرى الإمام أن القرآن فيه ما هو بَيِّنٌ بنفسه ، وفيه ما قد بَيَّنه المفسِّرون فى غير كتاب ، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء ، فربما كتب المصنف الواحد فى آية تفسيراً ، ويفسر نظيره بغيرها (١) ، لهذا فقد كان الإمام يطالع فى تفسير الآية الواحدة ما يقرب من مائة تفسير ، ثم يسأل الله الفهم والتعليم (٢) .

ولم يكن اعتماده على كتب التفسير واستدلاله بها عشوائياً ، بل أخضع هذه الكتب لمنهجه الفاحص الناقد ، ولميزانه الدقيق ، ووضع كُلاً منها فى مكانه الصحيح ، وفاء بما أوجبه على نفسه من العدل وإعطاء كل ذى حَقٍّ حقه :

(١) ابن عبدالهادى : العقود الدرية ، ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢) السابق ، ص ٢١ .

فأصَحُّ التفاسير - لديه - تفسير الطبريّ لروايته مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وخلوه من البدع ، وعدم نقله عن المتهمين [1] .

والقرطبيّ من أقرب المفسرين إلى طريقة أهل الكتاب والسنة وأبعدهم عن البدع وإن كان يشتمل على ما ينقد [2] .

ويأتى فى مقدمة التفسيرات البدعية تفسير الزمخشرى الذى حشاه بعبارات لا يهتدى أكثر الناس إلى مقاصده منها ، مع كثير من الأحاديث الموضوعة وقلة النقل عن الصحابة والتابعين [3] .

وتفسير ابن عطية وإن كان يشتمل على بعض البدع إلا أنه خير من تفسير الزمخشرى وأصح نقلاً منه [4] .

وقد احتشد الإمام لتفسير الآيات التى تتناول النصرانية بمطالعة العديد من هذه التفاسير ذكر منها :

١ - تفسير الطبريّ ، ذكره فى الجواب الصحيح (٥٩/١) .

وقد عَوَّل عليه لثقته فى نقله وأسانيده الصحيحة [5] .

٢ - مفاتيح الغيب للرازى [6] :

أشار إليه فى الجواب الصحيح (٦٤/١) عند تفسير قوله تعالى :

---

(١) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، ص ٤٢ .

(٢) السابق ، ص ٤٣ .

(٣) ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، ص ٤٣ .

(٤) السابق .

(٥) انظر مثلاً : الجواب الصحيح (٩٠/١ ، ١٧٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤) .

(٦) هو أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازى المعروف بابن الخطيب أو ابن خطيب الرى ، ويذكره ابن تيمية أحياناً بابن عمر ، وأحياناً بأبى عبدالله ، ولد سنة ٥٤٤ ، وتوفى ٦٠٦ هـ وهو من كبار الأشاعرة الذين مزجوا علم الكلام بالفلسفة ، وقد صنف ابن تيمية فى الرد عليه أهم كتبه (درء تعارض العقل والنقل) ، وتفسير الرازى تفسير ضخم جمع فيه بين المباحث الكلامية والفلسفية والدينية ورد فيه على تأويلات المعتزلة .

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ (١) .

٣ – تفسير ابن الجوزى (٢) :

ذكره فى مجموع الفتاوى (٢٧٤/١٧) عند تفسير قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ (٣) .

٤ – تفسير الثعلبى (٤) :

ذكره فى الجواب (١٧٠/١) عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْراً لَّكُمْ ﴾ (٥) .

٥ – تفسير السّدى (٦) :

ذكره فى الجواب (١٧١/١) عند تفسير قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ (٧) .

٦ – تفسير ابن السائب (٨) :

ذكره الإمام في الجواب الصحيح (١٧٤/١) عند تفسير قوله تعالى :

---

(١) آل عمران : (٦٤) .

(٢) هو عبدالرحمن بن على بن الجوزى (أبو الفرج) الإمام والفقيه والمتكلم والمفسر . توفى ٥٩٧هـ ، وكتابه فى التفسير (المغنى فى التفسير) من أهم كتبه ، وهو كتاب ضخم جداً .

(٣) المائدة : (٧٣) .

(٤) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى صاحب التفسير ، توفى ٥٢٧ هـ ، وكان إماماً فى اللغة والتفسير وأخذ عنه تلميذه الواحدى كثيراً فى تفسيره (البسيط ، الوجيز ، الوسيط) ويذكر الإمام ابن تيمية أن تفسير الثعلبى وتفسير تلميذه الواحدى فيهما غث كثير من المنقولات الباطلة (مقدمة فى أصول التفسير ، ص ٤٢) .

(٥) النساء : (١٧١) .

(٦) هو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة السدى الكوفى نسب إلى سدة مسجد الكوفة وقد رمى بالتشيع ، وضعّفه يحيى بن معين ، وتوفى السدى سنة ١٢٧ هـ .

(٧) المائدة : (٧٣) .

(٨) هو محمد بن السائب الكلبى ، ويروى تفسيره عن أبى صالح وهو مولى أم هانى ، عن ابن عباس ، وقيل : إنه مرض فقال لأصحابه « كل شئ حدثتكم عن أبى صالح كذب » .

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [1] .

٧- تفسير سُفْيان بن سُنَيْد شيخ البخارى [2] :

ذكره فى الجواب (٨٨/١ ، ٩٦) عند تفسير قوله تعالى :

﴿ آلم غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ [3] .

ولا يُسلِّم الإمام للمفسرين بكل ما ذهبوا إليه ، بل قد لا يحظى – لديه – أىٌّ قول لهم بالقبول ، فيرفض جميع الأقوال التى ذكرت فى الآية ، كما ذهب فى تفسير قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثةٍ ﴾ [4] ، ﴿ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ ﴾ [5] ، ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابنُ اللَّهِ ﴾ [6] ، إلى أنَّ هذه الأقوال المحكية جميعاً هى قول طوائف النصارى المشهورة كلها فكل هذه الطوائف تقول بالأقانيم : الآب ، الابن ، روح القدس ، فتقول : إن الله ثالث ثلاثة ، وإن المسيح هو الله ، وإنه ابن الله ، فقد اتفقوا على ذلك فى عقيدة إيمانهم [7] .

٧ – كُتُب السِّيرة والمَغَازِى :

أوْلَى الإمام كُتُبَ السيرة عناية خاصة ، لأن سيرة النبى ﷺ وأخلاقه من أعلام النبوة لدى الإمام ، كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله عند الحديث عن دلائل النبوة .

لهذا فقد وقف على العديد من كتب السيرة ، ووضع سيرة ابن إسحاق فى مقدمتها ، خصوصاً فيما يتعلق بقصص أهل الكتاب [8] .

ومن تلك الكتب التى استعان بها :

---

(١) النساء : (١٧١) .
(٢) هو من طبقة شيوخ الأئمة الستة ، وتفسيره منقول عن التابعين وغيرهم وكانت وفاته سنة ٢٢٠هـ .
(٣) الروم : (١) .
(٤) المائدة (٧٣) .
(٥) النساء : (١٧١) .
(٦) التوبة : (٣٠) .
(٧) الجواب الصحيح (١٧٠/١ – ١٧١) .
(٨) الجواب الصحيح (٩٣/١) .

١ - طبقات ابن سعد :

ذكرها فى (١/٥٤) من الجواب الصحيح عند الحديث عن وَفْدِ نصارى نَجْرَانَ ، وهو ينتصر لرأيه فى عدد وفد نجران وأشرافهم الأربعة عشر ذوى الرأى منهم .

٢ - سيرة ابن هشام :

ذكرها فى (١/٥٧) من الجواب الصحيح عند الحديث عن وفد نجران والكتب التى كانوا يتوارثونها ، وفيها اسم محمد ﷺ .

٣ - « فتوح الشام » لمحمد بن عمر الواقدى :

وقد أشار إليه عند حديثه عن خطاب النبى ﷺ إلى المقوقس فى مصر ورد المقوقس عليه . الجواب الصحيح (١/٩٨ - ١٠٠) .

٤ - « الفتوح » لأبى عبد الله محمد بن عائذ [١] :

وأشار إليه فى الجواب (١/١٠٢) عند ذكره قصة فتح بيت المقدس .

وكعادة ابن تيمية فى التزامه منهجه النقدى فيما يقرأ ويكتب ، كان لا ينقل أخبار كتب السيرة على عِلاَّتها ، بل كان يخضعها لرؤيته الناقدة ، ويرفض ما لا تثبت صحته لديه ، ولا يقبل إلا المقطوع بسلامة نقله ، وعدم معارضته بالعقل والتاريخ . وذلك كرأيه فى عدد وفد نصارى نجران وزمن قدومهم على النبى ﷺ [٢] .

٨ - كُتُب الفلسفة :

قرأ الإمام كتب الفلسفة واستوعب مذاهبها شأنها شأن العلوم الأخرى التى شاعت فى عصره ، واستبحر فى جمعها وتحصيلها وفحصها فحص العارف الخبير بدقائقها ، ثم تناولها بالنقد والتقويم فى مخالفاتها ، وخروج بعضها عن روح الدين الإسلامى .

وقد اطلع على ثمرات ما وصل إليه فلاسفة الإسلام ، كابن سينا والفارابى وابن رشد ، ورجع إلى الأصول التى نقلوا عنها فى مصادرها ، فوقف على نتاج

---

(١) هو محمد بن عائذ بن أحمد القرشى الدمشقى ، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفى سنة ٢٣٣هـ ، ومن كتبه المغازى ، والسير ، والكتاب هو « الفتوح والصوائف » كما سماه الذهبى (التهذيب ٩/٢٤١) الأعلام ٦/١٧٩) والسير للذهبى (١١/١٠٤) وغيرهم .

(٢) الجواب الصحيح (١/٥٧) .

سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من اليونانيين ، ويظهر ذلك جَلِيّاً فى جَدَلِه ومناقشاته ومؤلفاته ، حتى ليقول السيوطى مبيّنا اهتمام الإمام بالفلسفة وسعة اطلاعه (١) « فإن بَرَعْتَ فى الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة ، والفلسفة وآراء الأوائل ، ومجاراة العقول ، واعتَصَمْتَ مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف ولَفَقْتَ بين العقل والنقل ، فما أظنك فى ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها » .

وقد أدرك الإمام العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والنصرانية ، فقد استعانت النصرانية بالفلسفة على شرح وتقرير عقائدها فى التثليث والصفات والحلول والاتحاد ، فتراه يقول بعد حديث طويل عن الصفات لدى الفلاسفة (٢) :

« وهذه الأمور مبسوطة فى موضع آخر ، ولكن نَبَّهْنا عليها لتعلقها هنا بقول هؤلاء النصارى : إن صفات الرب الثلاث هى جوهرية دون غيرها ، وإنهم عنوا بذلك ما يعنيه هؤلاء بالذاتية ، فقولهم باطل مبنى على باطل » .

وينتهى إلى أن اعتماد النصارى على الفلسفة يدل على جهلهم بالشرع والعقل فاليهود والنصارى - بعد النسخ والتبديل - أعلم من هؤلاء الفلاسفة بالعلوم الإلهية والأخلاق والسياسات(٣) .

ومن الكتب الفلسفية التى استعان بها :

١ - (كتاب أثولوجيا) لأرسطو :

ذكره ص (٢١٤/٣) بالجواب الصحيح .

٢ - (آراء أهل المدينة الفاضلة) للفارابى :

ذكره ص (٢١٥/٣) بالجواب الصحيح .

٣ - (رسائل إخوان الصفا) :

(المضنون به على غير أهله) المنسوب للغزالى .

---

(١) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ١١٦ .
(٢) الجواب الصحيح (١٥١/٢) .
(٣) السابق (٢١٧/٣) .

ذكرهما فى معرض التدليل على فساد كلام الفلاسفة ، وأن كلام أهل الملل - وإن كانوا من اليهود والنصارى - أفضل منه حتى بعد تبديل الشرع [1] .

٩ - (فضائح الباطنية) للغزالى :

ذكره فى رسالة الكنائس (مجموع الفتاوى ٦٣٥/٢٨) عند حديثه عن كنائس القاهرة وعقيدة حكام مصر الفاطميين .

١٠ - (ديوان ابن الفارض)

نقل عنه قصيدته التائية المسماة بنظم السلوك :

لَهَا صَلَوَاتِي بالمَقَام أُقِيمُها	وأَشْهَدُ فيها أنَّهَا لِي صلَّتِ
كلانا مُصَلٍّ واحدٌ سَاجِدٌ إلى	حَقِيقَتِهِ بالجَمْعِ فى كُلِّ سَجْدَةِ
وما كان لِيْ صَلَّى سِوَايَ ولم تَكُنْ	صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَا [2] كُلِّ رَكْعَةِ

وذلك عند حديثه عن الحلول والاتحاد لدى النصارى ومشابهة قول بعض الصوفية لهم . الجواب الصحيح (٢٠٠/٣ - ٢٠١) .

١١ - (تاج اللغة وصِحَاحُ العربية) المعروف بالصِّحَاح ، لأبى نصر إسماعيل ابن حماد الجوهرى . نقل عنه تعريفه للجوهر بالجواب (٢٠٤/٣) .

١٢ - (الإعْلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام) ، للقرطبى المفسر .

ولم يشر الإمام إلى هذا الكتاب بالجواب الصحيح ، لكنه أشار إليه فى مجموعة الرسائل (١٥٦/٤) باسم « الرد على النصارى » ، ونقل عنه مذهب أوغسطين صاحب كتاب « مصحف العالم الكائن » ، وذلك فى رسالته المخطوطة بدار الكتب « كلمة الله عيسى ابن مريم وخلق القرآن » ص ١٤ .

وقد كان تأثير الكتاب كبيراً فى الإمام القرافى وكذلك فى الإمام ابن تيمية مما دفع

---

(١) الجواب الصحيح (٢١٨/٣) .

(٢) يعنى : أداء وحذف الهمزة لصحة الوزن .

«دى ماتيو» (١) إلى اتهام ابن تيمية بنقل مباحث القرافى ، ولم يدرك اتفاقهما فى بعض المصادر التى يأخذون عنها ، وسنناقش هذه المسألة بالتفصيل فى خاتمة البحث .

١٣ - (الرد على الجهمية) للإمام أحمد بن حنبل :

أشار إليه أكثر من مرة عند رده على النصارى فى قولهم : إن المسيح خلق بكلمة الله « كن » وليس هو الـ « كن » .

الجواب الصحيح (١/١٧٢ ، ١٧٣) ، (٢/٣٠١) .

١٤ - (حلية الأولياء) لأبى نعيم الأصبهانى :

ذكرها بالجواب الصحيح (١/٧٩) عند حديثه عن إيمان النجاشى وكان نصرانيا بعد أن هاجر إليه جماعة من الصحابة وسمع منهم القرآن فقال : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة .

١٥ - (الأموال) لأبى عبيد القاسم بن سلام :

أشار إليه فى الجواب (١/٦٠) عند ذكره شروط مصالحة النبى ﷺ لأهل نجران على الجزية .

١٦ - (التاريخ الكبير) للإمام البخارى :

استعان به فى رد حديث الإمام مُسْلم عن النبى ﷺ « خلق الله التربة يوم السبت » ، وفى رواية حديث جبير بن مطعم الذى يحكى فيه رؤية صورة النبى ﷺ فى أحد الأديرة بالشام ، وفيه أيضاً صورة أبى بكر .

الجواب الصحيح (١/٣٧٨) ، (٣/٢٩١) .

---

(١) هو المستشرق الإيطالى Matteo, Ignazio, Di (١٨٧٢ - ١٩٤٨م) والذى انصرف إلى العناية باللغة العربية وتاريخ الجدل بين المسلمين والمسيحين ، فترجم (الجواب الصحيح) لابن تيمية ، (الرد على النصارى) للقاسم بن إبراهيم ونشره بمجلة الدراسات الشرقية عام ١٩٢١م - العدد ٢٣ ، وقام بدراسات عن : التحريف ، ابن حزم الأندلسى ، الفكرة الإسلامية عن الديانة الحقيقية ، الروحانية فى الإسلام والنصرانية .

انظر : المستشرقون (١/٤٣١ - ٤٣٢) لنجيب العقيقى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف .

١٧ - (الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد) لإمام الحرمين أبى المعالى الجوينى ومعه (شرح الإرشاد) لأبى القاسم الأنصارى صاحب الجوينى .

وذكرهما الإمام فى الجواب (٣٠٨/٢) فى معرض التدليل على اختلاف أقوال طوائف النصارى فى تفسير الأقانيم ، ومن ثمَّ اختلاف الناقلين عنهم [١] .

* * * * *

(١) المذكور فى الجواب كتاب « الشامل » ، « وشرح الشامل » ، وهذا خطأ من ناسخ الكتاب ، لأن :

١ - المشهور من كتب أبى القاسم هو « شرح الإرشاد » (الأعلام ٢٠٠/٣) لخير الدين الزركلى ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ .

٢ - الموضع الذى ينقل منه ابن تيمية بكتاب الإرشاد ، ص (٤٦ - ٥١) ، طبع الخانجى ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

٣ - ذكر الإمام الكتابين متلازمين أكثر من مرة فى درء تعارض العقل والنقل (١٨٨/٢ ، ١٠٩/٣)

(ب) الرسائل :

١ - رسالة بولس الأنطاكى (*)

وهى من أهم مصادر ابن تيمية فى دراسة النصرانية وفى موقف النصارى من الإسلام ، بل هى - فى اعتقادى - أهم مصادر النصرانية فى هذا الباب على الإطلاق ، لأنها تحوي خلاصة معتقد النصارى فى :

- رسالة الإسلام ونبوة محمد ﷺ .
- ألوهية المسيح .
- التثليث .
- الصلب والفداء .
- الأناجيل .
- طبيعة الرسالة النصرانية وعمومها .

وقد تلقتها الأوساط النصرانية بالقبول والتقدير ، لما تمتاز به - فى نظرهم - من ألفاظ جيدة قريبة المنال ، وآراء سديدة صائبة ، وبراهين واستدلالات وحجج جلية واضحة (١) بل ذهب بعضهم إلى وجوب الاكتفاء بها خصوصاً فى بيان موقف النصرانية من الإسلام (٢) .

وقد أدرك الإمام أهمية تلك الرسالة وخطورتها وتأثيرها واعتماد النصارى عليها فى جدلهم مع المسلمين واحتجاجهم على صحة دينهم (٣) ، وقد أصاب ابن تيمية فى ذلك كبد الحقيقة ، فقد كانت الرسالة ومازالت إلى الآن معتمد النصارى ومستندهم فى حوارهم

(*) هذه الرسالة منشورة بمجلة المشرق المسيحى (السنة السابعة - العدد (١٥) سنة ١٩٠٤م) .

(١) لويس شيخو : مقالات دينية قديمة ، ص ١ .

ابن العسال : الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٤٠ .

(٢) ابن العسال : الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٤٠ .

(٣) الجواب الصحيح (١/١٩) .

ومناظراتهم[1] .

وعلى الرغم من أهمية الرسالة ومكانتها إلا أن النصارى لا يعلمون عن مؤلفها شيئاً سوى ما أورده الإمام من بيانات [2] .

وقد ظَنَّ لويس شيخو أن بولس هذا كان يعيش فى القرن الثالث عشر معاصراً لابن تيمية ، لكنه ظَنٌّ يظل فى موقع الفرض العلمى الذى يحتاج لدليل قاطع لا يملكه شيخو أو غيره ، بل يذهب بعض الباحثين إلى أن بولس كان يعيش في القرن الثانى عشر ، وشهد الحملات الصليبية التى وصلت إلى العالم الإسلامى قبيل عام ١١٠٠م ، والتى انعكست علي حركة الجدل الدينى بين الإسلام والمسيحية ، وكانت دافعاً لبولس الأنطاكى لتأليف رسالته [3] .

والفرض الأخير وإن كان أقرب إلى الاحتمال ، نظراً لشهرة الرسالة وانتشارها قبل القرن الثالث عشر ، وإشارة بعض المتقدمين كابن العسال (أواسط القرن الثالث عشر الميلادى) إليها [4] ، وكذلك يوضع فى الحسبان الوقت الذى استغرقته حتى تصل إلى مصر كى تُعْرَف وتنتشر بها ، ثم تقع في يد الإمام القرافى ليدرسها ، ويضع الرد عليها [5] .

إلا أننى أرجح أن وجود الرسالة أقدم من هذا التاريخ بكثير ، وأذهب إلى القرن العاشر الميلادى بالتحديد والذى اشتدت فيه حدة المناظرات والمجادلات بين الإسلام والمسيحية على يد اثنين من كبار علماء اللاهوت المسيحى ، وهما يحيى بن عدى وتلميذه عيسى بن إسحاق بن زرعة .

---

(١) انظر مثلاً :

- استحالة تحريف الكتاب المقدس : طبع كنيسة القديسة دميانة بالهرم .
- مناظرة أحمد ديدت للقس سواجارت .
- حول القرآن الكريم والكتاب المقدس : د . هاشم جودة ، مطبعة الأمانة بمصر .

(٢) لويس شيخو : مقالات دينية قديمة ، ص ١ .

- المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ٦٩ .

(٣) الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى ، ص ٨٥ .

(٤) الصفى أبو الفضائل ابن العسال : الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٤٠ .

(٥) حياة القرافى كانت فى بداية القرن الثالث عشر .

ويدعم هذا الفرض - لدى - احتمال رد الحسن بن أيوب على تلك الرسالة وذلك فى ضوء المعطيات التالية :

١ - إجابة الحسن بن أيوب المتوفى قبل عام ٣٨٠ هـ عن بعض المسائل الواردة برسالة بولس الأنطاكى ، بل وحكاية بعض الألفاظ والعبارات بنصها [١] .

٢ - احتفاء ابن تيمية البالغ بالرسالة ، تلك الحفاوة التى بلغت حد إيرادها كاملة بنصها فى معرض استدلاله على بطلان النصرانية ، ثم الاعتماد عليها فى ثنايا الكتاب من خلال مناقشاته لقضايا النصرانية [٢] . ولم يكن الإمام ليفعل ذلك - فى نظرى - لولا تأكده من رد الحسن بن أيوب على هذه الرسالة ضمن شرحه لأسباب ترك النصرانية ، وبيان بطلان معتقداتها وتصوراتها ، وتهافت قضاياها ودعاواها .

٣ - تأكيد ابن تيمية على قدم الرسالة وتعدد نسخها واختلاف حجمها [٣] . وهذا واضح من إشارة ابن العسال إليها ونسبتها إلى أحد ملوك النصارى [٤] ومن خلال النسختين المختلفتين المنشورتين للرسالة الآن فَنَصُّ الرسالة التى نشرها لويس شيخو فى كتابه (مقالات دينية قديمة) يختلف من حيث الحجم اختلافاً كبيراً جداً عن النص المنشور بمجلة « المشرق » والذى ننقل عنه ، ويكاد يكون كاملاً ، ومطابقاً لنَصِّ الرسالة التى أجاب عنها القرافى وابن تيمية .

يتبقى لدينا من الحديث عن بولس الأنطاكى الإشارة إلى أن الإمام ابن تيمية يحتمل أن يكون قد اطلع على أعمال أخرى له إذ أشار إلى معرفته بمصنفات أخرى لبولس [٥]، وذلك واضح من خلال التشبيهات النصرانية والتعليلات والاستدلالات على صحة التثليث ، وسنشير إلى ذلك - إن شاء الله - فى حديثنا عن التثليث .

---

(١) سيأتى تفصيل ذلك عند الحديث عن رسالة الحسن بن أيوب فى الصفحات التالية .

(٢) سيأتى تفصيل ذلك عند الحديث عن رسالة الحسن فى الصفحات التالية .

(٣) الجواب الصحيح (١/١٩) .

(٤) ابن العسال : الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٤٠ .

(٥) يقول الإمام عن رسالة بولس : « وهي مضافة إلى بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكى كتبها إلى بعض أصدقائه ، وله مصنفات في نصر النصرانية » الجواب الصحيح (١/١٩) .

٢ - رسالة الحسن بن أيوب [١] :

وهى رسالة بعث بها « الحسن بن أيوب » إلى أخيه « على بن أيوب » يذكر له فيها سبب إسلامه ، ويذكر الأدلة والبراهين على صحة دين الإسلام ومزاياه ، وعلى بطلان دين النصارى وفضائحهم وقد وصفه ابن تيمية بأنه كان من أعلم الناس بدين النصاري وأخبرهم بأقوالهم ومقالاتهم .

وهذه الرسالة لم تنشر مستقلة حتى الآن ، وهى فى حكم المفقودة ، فلم تشر إليها الفهارس المتخصصة بشئ [٢] ، والمصدر الوحيد الذى أوردها هو الإمام ابن تيمية فى كتابه « الجواب الصحيح » [٣] .

وتمثل تلك الرسالة حلقة هامة فى سلسلة كتابات المهتدين إلى الإسلام ، الذين انتقلوا إليه من علماء اليهود والنصارى ، الذين كتبوا فى مجادلة أصحاب دياناتهم السابقة ، وتعد كتاباتهم ظاهرة فذة فى تاريخ الديانات بعامة والتراث الإسلامى على وجه الخصوص لما تميز به هؤلاء العلماء من سعة الثقافة وموسوعية المعرفة ، فقد كانوا علماء راسخين متضلعين فى دياناتهم السابقة ، وعلى جانب من الثقافة الرياضية والطبية والمنطقية .

ومن ثم فقد انعكست هذه الثقافات المتنوعة والمعارف الموسوعية والمنطقية البرهانية فى آثارهم القيمة التى تركوها لنا ، فاتسمت كتاباتهم بخصائص مميزة أكسبتها قيمة علمية رفيعة [٤] .

---

(١) أورد صاحب الفهرست ترجمة مقتضبة للحسن بن أيوب ، أشار فيها إلى أنه كان من أصحاب أوائل المحاولات الكلامية ، وذكر رسالته التى بين إيدينا في الرد علي النصاري والتى بعث بها إلى أخيه على بن ايوب ، وأنه توفي قبل عام ٣٨٠ هـ .

ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٤٦ ، طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨ .

(٢) الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى : مقدمته لتحقيق النصيحة الإيمانية ، نصر بن يحيى المتطبِّب ، ص ٢٩ .

(٣) الجواب الصحيح (٢/٣١٣ - ٣/٣) .

(٤) الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى : مقدمته لتحقيق النصيحة الإيمانية ، ص ٢١ .

ومن بين هذه الخصائص [1] :

١ - سلامة منطقها وعقلانيته الصارمة ، مع حسن الترتيب والتقسيم ، وذلك نتاج ممارسة العلوم الرياضية والطبيعية الاستقرائية .

٢ - عدم تجاهل الاستدلال بالمنقول ، فقد أفاض أصحابها فى نقل الأدلة السمعية والنصوص الدينية من الكتب القديمة ومجادلة القوم بها ، وهم فى ذلك من أعرف الناس بها ، كما أنهم قد فتحوا عيون الدارسين الآخرين ، واسترعوا انتباههم إلى هذه النصوص ، فتابعهم فى الاستدلال بها علماء الإسلام ممن كتبوا فى الجدل الدينى ومقارنة الأديان : كابن حزم ، والقاضى عبدالجبار ، والبيرونى ، والغزالى ، والجوينى ، وابن تيمية ، ورحمة الله الهندى ، وغيرهم .

٣ - ترجمة النصوص التى نقلوها من الكتاب المقدس ترجمة ذاتية مباشرة ، فقد كانوا إلى جانب تفوقهم فى لغة الضاد أصحاب ألسنة أخرى كالعبرانية أو السريانية ، أو اليونانية ، أو القبطية ، وهى الألسنة التى حظيت بها نسخ الكتاب المقدس توارتية وإنجيلية .

وقد جعل هذا التمكن اللغوى ترجماتهم مشرقة واضحة بعيدة عن الركاكة والغموض شأن الترجمات الأخرى للكتاب المقدس ، كما أن هذا قد مكنهم من مقارنة النص الواحد فى أكثر من نسخة وبأكثر من لغة مما يُظْهِر كثرة اختلاف النسخ واختلاف الترجمات مع ضياع الأصل المترجم عنه .

٤ - تميزها بحس دعوى مرهف عميق ، إذ كانوا حريصين على نقل الهداية والنور الذى غمرهم إلى الناس جميعاً ، وعلى وجه الخصوص من كانوا على ديانتهم السابقة ، فحجاجهم السديد وجدالهم البارع لم يكن من أجل هوى الغلبة وشهوة الانتصار على الخصم ، بل كان من أجل تمييز الحق من الباطل ، والدعوة إلى اتباع الحق حسبة لله تعالى .

---

(١) الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى : مقدمة لتحقيق النصيحة الإيمانية ، ص ٢١ - ٢٢ .

وتمتاز رسالة الحسن بن أيوب - بالإضافة إلى ما سبق - بتناولها موضوعات أربعة كانت محور بحث ودراسة علماء مقارنة الأديان المسلمين ، وهذه الموضوعات هى [1] :

١ - مذاهب النصارى واعتقادهم .

٢ - دعاواهم وبيان تناقض كلامهم واختلاف أناجيلهم .

٣ - ما ذكروه من معجزات المسيح - عليه السلام - وادعائهم الألوهية فيه ، وذكر ما كان لغيره من الأنبياء من المعجزات .

٤ - مناقشة شريعة إيمانهم (الأمانة) ، وبيان تناقضهم فيها ، وإظهار مخالفتهم ومخالفتها لنصوص وكتب النبوات السابقة .

لهذا فقد لاقت رسالة الحسن اهتماماً بالغاً من قِبَل علماء مقارنة الأديان فتعددت الإشارة إليها ، واحتفظت كتبهم بكلماتها وعباراتها واستدلالاتها ، ونظرة فاحصة لما كَتَب القاضى عبد الجبار فى الجزء الخامس من موسوعته المغنى لكافية بالقطع باستفادته من رسالة الحسن ، بالإضافة إلى إشارته إليها - دون التصريح باسمها - فى قوله :

« وفى النصارى قوم استبصروا وأسلموا وتتبعوا المواضع والألفاظ التى تدعيها النصارى على المسيح ، وقالوا لهم : ما نعلم المسيح قال ذلك » [2] .

وقد اعتمد « نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب » على هذه الرسالة فى كتابة ثلاثة فصول من فصول كتابه « النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية » وهى [3] :

١ - فصل فى مذاهب النصارى واعتقادهم .

٢ - فصل فى تناقض كلامهم ودعاويهم .

---

(١) ويشترك معه فى هذه الخصائص كثير مِمَّن كتبوا في هذا المجال كنصر بن يحيى المتطبب ، وعبدالله الترجمان .

(٢) القاضى عبدالجبار : تثبيت دلائل النبوة ، (١/١١٧) .

(٣) نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب : النصيحة الإيمانية : بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، راجع مقدمة المحقق ، ص ٢٩ .

٣ - فيما ذكروه من معجزات المسيح ، وادعائهم الألوهية فيه .

ويبدو لى من فحص رسالة الحسن بن أيوب أنه قد أجاب فيها عن رسالة « بولس الأنطاكى » أسقف صيدا ، ويؤكد هذا الاحتمال - عندى - أن الرسالة قد أجابت عن بعض مسائل رسالة بولس الأنطاكى ، بل نقل فيها الحسن بعض ألفاظ رسالة بولس ، من تلك المسائل :

١ - ردُّه على تمثيل النصارى للتثليث بالشمس وحرِّها وضوئها (٣٢٩/٢) .

٢ - تفسيره لكلمة « عما نوئيل » (٣٤٠/٢) .

٣ - قوله ص (٣٥٢/٢) : « على أنَّا وجدناكم تقولون فى معنى التثليث :

إن الذى دعاكم إليه ما ذكرتم أن « مَتَّى » التلميذ حكاه فى الإنجيل عن المسيح عليه السلام ، إذ قال لتلاميذه : (سيْرُوا فى البِلادِ ، وعَمِّدُوا الناسَ باسْمِ الآبِ والابْنِ والرُّوحِ القُدُسِ) وأنكم فكَّرتم فى هذا القول بعقولكم ، فعلمتم أن المراد بذلك أنه لما أن ثبت حدوث العالم علمتم أن له محدثاً فتوهمتموه شيئاً موجوداً ، ثم توهمتموه حيّاً ناطقاً ، لأن الشئ ينقسم لحىّ ولا حىّ ، والحىّ ينقسم لناطق ولا ناطق ، وأنكم علمتم بذلك أنه شئ حىّ ناطق ، فأثبتم له حياة ونطقاً » .

وهى نفس حجة النصارى واحتجاجهم على الثليث فى رسالة بولس الأنطاكى ، بل هى نفس ألفاظ الرسالة دون تغيير أو تصرف ، مما يؤكد اطلاعه على هذه الرسالة ، بل والإجابة عن بعض دعاواها ، ولا غرو في تقدم الفترة التى عاش فيها «الحسن بن أيوب» فرسالة بولس الأنطاكى قديمة جداً ، ونسخها كثيرة متعددة كما يقول ابن تيمية :

« وما ذكروه فى هذا الكتاب هو عمدتهم التى يعتمد عليها علماؤهم فى مثل هذا الزمان وقبل هذا الزمان ، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال ، فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك ، ويتناقلها علماؤهم بينهم والنسخ بها موجودة قديمة ، وهى مضافة إلى (بولس) الراهب أسقف صيدا الأنطاكى »[1] .

لذلك فقد اعتمد عليها الإمام « القرافى » فى كتابه « الأجوبة الفاخرة » اعتماداً كلياً ، وإن لم يُشرْ إلى ذلك إلا أن هذا يَظْهر بجلاء عند الفحص والمقارنة بين الألفاظ

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح (١٩/١) .

والأفكار فى الكتاب والرسالة ، مما دفع « دى ماتيو » الإيطالى إلى القول بأن ابن تيمية قد نقل مباحث « القرافى » بكاملها ، فقد اغْتَرَّ بذلك التقارب بين عبارات وأفكار الإماميين الجليلين دون أن يَتَنَبَّه إلى اشتراكهما فى نفس المصدر (١) .

إذ كانت الرسالة من أهم مصادر ابن تيمية لثقته فى علم ومقدرة صاحبها وخبرته بمذاهب القوم وعقائدهم (٢) ، وكذلك لتضمنها ردوداً وأجوبة عن بعض مسائل رسالة بولس الأنطاكى ، خصوصاً فى بيان ما وقع فى نصوص الكتاب المقدس من تحريف ، وذكر النصوص الصريحة الدالة على بشرية المسيح من خلال الكتاب المقدس (٣) .

واستفادة ابن تيمية من الرسالة جاءت على ضربين ، فقد أوردها الإمام بكاملها للاستدلال على بطلان ما يحتج به النصارى من الحجج العقلية والسمعية على صحة دينهم ، وذكر فى نهاية الرسالة أسباب احتفائه بهذه الرسالة ، فقال : « هذا آخر ما كتبته من كلام الحسن بن أيوب ، وهو ممن كان من أجِلاَّء علماء النصارى وأخبر الناس بأقوالهم ، فنقله لقولهم أصَحُّ من نقل غيره ، وقد ذكر فى كتابه من الرد على ما يحتجون به من الحجج العقلية والسمعية ما يبطل قولهم من الحجج السمعية والعقلية ما يبين ذلك ... » (٤) .

ثم استعان بها ابن تيمية فى ردوده ومناقشاته لمسائل رسالة بولس الأنطاكى فى موسوعته الكبرى « الجواب الصحيح » حتى لقد تقاربت الألفاظ والأفكار تقارباً يكاد أن يكون تطابقاً ، وسنورد أمثلة لهذا التقارب ليست إحصاءً بل هى نماذج وشواهد فقط وغيرها كثير لم نذكره .

قارن مثلاً :

الجواب الصحيح	برسالة الحسن بن أيوب
(٢٥٢/٢)	(٣٢٩/٢)
(٢٧٣/٢)	(٣٣١/٢)

(١) سنعرض – إن شاء الله – لهذه المسألة بالتفصيل عند المقارنة بين القرافى وابن تيمية .
(٢) الجواب الصحيح (٢/٣١٣) .
(٣) السابق (٢/٢١٧) .
(٤) السابق (٣/٤) .

(٩٧/٢)	(٣٣٨/٢)
(٢١١/٢)	(٣٤٠/٢)
(٢٥٠/٢)	(٣٥٦/٢)

وكذلك قارن الرسالة القبرصية ص (٤٢) برسالة الحسن (٣٢٩/٢) .

* * * * *

٣ - رسالة يحيى بن عدى فى الرد على أبى عيسى الوراق :

احتل كِتَابُ « المقالات » لأبى عيسى الوراق مكانة مرموقة بين كتابات الملل والنحل حتى أن الشهرستانى اعتمد عليه كثيراً فى تحرير بياناته (١) .

ونظراً لتلك الأهمية البالغة التى حظى بها كتاب المقالات فقد تصدى للرد عليه واحد من فحول الجدليين اليعاقبة ، وهو يحيي بن عدى فى رسالته الشهيرة التى ضَمَّنَها ابن العسال كتابه « مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين » (٢) .

وقد وقف ابن تيمية على حلقة الجدل بين الطرفين ، إذْ اطلع على كتاب المقالات ، وأشار إلى اعتماد كثير من مصنفى الملل والنحل عليه (٣) .

ووقف كذلك على رسالة يحيى بن عدى فى الرد على كتاب المقالات ، وذكرها فى رسالته « كلمة الله عيسى ابن مريم وخلق القرآن » (٤) .

وجادله فى تشبيهه التثليث بقول القائل « زيد الطبيب الحاسب الكاتب » ثم إفراد هذه الصفات ، بزيد الطبيب ، زيد الحاسب ، زيد الكاتب ، فزيد مع كل صفة له حكم خلاف حكمه مع الصفة الأخرى (٥) .

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة (٣/٢٠٧) .

(٢) هو الرئيس المؤتمن أكبر أولاد بنى العسال ، وكتابه هذا مازال مخطوطاً .
راجع : لويس شيخو : المخطوطات العربية لكتبة النصارى ، ص ٢١٤ .

(٣) منهاج السنة (٣/٢٠٧) .

(٤) ص ١٨ ، من المخطوط رقم ٣٠٣٨٣ ميكروفيلم والمحفوظ بدار الكتب المصرية .

(٥) الجواب الصحيح (٢/١١٨) وانظر : رسالة يحيى بن عدى ، ورقة رقم ٦ ، ٧ من مخطوط الرسالة المحفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس ، والذى توجد مصورته بمكتبة قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم .

(جـ) الوثائق :

١ - الأمانة المقدسة :

وهى قانون الإيمان وخلاصة العقائد النصرانية التى وضعها آباء الكنيسة ، لتكون دستوراً يسير عليه المسيحيون .

ويسمى هذا القانون دستوراً ، وهو باليونانية (سِيْقُوْلُوْن) ومعناه : علامة التعارف ، وهو مأخوذ من علامات التعارف التى يتبادلها العسكر ، ليميزوا بين الصديق والعدو ، وهكذا دستور الإيمان فإنه أشبه بعلامة يتميز بها المسيحى من مخالفيه فى الإيمان [١].

وهذا القانون معروف لسائر النصارى على اختلاف مذاهبهم ومقدس لديهم ، إذ تجتمع حوله كل فرق النصارى وطوائفهم [٢] .

فهو من بين أوجه الاتفاق القليلة بين الكنائس الغربية والشرقية ، فالزيادة التى أدخلتها الكنيسة الغربية « وهى الإيمان بالروح القدس المنبثق من الآب والابن » ، هذه الزيادة وهى كلمة (والابن) لا تصادم حقائق وعقائد قانون الإيمان ، لذلك دعا البروتستانت لتجاوز ذلك الخلاف الشكلى إحساساً منهم بعدم أهميته [٣] .

وقد وضع هذا القانون آباء المجمع المسكونى الأول الذى انعقد فى مدينة نِيْقِيَةُ عام ٣٢٥ م بأمر الملك قسطنطين تحت رئاسة بابا الإسكندرية [٤] لمحاكمة آريوس الذي كان يقول : إن المسيح مُحْدَث مخلوق ، فقرر (٣١٨) أسْقُفاً من بين مجموع أساقفة الكنائس البالغ عددهم (٢٠٤٨) أسقفاً :

« أن الابن (المسيح) مُسَاوٍ للآب فى الجوهر ، مولود من الآب قبل كل الدهور ليس بمخلوق » [٥] .

---

(١) يوحنا سلامة : اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة (٢٩٢/١) ، الطبعة الثالثة ، طبع مكتبة مار جرجس بشبرا .

(٢) السابق (٢٩٥/١) .

(٣) السابق (٢٩٧/١ - ٢٩٨) .

(٤) الأنبا الإكسندرس .

(٥) تاريخ ابن البطريق ، ص ١٢٥ - ١٢٧ .

ثم جاء آباء المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد فى القسطنطينية فى عصر ثاونوسيوس الملك برئاسة بطريرك الإسكندرية ثيموثاوس لمحاكمة مكدونيوس بطريرك القسطنطينية الذى أنكر لاهوت الروح القدس ، فقرر المُؤْتَمِرُون إضافة الإيمان بألوهية الروح القدس الرب المحيى المُنْبَثِق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له ومُمَجَّد (١) .

وأقر المجمع المسكونى الثالث الذى اجتمع فى أفسس سنة ٤٢١ م حفظ النص الذى قرره مجمع القسطنطيية ، إلا أنه أضاف مقدمة خلاصتها أن مريم ولدت الإله والرب يسوع ذا الطبيعتين والأقنوم الواحد (٢) .

ولأن هذا القانون يتضمن أخَصَّ عقائد الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة وإيمانها القويم فقد فرضت الكنيسة تلاوته فى بداية كل قُدَّاس وصلاة ، وفرضت حفظه وتلاوته على كل مسيحى وذلك للأسباب التالية (٣) :

١ - مداومة نطق الألسنة بشريعة الإيمان ، وإعلان التمسك بالرب يسوع ، والإيمان بأن الله أقامه من بين الأموات ، ففى ذلك خلاص المرء .

٢ - تجديد اعتراف الشعب أمام الله أنه مُتَّحِدٌ به ، مؤمن بلاهوت أقانيمه الثلاثة وتجسده فى المسيح ، وصلب المسيح وموته وقيامته وصعوده إلى السماء .

٣ - الدلالة على اتحاد الجميع فى الإيمان المُؤَسَّس على موت الفادى واتحاد الجميع فى المسيح .

ويتألف هذا القانون من اثنى عشر بنداً لإثبات ألوهية الأقانيم الثلاثة وتجسد وصلب وموت وقيامة وصعود المسيح إلى السماء ، وهذه البنود هى :

١ - نؤمن بإله واحد ، الله الآب ، ضابط الكل ، خالق السموات الأرض ، ما يُرَى وما لا يُرَى .

٢ - ونؤمن بربٍّ واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل

---

(١) تاريخ ابن البطريق ، ص ١٤٥ .

(٢) السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) اللآلئ النفيسة ، ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، مُسَاوٍ للآب فى الجوهر ، الذى به كان كل شئ .

٣ - الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاص نفوسنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس .

٤ - وصلب عن البشر على عهد بيلاطس البنطى ، وتألم ، وقبر .

٥ - وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب .

٦ - وصعد إلى السموات وجلس على يمين الآب .

٧ - وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه انقضاء .

٨ - ونؤمن بالروح القدس ، الرب المحيى ، المُنْبثق عن الآب ، الذى نسجد له ونمجِّده مع الآب والابن ، الناطق فى الأنبياء .

٩ - وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية .

١٠ - ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا .

١١ - ونترجى قيامة الأموات .

١٢ - وحياة الدهر الآتى .

فالبند الأول خاص بألوهية الآب ، والثاني إلى السابع بالله الابن ، والثامن بالروح القدس ، والتاسع إلى الثانى عشر خاص بالكنيسة واعتقادها فى المعمودية ، وقيامة الموتى والحياة الدائمة (١) .

---

(١) راجع فى نص الأمانة :
- تاريخ ابن البطريق ، ص ١٢٧ ، ١٤٥ .
- تفسير الأمانة ، لساويرس بن المقفع ، طبع باريس ١٩١٠م .
- مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة ، لأبى البركات المعروف بابن كبير ، تحقيق الأب سمير خليل ، (١/٤٩ - ٨٥) ، مكتبة الكاروز ، القاهرة ١٩٧١م .
- اللآلئ النفيسة (١/٢٩٢ - ٢٩٣) .

وقد أدرك الإمام الأهمية البالغة لهذه الوثيقة ، فبنى على أساسها حُكْمَه بكفر جميع طوائف النصارى المجمعين على الأمانة ، وعدم التفرقة بينهم لاشتراكهم جميعاً فى الإيمان بألوهية المسيح وصلبه وقيامته وبالتثليث والفداء [1] ، كما أنه استغلها فى نقض كل ادعاءات النصارى واعتذاراتهم عن التثليث ورفض كل التشبيهات والتمويهات والتلفيقات التى طرحوها ، لأن الأمانة تُصَرِّح بهذا التثليث واضحاً جليّاً لا خفاء فيه [1] .

وتتجلى عنايته بها فى إيراد نصِّها الكامل مرتين بالجواب الصحيح (١/١١٥) ، (٢/١١٦) ، كما أنه كرر بعض فقراتها فى مواضع متفرقة .

إلا أن الإمام لم يُدْرك أن هذه الأمانة لم تتقرر دفعة واحدة وإنما تقررت فى أكثر من مجمع ، فهو يذكر أن هذه الأمانة قد وضعها الثلاثمائة أسقف فى زمن قسطنطين الملك ، والصحيح أنها تقررت عبر ثلاثة مجامع كما أسلفنا القول .

* * * * *

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ١٧٠ -١٧١) .

(٢) السابق (٢/١١٦ - ١١٧) .

٢ - الوثيقة العُمَرِيَّة :

وهى مجموع الشروط التى صالح عليها عمر بن الخطاب نصارى الشام ، وتتألف من قسمين من الشروط (١) :

(أ) مُسْتَحَقّ . (ب) مُسْتَحَبّ .

(أ) المستحق :

وهى شروط ستة :

١ - عدم ذكر الإسلام بذم له أو قدح فيه .

٢ - عدم ذكر كتاب الله بطعن له أو تحريف فيه .

٣ - عدم ذكر رسول الله ص بتكذيب له أو ازدراء .

٤ - ألا يُصيبوا مسلمة بزنا أو باسم نكاح .

٥ - ألا يَفْتنوا مسلماً عن دينه أو يتعرضوا لماله أو دمه .

٦ - ألا يُعينوا أهل الحرب وأعداء المسلمين .

وهى شروط ملْزمة إذا نقضوها انتقض عهدهم .

(ب) المستحب :

ويحوى شروطاً ستة أيضاً :

١ - لبس الغيار (الملابس التى تخالف ألوان أزياء المسلمين لتمييزهم عنهم) .

٢ - ألا تعلو أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم .

٣ - ألا تعلو أبنيتهم فوق أبنية المسلمين .

٤ - ألا يجاهروا بشرب الخمر وإظهار صلبانهم وخنازيرهم .

---

(١) الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ٣٧ - ٣٨ .
ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، (٥/٤١٦ - ٤١٧) ، طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ .

٥ - أن يخفوا دفن موتاهم وألا يجاوروا بهم موتى المسلمين .

٦ - أن يُمْنعوا من ركوب الخيل حتى لا يتساووا بالمسلمين .

وقد حاول بعض المؤرخين الطعن فى صحة نسبة هذه الوثيقة للإمام عمر بن الخطاب مستنداً إلى أن بعض أحكامها وشروطها يتنافى مع سمو الإسلام وإنسانيته [١] .

إلا أن الوثيقة - فى تصورى - تتسق مع روح الشريعة الإسلامية كما أنها تتفق وما أثر عن الإمام من أقوال وأفعال ، مما يجعلنى أرجح صحة أصولها ونسبتها إلى عمر ، يدعم ذلك استدلال ابن تيمية بها كاملة دون شكه فى صحتها ، بل إنه يؤكد على سلامة شروطها معتمداً على رواية أئمة علماء المذاهب واعتمادها فى كتبهم ، كذلك يمتدح الإمام من يعمل بها من حكام المسلمين [٢] .

* * * * *

(١) الدكتور مصطفى حلمى : مقدمة كتاب هنرى لاووست (نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية) ، ص ٢٨ ، دار الأنصار ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى (٦٥٤/٢٨) .

٢ - مصادر غير مباشرة :

وهى كالتالى :

(أ) التاريخ :

وهو من أكثر العلوم ارتباطاً بالإنسان ، وقد صار فى ظل الحضارة الإسلامية علماً له مناهجه وأصوله ومدارسه المختلفة .

ولقد أدرك الإمام قيمة التاريخ وما له من أهمية فاحتشد للإلمام به ودراسته فامتدت اطلاعاته إلى جميع العصور التاريخية ، حتى أصبح التاريخ أحد السمات المميزة والبارزة فى ثقافته [١] .

مما أتاح له استخلاص أهم نتائج دراسته للنصرانية والمتمثلة فى :

١ - تبديل دين المسيح بواسطة علماء النصارى وطوائفهم وملوكهم وإجماع النصارى على تلقى الدين من أولئك القديسين [٢] .

وما كان له أن يقرر تلك النتيجة إلا بعد الوقوف على تاريخ المسيحية والإلمام بأطوارها وتطوراتها .

٢ - تأثير الوثنية فى المسيحية تأثيراً نقلها من رسالة سماوية إلى دين وَضْعِىّ مُرَكَّب من أثارة من علم النبوة ودين المشركين من اليونان والفرس والفلاسفة الوثنيين [٣].

وليس أدل على اهتمامه بتاريخ العقائد والفرق على وجه الخصوص من ذلك الحيز الكبير الذى أفرده لعرض آراء ابن البطريق ومناقشته فيها ، وانتهى إلى تخطئته فى قصة ظهور الصليب لأم قسطنطين هيلانة .

ويرى الإمام أن ظهور الصليب كان بتدليس وحيلة ومكر ، كما يذهب إلى خطأ

---

(١) هنرى لاووست : نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٦٢ .

(٢) الجواب الصحيح (١٢٣/٣) .

(٣) سنناقش - إن شاء الله - هذه المسألة بالتفصيل عند دراسة القيمة العلمية لمنهجه .

ابن البطريق فى رواية مناظرة آريوس لمخالفيه ، ويؤكد أن ابن البطريق قد كذب على آريوس إذْ لم يقل آريوس قط : إن المسيح خالق للأشياء [1] .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٣/١٢٢ - ١٢٣) .

ـ وانظر : تاريخ ابن البطريق ، ص ١٢٥ - ١٢٩ .

(ب) فقه اللغة :

درس ابن تيمية العربية على شيوخها كأنه متخصص فيها ، حتى برع فيها براعته في فنون العلم الأخري ، مما دفع رجلاً نحوياً كأبى حيان الأندلسى إلى أن يقول فيه « ما رَأتْ عَيْنَاىَ مِثْلَ ابنِ تيمية » (١) .

ولم يكتف الإمام بما تلقاه عن شيوخه فى العربية ، بل راح يفحص ويدرس أصول القواعد العربية وأسس اســتنباطها ودعائمها ، حتي لقد تأمل كتاب سيبويه تأملاً دقيقاً ، ثم كَرَّ عليه بالنقد وجَابَه أبا حيان الأندلسى عندما اختلفا فى مسألة نحوية فاستدل أبو حيان بكلام سيبويه على أنه حجة داحضة لا تقبل الشك ، فقال ابن تيمية :

« أسيبويهِ نَبِيُّ النَّحْوِ أرسله اللهُ به حتَّى يكون معصوماً ؟ سيبويه أخطأ فى القرآن فى ثمانين موضعاً لا تفهمها أنت ولا هو » (٢) .

إلا أن فقه اللغة ظل لدى الإمام علماً آلياً تنحصر وظيفته فى الإسهام فى تفسير نصوص القرآن والحديث تفسيراً صحيحاً (٣) .

وقد كان الإمام يتحدث فى الصرف والنحو بإسهاب حسب ما كانت تقتضيه ضرورة التفسير ، ويتجلى ذلك فى تفسير الآيات التى استدل بها النصارى - خطأً - على ما لديهم من الأقانيم ، فتراه وكأنه عالم بالنحو وأصوله وخلافات أهله ، حتى أنك لو قرأت ما كتبه فى ذلك ولم تكن تعرف أنه له ، لظننتَ أنك تقرأ كتاباً فى النحو . يقول الإمام :

« والكلمة فى لغة العرب هى الجملة المفيدة سواء كانت جملة اسمية أو فعلية ، وهى القول التام ، وكذلك الكلام عندهم هو الجملة التامة .

قال سيبويه : « واعلم أنهم يحكون بالقول ما كان كلاما ، ولا يحكون به ما كان قولا ، ولكن النحاة اصطلحوا على أن يسموا ما تسميه العرب حرفا يسمونه كلمة مثل زيد ، وعمرو ، ومثل قعد وذهب ، وكل حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل مثل إن ، وثم ، وهل ، ولعل » (٤) .

---

(١) مرعى بن يوسف الكرمى الحنبلى : الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة علي ابن تيمية ، ص ٣١ ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

(٢) السابق ، ص ٣٢ .

(٣) هنرى لاووست : نظريات شيخ الإسلام ، ص ٢٦٢ .

(٤) الجواب الصحيح (١٣٦/٢) .

(جـ) الأدب :

قرأ الإمام وتأمل واستوعب الأدب العربي والإسلامى ، وأعرب بنفسه عن تصوره للبلاغة والأسلوب الأمثل فى التعبير ، ذلك الذى يبلغ غاية الممكن من المعانى بِأَتَم ما يكون من البيان ، فيجمع صاحبها بين تكميل المعانى المقصودة وبين تبيينها بأحسن وجه (١) .

وهو يعيب الأدب المتكلف ، ويشبه أولئك الذين يعتمدون على زخرفة اللفظ بغير فائدةٍ مطلوبةٍ من المعانى بالمجاهد الذى يزخرف سلاحه وهو جبان لا يقوى على الحرب (٢) .

وكعادته النقدية تعرض لمناقشة بعض الكتب الأدبية ، فذهب إلى خطأ نسبة كتاب نهج البلاغة للإمام على ، ويعرض مبرراته لذلك والتي تنحصر فى (٣) :

١ - أن الإمام علياً كان أبلغ مما تدل عليه الخطب الواردة فى الكتاب .

٢ - أن معظم هذه الخطب أكاذيب يعلمها الخبراء .

٣ - أن كثيراً منها كلام باطل ليس بحق يَجِلُّ الإمام عن النطق به .

٤ - أن كثيراً من الكلام الذى ينسبه صاحب نهج البلاغة للإمام علىٍّ أسنده الجاحظ فى البيان والتبيين إلى غير علىٍّ .

٥ - أن هذه المنقولات تخلو من الإسناد المتصل .

٦ - أن هذه المنقولات عن علىٍّ لم تُعْرف فى أى كتاب قبل نهج البلاغة .

وقد كان لتأملاته الأدبية - بعد حفظه كتاب الله وسنة نبيه - بالغ الأثر على أسلوبه فى التأليف ، فجاءت كتاباته غاية فى الفصاحة والبيان والوضوح وإشراق الديباجة وطلاوة العبارة ، ووضع الألفاظ فى مواضعها من حيث السبك الجيد من غير أن يكون ذلك على حساب المعنى ، أو يخرج بالقارئ من نطاق الكتابة العلمية إلى حيث الكتابة الأدبية التى تشبع الخيال (٤) .

---

(١) منهاج السنة النبوية (١٥٨/٤) ، هنرى لاووست : نظريات شيخ الإسلام ، ص ٢٦٣ .

(٢) منهاج السنة (١٥٨/٤ - ١٥٩) .

(٣) السابق ، ١٥٩ .

(٤) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ٥٢١ - ٥٢٢ .

حتى ليتعين علينا ترتيب لغته فى مصاف كبار الأدباء التقليديين ، إذا قصدنا بالأسلوب التقليدى التوافق التام بين العبارة والفكرة [1] .

ويتجلى ذوق الإمام الأدبى وبيانه في اختياراته الشعرية للاستدلال على بطلان الحلول والاتحاد النصرانى [2] .

* * * * *

---

(١) هنرى لاووست : نظريات شيخ الإسلام ، ص ٢٦٤ .

(٢) الجواب الصحيح (٢/١٧٧ - ١٨١) .

ثالثاً : مصادر حية :

(أ) الأشخاص (من أهل الكتاب أو من مُسْلِمَتهم) :

أشار الإمام إلى إفادته من حديث الشيخ عبد السيد الذى كان قاضى اليهود ثم أسلم ، ووصفه الإمام بأنه كان من أصدق الناس [١] .

وقد سبقت الإشارة إلى سماعه التوراة بالعبرية من مُسْلِمة أهل الكتاب [٢] .

(ب) المناظرات :

وليست للإمام مجادلات شفهية شهيرة مع النصارى تحفظها بطون الكتب والمطولات ، لكنه أشار إلى بعض تلك الحوارات مع أحد النصارى قائلاً :

« وقد خاطبتُ بهذا بعضَ النصارى ، فقال لى : الروح بسيطة ، أى لا يلحقها ألم ، فقلت له : فما تقول فى أرواح الكفار بعد الموت أمُنعَّمَة أم مُعَذَّبة ؟ فقال : هى فى العذاب ، فقلت : فعلم أن الروح المفارقة تنعم وتعذب ، فإذا شبهتم اللاهوت فى الناسوت بالروح فى البدن لزم أن تتألم إذا تألم الناسوت ، كما تتألم الروح إذا تألم البدن فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك » [٣] .

(جـ) الخبر الشائع :

وهو الذى يشيع وينتشر بين الناس ، مثل حكاية الناس عن اختلاف نسخ الأناجيل ، ووجود اسم النبى ﷺ فى أحدها دون الآخر [٤] .

ويشير الإمام إلى أهم تلك الأخبار الشائعة بين النصارى ، وهو قولهم : إن من لم تبشِّر به النبوات فليس بنبى ، وبناء على هذا فمحمد ليس بنبى بخلاف المسيح فقد بشَّرت به النبوات [٥] .

---

(١) ابن تيمية : الفرقان بين الحق والباطل ، ص ١٥٣ ، مطبعة المدنى بمصر ، بدون ترقيم .

(٢) راجع ص : ٤٧ .

(٣) الجواب الصحيح (٢/١٧٢) .

(٤) الجواب الصحيح (٢/٢٠) .

ليس المقصود بالخبر الشائع هنا شيوعه على الألسن ، لكنه ذلك الخبر الشائع على ألسن العلماء أو فى كتبهم ، لأن الخبر الشائع على ألسن العامة قد لا يصلح فى كثير من الأحيان أن يكون مادة علمية .

(٥) الجواب الصحيح (٣/٧٥) .

الفصل الثالث
مؤلفاته في النصرانية

١ - الجَوَاب الصَّحِيْح لِمَنْ بَدَّلَ دِيْنَ المَسِيْح :

وهو أوسع ما كتبه ابن تيمية في الجدال ، وأغزر ما كُتِبَ عن المسيحية في الإسلام ، و (هو - وحده - جدير بأن يَكْتُبَ ابنَ تيمية في سجل العلماء العاملين ، والأئمة المجاهدين ، والمفكرين الخالدين) (١) .

ويحتل هذا الكتاب موقعاً خاصاً بين سائر مؤلفات ابن تيمية ، لدلالته علي سعة نظره وتنوع دراسته واطلاعه الواسع العميق على تاريخ الديانات والصحف السابقة (٢) .

وكان العامل الرئيسي في تأليف هذا الكتاب والباعث عليه في الحقيقة هو حاجة المسلمين للرد على رسالة بولس الأنطاكي ، التي تتضمن خلاصة الفكر المسيحي وموقف المسيحية من الإسلام .

فهذه الرسالة - على خلاف المتعارف عليه - كانت معروفة في العالم الإسلامي ، ونسخها قديمة كما أشار الإمام إلى ذلك في تعريفه بالرسالة .

ونضيف إلى ذلك أيضاً أن علماء سابقين على الإمام قد أجابوا على تلك الرسالة (٣) ، كما أنها كانت مشهورة في الأوساط المسيحية لجودتها ودقتها وشمولها ، لهذا فقد ألقى على عاتقه مهمة الرد على النصارى فجاء « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » في أربعة مجلدات ضخام ، ردَّ فيها على دعاوى النصارى الست الشهيرة في جدلهم الديني مع الإسلام منذ ظهوره .

وجاء الجواب - تبعاً لعدد الدعاوى - في فصول ستة :

١ - الفصل الأول :

ردَّ فيه على دعواهم : أن محمداً ﷺ لم يُبْعَث إليهم ، بل إلى أهل الجاهلية من العرب ، وأن في القرآن ما يدل على ذلك .

---

(١) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ٥١٩ ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ أو رقم .

(٢) أبو الحسن الندوي : حياة الحافظ ابن تيمية ، ص ٢٣١ ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ .

(٣) منهم الإمام القرافي .

(٤) لويس شيخو : مقالات دينية قديمة ، ص ٢ . طبع الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٦ .

فساق من الحجج والأدلة ما يثبت عموم رسالة الإسلام وشمولها الجن والأنس ، ولم يكتف بذلك بل أخذ من حججهم أدلة عليهم وألزمهم بما فى أيديهم .

٢ - الفصل الثانى :

ردٌ فيه على دعوى ثناء القرآن على دينهم الذى هم عليه ومدحه ، بما يوجب ثباتهم عليه ، لا تركه وتبديله .

فبيَّن الإمام حقيقة رسالة عيسى التى زكَّاها القرآن وأثنى عليها وأن تلك الرسالة لا تتفق مع المسيحية الراهنة فى شئ مما غيَّروه وبدَّلوه ، فالشريعة التى معهم ليست هى شريعة المسيح ، وأناجيلهم التى بين أيديهم تخالف إنجيل المسيح الذى غيروه وبدلوه ، وحرفوه .

٣ - الفصل الثالث :

رد فيه دعوى تأييد وشهادة كتب الأنبياء السابقين لعقيدتهم فى التثليث والحلول والتجسد .

فتَتَبَّع نقولهم عن كتب الأنبياء نقلاً نقلاً ، مبيناً تحريفهم للنصوص ، وتأويلهم للنقول ، وتحميلها من معانى الحلول والتجسد ما تأباه ، وبيَّن عدم صحة سند كثير من تلك النقول ، ونقض مقدمات الاستدلال بها لإثبات التثليث ، لمجافاتها العقول والأفهام السوية مدعماً ذلك بالأدلة القرآنية .

٤ - الفصل الرابع :

رد فيه دعوى إثبات النظر العقلى والشرع النقلى لعقيدتهم فى التثليث والحلول ، وموافقة ذلك للأصول .

فأتم الإمام الكشف عن معانى التوحيد التى جاءت بها الديانة الأصلية ، وما يؤيد ذلك وينافى التثليث من الأدلة العقلية ، وبيَّن وفسَّر مقالة أريوس ومناقضته لأقطاب النصراينة ، ودور قسطنطين فى مسيرة تحريف المسيحية .

٥ - الفصل الخامس :

رد فيه دعوى اعتقادهم التوحيد ، والاعتذار عما يقولون به من ألفاظ الأقانيم التى

توهم التعدد ، وأنها من جنس نصوص المسلمين التى تظهر التشبيه والتجسيم . فيناقش ابن تيمية هذا ، ويبين التناقض بين الدعويين ، وعدم إمكان التوفيق بينهما ، وتعذر التقاء التوحيد والتثليث .

وبالتالى يفنِّد تشبيه ابن البطريق لحلول اللاهوت فى الناسوت بفيضان شعاع الشمس على الأرض ، ويردُّ على غيره من التشبيهات النصرانية التى يسوقونها لبيان التثليث فى الوحدانية ، مبينًا أن الثلاثة لا تكون واحدًا .

٦ - الفصل السادس :

رد فيه دعواهم أن موسى جاء بشريعة العدل ، وعيسى جاء بشريعة الفضل ، فلا حاجة بعدهما إلى شرع جديد .

فيساير الإمام منطقهم بقوله : إن الشرائع ثلاث لا اثنتان : شريعة عدل ، شريعة فضل ، وشريعة تجمع العدل والفضل ، وهى أكمل الشرائع وهى شريعة الإسلام ، وبيّن كيفية جمع الإسلام بين عناصر الكمال ، ويوازن بين ما جاء فى الإسلام وبين ما جاء فى كل من التوراة والإنجيل موازنة دقيقة محكمة ، تُجلِّى حقائق الإسلام وتبرز تكامل عناصره .

ويختتم الكتاب بإثبات النبوة المحمدية ببراهين جديدة وأدلة قوية ناصعة مؤثرة ، ملزمةً كلَّ منصف عاقل بالإقرار بالحقيقة الإسلامية ، فلم يعتمد فى ذلك على الدلائل القديمة المعروفة في كتب علم الكلام والفرق ، بل شحن كتابه بدلائل لا توجد مجتمعة فى أى كتاب آخر ، يحتاج المرء للاطلاع على مثلها إلى عملية تنقيب واسعة في مكتبة كبيرة [١].

ويذكر الإمام أن الحديث فى دلائل النبوة لم يكن من مطالب الرسالة النصرانية ، إلا أنه رأى إلحاق ذلك بالرد على الرسالة لكمال النفع ، وتمام الفائدة ، وشدة الإلزام [٢] .

وعلى الرغم من الأهمية البالغة للكتاب وذيوع انتشاره فقد جانب التوفيق كثيرًا ممن تعرضوا له :

---

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص ٢٢ - ٢٣ ، مطبعة المدنى بالقاهرة .
أبو الحسن الندوى : حياة الحافظ ابن تيمية ، ص ٢٣٢ .

(٢) ابن تيمية : النبوات ، ص ١٥٤ ، مكتبة السنة المحمدية ، بدون تاريخ أو ترقيم .

(أ) زعم « دى ماتيو » المستشرق الإيطالى أن ابن تيمية فى هذا الكتاب مجرد جامع لمن سبقوه – وسنرد تلك الدعاوى إن شاء الله – عند الحديث عن مكانة منهج ابن تيمية فى حقل الجدل الدينى مع أهل الكتاب .

(ب) ظن مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية أنه كتابان : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » ، « الرد على النصارى » .

ووضعوا الكتابين فى قائمة مؤلفات الإمام تحت رقم : (٣٥ ، ٤٥) (١) .

ويبدو أنهم قد انخدعوا بإشارة الإمام ابن تيمية إلى الجواب الصحيح فى كتبه الأخرى بقوله : « فى الرد على النصارى » .

وقد كدت أخدع بتلك الإشارة ، بخاصة عند ورودها فى « الجواب الصحيح » إلا أنى رجحت ورود تلك الإشارة أثناء حديثه مع غير النصارى ، لذلك أحال القارئ إلى تفصيل الأمر عند الحديث مع النصارى ، فوجهت جهدى للبحث فى جهات ثلاث :

أولها : مكتبة المتحف البريطانى حيث أشار أصحاب دائرة المعارف الإسلامية إلى وجود كتاب « الرد علي النصارى » بين قائمة مخطوطاته برقم (٨٦٥ ، ١) فأرسلت إليهم طالباً نسخة من المخطوط ، فأرسلوا لى نسخة وجدت أنها عبارة عن جزء من كتاب « الجواب الصحيح » المطبوع غير أن العنوان المسجل على الغلاف الخارجى مكتوب عليه « الرد على النصارى والجواب الصحيح لمن حرف دين المسيح » (٢) .

الثانية : مؤلفات الإمام لدى تلاميذه كابن القيم وابن كثير وابن عبد الهادى ، أما ابن القيم وابن كثير فلم أجد لديهما ما يشير إلى وجود كتاب لشيخ الإسلام باسم « الرد على النصارى » غير « الجواب الصحيح » .

ولكنى وجدت لدى ابن عبد الهادي ما يؤكد أن « الجواب الصحيح » و « الرد على النصارى » اسمان لكتاب واحد ، يقول ابن عبد الهادى : « ومنها كتاب (الرد على النصارى) سماه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) فى مجلدين » (٣) .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١/١١٤) ، الطبعة الثانية ١٣٥٣ هـ ١٦٣٤م .

(٢) انظر ملحق رقم ١ .

(٣) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص ٢٢ – ٢٣ .

الثالثة : مؤلفات الإمام نفسه وكلها تؤكد على أن « الجواب الصحيح » و« الرد على النصارى » كتاب واحد باسمين مختلفين :

١ - ذكر في جامع الرسائل : أنه بيَّن في « الرد على النصارى » أن الحواريين لم يكونوا رُسُلاً كما يزعم النصارى أنهم رسل مثل إبراهيم وموسى [١] . وهذه المسألة مبسوطة في الجواب الصحيح (١/٢٠٨ - ٢١٠) ، (١/٢٧٥ - ٢٩٢) .

٢ - ذكر في كتاب « الرد على المنطقيين » [٢] : « أنه بيَّن طرق العلماء في إثبات العلم بالنبوات في « شرح الأصبهانية » وكتاب « الرد على النصارى » ، وهذه المسألة تشغل حيزاً كبيراً جداً في « الجواب الصحيح » يمتد من (٣/٢٧٥) وحتى نهاية الجزء الرابع والأخير من الكتاب .

ومما يذكر أنه قد أشار في كتاب « النبوات » إلى أنه قد بسط الكلام عن دلائل النبوة في « الجواب الصحيح » أكثر مما كتبه في شرح الإصبهانية لتمام الفائدة وكمال النفع [٣] .

٣ - بَيَّنَ في رسالة « معارج الوصول » سبب تعدد أسماء الكتاب ، فقال : (وقد ذكرت في « الرد على النصارى » من مخالفتهم للأنبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر ، ولهذا قيل فيه : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » ، وخطابهم في مقامين :

١ - تبديلهم دين المسيح .

٢ - تكذيبهم لمحمد ﷺ [٤] .

٤ - ذكر « الرد على النصارى » في « الجواب الصحيح » بقوله :

« وقد ذكرت فيما كتبته قبل هذا من الرد على النصارى الكلام في ذلك وبيَّنت أن

---

(١) جامع الرسائل : بتحقيق الدكتور رشاد سالم ، (المجموعة الأولى / ٦٦) ، الطبعة الثانية ، مكتبة المدني ، جدة .

(٢) الرد على المنطقيين : ص ٢٥٤ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون ترقيم .

(٣) النبوات : ص ١٥٤ ، مكتبة السنة المحمدية ، بدون ترقيم .

(٤) معارج الوصول : ص ٢٣ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٧ هـ .

المضافات إلى الله نوعان : أعيان وصفات » [1] وهذه المسألة مذكورة فى الجواب الصحيح (٢/١٢٧ - ١٣١) وهى دليل أيضاً على أنه لم يكتبه دفعة واحدة بالترتيب الوارد به ، بل كان يكتب ما تكتمل بياناته عنده فالمسألة المذكورة قد وردت بعد الإشارة السابقة لا قبلها كما كان ينبغى .

(جـ) زعمت إحدى الباحثات أنه يضم كتابًا آخر بعنوان « تخجيل أهل الإنجيل » يبدأ من (الجزء الثالث ، ص ٢٧٥) من الجواب إلى نهاية الكتاب ، وطالبت بفصل هذا الجزء ونشره مستقلاً [2] .

وفى تقديرى أن الباحثة انخدعت فيما ذهبت إليه بأمور ثلاثة :

١ - إشارة مؤلفى دائرة المعارف الإسلامية إلى هذا الاسم ، وضمُّه إلى قائمة مؤلفات الإمام [3] .

وتجدر الإشارة إلي أن المعلومات الواردة بتلك الدائرة غير دقيقة ، ولا ينبغى التسليم بها دون نقد وتمحيص ، كما أسلفنا القول فى دعواها حول « الرد على النصارى » .

٢ - عنوان المخطوط الذى عثرت عليه فى إحدى مكتبات أكسفورد وهذا العنوان ليس دليلاً كافياً على صحة ما تزعم ، بل يدل على خلاف ذلك وفيه دليل بطلان زعمها ، فالعنوان يقول : « تخجيل أهل الإنجيل والنهج الصحيح فى الرد على من حرَّف دين المسيح » [4] وهو دليل على أنه الجواب الصحيح لا غير ، مع زيادة فى العنوان من كاتب المخطوط أو ناسخه .

٣ - إشارة « لويس شيخو » إلى كتاب لابن العسال بعنوان « نهج السبيل فى الرد على من قدح فى الإنجيل » ، وترجيحه أن يكون ذلك الكتاب رداً على كتاب ابن تيمية « تخجيل أهل الإنجيل » [5] .

---

(١) الجواب الصحيح (١/٢٤٢) .

(٢) فايزة محمد بكرى : ابن تيمية ونقده للنصرانية ، رسالة ماجستير بكلية البنات الإسلامية . ص ٢٨٥ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية (١/١١٤) .

(٤) انظر ملحق رقم (٢) .

(٥) لويس شيخو : المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ١٢ .

وقد أصاب لويس شيخو فى ظنه أن لابن العسال كتاباً يرد فيه على كتاب « تخجيل أهل الإنجيل » لكنه وقع فى خطأين :

(أ) ظَنَّ أن كتاب ابن العسال هو « نهج السبيل » والصواب أنه كتاب « الصحائح فى جواب النصائح » .

(ب) ظَنَّ أن ابن تيمية هو مؤلف التخجيل ، والصواب أنه أبو البقـــاء صالح ابن الحسن الجعفرى .

ويؤيد صحة ذلك ما ذكره العلامة (جراف) فى موسوعة تاريخ الآداب المسيحية العربية من أن « تخجيل من حرّف الإنجيل » كتاب لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ردّ فيه على كتاب « الصحائح فى جواب النصائح » [1] .

إلا أن (جراف) قد جانبه التوفيق عندما قرر أن أبا البقاء هو الذى يرد على ابن العسال ، فالصواب أن ابن العسال هو الذى يرد على أبى البقاء كما يظهر فى مقدمة الصحائح من أن أحد أصدقائه طلب إليه أن يرد على كتاب من أحد المسلمين فيه القدح فى الإنجيل والنصرانية [2] .

فإذا افترضنا أن « شيخو » يقصد « الجواب الصحيح » ، لكان هذا الاحتمال أبعد فى التحقيق من سابقه ، وذلك للأمور التالية :

١ - أن ابن العسال متقدم على ابن تيمية المؤلِّف بأربعين سنة ، على فرض أن ابن العسال حينما ألف كتاب « القوانين » وهو أهم كتبه (سنة ١٢٣٩م) [3] كانت سِنُّه عشرين عاماً ، وهو مستبعد أن يؤلف الإنسان أقوى كتبه فى تلك السن المتقدمة ، فيكون قد بدأ التأليف والكتابة قبل أن يولد ابن تيمية بواحد وعشرين عاماً ، وقبل أن يبدأ ابن تيمية فى التأليف بأربعين عاماً ، فحياة ابن تيمية كانت فى النصف الثانى من القرن (الثالث عشر وأوائل الرابع عشر) (١٢٦٢م / ٦٦٠هـ - ١٣٢٧م / ٧٢٨ هـ) .

---

(١) نقلاً عن الدكتور محمد محمد حسانين فى مقدمة تحقيق الرد على النصارى لأبى البقاء صالح الجعفرى ، ص ١١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

(٢) ابن العسال : الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٥ .

(٣) لويس شيخو : المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ١٢ .

٢ - أن ابن العسال لم يُشِرْ فى كتابه أية إشارة تدل على أن ابن تيمية هو المقصود ، بل إنه أشار إلى خلاف ذلك ، فعندما أراد أن يثبت صحة ديانته وخلاصة قولها فى الإسلام أشار إلى رسالة الرهبان القبارصة إشارة مبتدئ لا مجيب أو معلق ، بل كان يشير إليها معرِّفاً المخاطب بها ، وابن تيمية لم يكن بحاجة إلى معرفتها كما نعلم ، فالنصارى يستقون معلوماتهم عن بولس الأنطاكى منه [1] .

٣ - لم ترد لدى تلاميذ الإمام أية إشارة لمن كتب رداً على الجواب الصحيح .

٤ - أن الجواب الصحيح لم يُؤَلَّف بمصر ، فتاريخ تأليف الجواب ينتهى إلى ما بعد سنة ٧١٢ هـ بعد عودته إلى دمشق من سجنه فى القاهرة ويؤكد ذلك :

(أ) أنه أَلَّف الجواب الصحيح بعد الرسالة الأصبهانية كما يذكر أثناء كلامه فى كتاب النبوات عن العلاقة بين الجواب الصحيح والرسالة الأصبهانية [2] ، والمعروف أن الرسالة الأصبهانية قد بدأ كتابتها سنة ٧١٢ هـ ، لذلك فهو يقرن كثيراً بين الجواب الصحيح والرسالة الأصبهانية لاشتراكهما فى بعض الأغراض [3] .

(ب) أن الجواب الصحيح » كتب بعد « درء تعارض العقل والنقل » فقد أشار إلى « درء تعارض العقل والنقل » فى « الجواب الصحيح » [4] ، وليس العكس ، وتاريخ تأليف « درء تعارض العقل والنقل » يرجع إلى مابين (٧١٣ هـ - ٧١٧ هـ) [5] .

يدفعنا كل ذلك إلى أن نقرر فى اطمئنان أن ابن العسال لم يَرُدَّ على ابن تيمية بالمرة ، لا على « تخجيل أهل الإنجيل » ، ولا على « الجواب الصحيح » ، مما يجعل القول بوجود كتاب (تخجيل أهل الإنجيل) لشيخ الإسلام ابن تيمية دعوى بغير سند .

---

(١) لويس شيخو : مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى ، ص أ .
- المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ص ٦٩ .

(٢) ابن تيمية : النبوات ، ص ١٥٤ .

(٣) انظر مثلاً : الرد على المنطقيين ، ص ٢٥٤ .
- النبوات : ص ١٥٤ .

(٤) الجواب الصحيح : (٣/٢٦٧) .

(٥) الدكتور رشاد سالم : مقدمة تحقيق درء تعارض العقل والنقل (١/٩) .

بل نتقدم للأمام خطوة أخرى فنقرر - بعد أن فندنا ما يمكن أن يستند إليه ذلك الزعم - أن ابن تيمية قد تَنَبَّأَ عمن سيزعمون له أعمالاً وينسبون له كُتُباً ليست له ، فأزال الشبهات التى قد تحوم حول كُتُبِه ، وعلَّل سبب إلحاق الجزء الخاص بالكلام عن إثبات النبوة بالجواب الصحيح فقال :

« جاء كتاب من النصارى يتضمن الاحتجاج لدينهم بالعقل والسمع ، واحتجوا بما ذكروه من القرآن ، فأوجب ذلك أن يُرَدَّ عليهم ، ويُبَيَّن فساد ما احتجوا به من الأدلة السمعية من القرآن ومن كلام الأنبياء وما احتجوا به من العقل ، وأنهم مخالفون للأنبياء وللعقل ، خالفوا المسيح ومن قَبْلَه وحرفوا كلامهم ، كما خالفوا العقل ، ويُبَيَّن ما يحتجون به من نصوص الأنبياء وأنها هى وغيرها من نصوص الأنبياء التى عندهم حجة عليهم لا لهم ، ويُبَيَّن الجواب الصحيح لمن حرَّف دين المسيح ، وهم لم يطالبوا ببيان دلائل نبوة نبينا ، لكن اقتضت المصلحة أن يُذْكَرَ من هذا ما يناسبه ، ويُبْسَط الكلام فى ذلك بَسْطاً أكثر من غيره »[1] .

وتلك الضرورة التى دعت الإمام لإلحاق الكلام فى إثبات النبوة بالجواب - والتى غابت عن البعض - هى منهجه فى دراسة النصرانية ، والقائم على دعامتين :

١ - تبديل دين المسيح .

٢ - تكذيبهم محمداً ﷺ .

فالمقام الثانى الذى يدرس فيه النصرانية يقتضيه أن يعرض لدعاوى تكذيبهم محمداً ﷺ والرد على تلك الدعاوى ، ثم إثبات نبوته ﷺ .

فلا يتبقى إذن إلا التسليم بأن الجواب الصحيح بمجلداته الأربع كتاب واحد ومصنف واحد لا يتجزأ ولا يتباين ولا ينفصل بعضه عن بعض .

وتبقى أمامنا نقطتان بخصوص الجواب الصحيح :

أولاهما : أسباب الاختلاف حوله ، وترجع فى نظرى إلى :

١ - عدم المعرفة الكافية بأسلوب شيخ الإسلام وطريقته فى التأليف .

---

(١) ابن تيمية : النبوات ، ص ١٥٤ .

٢ – عدم الإلمام الجيد بتراث الإمام المخطوط منه والمطبوع .

٣ – تفرق كتبه واختفاء الكثير منها ، وعدم ظهوره حتى الآن (١) .

الثانية : الرغبة فى عدم إحلاله محله اللائق به فى حقل الجدل الدينى ومقارنة الأديان .

ويرجع ذلك إلى :

١ – أن حركة إحياء التراث الإسلامى فى العصر الحديث بدأت على يد المستشرقين الغربيين تدفعهم وتحركهم أهداف خاصة فى التعرف على شعوب المنطقة تعرفاً ينفذ إلى الجذور ثم يتدخل فى التخطيط والتوجيه (٢) .

وذلك لخدمة أغراض خاصة قد لا تتصل بالبحث العلمى النزيه ، وإن اتخذت منه ثوباً يغطى عوراتها .

بينما غرضها الخفى يهدف إلى إبراز الاتجاهات المنحرفة لدى بعض المسلمين ، كما ينعكس ذلك أيضاً على المنهج ، فنجد فى دراساتهم محاولات دائمة للعثور على تأثيرات مسيحية فى العلوم الإسلامية ، حتى لا نكاد نعثر بين إنتاج المستشرقين على دراسات جادة حول إحدى الشخصيات الإسلامية الأصيلة (٣) .

فليس لنا – إذن – أن نلتمس لدى هؤلاء المبشِّرين بأرض خالية من إسلامنا الحنيف دراسةً أو كشفاً علمياً عن أحد أعلام الفكر السلفى الأصيل ، خصوصاً بعد أن قرر أكابرهم :

« أن الحنابلة فى صميم إسلام أهل السنة محتفظون حقاً بإدراك ما للغيب الإلهى من معنى حتى لقد حاولوا أن يشرحوا هذا المعنى شرحًا صحيحاً ، سواء أعادوا إلى القول بالتجلى على ما وَرَد قبَل أبى طالب المكّىّ عند السالمية فى علمهم العقدى ، أم صحَّحوا

---

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص ٤٨ .

– الدكتور رشاد سالم : مقارنة بين الغزالى وابن تيمية ، ص ٢٢ ، دار القلم ، الكويت ١٩٧٥م .

(٢) د . أكرم ضياء العمرى : التراث والمعاصرة ، ص ٥٩ ، كتاب الأمة (١٠) الطبعة الأولى ، طبع رئاسة المحاكم الشرعية بقطر .

(٣) د . مصطفى حلمى : مقدمة نظريات ابن تيمية فى السياسة والاجتماع لهنرى لاووست ، ص ٢٠ .

كما فعل ابن تيمية بعض محاولات الكَرّامية وأبى البركات ، فما أروعها هنا دلالة على أن مستقبل الإسلام فى علم العقائد هو الرجوع إلى الحنبلية »[1] .

و « أنهم أمسوا فى الإسلام – طوال تاريخه – هم الذين حملوا شهادة سؤال لم يحظ قط – فيما يبدو – بالجواب المقنع حقاً ، وهم الأقلية أهل الحق والعقيدة الكاملة صحتها »[2] .

٢ – تعدد اهتمامات ابن تيمية وتنوع معارفه وغزارة إنتاجه وضخامة تراثه العلمى بشكل ألقى الظل على جهوده فى دراسة الأديان .

فجولاته فى الفقه جعلته فقيهَ عصره ، وجولاته في علم الكلام جعلته أبرزَ شخصية فيه ، وتفسيراته للقرآن الكريم ودراسته أصول التفسير ووضعه المناهج لها جعلته فى صفوف المفسرين[3] .

وعنايته بالحديث وضعته فى صدارة الحفاظ والمحدثين ، حتى قيل فيه : الحديث الذى لا يعرفه ابن تيمية ليس بحديث[4] .

٣ – عدم الكشف عن تراثه إلا منذ فترة قليلة فى عمر الزمن ، بعد أن ظل حبيساً قروناً عديدة[5] .

---

(١) ماسينيون : مقدمة فلسفة الفكر الدينى ، تأليف لويس غرديه – ج قنواتى (١/٧) الطبعة الأولى ١٩٦٧م ، دار العلم للملايين ، بيروت .

(٢) لويس غرديه – ج قنواتى : فلسفة الفكر الدينى (١/١٠) .

(٣) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ١٣ .

(٤) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص ٢٠ .

(٥) وذلك بعد أن أقام الملك عبد العزيز آل سعود دولته فى شبه الجزيرة وتبنت الدولة نشر تراث الإمام ابن تيمية فى أنحاء العالم الإسلامى .

٢ – الرسالة القبرصية :

وهى الرسالة التى بعث بها ابن تيمية إلي حاكم قبرص لتخليص أسرى المسلمين لديه والإحسان فى معاملتهم (١) .

وتُعَدُّ وثيقةً هامة ونموذجاً رفيعاً فى الدعوة إلى الله – تعالى – بين غير المسلمين ، لما اشتملت عليه من التعريف الجيد بمحاسن الإسلام وشرائعه ، والإلمام الدقيق الشامل بما عليه النصرانية – بعد التحريف – من مجافاة للعقل والمنطق ، فضلاً عن مصادمتها للفطرة السليمة ، وعرض كل ذلك فى صورة محكمة التفصيل ، وفى لغة سهلة يسيرة بعيدة عن الشدة والتعقيد ، تحملها دعوة صريحة هادئة للتفكير العقلانى الحر فى إطار الجدل بالتى هى أحسن . يقول الإمام :

« وأنا ما غرضى الساعة إلا مخاطبتكم بالتى هى أحسن ، والمعاونة على النظر فى العلم واتباع الحق وفعل ما يجب ، فإن كان عند الملك من يثق بعقله ودينه فليبحث معه عن أصول العلم وحقائق الأديان ، ولا يرضى أن يكون من هؤلاء النصارى المقلدين الذين لا يسمعون ولا يعقلون ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلاً ﴾ (٢) .

وأصل ذلك أن تستعين بالله وتسأله الهداية ، وتقول : اللهمَّ أرنى الحق حقاً وأعنِّى على اتباعه ، وأرنى الباطلَ باطلاً ، وأعنِّى على اجتنابه ، ولا تجعله مُسْتَبْهَماً علىّ فأتبع الهوى ، وقل : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة : أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك . إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

والكتاب لا يحتمل البسط أكثر من هذا ، لكن أنا ما أريد للملك إلا ما ينفعه فى الدنيا والآخرة ، وهما شيئان :

أحدهما : له خاصة ، وهو معرفته بالعلم والدين ، وانكشاف الحق ، وزوال الشبهة وعبادة الله كما أمر ، فهذا خير له من ملك الدنيا بحذافيرها ، وهو الذى بُعِث به المسيح ، وعلَّمه الحواريين .

---

(١) الرسالة منشورة بتقديم للدكتور جميل غازى ، مكتبة المدنى ، جدة .

(٢) الفرقان : (٤٤) .

الثانى : له وللمسلمين ، وهو مساعدته للأسرى الذين فى بلاده وإحسانه إليهم ، وأمر رعيته بالإحسان إليهم ، والمعاونة لنا على خلاصهم ، فإن فى الإساءة إليهم دركًا على الملك فى دينه ودين الله تعالى ، ودركاً من جهة المسلمين » [١] .

ويقودنا الحديث عن قيمة الرسالة ومكانتها ومحتوياتها إلى الإشارة لأمر هام فى هذا الشأن ، ألا وهو ذلك التشابه بين رسالة الإمام ورسالة القاضى أبى الوليد الباجى إلى راهب فرنسا ، مما يجعلنى أرجح اطلاع ابن تيمية على تلك الرسالة وإفادته منها ويقوِّى ذلك الترجيح - عندى - أمران :

أولهما : أن ابن تيمية قد عرف القاضى أبا الوليد الباجى معرفة جيدة ، وعرف له فضله وقدره ، وأشاد به وبجهوده فى الدفاع عن الإسلام وأهل السُّنَّة فى مواجهة المخالفين ، بل يوجه اللوم إلى من لا يعرفون تلك الجهود ، ويدافع عنه دفاعاً صلباً فى هذا الشأن ، ذلك بأن له فى الإسلام مساعى مَشكورة وحسنات مبرورة ، وله فى الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ، ما لا يخفى على من تكلم فيه بعلم وصدق وعدل وإنصاف [٢] .

الثانى : النقد الداخلى للنصوص :

إذ تُبْرِز الدراسة الفاحصة لنص الرسالتين اتفاقهما فى المضمون العام والأسلوب وتقارب بعض الألفاظ والعبارات ، وذلك على النحو التالى :

(أ) المضمون العام ويشمل :

- التعريف بالإسلام وإبراز محاسنه .

- بيان تهافت النصرانية .

- الدعوة إلى الإسلام .

---

(١) الرسالة القبرصية : ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٠٢/٢) وانظر : مقدمة الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى لتحقيق رسالة أبى الوليد الباجى ، ص ٢٢ ، طبع دار الصحوة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(ب) الأسلوب فى الرسالتين واحد ، تغلب عليه الدعوة العقلانية للتفكير الحُرّ فى القضايا المطروحة ، فى إطار من الهدوء والمخاطبة بالحسنى .

(جـ) تقارب بعض الألفاظ والعبارات ، ويظهر ذلك فى [1] :

- التعليل لامتناع النصارى عن الإسلام بحب الرياسة والجاه وعِلّة التقليد وأسْر العادة والإلف وقلة البضاعة فى العلم والدين .

- تحقير أمر الدنيا وضآلة شأنها .

- بيان حالة المخاطب بالرسالة من حبه للخير وإقباله على العلم وطلبه .

(د) كما أن هناك جوانب أخرى من الاتفاق بينهما فى مهاجمة التثليث ونقض ألوهية المسيح والاحتجاج لإثبات نبوة محمد ﷺ .

ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام أن ذلك التشابه والتقارب سمة عامة للرسائل التى كتبها علماء الإسلام يدعون بها أتباع الملل الأخرى للدخول فى الإسلام ، أو دفاعاً عن الإسلام ، والإعلام بمناقبه فى مواجهة المخالفين الذين يحتجون لعقائدهم بالكتابات الجدلية .

وذلك واضح فى الرسائل والكتابات الجدلية بين علماء الإسلام وكتبة النصارى ، فهذه الكتابات وإن كان بعضها مشكوكاً فى صحته [2] ، إلا أنها تعبر عن نفس الروح العقلانية ، والجدل بالحسنى ، وتحوى نفس ذلك المضمون الذى أشرنا إليه .

---

(١) قارن : الرسالة القبرصية ، ص ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٩ بجواب القاضى على راهب فرنسا ، ص ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ .

(٢) شكّ الدكتور محمد حمدى البكرى فى صحة الرسالتين المنسوبتين إلى كل من الهاشمى المسلم ابن عم الخيفة المأمون ، والكندى المسيحى وذهب إلى أنهما مكتوبتان بعد القرن التاسع الهجرى وتحملان طابعه وأُرِيدَ دَسُّهما على المؤلفين .
مجلة كلية الآداب ، العدد التاسع (المجلد الأول) مايو ١٩٤٧م .

٣ - مسألة الكنائس :

وهى عبارة عن قواعد فى شأن بناء الكنائس واستحداثها وأحكامها وما يجوز هدمه وما يجوز إبقاؤه وما يجب هدمه ، وهى منشورة بمجموع الفتاوى (جـ ٢٨/ من ص ٦٣٢ - ٦٥٧) .

إلا أنى أميل إلى أن ما نشر فى مجموع الفتاوى عن الكنائس ليس كل ما كتبه ابن تيمية فى هذا الشأن ، بل أكاد أجزم بأن مسألة الكنائس مُؤلَّف منفرد مستقل بذاته وتدعم هذا التأكيد إشارة ابن تيمية الواضحة فى مجموع الفتاوى إلى مصنف له فى أمر الكنائس ، ويقول :

« وقد أرسلت إليكم كتاباً أطلب ما صنفته فى أمر الكنائس ، وهى كراريس بخطى ، قطع النصف البلدى ، فترسلون ذلك إن شاء الله تعالى ، وتستعينون على ذلك بالشيخ جمال الدين المزِّى ، فإنه يقلب الكتب ويخرج المطلوب ، وترسلون أيضاً من تعليق القاضى أبى يعلى الذى بخط القاضى أبى الحسين إن أمكن الجميع ، وهو أحد عشر مجلداً ، وإلا فمن أوله مجلداً ، أو مجلدين أو ثلاثة » (١) .

فإن أضفنا إلى تلك الإشارة وصف صاحب العقود الدرية لهذا المؤلف بأنه نحو مجلدين (٢) ، زاد هذا الأمر رسوخاً ، وتعيَّن على المهتمين بالبحث فى أحكام أهل الذمة من الفقهاء التنقيب عن هذا الكتاب وإخراجه للنور ، خصوصاً والحديث عن مثل هذه المسائل لا يكاد يوجد مستقلاً إلا فى القليل من المصنفات التى لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وبعد ذلك لا تجده إلا متناثراً فى كتب الفقه ومطولاته .

* * * * *

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٦٥٧) ، العقود الدرية ، ص ١٨٨ .

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص ٣٥ .

٤ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم :

وهو ثمرة من ثمار الاحتكاك الشديد بين الإسلام والنصرانية ونتيجة من نتائج الضغط المتزايد من المسيحية على الإسلام فى أرضه وبين أبنائه ، ذلك الضغط المتمثل فى تأثير الأقليات المسيحية داخل المجتمع الإسلامى ، والذى كان من نتائجه اتباع بعض المسلمين للنصارى فى عدد من شعائرهم ومعتقداتهم .

تلك المتابعة التى أخبر بها النبى ﷺ وحذّر منها فى حديث جامع ، أخرجه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال :

« قال رسول الله ﷺ : لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ ، حتَّى لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوه .

قالوا : يا رَسُولَ اللّهِ ! اليهُودَ والنَّصَارَى ؟ قال : فَمَنْ ؟ » (١) .

عندما وجد الإمام تلك المتابعة قد وقعت ، وابتليت طوائف من المنتسبين للإسلام بمتابعة النصارى فى أهم عقائدهم ، وذلك كالحلول الذى قالت به طوائف من الصوفية والشيعة ، والرهبانية التى ابتدعتها المتصوفة ، والغُلُوّ فى الأنبياء والصالحين الذى وقع فيه بعض الشيعة والصوفية ، واتخاذ القبور مساجد ومزارات ومشابهة النصارى فى أعيادهم والذى وقعت فيه جماهير العامة .

تصدى للإعلام بِنَهْى الإسلام عن مشابهة النصارى والأمم الكافرة فى هديهم وشرائعهم ومعتقداتهم ، مبينا الحكمة الدينية والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهى عن التشبه بهم (٢) .

ولم يكن هدف الإمام من وراء كتابه إحصاء وتفصيل عقائدهم وعباداتهم ولكنه كان يهدف إلى التعريف بالباطل معرفة جلية ، تميز بينه وبين المباح والمعروف والمستحب والواجب ، حتى يتمكن المسلم الحنيف من تجنب الانحراف عن الصراط المستقيم إلى

---

(١) البخارى :(كتاب الاعتصام) ، باب قول النبى ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم) . مسلم : (كتاب العلم) ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٦ - ١٠ ، جامع الرسائل (١/٢٥٩ - ٢٦٠) ، الجواب الصحيح (١/١٨ - ١٩) .

صراط المغضوب عليهم والضالين ، لأن من لم يعرف المنكر لا جملة ولا تفصيلاً لم يتمكن من قصد اجتنابه [1] .

ويقع الكتاب فى أربعمائة واثنين وثمانين صفحة بدأه الإمام ببيان الحكمة والدلالة الشرعية فى مجانبة هدى النصارى ومشابهتهم ، ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهى عن التشبه بهم وقد استغرق ذلك ما يقرب من مائتى صفحة . ثم مضى يعدد المشابهات والمتابعات التى وقع فيها بعض المسلمين مما يفعله النصارى واستغرق ذلك بقية صفحات الكتاب .

* * * * *

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٦ ، ١١ ، ٢١١ .

٥ ـ رسالة « كلمة الله عيسى ابن مريم وخلق القرآن » :

وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٨٠٣٨٣ ميكروفيلم وهى صغيرة الحجم يطابق عنوانها مضمونها ، فهى تعرض لتفسير العلاقة بين كلمة الله عيسى ابن مريم ، وكلام الله (القرآن) .

وينتهى فيها إلى أن عيسى ابن مريم ليس هو كلام الله ، ولا أحد كلماته وإنما هو مخلوق بكلمة من كلمات الله وهى « كن » وليس هو الـ « كن » أما القرآن فليس مخلوقاً ، بل هو كلام الله الذى تكلم به ، وهو لم يزل – سبحانه – متكلماً ، وكلماته متعددة ولا نهاية لها ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى ، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

وإنما اختص الله المسيح بتسميته كلمة الله تمييزاً له عن بقية الناس فى طريقة خلقه العجيبة من أم بلا أب ، لا مزيّة له أكثر من ذلك ، وقد ربط القرآن بينه وبين آدم فى طريقة خلقهما واختصاصهما بذلك ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون ﴾ (٢) .

* * * * *

---

(١) سورة الكهف : (١٠٩) .

(٢) سورة آل عمران : (٥٩) .

الباب الثاني

منهج ابن تيمية في دراسة النصرانية

فإن بَرَعْتَ في الأصُول وتَوَابِعهَا من المَنْطِقِ ، والحِكْمَةِ والفَلْسَفَةِ ، وآراءِ الأوَائِلِ ، ومُجَارَاةِ العُقُولِ ، واعْتَصَمْتَ مع ذلك بالكتَابِ والسُّنَّةِ ، وأُصُولِ السلَفِ ، ولَفَقْتَ بين العَقْلِ والنَّقْلِ ، فَمَا أظُنُّكَ - في ذلك - تَبْلُغ رُتْبَةَ ابنِ تَيميةَ ، ولاَ واللهِ تُقَارِبُهَا .

السُّيُوطِيّ

المنهج هو الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التى تهيمن على سير العقل ، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة(١) .

وتعد دراسة المناهج من أخصب الدراسات الحديثة ذات الفائدة الكبرى فى متابعة تطور العلوم من ناحية ، وفى دفعها للأمام من ناحية أخرى .

لأن تقدم البحث العلمى رهين بالمنهج وبذلك يمكن تفسير الأدوار المتفاوتة لتطورات المعرفة العلمية ، فما انتكس العلم إلا بسبب النقص فى تحديد المناهج العلمية وتطبيقها ، وما نما وازداد أصالة إلا بالدقة فى تحديد المناهج (٢) .

فالعلم لا يكون علماً إلا بالمنهج الذى يستخدمه ، بل يذهب البعض إلى أن العلم منهج قبل أن يكون موضوعاً أو مجموعة من المعارف أو النظريات لأننا نستطيع أن نتوصل إلى كثير من المعارف التى لا تكون علمية بدون أن نستخدم منهجاً علمياً بذاته (٣) .

وقد غدا الاهتمام بالمنهجية والفكر المنهجى سمة العصر ، حيث أصبح لكل علم منهجه الذى يضبط كلياته وجزئياته ، فلا أحد ينكر - أو يستطيع أن ينكر - تقدم العالم فى مناهج البحث والتفكير فى فروع المعرفة المتعددة .

لكن هذا التقدم فى جانب كبير منه - يأخذ طابع الشكلية المنهجية أكثر مما يأخذ طابع الحقيقة المنهجية ، فنجد الكثير من الباحثين يأخذون بالطريقة المنهجية فى التربية وعلم النفس والاجتماع والاقتصاد ، لكنهم لا ينطلقون من البدايات الأصولية المنهجية ، وإنما ينطلقون من فروض تحكمية ، أخطرها على الإطلاق تصورهم القائم على فصل الكون عن الخالق ، فهذا أصل الانحراف والضلال فى المناهج الحديثة ، والذى يبعدها عن الحقيقة المنهجية (٤) .

---

(١) المعجم الفلسفى ، ص ١٩٥ ، إعداد المجمع اللغوى بالقاهرة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
د . عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ، ص ٥ ، وكالة المطبوعات الكويت ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧.

(٢) مناهج البحث العلمى ، ص ٨ ، من خاتمة الكتاب .

(٣) د . عزمى إسلام : فى فلسفة العلوم ، مجلة عالم الفكر (العدد الثالث / المجلد الخامس عشر) ص ٨٨١ .

(٤) د . همام عبدالرحيم سعيد : الفكر المنهجى عند المحدثين ، ص ١٥ - ١٦ ، كتاب الأمة (١٦) سلسلة تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية بقطر .

وليس لنا أن نلتمس تلك المنهجية الحقيقية إلا فى القرآن الكريم ، الذى يفصل بين مرحلتين من تاريخ المنهجية [1] :

١ - مرحلة الأسطورة والفكر المثالى المغرق فى الخيال ، والفكر الحسى الغارق فى الأوحال .

٢ - مرحلة الهدى ، وهى المنهجية الحقيقية .

ومن تلك المنهجية الأصولية الحقيقية استمدت جميع المناهج الإسلامية مبادئها وأصولها ، ووجدت لها تطبيقات فى شتى فروع المعرفة وميادين الفكر على اختلاف أنواعه ، و منها علم المقابلة بين الأديان .

وفى محاولتنا المتواضعة هذه ، سنحاول الكشف عن إسهامات واحد من أبرز الدعاة إلى المنهجية الأصولية القرآنية ، لنبرز مدى تضلعه من تلك المنهجية ، وقدر تأسيساته وإضافاته المنهجية فى حقل المقابلة بين الأديان .

واضعين نصب الأعين التحرر من قيود التبعية المعرفية لفكر أو جهة ، دون أن ننكر أن هذا الموضوع أكبر من أن تعالجه تلك الدراسة المختصرة ، والتى هى - فى حقيقة الأمر - مدخل لفحصٍ أشملَ يتطلب بحث كل الإنجازات الإبداعية لصاحبه ، وفق منهج تحليلى نقدى مقارن ، وهو ما يتطلب طاقات علمية على قدر من الثقة والرصانة والأصالة والموضوعية .

فهذا المجال يعتبر من أهم ما ينبغى أن يتجه إليه دارسو الفلسفة الإسلامية فى الوقت الحاضر ، لأن الكشف عن هذه المناهج - لدى مفكرى الإسلام - يعد أفضل مدخل للتراث الإسلامى فى جملته بالإضافة إلى قيمته التاريخية .

فهو الذى يوضح الخطوات التى اتبعها المفكرون والعلماء المسلمون فى مختلف أوجه النشاط التى مارسوها ، نظرية كانت أم تجريبية ، وإلى أى مدى كان استخدامهم لأسس المنهج العلمى فى البحث والدراسة ، ويوضح كذلك طريقتهم فى التثبت من صحة الحقائق والفروض ، وكيفية صياغتهم للقوانين العلمية والموازين الفكرية .

---

(١) د . همام عبدالرحيم سعيد : الفكر المنهجى عند المحدثين ، ص ١٦ ، كتاب الأمة (١٦) سلسلة تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية بقطر .

وسنحاول – إن شاء الله – أن نقف على الخطوات التى اتبعها ابن تيمية فى دراسته للنصرانية ، وإلى أى مدى استخدم أسس المنهج العلمى الرصين فى بحثه ودراسته ؟ وطريقته وأسلوبه فى تقرير الحقائق واستخلاص النتائج والتثبت من صحة فروضه ؟ وما هى الموازين الفكرية التى احتكم إليها وحكمها فى الدراسة ؟ ومدى التزامه بالموضوعية العلمية ؟ وأى الطرق سلك ؟ أسلك طريق الخطابة والوعظ ؟ أم الجدل والبرهان ؟ أم الاستدلال والإقناع ؟ أطريق العقل أم النقل ؟ أم جمع بين هذه الطرق جميعها ؟

وستكون هذه الدراسة – إن شاء الله – فى ثلاثة فصول :

١ – الفصل الأول : قواعد منهجه فى دراسة النصرانية .

٢ – الفصل الثانى : خصائص المنهج .

٣ – الفصل الثالث : تأثير منهجه السلفى عليه .

* * * * *

الفصل الأول
قواعـــد المنهـــج

لا شك أن اختلاف العلماء فى آرائهم يعود فى قدر كبير منه إلى اختلاف الطرق والمناهج التى يسلكونها والتى لا يتدخل شئ فى اختيارهم لها إلا طبيعة المشكلات التى يعالجونها والمادة العلمية التى توفرت لدراستها .

ومن ثم يقاس نجاح الباحث فى دراساته بأمرين :

أولهمـا : دقة تحديده لعناصر منهجه ووضوحها .

والثانية : اختيار المنهج المناسب لطبيعة البحث ، ومدى التزام الباحث به فى معالجة قضاياه ومسائله .

وقد خصصنا الخاتمة للوقوف على مدى توفيق الإمام ابن تيمية فى اختياره للمنهج الملائم لطبيعة البحث فى النصرانية ، أما غرضنا الآن فهو الوقوف على مفردات وعناصر منهجه فى دراسة النصرانية .

تلك العناصـر التى يقـوم عليها بناء منهجـه ، والتى اصطلح الباحثون على تسميتها بـ « قواعد المنهج » ، والتى تحكم بأمور أربعة تشكل مضمون المنهج وهى :

- طريقة الفهم .
- طريقة التناول .
- طريقة المناقشة والحوار والجدل .
- طريقة تأسيس الأحكام .

وبعد البحث والاسـتقراء تبين أن العناصـر الأساسـية التى يقوم عليها منهج الإمام ابن تيمية فى دراسة النصرانية خمسة عناصر رئيسة ، انفرع عن كل منها عدد من القواعد الفرعية ، وهذه العناصر هى :

١ – النقل :

يطلق الدليل النقلى – لدى الإمام ابن تيمية – على الأدلة المأخوذة من الكتاب والسنة نصاً لا تأويلاً ، والتى تضمنت بيان ما يحتاج إليه المسلم من معرفة بأصول الدين وفروعه والاستدلال عليها (١) .

---

(١) د . محمد السيد الجليند : نظرية المنطق ، ص ١٩١ .

وحجية الدليل النقلي – لديه – قد امتازت في حقل الجدل مع غير المسلمين إلى جانب كونها خبراً عن المعصوم ، بميزات عديدة منها [1] :

١ – الصدق والموضوعية ، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ – الشمول ، إذ تضمن حديثه عن النصرانية : العقائد والكتب والشرائع .

٣ – الدلالات العقلية المتضمنة فيه ، والتي بها يعرف العدل والقياس الصحيح ، ويستدل بها على المطالب الدينية .

٤ – أنه دليل جزئي معين يدل على جزئي متعين ، ودلالة الجزئي على الجزئي لابد فيه أن يكون عينُ الدليل يلزم عنه عينُ المدلول وهذا عين اليقين في كل برهان ، إذ يكون العلم – فيه – بعين الدليل موجب العلم بعين المدلول .

ويشترك في حجية الدليل النقلي – لدى الإمام – ما ثبتت صحة نقله من كلام الأنبياء – عليهم السلام – ، لأن الأنبياء كلهم : « دينهم واحد ، وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم ، وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم ، وكذلك التكذيب والمعصية لا يجوز أن يكذب نبي نبياً ، بل إن عرفه صدقه وإلا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقاً ، وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته » [2] .

كذلك فإن كلام الأنبياء – صلوات الله عليهم أجمعين – لا يكون إلا حقاً وصدقاً ولا تعارض بينه وبين ما يصل إليه العقل السليم ولا يكون فيه شئ يعلم بطلانه بصريح العقل ، فالأنبياء : « معصومون لا يقولون على الله إلا الحق ولا ينقلون عنه إلا الصدق ، فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول كان كاذباً ، بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح أو ذلك المنقول ليس بصحيح ، فما علم يقيناً أنهم أخبروا به يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه ، وما علم يقيناً أن العقل حكم به ، يمتنع أن يكون في

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٧ – ٢٨) .
– الرد على المنطقيين ، ص ٣٨٢ .
– معارج الوصول ، ص ٦ ، ٨ .
وانظر : نظرية المنطق ، ص ١٩٢ ، ١٩٧ .
(٢) معارج الوصول ، ص ٢١ .

أخبارهم ما يناقضه »[1] .

ويؤكد الإمام أنه قد تحقق بنفسه من صحة تلك القاعدة التى أقام عليها منهجه ، وذلك بعد استقصاء وبحث طويل ، فيقول:

« المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ، وقد تأملت ذلك فى عامة ما تنازع الناس فيه ، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع .

وهذا تأملته فى مسائل الأصول الكبار ، كمسائل : التوحيد ، والصفات ، ومسائل القدر ، والنبوات ، والمعاد ، وغير ذلك ... ، ووجدت ما يعلم بصريح العقل ما يخالفه سمع قط »[2] .

وقد كانت هذه القضية شُغْلَ ابن تيمية الشاغل ، فنافح عنها بإصرار لا يلين ، وتوالت تأكيداته واستدلالاته على صحتها ، ولم يكتف بذلك بل ألف أهم كتبه المنهجية على الإطلاق « درء تعارض العقل والنقل » لإرساء دعائم تلك الفكرة .

وينطلق الإمام من اتفاق الأنبياء فيما يخبرون به عن الله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وغير ذلك ...، ليقرر أن القرآن والتوراة : « هما كتابان جاءا من عند الله ، لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما [3] ، كل منهما أصل مستقل ، والذى فيهما دين واحد ، وكل منهما يتضمن إثبات صفات الله – تعالى – والأمر بعبادته وحده لا شريك له ، ففيه التوحيد قولاً وعملاً كما فى سورتى : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ ، و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

وأما الزبور فإن داود لم يأت بشريعة غير شريعة التوراة ، فإن ما فى الزبور ثناء على الله ، ودعاء ، وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً .

(١) الجواب الصحيح (١٣٦/٣) ، وانظر : (١٢٢/٢) .
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/١) ، وانظر : (١٣٣/١) ، (٢٥٨/٥ ، ٢٦١) .
(٣) ينصرف كلام ابن تيمية فى ذلك إما إلى التوراة الأصلية التى أنزلها الله وإما إلى عموم التوراة ، لكن لا يجب أن يفهم منه – بحال من الأحوال – مدحه وإقراره للتوراة الحالية بكل جزئياتها وتفصيلاتها ، إذ سيتبين من خلال الصفحات التالية ، ومن آرائه فى الإنجيل ، ومن دراسته النقدية للكتاب المقدس والتى سنعرض لها فى خاتمة البحث : أنه يثبت وقوع التحريف والتبديل فى أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد .

وأما المسيح فإنه قال : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) فأحل لهم بعض المحرمات ، وهو فى الأكثر متبع لشريعة التوراة ، ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من أن يقرأ التوراة ويتبع ما فيها ، إذ كان الإنجيل تبعاً لها (٢) » .

ويقول الإمام موضحاً أهمية الدليل النقلى كأبرز عناصر منهجه فى دراسة النصرانية « ونحن - ولله الحمد والمنة - نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية ، فلا حجة لهم فى شئ منها بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم ، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ، ومن المعقول ، فهو حجة عليهم ، ويظهر منه فساد قولهم ، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية والموازين التى هى مقاييس عقلية » (٣) .

وقد انبنى على ذلك الأصل الرئيسى من أصول المنهج التيمى عدد من القواعد الفرعية التى دارت حوله وارتبطت به ، والتى يمكن إجمالها فيما يأتى :

(أ) لا حجة فى نقلٍ إلا بعد إثبات نبوة المنقول عنه :

فجميع ما يحتج النصارى به من نصوص التوراة والإنجيل وكلام الأنبياء - عليهم السلام - إنما تكون الحجة فيه علمية برهانية إذا أقاموا الدليل على نبوة من احتجوا بكلامه ، بأن يبينوا إمكان النبوة ، ثم يبينوا وقوعها فى الشخص المنقول عنه بالطرق التى يستدل بها على نبوة النبى (٤) .

لذلك يرفض الإمام قبول استدلال النصارى - فى جدالهم مع المسلمين - على صحة شئ من دينهم بكلام أحد من الأنبياء دون إقامة الدليل على نبوته ، وعلى أنها مقدمات يسلمها المسلمون لهم وهذا لا يصح - لديه - للاعتبارات التالية (٥) :

أولاً : أن فيمن ذكروه من الأنبياء من لم يثبت - عند المسلمين - أنه نبى معصوم كميخا وعاموص .

---

(١) آل عمران : (٥٠) .
(٢) معارج الوصول ، ص ٢٠ .
(٣) الجواب الصحيح (١/ ٢٠ - ٢١) ، وانظر : (١/ ٢٣ ، ٢/ ١٣٤) .
(٤) السابق ، (٣/ ٢٥٨) .
(٥) السابق ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

ثانياً: أن من ثبتت – عند المسلمين – نبوته كموسى وعيسى وداود وسليمان ، لم يثبت – لديهم أن هؤلاء الأنبياء قالوا جميع ما يذكره النصارى من أقوال .

ثالثاً: أن جمهور المسلمين لا يعلمون نبوة أحد من الأنبياء قبل محمد ﷺ إلا بإخبار محمد ﷺ بنبوتهم ، فلا يمكن للمسلمين التصديق بنبوة أحد من هؤلاء الأنبياء إلا مع التصديق بنبوته ﷺ .

رابعاً: أن المسلمين لم يصدقوا بنبوة موسى وعيسى – عليهما السلام – إلا مع إخبارهما بنبوة محمد ﷺ ، فإن سلم النصارى أنهما أخبرا بنبوته ﷺ ثبتت نبوته ونبوتهما ، وإن جحدوا ذلك جحد المسلمون نبوة من يدعى النصارى أنهما : موسى وعيسى اللذان لم يخبرا بنبوة محمد ﷺ .

خامساً: أن المسلمين وكلُّ عاقل يمتنع – بعد النظر التام – أن يقر بنبوة موسى وعيسى دون محمد – صلوات الله عليهم أجمعين – ، إذ كانت نبوته أكمل ، وطرق معرفتها أتم وأكثر ، فما من دليل يُستدل به على نبوة غيره إلا وهو على نبوته ﷺ أدَلُّ وأظْهَرُ ، لذا لزم من يجحد نبوته ﷺ جَحْدُ نبوة غيره بطريق الأولى .

وقد أفاض الإمام ابن تيمية فى استخلاص براهين ودلائل نبوة محمد ﷺ بالطرق المتعددة ، مما سنعرض له فى الدراسة التطبيقية لمنهجه ، وليكون بذلك أول من يقرن بين إثبات النبوة وبين الرد على غير المسلمين من أهل الكتاب .

* * * * *

(ب) الاحتجاج على النصارى بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ :

ذلك أن المسلمين يقرون بنبوة موسى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم من الأنبياء - عليهم صلوات الله أجمعين - ، وأصل دين الإسلام يقوم على وجوب الإيمان بكل نبي ورسول بعثه الله وبكل كتاب أنزله على أحد من خلقه [1] لقوله - تعالى - :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَإِسْمَاعِيلَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَيَعْقُوبَ ، وَالأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى ، وَعِيسَى ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [2] .

وقوله - تعالى - ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [3] .

كما أن مخاطبة النصارى ، وإقامة الحجة عليهم بما في كتبهم ألزم لهم ، وأبين في الحجة ، وأقوم في البرهان [4] .

لذلك نراه قد أفاض في الاستدلال بنصوص الأناجيل الصارمة في إثبات التوحيد ونفي التثليث ، وذلك عندما عرض لتفنيد التثليث وإبطاله من خلال كتب النصارى [5] .

---

(١) الجواب الصحيح (٣٣/١) .

(٢) البقرة : (١٣٦) .

(٣) البقرة : (٢٨٥) .

(٤) نقض المنطق ، ص ٩١ .

(٥) الجواب الصحيح (٩٧/٢ ، ٩٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ٢١٨) .

(جـ) الاعتصام بألفاظ الأنبياء – فى مسائل الألوهية – نفياً وإثباتاً :

يوضح الإمام ذلك النهج الذى يسميه طريق الاعتصام : بأن الألفاظ التى لم تنطق فيها الرسل بنفى ولا إثبات ، يجب ألا تطلق نفياً أو إثباتاً إلا بعد بيان المراد منها (١) .

فمن أراد بما أثبت معنى صحيحاً فقد أصاب فى المعنى وإن كان فى اللفظ خطأ ، ومن أراد بما نفاه معنى صحيحاً فقد أصاب فى المعنى وإن كان فى لفظه خطأ .

وأما من أثبت بلفظه حقاً و باطلاً ، أو نفى بلفظه حقاً و باطلاً ، فكلاهما مصيب فيما عناه من الحق ، مخطئ فيما عناه من الباطل ، قد لبس الحق بالباطل ، وجمع فى كلامه حقاً وباطلاً (٢) .

ويبطل الإمام بذلك الاعتصام مقولات النصارى فى الاتحاد والحلول وما اقتضاه من القول باللاهوت والناسوت والأقانيم ، فيقول :

« إن قولهم بالأقانيم مع بطلانه فى العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب ، ولم يوجد هذا اللفظ فى شئ من كتب الأنبياء التى بأيديهم ولا فى كلام الحواريين » (٣) .

ويقول عن التجسد : « قولهم فى تجسد اللاهوت أيضاً هو مع بطلانه فى العقل والشرع لا يدل عليه شئ من كلام المعصومين من النبيين والمرسلين » (٤) .

ويقول فى نص جامع عن إبطال طريق الاعتصام بكلام الأنبياء لمذهب النصارى : « لا يوجد فى كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم الآب والمراد به اللاهوت ، ولا إطلاق اسم الابن والمراد به شئ من اللاهوت ، ولا كلمته ، ولا حياته ، بل لا يوجد لفظ الابن إلا والمراد به المخلوق ، فلا يكون لفظ الابن إلا لابنٍ مخلوقٍ ، وحينئذ فيلزم من ذلك أن يكون مسمى الابن فى حق المسيح هو الناسوت ، وهذا يبطل قولهم : إن الابن وروح القدس صفتان لله ، وأن المسيح اسم اللاهوت والناسوت ، فتبين أن نصوص كتب الأنبياء تبطل مذهب النصارى » (٥) .

---

(١) الجواب الصحيح (٨٤/٣) .

(٢) السابق .

(٣) السابق (١٠٠/٢) ، وانظر : (٩٥/٢ – ٩٦ – ١١٥) .

(٤) السابق (١٠١/٢) .

(٥) السابق (١٢٣/٢) .

(د) تفسير نصوص الأناجيل بما يدل عليه ظاهر اللفظ ، وبما يوافق سائر ألفاظ الكتب التى عند النصارى ، وبما يوافق القرآن والعقل ، بعيداً عن التكلف والتأويل الذى هو صرف الكلام عن ظاهره إلي ما يخالف ظاهره (١) .

يقول الإمام مبيناً شروط التأويل المقبول لديه : « يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ، ويؤخذ من كلامه هاهنا وهاهنا ، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به ، وتعرف المعانى التى عرف أنه أرادها فى موضع آخر ، فإذا عُرِفَ عرفه وعادته فى معانيه وألفاظه كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده ، وأما إذا استعمل لفظه فى معنى لم تجر عادته باستعماله فيه ، وترك استعماله فى المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه ، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ ، كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه ، وتبديلاً لمقاصده ، وكذباً عليه ، فهذا أصل من ضل ، فى تأويل كلام الأنبياء على غير مرادهم » (٢) .

وكما يحدد النص السابق بوضوح شروط التأويل المقبول عند ابن تيمية ، فإنه يظهر - بجلاء أيضاً - أنواع التأويل الباطل الذي يرده الإمام ، ويتمثل فى : (٣)

١ - كل تأويل لم يحتمله اللفظ فى أصل وضعه ، وكما جرت به عادة الخطاب .

٢ - كل تأويل لم يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص له ، وإن جاز أن يحتمله اللفظ فى تركيب آخر .

٣ - كل تأويل لا يحتمله السياق المعين ، وإن جاز فى غيره .

٤ - كل تأويل لم يُؤْلَفْ استعمال اللفظ فى المعنى المرادِ إقرارُه بذلك التأويل ، وإن كان مألوفا كاصطلاح خاص .

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٩٩) .

(٢) السابق (٢/٢٨٨) .

(٣) انظر أيضاً فى بيان ابن تيمية لصور تأويلات النصارى التى يرفضها :
الجواب الصحيح (١/٢٨ ، ١٣٢ ، ٣١٧ ، ٢/٩٩ ، ٣٤٣) ، وتتفق أنواع التأويل النصرانى التى يرفضها الإمام مع أنواع التأويل المرفوضة لديه على وجه العموم ، والتى استنبطها أستاذنا الدكتور / محمد السيد الجليند من نصوص أخرى غير التى نعتمد عليها ، وذلك فى دراسته القيمة حول قضية التأويل عند ابن تيمية فانظر له : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص ١٥٢ ، مكتبة عكاز - السعودية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٥ - التأويل الذى لا دليل عليه من سياق أو قرينة ، لأنه بخلاف مقصود المتكلم الذى يريد من خطابه هدى الناس ، والبيانَ لهم .

ولا يفتأ الإمام يؤكد خطورة التأويل الباطل ، لما يلزم عنه من محالات ولوازم باطلة منها : [١]

١ - أن يكون الرسل قد تركوا الناس فى ذلك بدون بيان للحق الواجب اتباعه .

٢ - أن يكون الرسل قد تكلموا بما ظاهره خلاف الحق .

٣ - الطعن فى وظيفة الكتب السماوية التى هى تبيان وهدى ورحمة .

٤ - الطعن فى وظيفة الرسل التى هى البلاغ ، واتهامهم بالتقصير فى البيان والإعلام .

وبالإضافة إلي تلك المحالات واللوازم الباطلة التى يقود إليها التأويل الباطل ، فإن ثمة أضراراً أخرى تلحق المؤولةَ أنفسَهم ، فتؤدى بهم إلى الضلال ومخالفة كتب الله ورسله ، يقول الإمام :

« ومما ينبغى أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالية عُبَّادِ الشيعة وغيرهم ، ثلاثة أشياء :

أحدهما : ألفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء تمسكوا بها ، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة ، فَهُمْ كلما سمعوا لفظا فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم ، وإن لم يكن دليلاً على ذلك ، والألفاظ الصـريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها ، وإما أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال ، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين » [٢] .

ويبطل ابن تيمية - وفق منهجه فى التأويل - استدلال النصارى على التثليث بقول الإنجيل : « عمدوا الناس باسم : الآب والابن والروح القدس » [٣] . فيقول : (إن صحت

---

(١) الدكتور : محمد السيد الجليند ، قضية التأويل ، ص ١٥٧ .
(٢) الجواب الصحيح (١/٣١٦ - ٣١٧) .
(٣) متى (١٩/٢٨ - ٢٠) .

هذه العبارة عن المسيح المعصوم- عليه السلام - فإنه أراد بذلك ما يناسب سائر كلامه ، وفى الموجود من كتبهم تسمية الرب أباً ، وتسمية عباده أبناء ، كما يذكرون أنه قال فى التوراة ليعقوب « أنت ابنى بكرى » ، وقال لداود « أنت ابنى وحبيبى » ، وفى الإنجيل فى غير موضع يقول المسيح : « أبى وأبيكم » ، ويقول : « إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » فيسميه أباً لهم ، كما يسميهم أبناء له .

فإن كان هذا صحيحاً فالمراد بذلك أنه الرب المربى الرحيم فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، والابن هو المربَّى المرحوم ، فإن تربية الله لعبده أكمل من تربية الوالدة لولدها ، فيكون المراد بالآب الربَّ ، والمراد بالابن عنده المسيح الذى رباه .

وأما روح القدس فهى لفظة موجودة فى غير موضع من الكتب التى عندهم ، وليس المراد بها حياة الله باتفاقهم ، بل روح القدس عندهم تحل فى إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء الصالحين ، والقرآن يشهد أن الله أيد المسيح بروح القدس ، كما قال - تعالى - [١] : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [٢] .

ويمضى الإمام موضحًا تفسيره المنهجى الصحيح لأهم دعائم النصارى فى التثليث بما يقوض تلك الدعامة : « وإذا كان روح القدس معروفاً فى كلام الأنبياء المتقدمين والمتأخرين أنه أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحى عباده سواء كان ملائكة تنزل بالوحى والنصر ، أو وحياً وتأييداً مع الملك ، ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به ، فإن قال : (عمدوا الناس باسم الآب والابن وروح القدس) ، فمراده : مروا الناس أن يؤمنوا بالله ، ونبيه الذى أرسله ، وبالملك الذى أنزل عليه الوحى الذى جاء به ، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان : بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله . وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول » [٣] .

---

(٣) البقرة : (٨٧) .

(٤) الجواب الصحيح (٢/٩٧) .

(٣) السابق (٢/٩٨) .

٢ - العقل :

وهو - لدى الإمام - أحد أسس اليقين الممنوحة للإنسان من أجل الوصول إلى بناء عقيدة صحيحة ، لذلك أقام ابن تيمية منهجه الفكرى على أساسين رئيسين هما : العقل والنقل[١] .

ويمتاز العقل عن بقية الأسس الأخرى بأنه القاسم المشترك بينهما[٢] :

(أ) فهو يشترك من ناحية مع الحواس فى ميدان التجربة ، ليقف على جهة التلازم بين الظواهر والأسباب ، المؤدى إلى بناء القواعد العامة ، وأيضاً فهو وسيلة التمييز للحس الباطن أو الظاهر بين المحسوس وغيره ، حتى لا يدخل عليه من الغلط من جنس ما يدخل على النائم وغيره ممن يحكم بمجرد الحس .

(ب) ومن ناحية أخرى يقوم العقل باستنباط الأدلة والبراهين التى تشير إليها النصوص الدينية ، وكذلك يعتبر هو الوسيلة الوحيدة لتمحيص القضايا المتواترة ومعرفة الصحيح منها والباطل .

ويقصد الإمام ابن تيمية بالأدلة والبراهين التى يفرزها العقل ويمتاز بها عن بقية وسائل اليقين والمعرفة الأخرى : « المعقول الصريح الذى يعرفه الناس بفطرتهم التى فطروا عليها ، من غير أن يتلقاه بعضهم عن بعض ، كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين »[٣] .

وهذه المعقولات عنده[٤] : « هى التى ذم الله مَنْ خالفها بقوله - تعالى - :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[٥] .

ومقياس صحة هذه الأدلة العقلية يرتبط - لديه - بموافقته للأدلة النقلية الصحيحة ،

---

(١) د . محمد السيد الجليند : نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان ، ص ٢٢٠ ، مطبعة التقدم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

(٢) الجواب الصحيح (٣/٨١ ، ١٣٤ - ١٣٥) ، وانظر : نظرية المنطق ، ص ٢١٧ .

(٣) السابق (٣/١٣٣) .

(٤) السابق .

(٥) الملك : (١٠) .

فالحق لا ينقض بعضه بعضاً ، بل يصدق بعضه بعضاً بخلاف الباطل فإنه مختلف متناقض [1] .

فما عُلِمَ - عنده - بالمعقول الصريح لا يخالفه قط خبر صحيح ولا حس صحيح ، وكذلك ما عُلم بالحس الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول وكذلك ما علم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حس [2] .

وقد جعل ابن تيمية العقل دعامته الثانية من دعائم وعناصر منهجه فى دراسة النصرانية ، فهو يقول موضحاً عناصر منهجه ودعائمه :

« ونبين - إن شاء الله تعالي - أن ما عليه النصارى من التثليث والاتحاد لم يدل عليه شئ من كتب الله ، لا الإنجيل ولا غيره ، بل دلت على نقيض ذلك ، ولا دل على ذلك عقل ، بل العقل الصريح مع نصوص الأنبياء يدل على نقيض ذلك ، وكذلك عامة شرائعهم » [3] .

ومن ثم فقد كان الإمام يتلقى تقرير الشرع للمسائل ثم يقيم على صحته الأدلة والبراهين مبتكراً أو مضيفاً إلى أدلة الوحى ما يفتح الله عليه به ، وسيتضح ذلك جلياً فى مناقشاته للتثليث والصلب .

ولما كان الإمام يرفض اعتبار المعقولات أو الأدلة العقلية التى يختلف فى الاتفاق عليها العقلاء ، ويتنازع فى قبولها النظار ، كالقول بوجود الكليات قائمة بنفسها فى الخارج ، أو بتماثل الأجسام وبقاء الأعراض ، أو بتركب الأجسام من الجواهر المنفردة التى لا تقبل القسمة ، لما كان يرفض اعتبارها أساسًا تنبنى عليه علوم البشر ، ويجب لأجله رد الحس والسمع [4] فقد انفرعت عن هذه الدعامة من دعامات منهجه قاعدة جزئية هى :

** رد الاستدلال بغير المعقول :

فيفرق الإمام بين ما يَعلم العقلُ بطلانَه وامتناعَه ، وبين ما يَعجُز العقلُ عن تصوره

---

(١) الجواب الصحيح (٣/١٣٣) ، وانظر : نظرية المنطق ، ص ٢١٨ .

(٢) السابق (٣/١٣٣) .

(٣) السابق (١/٢٣) ، وانظر (١/٢٠ - ٢١ ، ٢/١٣٤) .

(٤) السابق (٣/١٣٣ - ١٣٤) .

ومعرفته ، فالأول لا يقول به إلا كاذب ، والتسليم به يعنى القول بالمتناقضات كالقول بأن الشئ يكون أبيض وأسود فى حال واحدة وأنه بعينه يكون فى مكانين ، وأنه يكون موجوداً معدوماً فى حال واحدة .

وأقوال النصارى فى الحلول والاتحاد والولادة والبنوة واللاهوتية والناسوتية لو سلم الإنسان بها ، لأنها على حد قولهم « أمور فوق العقل » لكانت من هذا النوع من المتناقضات [1] .

ويسأل الإمام من يزعم من النصارى أن قولهم [2] « فوق العقل » :

« أنت تتصور ما تقول أم لا تتصوره ولا تفهمه ولا تعقله ؟ فإن قال : لا أتصور ما أقول ، ولا أفقهه ، ولا أعقله ، فقد قال على الله ما لا يعلم وذلك من أعظم القبائح المحرمة فى الشرائع .

وإن قال : إنى أفقه ما أقول ، وأتصوره ، وأعقله ، قيل له : بَيِّنْهُ لغيرك حتى يفقهه ، ويعقله ويتصوره ، ولا تقل هذا فوق العقل لأنك عقلته وفهمته » [3] .

ويرى أن التسليم بمقالات النصارى بحجة أنها فوق طور العقل يؤدى إلى أمور كلها باطلة :

١ - يوجب عدم البحث فى شئ من الإلهيات بالعقل .

٢ - يفتح الباب أمام كل مُبطل ليقول ما يشاء من الباطل ، ويعتذر عن عدم قدرته على الاحتجاج له والاستدلال عليه ، بأنه فوق العقل أو وراء طوره [4] .

٣ - الاحتجاج بكلام من ليس قوله حجة ، إذ لا يحتج إلا بنقل ثابت عن الأنبياء ، أو ما يعلم بالعقل [5] .

٤ - التصديق بأمور يمتنع أن يخبر الأنبياء بها ، لأن الأنبياء يخبرون بمحارات

---

(١) الجواب الصحيح (١٣٠/٣) .
(٢) أى قولهم بالتثليث والحلول والإتحاد لا يستطيع العقل إدراكه أو فهمه .
(٣) الجواب الصحيح (١٣١/٣) ، وانظر : (١٣٢/٣ ، ١٣٧) .
(٤) السابق (١٣١/٣) ، وانظر : (١٣٢/٣ ، ١٣٧) .
(٥) السابق (٢٧٥/٢) .

العقول لا بمحالات العقول [1] .

ويجدر بنا أن نسجل حقيقة تقوم حائلاً دون بلوغ دعوى بعض المُحْدَثين وزعمهم (جمود أعلام المدرسة السلفية ونصيّتهم) أبعد من مرمى حناجرهم ، ألا وهى اعتداد الإمام ابن تيمية الشديد بالعقل ووضعه فى محله اللائق به ، فلم يكن ممن يتلقى الآراء ويتبعها من غير دليل ، بل تراه : « ينعى أشد النعى على الذين يتبعون الأقوال دون معرفة أدلتها ووجه الحق فيها ، إذا كانوا قادرين على الاستدلال و وَزْنِ الأدلة » [2] .

فاشتراط الدليل - عنده - موقف عظيم فى باب البرهان ، جعل هذا الإمام السلفى : « ما كان يجمد فِكْرَهُ تقليدٌ أو اتباع من غير استدلال وتمحيص » [3] .

وإنا لنعجب أشد العجب من أولئك الذين يزعمون مخاصمة الإمام للعقل أو جموده عند نصوص الشرع !! إذ كيف لمثله أن يخاصم العقل وهو الذى يقرر أن : « أصول الدين الحق الذى أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله ، وهى الأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك ، قد بينها الرسول أحسن بيان ، وأنه دل الناس وهداهم إلى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الإلهية ، وبها يعلمون إثبات ربوبية الله ، ووحدانيته ، وصفاته ، وصدق رسوله ، وغير ذلك مما يحتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية ، بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية وإن كان لا يحتاج إليها ، فإن كثيراً من الأمور يعرف بالخبر الصادق ، ومع هذا فالرسول بيَّنَ الأدلة العقلية الدالة عليها ، فجمع بين الطريقين : السمعى والعقلى » !!؟ [4] .

وكيف يتسنى لهم ذلك الادعاء ، وابن تيمية هو الذى يعيب على الذين : « يستدلون بالقرآن من أخباره لا من جهة دلالته ، فلا يذكرون ما فيه من الأدلة على إثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد ، وأنه قد بيَّن الأدلة العقلية الدالة على ذلك » !!؟ [5] .

وها هُوَ ذا يسحب الهواء من أشرعتهم ، ويخوض غمار مجال من أدق وأظهر مجالات

---

(1) الجواب الصحيح (٣/١٣٦) .
(2) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ٢٢٦ .
(3) السابق ، ص ٢١٨ .
(4) معارج الوصول ، ص ٥ - ٦ .
(5) السابق ، ص ٦ .

الجدل والحجاج والنظر ، ألا وهو مجال مقارنة الأديان والجدل الدينى مع غير المسلمين ، متخذاً من العقل دعامة أساسية وسنداً وركيزة فى مواجهة المخالفين ، مما يقوم دليلاً وشاهداً جديداً على بطلان تلك المزاعم المغرضة .

* * * * *

٣ - الإسلام هو الدين الموثِّقُ لغيره من الشرائع والأديان :

من خلال نصوص وتعاليم الوحى الإسلامى تتقرر أصول وحقائق وتشريعات الأمم الغابرة والرسالات السابقة ، لأن الإسلام - باعتباره الحلقة الأخيرة فى سلسلة التشريعات السماوية - قد ورث أهم ما في الدعوات السابقة ، وأضاف إليه ما تحتاجه البشرية ، يقول - تعالى- ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً ، وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى ﴾ [١] .

فجمع الإسلام بذلك بين حنيفية إبراهيم ، ودعوة نوح ، وشريعة موسى ، ورسالة عيسى - عليهم صلوات الله أجمعين - وبذلك يصبح الإسلام هو الدين الوحيد الذى تضمن أصول وتعاليم الرسالات السابقة له ، فمنه تُعرف صحة الموجود منها ، وبه يكتمل النقص فيها ، وعلى ضوء حقائقه وتفسيراته يستبين الغامض منها ويفسر المشكل مما تضمنته ، يقول - تعالى - : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ [٢] ، ويقول - تعالى - أيضاً - مخاطباً أهل الكتاب : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [٣] .

ورغم وضوح النصوص القرآنية فى التأكيد على أهمية هذا الأصل المنهجى فى دراسة الأديان وبيان أصولها ، إلا أن هذا الأصل يعتبر جديداً على حقل الجدل الدينى ومقارنة الأديان ، إذ يُعَدّ الإمام ابن تيمية أول من تنبه - فيما أعلم - إلى ذلك الأصل الأصيل من أصول المنهج القرآنى فى دراسة الأديان .

فقد نزع علماء الجدل الدينى مع أهل الكتاب إلى إقصاء الأدلة القرآنية ونصوص الوحى الإسلامية عن ساحة المجادلات والمناظرات ، بدعوى أن المخالفين لا يسلمون - معنا - بحجية تلك النصوص .

فشرع ابن تيمية يُرْسِى دعائم ذلك الأصل الجديد على حقل الجدل الدينى ومقارنة الأديان ، منطلقاً فى ذلك من أن :

---

(١) الشورى : (١٣) .
(٢) المائـدة : (١٥) .
(٣) المائـدة : (١٩) .

(أ) الإسلام هو الطريق الوحيد الذى تثبت من خلاله نبوة الأنبياء والرسل المتقدمين ، وكذلك صحة رسالاتهم ، فالمسلمون قد عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد ﷺ عنهم[1] .

(ب) القرآن الكريم – وهو دستور الإسلام العظيم – قد « اشتمل علي جميع ما فى كتب الأنبياء السابقين من المحاسن ، وعلى زيادات كثيرة لا توجد فى تلك الكتب ، ولهذا كان مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها ، يقرر ما فيها من الحق ، ويبطل ما حُرِّفَ منها ، وينسخ ما نسخه الله ، فيقر الدين الحق ، ويبطل الدين المبدَّلَ الذى لم يكن فيها » [2] .

(جـ) الله – تبارك وتعالى – « يبين فى القرآن ما خالفوا (أهل الكتاب) به الأنبياء ويذمهم على ذلك » [3] .

وحجية القرآن فى مواجهة المخالفين تتقرر – لدى ابن تيمية – بعجز البشر عن الإتيان بمثله ، ذلك العجز الذى يقطع بكونه من عند الله [4] فإذا ثبت كونه من عند الله فالله ﴿ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾ [5] ، وهو الذى ﴿ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ [6] .

وبالإضافة إلى اعتماد ابن تيمية غير المحدد على نصوص الوحى الإسلامية فى دراسته للنصرانية للفرقان بين الحق والباطل فيها ، فإن أبرز مثال لذلك هو رأيه فى الإنجيل والذى جاء تفصيلاً لمجمل تقرير الوحى ، كما سنرى عند عرضنا للجانب التطبيقى من منهجه .

---

(١) الجواب الصحيح (١/١٦٦ – ١٦٧ ، ١٧٦) .

(٢) معارج الوصول ، ص ٢٠ .

(٣) السابق ، ص ٢٣ .

(٤) انظر وجوه الإعجاز القرآنى – لديه – فى الباب الثالث ، عند الحديث عن دلائل النبوة .

(٥) يونس : (٣٥) .

(٦) الأنفال : (٧) .

٤ – تأسيس اليقين فى المعرفة كمقدمة ضرورية لبناء اليقين فى الاعتقاد [١] :

وهذا الأصل ينبغى لفت النظر إليه لأهميته فى يقين المسلم المعاصر ، لأنه ما من قضية عَقَدية ساقها القرآن الكريم إلا قَرَنَهَا بدليل صدقها ، وبرهان يقينها القطعى فى دلالته ، فقد اهتم القرآن ببناء اليقين لدى المسلم فى المعرفة والاعتقاد ، وجعل اليقين فى المعرفة مقدمةً ضرورية لبناء اليقين فى الاعتقاد [٢] .

وقد تتعلق هذه المعرفة بوجود شخص ، كمعرفتنا أن عيسى رسول الله ، وأنه أُرْسِلَ إلى بنى إسرائيل ، أو تتعلق بخبر مروى كمعرفتنا بقول المسيح – عليه السلام – : « هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك أنت الله الحق وحدك ، والذى أرسلته يسوع المسيح » [٣] ، أو تتعلق بفعل أو حدث كمعرفتنا بدعوة المسيح لبنى إسرائيل فقط ، وبإحيائه الموتى وشفائه المرضى بإذن الله .

وقد وضع الإمام ابن تيمية أساساً لبناء اليقين فى معرفة الأنبياء السابقين ممن خاطبوا الناس بأنهم رسل الله ، كما فعل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، ونحوهما من الأنبياء الصادقين – صلوات الله عليهم أجمعين – وكما فعل مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسى ، ونحوهما من المتنبئين الكاذبين ، وينبنى هذا الأساس على أصلين [٤] :

أحدهما : أن يعرف ما يقوله فى خبره ، وأمره ، فيعرف ما يُخْبِرُ به ويأمر به ، وهل قال : إنه رسول الله إلى جميع الناس ؟

أم قال : إنه لم يُرْسَل إلا إلى طائفة معينة لا إلى غيرها .

الثانى : أن نعرف هل هو صادق أم كاذب .

وبهذين الأصلين يتم لديه : « الإيمان المفصل ، وهو معرفة صدق الرسول ، ومعرفة ما جاء به ، وأما الإيمان المجمل فيحصل بالأول ، وهو معرفة صدقه فيما جاء به ، كإيماننا

---

(١) اقتبسنا صياغة ذلك الأصل من كتاب أستاذنا الدكتور محمد الجليند (نظرية المنطق ، ص١٤٢) .
(٢) نظرية المنطق ، ص ١٤٢ .
(٣) يوحنا (٣/١٧) .
(٤) الجواب الصحيح (٢٨/١ – ٢٩) .

بالرسل المتقدمة ، وقد يعلم صدقه أو كذبه قبل أن يعلم ما يذكره ، وقد يعلم ما يذكره قبل أن يعلم صدقه أو كذبه » .

وقد أتاح ذلك الأصل المنهجى – فى بناء اليقين المعرفى كمقدمة ضرورية لبناء اليقين في الاعتقاد – لابن تيمية أن يقف على أمرين لهما أهميتهما البالغة ، وهما :

١ – رد قول من لم تثبت نبوته ، ممن زعم النصارى نبوته .

٢ – رد كل خبر لم تثبت صحته ، عمن ثبتت من الأنبياء نبوته .

وقد شكل مجموع الأمرين مضمون قاعدة منهجية انفرعت عن هذا الأصل وبنيت عليه ، وهى :

* * * * *

** التوثيق العلمى :

ويعني به ابن تيمية : أن : « ما أخبرونا به عن الأنبياء إنْ علمنا صدقهم فيه صدقناهم فيه ، وإن علمنا كذبهم فيه كذبناهم فيه ، وإن لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه »(١) .

ومن ثم فقد توفر الإمام على وضع المقدمات الضرورية اللازمة لارتقاء ما يخبر ويستدل به النصارى عن الأنبياء – من آيات ونصوص – إلى درجة الصحة المطلوبة فى الدليل النقلى كى يبلغ مرتبة الحجة والاستدلال العلمى البرهانى .

وتمثلت هذه المقدمات الضرورية اللازم توافرها فى إخبار النصارى عن الأنبياء السابقين فى خمس مقدمات هى : (٢)

١ – إثبات نبوة من يحتجون بكلامه ، بالطرق التى يستدل بها على نبوة النبى .

٢ – صحة النص المنقول ، وسلامته فى نفسه .

٣ – اتصال السند .

٤ – دقة الترجمة من لسان المنقول عنه إلى اللغات الأخرى .

٥ – دلالة النص علىٰ المعنى المراد الاستدلال عليه .

وما من شك فى أن روح التوثيق العلمى التى استغرفت الإمامَ ابنَ تيمية مرجعُها كونُه حافظاً عظيم الشأن ، راسخ القدم ، طويل الباع فى فنون الحديث ، ومتونه ، ومناهج علمائه فى سبيل الوصول إلى الآثار الصحيحة ، تلك المناهج التى تتسم بالدقة والصرامة ، والقواعد المنهجية التى وضعها المحدِّثون ، وشكلت علماً مستقلاً انفردت به الأمة الإسلامية هو « علم الجرح والتعديل » .

ومن المعلوم أن السماع والرواية هما الطريق الذى نُقلت من خلاله نصوص كتب الأنبياء السابقين ، لذلك فمن الطبيعى أن يتجه اهتمام الباحث فى نصوصهم إلى التحقق من صدق الرواة وسلامة الأخبار فى نفسها .

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٥٠) .

(٢) السابق (١/٣٥) ، (٢/٤٩ – ٥٠ ، ٧٠ – ٧١ ، ١٢٢) ، (٣/٢٥٨ ، ٢٦٤) .

٥ – تناول النصرانية فى مقامين أو على مستويين : (١)

أحدهما : تبديل دين المسيح .

الثـانى : تكذيب محمد ﷺ .

ويعد هذا الأصل من أهم أصول المنهج التيمى فى دراسة النصرانية إذ يمثل طريقة الإمام فى الجدل والرد على النصارى ، بالإضافة لكونه خطة لدراسته للنصرانية ، كما أشار إلى ذلك بقوله :

« والنصارى نذمهم على الغلو والشرك الذى ابتدعوه ، وعلى تكذيب الرسول ﷺ » (٢)

وبهذا الأصل – كذلك – يمكننا أن نضيف إلى عناصر تفرد الإمام عن سابقيه – ممن عرضوا للمقابلة بين الأديان – عنصراً جديداً يقوم دليلاً على ريادته ، وابتكارِه ، وأصالةِ وجدّةِ منهجه فى هذا المجال (٣) .

* * * * *

---

(١) معارج الوصول ، ص ٢٣ .

ـ مجموع الفتاوى (١٩/١٨٨) .

ـ الجواب الصحيح (١/٢٣ ، ١٢٦ – ١٢٧ ، ٣٦٠ – ٣٦١ ، ٣٨٠) .

(٢) معارج الوصول ، ص ٢٣ .

(٣) قد يجمع أحد المصنفين فى حقل الجدل الدينى مع النصارى بين الرد عليهم ، وبين إثبات نبوة محمد ﷺ كما فعل القرطبى صاحب الإعلام – مثلاً – لكنهم لا يربطون بين المقامين ذلك الربط المحكم الذى يتناول الإمام ابن تيمية النصرانية فى إطاره كما أن أياً منهم لم يتنبه إلى ذلك الإطار الذى يجمع فيه بين المقامين لذلك تجد أمثال هذه الكتب مفتقدة إلى الترابط الذى يجمع فصولها ، حتى ليستطيع المرء أن يفصل بين القسم الذى يخص الرد على النصارى ، وبين القسم الذى يتصدى لإثبات النبوة ، دون أن يخل ذلك بهدف المؤلف أو الكتاب .

المستوى الأول : تبديل دين المسيح :

وفيه يتناول الإمام ويذم دين النصارى الباطل المبتدع ، الذى ابتدعوه بعد المسيح - عليه السلام - وغيَّروا به دينه ، فَضَلَّ منهم من عدل عن شريعة المسيح إلى ما ابتدعوه من التثليث ، والقول بالأقانيم ، وألوهية المسيح ، واستحلال الخنزير ، وتعطيل الختان ، والصلاة إلى المشرق ، واتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وتعظيم الصليب ، واستحداث الرهبانية ، وصوم الربيع ، وسن الأعياد ، ووضع الأمانة وكتب القوانين المخالفة لكتب الأنبياء [1] .

وقد حقق له تناول النصرانية فى ذلك المقام إمكانية استيعاب معظم قضايا النصرانية سواء فى مجال : العقائد ، أو الشرائع ، أو الكتب مما ابتدعوه وخالفوا به الأنبياء ، لذلك نراه يعيب على كثير من المصنفين فى حقل الجدل الدينى مع أهل الكتاب ، لأنهم : « لا يردون على أهل الكتاب إلا ما يقولون إنه يعلم بالعقل : مثل تثليث النصارى ، ومثل تكذيب محمد ﷺ ، ولا يناظرونهم فى غير هذا من أصول الدين ، وهذا تقصير منهم ومخالفة لطريق القرآن ، فإن الله يبين فى القرآن ما خالفوا به الأنبياء ، ويذمهم على ذلك ، والقرآن مملوء من ذلك ، إذ كان الكفر والإيمان يتعلق بالرسالة والنبوة ، فإذا تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم » [2] .

وقد ارتبطت بهذا المستوى ثلاث قواعد فرعية ، بيانها كالتالى :

---

(١) سندرس الجانب التطبيقى لمنهجه فى الباب الثالث - إن شاء الله - وسنقف فيه على آرائه فى مظاهر تبديل دين المسيح تفصيلاً .

(٢) معارج الوصول ، ص ٢٣ .

- مجموع الفتاوى (١٨٨/١٩) .

(أ) التركيز على أصول النصرانية ، وما يُجْمِعُ عليه أكثر النصارى :

ويعلل الإمام لذلك النهج الذى اتبعه ، بأن النصارى :

١ - يتفقون جميعاً على عقيدة إيمان واحدة هى الأمانة المقدسة (١) .

٢ - مضطربون وخلافاتهم كثيرة ، فيرد كل منهم ما يقوله الآخر ويقول هو قولاً يكون مردوداً ، فتكون أقوالهم كلها مردودة وذلك لاشتراكهم فى أصل فاسد يستلزم أحد أمور كلها باطلة وأى شئ يؤخذ من تلك اللوازم يكون باطلاً ، ولا بد له منها ، فيأخذ هذا بعض اللوازم فيرده الآخر ، ويأخذ الآخر لازماً آخر فيرده الآخر ، وهذا شأن جميع المقالات الباطلة (٢) .

إذ تؤمن كل طائفة من طوائفهم المشهورة بالأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس ، فتقول: إن الله ثالث ثلاثة ، وتقول عن المسيح : إنه الله ، وتقول : إنه ابن الله ، فهم متفقون على عقيدة إيمانهم التى تتضمن ذلك (٣) ، وعلى هذا الأساس رفض الإمام أقوال المفسرين لقوله - تعالي - : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ (٤) ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ ﴾ (٥) ، وقوله - تعالى - : ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (٦) ، والتى تنسب كلَّ قول من هذه الأقوال لإحدى طوائف النصارى ، وذهب إلى أن هذه الأقوال المحكية جميعاً هى قول كل طائفة من طوائف النصارى فالجميع يقولون بها (٧) .

لذلك اهتم الإمام بمناقشة قضايا النصرانية الأساسية دون الوقوف عند خلافات الفرق والطوائف التى عدها خلافات صورية حول الأقانيم والطبائع ويعد ذلك إدراكاً منه ووعياً بحقيقة النصرانية وجوهرها ، ولا أظن - فيما أعلم - أحداً سبقه إلى هذا الإدراك

---

(١) الجواب الصحيح (١/١٧١) .
(٢) السابق (٢/٢٦٧) .
(٣) السابق (١/١٧٠) .
(٤) المائدة : (٧٣) .
(٥) النساء : (١٧١) .
(٦) التوبة : (٣٠) .
(٧) الجواب الصحيح (١/١٧٠ - ١٧١) .

كم كان ابن تيمية موفقاً فى ذلك النهج ، وعدم الانسياق وراء خلافات طوائف وفرق النصارى التى لا تنتهى ، والتى أحسن الجاحظُ تصويرَها فى قوله : « ولو جهدت بكل جهدك ، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم فى المسيح لما قدرت عليه ، حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم فى الألوهية . وكيف تقدر على ذلك ، وأنت لو خلوت ونصرانى نسطورى ، فسألته عن قولهم فى المسيح لقال قولاً ، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطورى مثله ، فسألته عن قولهم فى المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده ، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان » (١) .

فلا شك أن الانسياق وراء تلك الخلافات كان سيؤدى به إلى استنفاد الجهد فيما لا طائل من ورائه ، كما أنه قد ينأى به عن الدقة فى الوقوف على حقيقة النصرانية إذ : « كل صنف منهم - أو من غيرهم فى مقالاتهم - يحكى أقوالاً غير الأقوال التى حكاها الآخرون » (٢) .

* * * * *

(١) الجاحظ : الرد على النصارى ، ص ٩٥ ، بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى .
(٢) الجواب الصحيح (١٧٩/٣) .

(ب) الاعتماد على كتب النصارى فى تقرير دينهم :

ويهدف الإمام من وراء ذلك النهج إلى تحقيق عدة أغراض :

أولها : تجنب مغالطات النصارى ، وتمويهاتهم ، وكذب دعاويهم ، وتلفيقاتهم فى مناظراتهم ومناقشاتهم ، وإظهارهم خلاف ما يعتقدون ، كإثباتهم فى الأمانة ثلاثة جواهر ، وثلاثة آلهة ، وقولهم فى المناظرات بإله واحد وجوهر واحد ، يقول ابن تيمية :

« إن أمانتكم التى وضعها أكابركم بحضرة قسطنطين وهى عقيدة إيمانكم التى جعلتموها أصل دينكم تناقض ما تدعونه من أن الإله واحد ، وتبين أنكم تقولون لمن يناظركم خلاف ما تعتقدونه ، وهذان أمران معروفان فى دينكم : تناقضكم ، وإظهاركم في المناظرة خلاف ما تقولونه من أصل إيمانكم »[1] .

الثانى : مخاطبتهم ، وإقامة الحجة عليهم بما في كتبهم مما يقرون به ويؤمنون ، حتى إذا سمع ذلك العالم المنصف منهم كان من أبين الحجة وأقوم البرهان .[2]

الثالث : الاحتراز من الأخطاء الناجمة عن متابعة مصنفى الملل والنحل فيما ينقلونه من مقالات لا يتثبتون من صحتها ، كما قد يتعذر عليهم الوقوف على حقيقتها [3] .

وقد كان التزام الإمام بذلك النهج التزاماً صارماً ، تدل عليه - بوضوح - نصوص الأمانة التى أوردها كاملة مرتين [4] ، ثم تعددت نصوصها فى الاستدلال على نفى أو تأكيد ما يذهب إليه من آراء [5] ، كما يؤكده ذلك الحيز الكبير الذى شغلته نصوص كتاب تاريخ ابن البطريق والرد عليها ، والذى استغرق مائة وعشرين صفحة من موسوعته « الجواب الصحيح »[6] .

---

(١) الجواب الصحيح (١١٦/٢) .

(٢) نقض المنطق ، ص ٩١ .

(٣) انظر : ص ٥١ .

(٤) الجواب الصحيح (١١٥/١ ، ١١٦/٢) .

(٥) السابق (١٢٠/٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩) ، (١٤١/٣ - ١٤٢) .

(٦) السابق (٥/٣ - ١٢٥) .

(جـ) النقد الداخلى لأدلة النصارى على صحة دينهم :

ينطلق الإمام فى ذلك من أن جميع ما يحتج به النصارى هو حجة عليهم لا لهم ، شأنهم فى ذلك شأن جميع أهل الضلال ، إذا احتجوا بشئ من كتب الله وكلام أنبيائه كان فى نفس ما يحتجون به ما يدل على فساد قولهم ، وذلك لعظمة كتب الله المنزلة ومانطق به أنبياؤه ، فإنه جعل ذلك هدى وبياناً للخلق ، وشفاء لما فى الصدور ، فلا بد أن يكون فى كلامهم من الهدي والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل والصدق والكذب[1] .

ويقول الإمام مقرراً ذلك النهج : « ونحن – ولله الحمد والمنة – نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن ، أو من الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية فلا حجة لهم فى شئ منها ، بل الكتب كلها مع القرآن والعقل ، حجة عليهم لا لهم بل عامة ما يحتجون به : من نصوص الأنبياء ، ومن المعقول ، فهو نفسه حجة عليهم ، ويظهر منه فساد قولهم ، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية ، والموازين التى هي مقاييس عقلية »[2] .

وقد تجلى ذلك النهج واضحاً فى تفنيده لعقيدتى التثليث والصلب ، ودحضه لاستدلالاتهم السمعية والعقلية ، وسنقف على تفاصيل ذلك فى الباب الثالث ، وكذلك فى نظراته النقدية للكتاب المقدس ، والتى أكدت الدراسات الحديثة دقتها فضلاً عن صوابها ، وسنجلى ذلك فى خاتمة البحث إن شاء الله .

* * * * *

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٢٨٧) .

(٢) السابق (١/٢٠) .

المستوى الثانى : تكذيب محمد ﷺ :

ويعتبر الإمام كفر النصارى بتكذيبه ﷺ أعظم من كفر اليهود بتكذيب المسيح ، لأن المسيح لم ينسخ من شرع التوراة إلا قليلاً وسائر شرعه إحالة على التوراة ، كما أن عامة دين النصارى أحدثوه بعد المسيح ، فلم يكن فى مجرد تكذيب اليهود له من مخالفة شرع الله ما فى تكذيب النصارى لمحمد ﷺ الذى جاء بكتاب مستقل من عند الله ، لم يُحِلْ فى شئ من شرعه على شرع غيره .

وتشمل دراسةُ الإمام فى هذا المقام : الردُّ على دعاوى النصارى فى تكذيبه ﷺ وتفنيدها ، وإثباتَ نبوتهِ ﷺ بالدلائل اليقينية والأدلة البرهانية .

وقد بُنِيَتْ على هذا المقام قاعدة مضمونها كالتالى :

* * * * *

** رفض احتجاج النصارى – على صحة دينهم – بشئ من القرآن :

فهو يرى أن احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد ﷺ لا يصح بوجه من الوجوه[1] :

فإنه إن كان رسولاً صادقاً في كل ما يخبر به عن الله – عز وجل – فقد عَلِمَ كل واحد أنه جاء بما يخالف دين النصارى ، فيلزم أن يكون دين النصارى باطلاً .

وإن قالوا فى كلمة واحدة مما جاء به إنها باطلة ، لزم ألا يكون عندهم رسولاً صادقاً ، وكانوا مكذبين له – بذلك – فى قوله : إنه رسول الله ، وإنه بلغ هذا القرآن عن الله ، ومن كان كاذباً فى قوله : إنه رسول الله ، لم يكن من الأنبياء والمرسلين ومن لم يكن منهم لم يكن قوله حجة البتة .

فإن عُرِفَتْ صحة ما يقوله بدليل منفصل قُبِلَ القولُ ، لا لأنه قاله ، ولكن لأن صدقه قد عُرف من غير جهته ، وإن لم تُعرف صحةُ ذلك القول لم يقبل .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (١/٣٨ – ٣٩) .

الفصل الثاني
خصائص المنهج

بعد أن وقفْنا على العناصر والأصول التي يقوم عليهامنهج ابن تيمية ، والتي شكلت مجموع الأسس والقواعد التي سنعرف - فيما بعد - مدى التزامه بمراعاتها في دراسته للنصرانية والتي تُعَدُّ كذلك ركائز البنيان المنهجي الذي يختلُّ باستبعاد إحداها .

علينا أن ننظر إلى مجموعة الخصائص والسمات التي تُمَيِّز ذلك البناء المنهجي ، والتي تُمَثِّل - لدى كثير من الباحثين - عنوانات أَخَّاذة لمناهج البحث ، فترى المختصين - مثلاً - يقسِّمون المناهج إلى : منهج نقدي ، ومنهج تحليلي ، ومنهج مقارن .

ذلك التقسيم الذي يوحي ظاهرياً - بوجود حدود فاصلة بين مجال كل منهج من تلك المناهج ، والأمر - في الحقيقة - على العكس من ذلك ، فالمناهج رغم هذا التمايز الظاهري « تنتهي إلى نوع من الوحدة فإن رواءها جميعها وحدة العقل الإنساني » (1) .

وعلي ذلك فقد جاء منهج الإمام ابن تيمية متميزاً بمجموعة من الخصائص والسمات المنهجية التي يُعَدُّ كل منها - بحسب التقسيم السابق - واحداً من المناهج المستقلة بذاتها ، لكننا نعتبر تلك السمات والخصائص المنهجية جميعها بتكاملها وترابطها ، تشكل - فقط - أهم ما يميز عناصر البناء المنهجي لدراسة الإمام ابن تيمية للنصرانية .

وفيما يلي سنتناول ما رصدناه من تلك الخصائص :

---

(1) الدكتور السيد رزق الحجر : أسس البحث العلمي بين المنهج وطبيعة الروح العلمية ، ص ٧٤ ، مكتبة الزهراء ، بدون ترقيم ، وانظر : حول ترابط المناهج وتداخلها .

- المنطق الحديث ومناهج البحث ، الدكتور محمود قاسم ، ص ٣٠٦ ، دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٠م .
- مناهج البحث العلمي ، الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ص ١٣ .

أولاً: الأصوليّة (١)

وهى تلك المنهج الذى اختطّه علماء الإسلام فى تكوين مرجعيتهم وثقافتهم ومعارفهم ، وبناء تصوراتهم ، وصياغة أفكارهم ، وطرح تفسيراتهم الكون والوجود والحياة ، وتأصيل نظريات المعرفة ، وضبط قواعد وأسس التفكير ، ووضع طرق ووسائل الاستدلال والنظر وَفْق الأصول الشرعية الكلية ، لتأخذ الصفة الدينية المستمدةَ من عقيدة التوحيد ، وهو الميزان الذى تُوزن به كل المنطلقات والتوجُّهات ، وتُضْبط به كل التصورات ، وتُحكَم به المعتقدات والمذاهب والفلسفات جميعها ، مهما تعددت مصادرها ومنابعها ، وتنوعت مناهجها ووسائلها ، واختلفت معطياتها ومفاهيمها ، وتباينت أهدافها وغاياتها .

وهو – كذلك – مجموع القوانين التى تحفظ قدسية الوحى وعصمة الرسالة من فقدان المعالم ودرس الآثار ، لتظل الرؤية المهيمنة على العقل المسلم هى رؤية الوحى وإشعاع النبوة ، ويظل الزمام الذى يتمسك به العقل المسلم هو زمام الرسالة الخاتمة .

وهذا النهج هو الضامن لاستمرارية الوحى بالجهد البشرى ، إذ الغاية منه جعل الهيمنة على حياة الإنسان للوحى ، وكذلك صبغها بالصبغة الشرعية فى جميع أركانها

---

(١) الأصولية – لغة – مصدر صناعى من الأصول جمع أصل « يدل على الارتباط والعودة إلى هذه الأصول والالتزام بها » . وقد دأب الإعلام الغربى على إطلاق هذا المصطلح على حركة الصحوة الإسلامية المعاصرة ، ترجمة المصطلح الأوربى Fundamentalism والذى يعنى العودة إلى ظلمات العصور الوسطى النصرانية وإرهاب الكنيسة الذى مارسته قروناً باسم الدين ، ونصوص الكتب المقدسة وعصمة البابوات .

انظر فى معنى المصطلح : قاموس المورد ، ص ٣٧٣ ، الطبعة الرابعة عشر ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٨٠م .

ولن يدفعنا ذلك الإرهاب والتزوير الفكرى إلى شطب المصطلح من معجم اصطلاحات مشروعنا الحضارى الإسلامى العظيم ، تحقيقاً لأهداف السطو الإعلامى الأوربى ، فى إقصاء وتشويه المفاهيم والمسمّيات الإسلامية الخالصة ، كما حدث – مثلاً – لاصطلاح « السلفية » الذى أصبح بفعل التراجع أمام ضغط الغزو الفكرى كياناً من الرجعية والجمود ، وتجدر بالأمة تنحيته من ساحتها .

بل يدعونا إلى المضى قُدُماً بعزم لا يلين – صوب الكشف عن حقيقة وجوهر ذلك المصطلح وإبراز محاسنه وقيمته الفكرية والعلمية وأصالته الإسلامية واختصاص الأمة بفضائله ، وإن اختص الآخرون – فى حالة التزامه – برذائله ، فذلك هو الفرقان بين العودة لأصول شرعها الرحمن ، وبين الردة إلى أصول ابتدعها الشيطان .

وعناصرها ومتطلباتها ومقتضياتها وشؤونها ، لتحمل أعباء الأمانة ، والاضطلاع بمهمة الخلافة فى الأرض .

فَيُعَدُّ هذا المنهج - إذن - هو السياج الذى أقامه علماء الإسلام للحفاظ على جوهر الإسلام من الذوبان ، وعلى الذات الإسلامية من التحلُّل وعلى الشخصية الإسلامية من التلاشى فى محيط التيارات الأجنبية والغربية عن أصولها وبيئتها (١) .

ولا شك أن الأصولية هى السمة المميزة والخاصية البارزة والصفة الجلية لمنهج ابن تيمية ، بل هى أخصُّ خصائصه وأبرز سماته وأوضح معالمه ، إذْ آمن بهذا النهج إيماناً راسخاً لا يزول ، والتزمه فى كل دراساته وتصوراته وما صدر عنه من آراء .

فهو لا يرى المُعتمَد فى الدين كله أصوله وفروعه ، أخلاقه وشرائعه علمه وعمله ، ظاهره وباطنه ، إلا على الكتاب والسنة .

وهذا واضح جلىٌّ فى كل كُتُبه ورسائله ، وما عليك إلا مطالعة أى كتاب كَتَبه ، أو أية رسالة خطَّها حتى تتحقق من صدق ذلك (٢) .

---

(١) راجع فى معنى الأصولية وماهيتها ومضمونها :

- الإمام حسن البنا : مجموعة الرسائل ، ص ١٦ ، ٨٤ ، طبع المؤسسة الإسلامية ، بيروت ، بدون ترقيم .

- الشيخ سيد قطب : خصائص التصور الإسلامى ومقوماته ، ص ٥ - ٢١ ، الطبعة التاسعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، دار الشروق .

وله أيضاً : معالم الطريق ، ص ٩٢ - ٩٨ ، ١٣٥ - ١٤٨ ، الطبعة (١١) ، نفس العام والدار .

- الدكتور محسن عبد الحميد : المذهبية الإسلامية ، ص ٣٩ - ٥١ ، كتاب الأمة (٦) ، الطبعة الثانية .

- الدكتور عمادالدين خليل : حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، ص ٤٨ - ٦٧ ، كتاب الأمة (٤) .

- فتحى يكن : ماذا يعنى انتمائى للإسلام ، ص ١٠٩ - ١١٦ ، ١٤٨ ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

إسلامية المعرفة ، سلسلة إسلامية المعرفة (١) ، ص ٧٨ - ٨٠ ، تصدر عن المعهد العالمى للفكر الإسلامى .

- محمد أمزيان : منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، رسالة ماجستير بدار العلوم ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

(٢) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

- د . محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، سلسلة أعلام العرب (٥) .

- د . مصطفى حلمى : قواعد المنهج السلفى ، ص ٢٠٣ .

ذلك بأنه يرى أن الرسول قد بيّن الدين كله أصوله وفروعه ، وأن الاعتصام بذلك الاعتقاد أوْلى الأوْليَّات علماً وعملاً ، فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان(١) .

ويرى أن الوحى قد أمدّنا بتقريرات وبيِّنات عن الذات الإلهية وصفاتها ومسائل التوحيد والنبوات واليوم الآخر والإنسان وبدء خلقه ومصيره وموقفه من الكون ، والأمم السابقة ومواقفهم من أنبيائهم ، وعن حقائق عالم الغيب كالملائكة والجن ، إلى غير ذلك من الموضوعات التى خاض فيها الخائضون فى الماضى ، وستظل مثار التساؤل والبحث فى ميدان الفكر الإنسانى (٢) .

وتظهر هيمنة الأصولية على المنهج التَّيْمِىِّ فى دراسة النصرانية فى :

١ - أهم قواعده المنهجية لتناول النصرانية فى مقامين :

أ - تبديل دين المسيح .

ب - تكذيب محمد ﷺ .

فهو ينطلق من بيان الوحى المحمدى لطبيعة رسالة المسيح وأصولها التوحيدية التى تصطدم بمجموعة العقائد والتشريعات والأيديولوجيات المسيحية الحالية ، ثم يأخذ فى نقد تلك المعتقدات وتفنيدها ، وبيان مخالفتها للدين الصحيح ومقتضيات العقل الصريح ، وذلك وفق التصريح القرآنى بِذَمِّ النصارى لمخالفتهم شرائع الأنبياء .

وكذلك الأمر بالنسبة لعموم الوحى المحمدى وشمول رسالة الإسلام وعالميتها فينطلق من ذلك مُدَعِّماً بالتقرير القرآنى للبشارة بمحمد ﷺ فى التوراة والإنجيل ، لإلزام النصارى

بعموم رسالته واختصاصهم بها وتفنيد دعاواهم بشأنها ، والنَّصِّ على مواضع إخبار كتبهم بسمات وصفات النبى المنتظر خاتم الأنبياء والرسل ، وبيان كفر من خالفه ومات على غير دعوته .

٢ - ترسيخه لقاعدة « الإسلام هو الدين الموثِّق لغيره من الأديان » فهذا أصل من

---

(١) ابن تيمية : نقض المنطق ، ص ٤٨ .

- معارج الوصول إلى معرفة أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ، ص ٣ .

(٢) د . مصطفى حلمى : قواعد المنهج السلفى ، ص ١٧٣ .

أصول الدين الإسلامى ، لعدم وجود كتاب فى العالم يقرر طبيعة رسالات الأنبياء وحقيقتها بالدقة والوضوح الذى يقررها به القرآن الكريم بالإضافة إلى أن القرآن هو النص الوحيد الموثوق بصحة نقله وتواتره بشهادة علماء النصارى أنفسهم كما سنعرض لذلك بالتفصيل فى خاتمة البحث إن شاء الله .

٣ - تقديمه الشرع على العقل مطلقاً ، وقصره الاحتجاج على النقل الثابت عن الأنبياء أو ما تُعلم صحته بالعقول الصريحة »(١) .

وتظهر هيمنة الأصولية - كذلك - على منهجه فى دراسة النصرانية بجلاء تام فى آرائه إزاء قضايا النصرانية فهو ينطلق فى دراسة تلك القضايا من تقرير الوحى لها ثم يجتهد فى إثبات صحة أو بطلان تلك القضايا بالأدلة العقلية الصحيحة ، يظهر هذا فى موقفه من : التثليث ، الصلب ، مسائل الشريعة والعبادات فى النصرانية ، وكذلك فى الأناجيل ، حتى أن رأيه فى الأناجيل يعتبر تفصيلاً لرأى الوحى فيها ، وسنرى ذلك فى موضعه .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٢/٢٧٥) .

ثانياً : المقارنة

وهو منهج يسلك سبيل الربط بين الموضوعات المتعددة ، لاستخلاص أوجه الشبه أو الخلاف بينها ، والخروج من ذلك بحكم عام تدعمه نتائج العملية [1] .

ويُعتبر النهج المقارِن من أبرز خصائص منهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية فهو يعتمد فى مجال إبراز سمو الإسلام ومحاسن شرائعه وفضائل تعاليمه ، ورقى علومه ، على المقارنة والمقابلة بين ما لدى الملل والأمم والفرق والمذاهب فى المسائل الخلافية ، لبيان عناصر المشابهة ووجوه الخلاف ، ونقاط الالتقاء أو الافتراق ، بين هؤلاء الفرقاء وبين الإسلام ، ومن ثَمَّ الإعلام بمناقب الإسلام ومواطن ضعف وتهافت النصرانية .

وقد حظيت اليهودية والنصرانية بأوفر قسط من هذه المقابلات مع الإسلام وذلك للاعتبارات التالية :

١ - أن المسلمين لا يشك أحد من الأمم أنهم أعظم الأمم عقولاً وأفهاماً وأتمُّهم معرفةً وبياناً ، وأفضلُهم ديانةً ، وأحسنُهم قصداً وتَحَرِّياً للصدق والعدل ، ولم يحصل فى النوع الإنسانى أمة أكمل منهم ولا ناموس أكمل من الناموس الذى جاء به نبيهم محمد ﷺ وقد جمع الله لهم جميع طرق المعارف الإنسانية وأنواعها [2] .

٢ - أن اليهودية والنصرانية رسالتان سماويتا الأصل ، نالتا فى كتاب الإسلام ودستوره العظيم قدراً كبيراً من الاحترام والتكريم والتوقير لرسوليهما ، وقدراً وافياً من التقرير والشرح ، والتصحيح لعقائدها وكتبها ، وسيلاً من النقد والتبكيت والذم لأتباعهما الذين أخرجوهما من دائرة الوحى الإلهى ومنارات الهدى والنور والإصلاح ، إلى طرق الأهواء والتصورات الفلسفية والأطروحات المادية الوضعية التى تناقض عقيدة التوحيد وتنزع إلى الشرك والوثنية وتشبيه المخلوق بالخالق .

٣ - امتياز أهل الكتاب عن غيرهم بما جاءهم من النبوة ، مع مشاركتهم لغيرهم فيما يشترك فيه الناس من العلوم الحسية والعقلية [3] .

---

(١) المعجم الفلسفى ، إعداد مجمع اللغة العربية ، ص ١٨٩ .

(٢) الجواب الصحيح (٢/٤ ، ٤/١٠٤) .

(٣) السابق (٣/٢٧٢ ، ٤/١٠١) .

٤ - أن من انحرف من المسلمين - فى الغالب - إما أن يميل إلى اليهود وإما إلى النصارى ، فَمَنْ فَسَدَ من علماء المسلمين ففيه شَبَه من اليهود الذين لا يعملون بما يعلمون من الحق ، ومن فسد من عُبَّادِنا ففيه شَبَه من النصارى الذين يعملون بلا علم لديهم [(١)] .

٥ - أن اليهود والنصارى أشد الناس كفراً بعدم اتباع شريعة محمد ﷺ الذى ثبت لديهم - جنس نبوته ، وبشّرت به كتبهم ، وأمرتهم رسلهم باتباعه وشريعته .

إلا أن الإمام لم يَقْصر دائرة مقارناته على اليهودية والنصرانية ، بل تعداها إلى المقارنة بين ما لدى الأمم الأخرى كاليونان والهنود والفرس والترك والبربر والصابئة [(٢)] .

كما أنه ضَمَّ الصوفية والشيعة وطائفة الفلاسفة إلى دائرة مقابلاته بين ما لديهم وبين ما لدى اليهود والنصارى من أهل الملل [(٣)] .

ولا شك أن تلك المقارنات والمقابلات قد أضفت على دراسة الإمام عمقاً وثراءً كبيرين ، أتاحا له رؤية نافذة ودراية كاملة بعقائد وتصورات هؤلاء الفرقاء ، مما مكّنه من الوقوف على جوانب الحق والباطل لدى كل منهم ، ووجوه خطأ وصواب كل طائفة ، وبذلك استطاع إبراز مناقب الإسلام وأعلامه ، وفى تصورى أن وقوف الإمام على أهم عوامل تبديل النصرانية ، والممثلة فى تأثير الوثنية ما كان له أن يحيط بدقائقه إلا بالاحتشاد لتلك المقارنات وبيان جوانب المشابهة والتماثل بين ما لدى كل فرقة وملّة وبين الفرق الأخرى .

كما أتاحت له تلك المقارنات تأصيل مواضع الإجماع والمسلّمات بين أهل الملل ، حتى تكون ألزم للنصارى فى الاحتجاج بها عليهم .

ومجال هذه المقارنات واسع جداً لدى الإمام ، يشمل : الكتب ، التوحيد ، الأنبياء ،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٥ .

(٢) الجواب الصحيح (٤/٩٧ - ١٠٠) (٤/١١٧ - ١١٨) (١/٢١٨) (٣/٢٧١ - ٢٧٢) ، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ١٧ .

(٣) الجواب الصحيح (١/١٨ - ١٩ ، ٣١٦ - ٣١٧) (٢/١٤٣ - ١٥١ ، ١٧٠) (٣/٧٣ - ٨٤ ، ١٩٩ - ٢٠٢ ، ٢١٠ - ٢١٨) (٤/٩٧ - ١٠٠ ، ١٠٩ - ١١٣) .

وانظر : منهاج السنة (١/٤ - ٨ ، ١٠١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٦٩ ، معارج الوصول ، ص ٢٢ .

والشرائع ، الحلال والحرام ، الأخلاق ، العلوم [1] .

ويهدف من وراء تلك المقارنات مع اليهود والنصارى إلى إثبات الوسطية الإسلامية بين الملل والشرائع ، يقول الإمام :

« ومن تدبَّر حال اليهود والنصارى مع المسلمين وجد اليهود والنصارى متقابلين ، هؤلاء فى طرف وهؤلاء فى طرف يقابله ، والمسلمون هم الوسط ، وذلك فى التوحيد والأنبياء والشرائع والحلال والحرام والأخلاق ، وغير ذلك » [2] .

وسنكتفى بعرض نموذج واحد لهذه المقارنات فى مجال التوحيد ، يقول الإمام :

« فاليهود يُشَبِّهون الخالق بالمخلوق فى صفات النقص المختصة بالمخلوق التى يجب تنزيه الرب - سبحانه - عنها ، كقول من قال منهم : إنه فقير ، وإنه تعب لما خلق السموات والأرض .

والنصارى يُشَبِّهون المخلوق بالخالق فى صفات الكمال المختصة بالخالق التى ليس له فيه مِثْل كقولهم إن المسيح هو الله وابن الله .

أما المسلمون فقد وصفوا الرب بما يستحقه من صفات الكمال ، ونزهوه عن النقص ، وأن يكون له مِثْل ، فوصفوه بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، مع علمهم أنه ليس كمثله شئ ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله [3] .

---

(١) راجع بالإضافة إلى المواضع السابقة :
- الرسالة القبرصية ، ص ٤٥ - ٥٢ .
- اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٣٣٥ - ٣٤٤ .
- الجواب الصحيح (٢٣٠/١ - ٢٣٩) (١٣/٢ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ١٢٥) (١٦٠/٣ ، ٢٥٥ - ٢٥٧) .

(٢) الجواب الصحيح (٥٢/٢) .

(٣) السابق (٥٢/٢ - ٥٣) .

ثالثاً : التحليل

التحليل كلمة تَرِدُ فى السياق الفلسفى ويُقْصَد بها بصفة عامة نفس المعنى الذى يتبادر إلى الذهن من استعمالها المألوف فى اللغة ، فهى تحمل معانى الحَلّ والتفتيت إلى العناصر والوحدات الأوَّلية [١] .

فالتحليل - إذن - عملية يراد بها اكتشاف عناصر موضوع مُعَيَّن من أجل غرض خاص ، ولئن كان هذا التحديد لمعنى الكلمة غير دقيق ، فشأنها - فى ذلك - شأن كلمات هامة كثيرة ليس عليها اتفاق حاسم بين من يستعملونها من المتخصصين [٢] .

إلا أن الاتجاهات الأساسية لمعنى التحليل تدور حول : [٣]

١ - تحليل المفهوم أو الفكرة عن طريق تطبيقاتها الجزئية لمعرفة المبدأ الكامن وراءها .

٢ - تحليل الإطارات التى تصبُّ فيها المعرفة الإنسانية كاللغة مثلاً .

والتحليل كمنهج يعتبر من ركائز العمل الفلسفى ، بل يذهب كثير من المناطقة إلى أنه عمل الفلسفة ، أو هو الفلسفة بأكملها ، من حيث إن الفلسفة ليست كالعلوم الأخرى ، إذ لا تقوم على أساس محاولة توسيع معارفنا ، بل على أساس نوع آخر من النشاط يوضح ما نعرفه من قبل ، ويسعى لحل المشكلات التى لا تنتج عن جهلنا بالواقع ، بقدر ما تنتج عن الخلط العقلى وسوء الفهم [٤] .

---

(١) راجع فى مفهوم التحليل والتحليلية :

ـ تاريخ الفلسفة الغربية : برتراند رسل ، الكتاب الثالث ، ص ٤٨٩ - ٤٩٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

- The new Encyclopaedia Britannica, 15 the edition, volume 1, University of Chicago, U. S. A. 1985, P.368-369.

ـ المعجم الفلسفى ، إعداد مجمع اللغة العربية ، ص ٤٠ .

- Baldwin F. M : Dictionary of Philosophy and psychology NewYorkm 1911, Analysis P.24.

(٢) الدكتور زكى نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ، ص ١٣ ، الطبعة الأولى ١٩٥٨م .

(٣) جلال أحمد عبد النبى : نظرية المنطق بين شيخ الإسلام ابن تيمية وفلاسفة الغرب ، رسالة ماجستير بدار العلوم ، ص ١١٩ .

(٤) الدكتور زكى نجيب محمود : نحو فلسفة علمية ، ص ١٤ .

وقد أخذ الإمام بالمنهج التحليلى فى مناقشة خصومه ، فلم يكن مِمَّن يَقْبل الرأى أو يرفضه بدون تمحيص ، أو لمجرد انتماء قائله إلى مِلَّة أو فرقة ما ، وإنما اختطَّ لنفسه منهجاً تحليلياً فى الدراسة والبحث .

فهو لا يقبل الرأى أو يرفضه إلا بعد أن يستوضح صاحبه : ماذا تريد بقولك هذا ؟ وهل له أصل فى النقل ؟ وهل تقره العقول الصريحة ؟ وماذا تعنى بهذا اللفظ المُجْمَل ؟ وهل هذا الدليل يُسْتدل به على مثل هذا المطلوب ؟ وهل هو دليل عقلى أم مجرد أوهام وظنون ؟ وهل تخالف مقدماته أصلاً نقلياً صحيحاً ؟ إذ لا بد أن يسلم الدليل من جميع الشبهات حتى يصحُّ الاستدلال به على المطلوب (1) .

وقد كانت هذه التساؤلات أول ما يطرحه الإمام عند مناقشة أية مسألة تخص النصارى ، لأنه يرى أن أسباب ضلالهم ترجع فى المقام الأول إلى التمسك باستعمال الألفاظ المجملة والمعانى المبهمة والأدلة التى لا يُسْتَدَلُّ بها على مثل مطلوبهم (2) .

كما أن الخلاف بينهم يرجع - فى نظره - إلى استعمال كل منهم للألفاظ بمعان غير التى يستعملها الآخرون ، فيدبُّ الخلاف بينهم ويقول كل منهم قولاً يكفِّر به الآخر ، وجميعهم مخطئون ، لاشتراكهم فى أصل واحد باطل فكل من يأخذ من ذلك الأصل فهو باطل أيضاً (3) .

* * * * *

(1) د . محمد السيد الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص ١٣٠ .
(2) الجواب الصحيح (١/٣١٧) .
(3) السابق (٢/٢٦٧) .

رابعاً : الموضوعيَّة

وهى إقصاء العوامل الذاتية والنزعات الشخصية والتوجهات الإيديولوجية التى تُشَكِّل مجموع القيم التى يدين بها الباحث ، وتسيطر على تفكيره وتكوينه الثقافى ، وتتحكم فى مجموع العمليات الفكرية والعقلية التى يقوم بها ، وتوجهه نحو هدف معين [١] .

ولما كانت هذه العوامل وثيقة الصلة ، شديدة الالتصاق ، عميقة التأثير فى نفس الإنسان ، الذى يصدر فى أحكامه المؤيدة والمعارضة وفق مشاعرها ، فقد ذهب بعض الباحثين إلى أن عدم تحقق الموضوعية أهم الانتقادات الموجهة للعلوم الإنسانية [٢] .

ويكشف هذا الانتقاد عن تعارض مزعوم بين الالتزام الإيديولوجى والمذهبى للباحث ، وبين الالتزام العلمى الذى يقتضى الحياد وعدم التحيّز والتجرد عن كل الأفكار التى تكونت عند الباحث قبل الدراسة العلمية وتقرير الحق من حيث هو حق بغض النظر عن انتماءاته المذهبية وقناعاته الفكرية .

مما دفع أحدَ الباحثين إلى نقض تعميم الفكرة والميل إلى نفى اضطراد التعارض بين الالتزام المذهبى والإيديولوجى ، والالتزام العلمى ، فالباحث يمكنه الجمع بين الاثنين ، بحيث يكون ملتزماً مذهبياً وإيديولوجياً ومع ذلك يكون علمياً موضوعياً [٣] .

خصوصاً إذا كانت تلك المذهبية تقوم على الإلزام والالتزام بين العلم والدين ، على نحو يجعل الهيمنة التامة على جميع مراحل وأنشطة العملية العلمية للبناء الخُلُقىّ المستمد من الوحى ، ويجعل من السعى نحو العلم والمعرفة والنظر والبحث والتأمل ضرباً من ضروب العبادة والقربى من الله .

فلنتأمل أسس تلك الموضوعية المنشودة فى المذهبية الإسلامية التى يمثل ابن تيمية أحد أبنائها ودعاتها المخلصين ، حيث يعطى القرآن الكريم – دستور الإسلام –

---

(١) الموسوعة الفلسفية العربية ، ص ٨٠٣ ، يصدرها معهد الإنماء العربى ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
ـ المعجم الفلسفى ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ١٩٧ .

(٢) الدكتور عزمى إسلام : فى فلسفة العلوم الإنسانية ، ص ٨٨٢ ، مقال بمجلة عالم الفكر التى تصدرها وزارة الإعلام بالكويت ، العدد الثالث ، المجلد الخامس عشر .

(٣) محمد أمزيان : منهج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية ، رسالة ماجستير بدار العلوم . ص ٣٨٦ .

توجيهاته وإرشاداته التى ينبغى أن يتحلى بها الباحث عن المعرفة اليقينية وفق أصول النظر العلمى الصحيح [1] :

١ - فلا ينبغى له أن يقول ما لا يَعْلم ، ويتفرع عن هذا الأصل ألا يَقْبل فى عقله أموراً لم يتحقق له صدقها ، حتى لا يُؤَسِّس اعتقاده على وهم أو خيال ، لقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [2]

فالآية تحذر من قبول المعارف - أياً كان نوعها - ما لم يقم دليل على صدقها .

٢ - ألا يُؤَسِّس حكمه على الظن أو يبنى اعتقاده عليه ، لأن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً ، كما أنه من أكذب الحديث . قال تعالى : ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ ﴾ .

٣ - أن يسلك طريق المشاهدة الصحيحة والملاحظة العلمية الدقيقة ، فهذا هو الطريق الصحيح للوصول إلى الحق .

٤ - لا يجوز له أن يؤسِّس الحكم على الأشياء تبعاً للهوى الشخصى ، أو تعصباً لرأى مسبق ، فقد يكون هواه مضاداً للحق الذى يبحث عنه قال - تعالى - : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ ﴾ [3] . وقال - تعالى - : ﴿ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ [4] .

٥ - أن يستمسك بما يصل إليه من الحق عن طريق المشاهدة الصحيحة والتفكير الصحيح . قال - تعالى- : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ [5]

٦ - ألا يستمر على رأيه إذا ظهر أنه خلاف الحق ، فالعودة إلى الحق فضيلة وهى خير من الإصرار على الباطل .

ويهتم القرآن الكريم بتقرير تلك الموضوعية فى الحوار مع أتباع الملل الأخرى على

---

(١) د . محمد عبد الله الشرقاوى : القرآن والكون ، ص ٢٠ ، مكتبة الزهراء ، بدون ترقيم .
د . محمد السيد الجليند : نظرية المنطق ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٢) الإسراء : (٣٦) .
(٣) القصص : (٥٠) .
(٤) سورة ص : (٢٦) .
(٥) الإسراء : (٣٦) .

وجه الخصوص ، يقول – تعالى – : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

فيدعوا للاحتكام فى الحوار والجدل إلى أسس موضوعية عادلة لا يختلف عليها اثنان لشدة إنصافها ووضوحها وعدالتها ، ويطالب بشدة التمسك بهذه الأسس والإصرار عليها ، حتى لو أعرض المخالف عن الاحتكام إليها (٢) .

وتقوم الموضوعية على أسس ثلاثة تشملها مراحل البحث الثلاث :

١ – العلم (قبل الدراسة) .

٢ – شمول الاستقراء والبحث (أثناء الدراسة) .

٣ – العدل والإنصاف فى الحكم (عقب الدراسة) .

وقد أدرك الإمام ابن تيمية أهمية تلك الأسس الثلاث لتحقيق الموضوعية وشَرَط على نفسه التزامها التام لا فى دراسته للنصرانية فقط بل فى كل دراساته وأبحاثه ، فالهدف النهائى من أى مناقشة أو دراسة يجريها الإمام هو إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وقد وضع معياراً ثابتاً لقياس مدى الاقتراب والابتعاد عن ذلك الحق ، هو صحيح المنقول عن الرسل وصريح المعقول عن غيرهم .

وعلى هذا الأساس قسَّم العالمين إلى أقسام ثلاثة تتفاوت بين الحق والباطل من حيث اعتصامها وتمسكها به وهو تقسيم لم يُسْبَق إليه (٣) .

١ – الفرقة الناجية ، وهم أهل السنة والجماعة .

٢ – الفرق المبتدعة الضالة وهم :

أ – أهل التأويل .

ب – أهل التخييل .

---

(١) آل عمران : (٦٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٧١/١) .

(٣) د . صبرى المتولى : منهج ابن تيمية فى تفسير القرآن الكريم ، ص ١٤٢ .

جـ - أهل التجهيل .

٣ - الأمم الكافرة المشركة ، وهم :

اليهود ، النصارى ، الجهمية ، الاتحادية ، كل من لا يؤمن بكتاب سماوى .

وسنتتبع - معاً - عناصر الموضوعية فى منهج الإمام فى دراسته للنصرانية :

١ - العِلْم :

لا شك أن سعة العلم وغزارته أبرز ما يميز الإمام ، وأهم ما أجمع عليه معاصروه ، فقد كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلّم فى التفسير فهو حامل رايته أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته أو ذاكر الحديث فهو صاحب علمه ودرايته ، أو حاضر بالملل والنحل ، لم تر أوسع من نحلته فى ذلك ، ولا أرفع من درايته (١) .

وبرز فى كل فَنٍّ على أبناء جنسه ، ولم تَرَ عينُ مَنْ رآه مثلَه ، ولا رأتْ عينُه مثل نفسه (٢) ، فكأنَّ سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء (٣) ، ألاَنَ الله له العلوم كما ألاَنَ الحديد لداود ، فكان إذا سئل عن فن من العلوم ظنَّ الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله (٤) .

وكان الإمام يحذِّر من يتصدى لنقد المذاهب دون قراءة واعية دقيقة فاحصة ، ذلك لأنه كان يرى أن نقد المذاهب قبل الوقوف على حقيقتها خبط فى ظلام دامس (٥) .

لهذا نراه يُلزم الداعى إلى الإسلام أن يكون عمله بعلم وفقه ، لأن العلم أمام العمل والعمل تابعه ، والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى (٦) .

كما يُلْزِم من يجادل أحداً من أهل الكتاب أن يكون جدله بعلم أيضاً ، فالله لا يأمر

---

(١) مرعى بن يوسف الكرمى الحنبلى : الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية ، ص ٢٦ - ٢٧.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩ .

(٢) السابق .

(٣) الشهادة الزكية ، ص ٢٩ .

(٤) السابق ، ص ٣٦ ، العقود الدرية ، ص ٧ .

(٥) محمد خليل هراس : ابن تيمية السلفى ، ص ٢٩ ، المطبعة اليوسفية ، الطبعة الأولى .

(٦) ابن تيمية : رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ١٧ .

المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلمها الخصم إن لم تكن علماً ، فلو قُدِّر أن الخصم قال باطلاً لم يأمر الله أن يحتج عليهم بالباطل ، لكن هذا قد يفعل لبيان فساد قول الخصم وتناقضه .

وقد ذمّ الله من يجادل بغير علم ، فقال – تعالى – : ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (١) .

فالقرآن مقصوده بيان الحق والدعوة إليه ، وليس المقصود ما تناقض فيه الخصوم من الأقوال لتسجيل الخطأ عليهم (٢) .

ويفسِّر الحكمة فى قوله – تعالى – : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (٣) ، وهى أحد وسائل الدعوة إلى الإسلام ، يفسرها بالعلم (٤) .

كما أن القول على الله بغير علم ، هو من أعظم الحرمات – لدى الإمام – باتفاق أهل الملل (٥) ، لقوله – تعالى – : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً ، وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦) .

وقال – تعالى – لأهل الكتاب : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ ﴾ (٧) .

---

(١) آل عمران : (٦٦) .
(٢) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص ٤٦٨ .
 ـ معارج الوصول ، ص ٩ .
(٣) النحل : (١٢٥) .
(٤) الرد على المنطقيين ، ص ٤٦٨ .
 ـ معارج الوصول ، ص ١٢ .
(٥) الجواب الصحيح (١/٢٢ ، ٢٣ – ٣/٧٠) .
 ـ معارج الوصول ، ص ١٢ .
 ـ درء تعارض العقل والنقل (٧/١٨٣) .
(٦) الأعراف : (٣٣) .
(٧) النساء : (١٧١) .

لذلك يَعْتبر الإمام الدارس الذى يحكم فى الملل والأديان وأصول الإيمان والمعارف الإلهية والمعالم الكلية بلا علم ، يعتبره من أهل النار (١) .

فذلك حال أهل الباطل كما قال - تعالى - فيهم : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (٢) ، فأولئك هم الجاهلون (٣) .

أما المؤمنون أتباع الأنبياء فهم الذين تاب الله عليهم من الجهل فإن الأنبياء بعثوا بالعلم كما قال - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (٤) .

فالهدى يتضمن العلم النافع (٥) .

لهذا فقد اجتهد الإمام أن يكون من أتباع الأنبياء أُولِى العلم فيحكم بين الأديان عالماً بما يحكم ، وقد احتشد لذلك بتحصيل وتأصيل مقالات النصرانية وما يحيط بهامن رؤى وتصورات مختلفة ، وتشير قائمة مصادره فى دراسة النصرانية - وقد وقفنا عليها آنفا - إلى أنه قد تسنَّم ذروة طود شامخ يُشْرف منه على مقالات النصارى ، مُلِماً بالنصرانية ، محيطاً بمسالكها ، واصفاً عن حِسٍّ ، مفنِّداً عن بصيرة ، ممهِّداً بكليات يشدّها بالصحيح من أدلة المنقول والصريح من دلائل المعقول ، حتى يدق عنق الشاك ويسد مسالك الواهم ، ويظهر الحق ناصعاً جَلِيّاً .

٢ - شمول البحث والاستقراء :

والمقصود بشمول البحث والاستقراء عدم الاختيار والانتقاء فى القضايا والمشكلات المطروحة للبحث حول موضوع ما ، خصوصاً اختيار الأمثلة المؤيدة لفكرة معينة مسبقة تؤكد نجاح هذه الفكرة ، وتوضح عيوب نقيضها ، على الرغم من وجود أمثلة أخرى فى الموضوع تنفى تلك الفكرة من أساسها .

ويتجلى الشمول وتمام الاستقراء فى دراسة ابن تيمية فى تناوله جميع جوانب

(١) الجواب الصحيح (٢٢/١) ، درء تعارض العقل والنقل (١٨٣/٧) .
(٢) النجم : (٢٣) .
(٣) الجواب الصحيح (٢١/١) .
(٤) الفتح : (٢٨٠) .
(٥) الجواب الصحيح (٢١/١) .
- النبوات ، ١٥٤ .

وقضايا النصرانية ، سواء من وجهة النظر الإسلامية ، أو من وجهة نظر النصارى بعد تبديلهم دين المسيح .

فلقد مكّنه منهجه القائم على تناول النصرانية فى مستويين .

١ - تبديل دين المسيح .

٢ - تكذيب محمد ﷺ .

أن يقف على جميع قضايا ومقالات النصارى .

فأظهر فى المستوى الأول حقيقة دين المسيح وموافقته لدين الأنبياء قبله ورسالة محمد ﷺ بعده ، ثم عرض لقضايا النصرانية بعد تبديل دين المسيح ، مبيناً العقائد والشرائع التى ابتدعتها النصارى ، فتناول قضايا : التثليث ، ألوهية المسيح ، الصلب والفداء ، الحلول والاتحاد ، تحريف الإنجيل ، عالمية المسيحية ، دور المجامع فى تبديل العقيدة .

وكذلك تحدث عن صَلاَتهم وكيف غيّروا القبلة للمشرق ، وعن استحلال لحم الخنزير ، وتبديل أحكام الصوم وزمنه ، وكيف أباحوا لعلمائهم تشريع عقائد وسَنّ عبادات لم يشرعها المسيح .

فى المستوى الثانى فصّل القول فى موقف النصارى من رسالة محمد ﷺ موضّحاً دعاواهم فى تكذيبه ﷺ وتفنيدها والرد عليها واحدة واحدة ، ثم تصدى لإثبات نبوته والإعلام بأعلام نبوته ﷺ وفضائل ومناقب رسالته وعمومها وشمولها الإنس والجن ، وحاجة الخلق جميعاً إليها والاعتصام بها .

ويرتبط بشمول البحث والاستقراء وعدم الانتقاء فى القضايا والمشكلات المطروحة عنصر آخر هام ، بدونه يفقد شمول البحث قيمته وأهميته كعنصر أساسى فى موضوعية الدراسة ، ألا وهو الأمانة فى عرض القضايا والمشكلات كما هى دون التدخل فى تعديلها وتحويرها وتوجيهها وفق رغبات الباحث وميوله وأهدافه ، فبدون ذلك العنصر تصبح الشمولية وعدم الإنتقاء وبالاً على الموضوعية وعنصر هدم وتقويض لها ، وليس أساساً من أسس تشييدها .

وقد انتبه الإمام لذلك العنصر أيضاً ، وأدرك ما له من أهمية تجعل دراسته موضع

القبول والتسليم من الخصوم قبل المؤيدين ، وأكَّد على التزامه الأمانة فى النقل عنهم وحكاية مذهبهم ومقالاتهم كما هى ، وكما يحتجون عليها بأنفسهم يقول الإمام : « وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً ، وأُتْبِع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً وعقداً وحلاً » (١) .

٣ - العدل والإنصاف :

لم يكن ابن تيمية - رحمه الله - متعصباً إلا للحق وحده دائراً معه حيث يدور فى إطار الأصولية الإسلامية ، وبهذا تنطق كتبه ورسائله وآراؤه ، وما لقى بسبب ذلك فى حياته .

فقد آتاه الله أكبر حظ من الإخلاص فى طلب الحق ، والطهارة من أدران الهوى فى طلب الحقيقة (٢) .

وهو يرى أن اتِّباع الهوى شيمة أهل الباطل (٣) ، كما قال - تعالى - فيهم : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (٤) .

أما المؤمنون الذين تاب الله عليهم من الظلم فهم أتباع الأنبياء حقاً ، فإن الأنبياء بُعثوا بالعدل كما قال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى ﴾ (٥) ، فبين - سبحانه وتعالى - أن الرسول ﷺ ليس غاوياً متبعاً لهواه ، ولا ينطق عن هواه ، إنما نطقه وحى أوحاه الله إليه (٦) .

ذلك لأن العدل كما يقول الإمام : « نظام كل شئ ، فإذا أُقِيم أَمْرُ الدنيا بالعدل قامت ، وإن لم يكن لصاحبها فى الآخرة من خلاق ، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم ، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجْزى به فى الآخرة » (٧) .

---

(١) الجواب الصحيح (١/١٩) .
(٢) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ١٠٠ .
(٣) الجواب الصحيح (١/٢١) .
(٤) النجم : (٢٣) .
(٥) النجم : (١ - ٤) .
(٦) الجواب الصحيح (١/٢١) .
(٧) ابن تيمية : رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ٢٥ .

ويرى الإمام أن اتباع الهوى فى الديانات أعظم من اتباع الهوى فى المشتهيات ، وتلك حال أهل الكتاب من اليهود والنصارى [1] ، كما قال - تعالى - : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ ، وَأَضَلُّوا كَثِيراً ، وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [2] .

أما المؤمنون من أتباع الأنبياء فهم أهل العدل والإنصاف به يحكمون ، وعلى نهجه يسيرون فى الديانات والدنيويات ، يقول ابن تيمية فى نص جامع : « ولمّا كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل ، كان كلام أهل الإسلام والسُّنّة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل ، لا بالظن و ما تهوى الأنفس ، ولهذا قال النبى ﷺ :

(القضاة ثلاثة : قاضيان فى النار ، وقاضٍ فى الجنة ، رجل عَلِم الحق وقضى به فهو فى الجنة ، ورجل عَلِم الحق وقضى بخلافه فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار) رواه أبو داود وغيره .

فإذا كان مَنْ يقضى بين الناس فى الأموال والدماء والأعراض إذا لم يكن عالماً عادلاً كان فى النار ، فكيف بمن يحكم فى الملل والأديان وأصول الإيمان والمعارف الإلهية والمعالم الكلية بلا علم ولا عدل ؟ » [3] .

ويقرر الإمام أن : « المحاجة والمناظرة لا تنفع إلا مع العدل والإنصاف وإلا فإن الظالم يجحد الحق الذى يعلمه وهو المُسَفْسِط والمُقَرْمِط ، أو يمتنع عن الاستماع والنظر فى طريق العلم وهو المعرض عن النظر والاستدلال فكما أن الإحساس الظاهر لا يحصل للمعرض ولا يقوم للجاحد ، فكذلك الشهود الباطن لا يحصـل للمعـرض عن النظر والبحث ...

ولما كانت المحاجة لا تنفع إلا مع العدل ، قال - تعالى - : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [4] .

---

(١) ابن تيمية : رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ١٤ .

(٢) المائدة : ٧٧ .

(٣) الجواب الصحيح (٢٢/١) .

(٤) العنكبوت : (٤٦) .

فالظالم ليس علينا أن نجادله بالتى هى أحسن »[1] .

وليس أدل على التزام ابن تيمية التام بالعدل والإنصاف - فى أحكامه بشأن النصارى ومقالاتهم - من تفضيله النصارى وعلومهم بعد النسخ والتبديل على الفلاسفة وإن كانوا من المنتسبين للإسلام ، فيذهب إلى أن : « اليهود والنصارى - بعد النسخ والتبديل - أعلم من هؤلاء بالعلوم الإلهية والأخلاق والسياسات فضلاً عما وراء ذلك »[2] .

وكذلك يفضل النصارى على بعض الملاحدة من المسلمين ، كغلاة الشيعة من القائلين بألوهية على بن أبى طالب ، والقائلين بوحدة الوجود من الصوفية ، ويعتبر هؤلاء أشد كُفْراً من النصارى ، لأن النصارى إنما يُؤَلِّهون المسيح ، وهو نبى ، أفضل ممن يُؤَلِّهه أولئك كعلىٍّ بن أبى طالب أو الحاكم أو أحد من أهل البيت أو من مشايخ الصوفية[3] .

يقول الإمام : « فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل ، وقد نبَّهنا على بعض ما به يُعرف معناها ، وأنه باطل والواجب إنكارها ، فإن إنكار هذا المنكر السارى فى كثير من المسلمين أَوْلى من إنكار دين اليهود والنصارى الذى لا يضل به المسلمون ، لا سيما وأقوال هؤلاء شرٌ من قول اليهود والنصارى »[4] .

---

(١) نقض المنطق ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٢) الجواب الصحيح (٢١٧/٣)

وانظر فى ذلك أيضاً الجواب الصحيح (١٥٠/٢ - ١٥١) ، (١٠٠/٤ - ١٠١) .

- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، ص ٧٠ .
- منهاج السنة (١٠١/١) .
- درء تعارض العقل والنقل (٦٤/٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٢٤٦ ، ٣٨٥) .
- الرد على المنطقيين ، ص ٤٤٥ .

(٣) انظر فى ذلك : جامع الرسائل (٢٠٥/١) .

- مجموعة الرسائل والمسائل (٩٨/١ - ٩٩ ، ١٣٠) .
- منهاج السنة (٤/١ - ٨) .
- الجواب الصحيح (١٨/١ - ١٩) (٧٥/٣) .
- درء تعارض العقل والنقل (٩/٥ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧) .

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل (١٣٠/١) .

خامساً : المجادلة بالتى هى أحسن

الجدل طريقة فى المناقشة والاستدلال ، تختلف معانيه وأنواعه فى المدارس الفلسفية المختلفة (١) .

(أ) عند سقراط : مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب .

(ب) عند أفلاطون : منهج فى التحليل المنطقى يقوم على قسمة الأشياء إلى أجناس وأنواع ، بحيث يُصبح عِلْمَ المبادئ الأُوْلى والحقائق الأزلية .

(جـ) عند أرسطو ومناطقة المسلمين : قياس مُؤَلَّف من مشهورات ومسلَّمات .

(د) عند كانط : منطق ظاهرى فى سفسطة المصادرة على المطلوب وخداع الحواس .

(هـ) عند هيجل : انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما ، ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق .

أما عند ابن تيمية فهو : « أن تقول كلاماً حقاً يَلْزَمُك ويَلْزَم المنازع لك أن يقوله فإن وافقك وإلا ظهر عناده وظلمه » (٢) ، وذلك هو الجدل بالتى هى أحسن ، فهو أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذى أوجبه الله عليهم وعلى جميع الخلق ، ليرضوا به الله ، وتقوم به الحجة على المخالفين (٣) .

وهو الذى أمر الله به فى قوله – تعالى – ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤) ، وفى قوله – تعالى – ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٥) .

فالإنسان كما يقول الإمام (٦) : « له ثلاثة أحوال : إما أن يَعْرِف الحق ويعمل به ،

---

(١) المعجم الفلسفى ، ص ٥٩ – ٦٠ ، أصدره مجمع اللغة العربية بمصر ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
(٢) الجواب الصحيح (٢/٤٣) .
(٣) السابق .
(٤) النحل : (١٢٥) .
(٥) العنكبوت : (٤٦) .
(٦) الرد على المنطقيين ، ص ٤٤٤ – ٤٤٥ – ٤٦٨ ، وانظر : معارج الوصول ، ص ٨ – ٩ .

وإما أن يعرفه ولا يعمل به ، وإما أن يجحده ، فأفضلها أن يعرف الحق ويعمل به ، والثاني أن يعرفه لكن نفسه تخالفه فلا توافقه على العمل به ، والثالث من لا يعرفه بل يعارضه .

فصاحب الحال الأول هو الذي يُدْعى بالحكمة ، فإن الحكمة هي العلم بالحق والعمل به ، فالنوع الأكمل من الناس من يعرف الحق ويعمل به ، فيُدْعون بالحكمة ، والثاني من يعرف الحق لكن نفسه تخالفه فهذا يُوعَظ الموعظة الحسنة .

فهاتان هما الطريقتان : الحكمة والموعظة ، وعامة الناس يحتاجون إلى هذا وهذا ، فإن النفس لها أهواء تدعوها إلى خلاف الحق وإن عرفته ، فالناس يحتاجون إلى الموعظة الحسنة وإلى الحكمة ، فلابد من الدعوة بهذا وهذا .

أما الجدل فلا يدعى به ، بل هو من باب دفع الصائل ، فإذا عارض الحق مُعَارض جُودِل بالتي هي أحسن ، ولهذا قال : ﴿ وَجَادِلْهُم ﴾ فجعله فعلاً مأموراً به مع قوله : ﴿ أدْعُهم ﴾ ، فأمَرَه بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأمره أن يجادل بالتي هي أحسن » .

ويَرُدُّ ابن تيمية بذلك على المناطقة الذين جعلوا الأقسام الثلاثة المذكورة في الآية ﴿ أدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (1) ، هي البرهان ويُخَاطَب به الفلاسفة وأهل الحكمة ، والخَطَابة ويُخَاطب بها الجمهور والعوام ، والجدل ويُخاطَب به المتكلمون .

ويقولون : إن البرهان ما كانت مواده يقينية ، والخَطَابي مواده هي المشهورات سواء كانت عملية أو ظنية ، والجدلي هو الذي يسلِّم المجادل بمواده سواء كانت عملية أو ظنية ، مشهورة أو غير مشهورة (2) .

ويجعل الإمام ذلك النوع من الجدل واجباً أو مستحباً لمن يكون قادراً عليه إحقاقاً

---

(1) النحل : (١٢٥) .

(2) الغزالي : القسطاس المستقيم ، ص ٦ - ٧ ، ٧١ ، سلسلة الثقافة الإسلامية (٣٧) ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م ، تهافت الفلاسفة : بتحقيق سليمان دنيا ، ص ٦٠ ، طبعة دار المعارف .

- ابن رشد : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، ص ٣١ ، ٥٥ - ٥٨ ، بتحقيق محمد عمارة ، دار المعارف ، القاهرة .

الحق ، وإقامة للحجة الإسلامية وتبليغ رسالات الله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فهو الذى ذكره الله عن الأنبياء وأمر به فى مثل قوله - تعالى - [1] ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [3] ، وقوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ [4] .

أما الجدل المذموم - لديه - فثلاثة أنواع [5] :

١ - الجدل بالباطل ، كما فى قوله - تعالى - : ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [6] .

٢ - الجدل فى الحق بعد ظهوره ، كما فى قوله - تعالى - : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ [7] .

٣ - الجدل بغير علم ، كما فى قوله - تعالى - : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [8] .

وهذا التقسيم قائم - لدى الإمام - على أساس جنس المناظرة فهو يقول : « وفى الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها : محمود ومذموم ، ومفسدة ومصلحة ، وحق وباطل » [9] .

وفى هذا نظر ، لأن جنس المناظرة لا يوصف بالحمد ، أو الذم ، كما أن المتناظرين قد يبتدئان المناظرة : عَالِمَيْن ، طَالِبَيْن للحق ، متناظرين به ، فتكون مناظرتهما محموده ، ثم ينقدح فى ذهن أحدهما رأى يثبت عليه ، ويأخذ فى إلزام صاحبه به ، تأخذه العزة بالإثم ، وتدفعه اللجاجة والخصومة والتعصب للرأى ، على الرغم من وضوح

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٥٦ - ١٧٤) .
(٢) هود : (٣٢) .
(٣) الأنعام : (٨٣) .
(٤) البقرة : (٢٥٨) .
(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/٤٦ ، ٧/١٥٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٤) .
(٦) غافر : (٥) .
(٧) الأنفال : (٦) .
(٨) آل عمران : (٦٦) .
(٩) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٧٤) .

الحجج على نقيض رأيه ، وتوافر الأدلة واجتماعها على بطلان قوله ، ومع ذلك يستمر فى لجاجته ومكابرته بالباطل ومجادلته فى الحق بعد ظهوره ، فتصبح مجادلته مذمومة ، بينما تكون مجادلة خصمه الذى أفحمه وأبان له الحق مجادلة محمودة مشكورة .

إذن فليست هناك حدود صارمة تفصل بين المناظرة المحمودة والمذمومة ، بل المعيار هو آداب المناظرة وحال المتناظرين ، - فالله تبارك وتعالى - لم يقل : جادلهم مجادلة حسنة ، وإنما قال ﴿ جَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ إشارة إلى أن شروط وآداب المناظرة هى معيار جودتها أو قبحها .

لذلك يقول ابن خلدون - فى مقدمته - مُعَرِّفاً الجدل : « وأما الجدل فهو معرفة آداب المناظرة التى تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فإنه لمّا كان باب المناظرة فى الرد والقبول متسعاً ، وكل واحد من المتناظرين فى الاستدلال والجواب يرسل عنانه فى الاحتجاج ، ومنه ما يكون صواباً ، ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظرون عند حدودها فى الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ أن يكون مستدلاً ، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً و محل اعتراضه أو معارضته ؟ وأين يجب عليه السكوت ؟ ولخصمه الكلام والاستدلال ؟ لذلك قيل فيه : إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأى وهدمه »(١) .

واللافت للنظر أن الإمام قد أدرك أهمية آداب المناظرة وحال المتناظرين كأساس لتحديد نوع المناظرة ، فهو يقول (٢) : « المناظر إما أن يكون عالماً بالحق ، وإما أن يكون طالباً له ، وإما أن لا يكون عالماً به ولا طالباً له ، فهذا الثالث هو المذموم بلا ريب ، وأما الأوّلان : فمن كان عالماً بالحق فمناظرته المحمودة أن يبين لغيره الحجة التى تهديه إن كان مسترشداً طالباً للحق إذا تبين له ، أو يقطعه ويكفّ عدوانه إن كان معانداً غير متبع للحق إذا تبين له ويوقفه ويسلكه ، ويبعثه على النظر فى أدلة الحق إن كان يظن أنه حق وقصده الحق .

وذلك لأن المخاطَب بالمناظرة إذا ناظره العالِم المبيِّن للحجة إما أن يكون ممن يفهم

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٢ ، طبعه دار الشعب ، بدون ترقيم .

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/١٦٧ - ١٦٩) .

الحق ويقبله ، فهذا إذا بُيِّن له الحق فهمه وقبله ، وإما أن يكون ممن لا يقبله إذا فهمه ، أو ليس له غرض فى فهمه ...

وإما أن يكون الحق قد التبس عليه ، وأصل قصده الحق ، لكن يصعب عليه معرفته لضعف علمه بأدلة الحق مثل من يكون ...

وأما المناظرة المذمومة من العالم بالحق ، فأن يكون قصده مجرد الظلم والعدوان لمن يناظره ، ومجرد إظهار علمه وبيانه لإرادة العلو فى الأرض ، فإذا أراد علواً فى الأرض أو فساداً كان مذموماً على إرادته ...

وأما إن كان المناظر غير عالم بالحق ، بأن لا يعرف الحق فى نفس المسألة ، أو يعرف الحق لكن لا يعرف بعض الحجج ، أو الجواب عن بعض المعارضات ، أو الجمع بين دليلين متعارضين ، وأمثال ذلك فهذا إذا ناظر طالباً لمعرفة الحق وأدلته ، والجواب عما يعارضها والجمع بين الأدلة الصحيحة كان محموداً ، وإن ناظر بلا علم ، فتكلم بما لا يعرف من القضايا والمقدمات كان مذموماً » .

لكن - على ما يبدو - لم يكن الإمام فى تقسيم المناظرة إلى محمودة ومذمومة على أساس جنس المناظرة ، إلا متابعاً لبعض السابقين كابن حزم - مثلاً - فى كتابه « الإحكام فى أصول الأحكام » الذى أحاط به ابن تيمية إحاطة جيدة ودرسه دراسة وافية واستخدمه كثيراً »(١) .

ويؤكد الإمام على أهمية التزام المجادلة بالتى هى أحسن مع أهل الكتاب على وجه الخصوص - على الرغم من بطلان أقوالهم - اتباعاً لقوله - تعالى - (٢) : ﴿ وَجَادِلْهُمْ

---

(١) هنرى لاووست : نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .
- أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ١١٥ .
- أبو زهرة : ابن حزم ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، دار الفكر العربى ، مصر ، بدون ترقيم .
وانظر فى تقسيم الجدل عند ابن حزم : أبا زهرة ، ابن حزم ، ص ٢٠١ ، ٢٠٣ .
- د . محمود على حماية : ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، طبع دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١٨٨/١) ، الجواب الصحيح (٤٣/٢) ، نقض المنطق ، ص ١٥٢ .

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [2] .

إلا أن ذلك ليس بإطلاق ، فهو يقسِّم أهل الكتاب ثلاثة أصناف تختلف وسيلة جدال كل منهم [3] :

١ - من كان منهم من أهل الذمة والعهد والمستأمن يدخل فيمن أَمَر الله بدعوته ومجادلته بالتى هى أحسن .

٢ - الظالمون ، فى قوله - تعالى - : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [4] ، وهم نوعان : ظالم مستحق للقتال ، وطالب للعلم والدين مُعَانِد يَعْلَم أنه على باطل ، وهذا لا يجادل بالتى هى أحسن ، بل بطرق أخرى تبين عناده وظلمه وجهله جزاء له بموجب عمله .

٣ - المستجير المستأمن من أهل الحرب ، فهذا أمر الله بإجابته وإبلاغه مأمنه حتى تقوم حجة الله عليه ، لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [5] ، والمراد بالسمع هنا السمع الذى يتمكن معه من فهم المعانى .

ولهذا يُعَدُّ منهجه فى دراسة النصرانية خير مثال للجدل بالتى هى أحسن يقول مخاطباً النصارى : « وأنا ما غرضى الساعة إلا مخاطبتكم بالتى هى أحسن ، والمعاونة على النظر فى العلم واتباع الحق وفعل ما يجب » [6] .

فهو يرى أن الرد والجدل والخطاب بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد ، إنما العبرة فى مخاطبة أهل العلم بالحجة والدليل الذى يبين الحق والباطل ، والعدول عما لا فائدة فيه . [7]

---

(١) النحل : (١٢٥) .

(٢) العنكبوت : (٤٦) .

(٣) الجواب الصحيح (١/٦٧ - ٦٨ ، ٧٦) ، نقض المنطق ، ص ٩١ .

(٤) العنكبوت : (٤٦) .

(٥) التوبة : (٦) .

(٦) الرسالة القبرصية ، ص ٦٤ .

(٧) نقض المنطق ، ص ١٥٢ .

كما يلزم الداعية بالعلم والرفق والصبر : العلم قبل الأمر والنهى ، والرفق معه ، والصبر بعده(١) .

لذلك يُعْتَبر « الجواب الصحيح » أهدأ ما كتب ابن تيمية فى الجدال (٢) .

* * * * *

(١) رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ص ١٨ .

(٢) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص ٥١٩ .

الفصل الثالث
تأثير منهجه السلفي عليه

نشأت في تاريخ الفكر الإسلامي مدارس متعددة ، تختلف هذه المدارس فيما بينها حسب المنهج الذى ترتضيه لأبحاثها ودراساتها وبناء تصوراتها ومفاهيمها ، وحسب موقفها من قضايا الفكر الإسلامي المتصل بأصول الدين وفروعه .

من تلك المدارس المتعددة المدرسة السلفية التى اختطَّت لها منهجاً يستند فى أصوله على القرآن العظيم والسُّنة المطهرة نصاً لا تأويلاً ، وأفرزت أعلاماً مبرزين فى المجالات المختلفة حملوا رايتها ودافعوا عن منهجها ، كُلٌّ فى ميدانه ، مخلِّفين تراثاً هائلاً يحمل سمات مدرستهم وخصائص منهجهم ، أمثال : أحمد بن حنبل ، وابن المبارك ، والخلاّل ، والأثرم ، والبيهقى ، وابن تيمية ، وابن القيم .

وتعنى السلفية فى الإسلام – من حيث المضمون – التعبير عن منهج المحافظين على مضمونه فى ذروته الشامخة وقمته الحضارية ، كما تُوجِّهنا إلى النموذج المتحقِّق فى القرون الأولى المفضلة ، وفيها تحقق الشكل العلمى والتنفيذ الفعلى ، ومنه استمدت حضارةُ المسلمين أصولَها ومقوماتِها ، خضوعاً لعقيدة التوحيد ، وبياناً لدور الإنسان فى هذه الحياة ، وتنفيذاً لقواعد الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة فى الاجتماع والاقتصاد والسياسة والأخلاق (١) .

وكمصطلح تعنى السلفية – أيضاً – فى مدلولها الخاص الاقتداء بالرسول ﷺ تلك القدوة التى يدعم تحققها حفظ سيرته كاملة منقولة وفق أدق منهج علمى عرفه المؤرخون ، فالسيرة حيَّة فى كياننا ، نعيشها كل يوم ، وهى تمثل القمة للسلفيين (٢) .

كما أنها علَم على المقتدين بالسلف من الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى وكل من تبعهم من الأئمة ، كالأئمة الأربعة وسفيان الثورى ، وابن عيينة ، والليث بن سعد ، وعبدالله بن المبارك ، والبخارى ، ومسلم ، ومن سار على طريقتهم كابن تيمية ، وابن القيم ، ومحمد بن عبدالوهاب (٣) .

---

(١) د . مصطفى حلمى : السلفية ، ص ٦ ، دار الدعوة بالإسكندرية ، طبع سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

(٢) السابق .

(٣) السابق ، ص ٥ .

ـ مناهج البحث فى العلوم الإسلامية ، ص ١٠١ .

ـ قواعد المنهج السلفى ، ص ١٦٥ .

ويقوم منهج المدرسة السلفية على مجموعة من الأسس المنهجية اليقينية التى تميز المنهج السلفى عن غيره من المدارس الفكرية التى تلقفت التراث اليونانى بهَالَةٍ من التقديس والتبجيل وجعلته فى مركز القيادة والصدارة والتوجيه لدراساتها وأبحاثها وقضاياها .

وتختلف هذه الأسس فيما بينها حسب طبيعة موضوعها ، فإن البحث فى أصول الأديان يختلف فى وسائله عن البحث فى مسائل الفروع ، ويتفق السلفيون فيما بينهم على أن قضايا أصول الدين تستند إلى مصدرين : النقل الصحيح من كتاب وسنّة والأخذ بقياس الأَوْلَى المأخوذ من إشارات القرآن ، أما فى نواحى المعرفة الأخرى فإنها تستند إلى الكتاب والسنة إن وجد النص وإلا أُخِذ فيها بقياس التمثيل [1] .

وتنضوى هذه الأسس تحت ثلاث قواعد منهجية هى دعامة المنهج وأساس بنائه ، وهذه القواعد هى [2] :

أولاً : تقديم الشرع على العقل :

وتستند تلك القاعدة إلى أمور منها :

١ - أن النقل خبر المعصوم عن الله سبحانه .

٢ - أن هذا الخبر يشير - فى ذاته - إلى دلالة عقلية متضمنة فيه ، غابت عن عقول البشر ، فيكون ذلك تذكيراً للإنسان بما غاب عنه ، وهو فى نفس الوقت خبر المعصوم من الخطأ عن الله سبحانه .

وذلك كالأمثال المضروبة فى القرآن الكريم للاعتبار بها والقياس عليها ، كما قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [3] .

---

(١) د . محمد السيد الجليند : نظرية المنطق ، ص ١٩١ .

(٢) السابق ، ص ١٩١ - ٢٢١ .

- د . مصطفى حلمى : قواعد المنهج السلفى ، ص ١٦٥ - ١٨٤ .
- السلفية ، ص ٨٩ - ٩٦ .
- مناهج البحث فى العلوم الإسلامية ، ص ١٠١ - ١٠٩ .

(٣) الزمر : (٢٧) .

٣ - أن النقل الصحيح لا يعارضه قط العقل الصريح ، فهما وجهان لعملة واحدة هى الحقيقة ، كل منهما يدل عليها ، والوسائل التى تؤدى إلى غاية واحدة لا تتعارض وإنما تتعاضد ، فيبقى لكل منهما مجاله الخاص ، وكل منهما حجة فى بابه .

٤ - أن الدليل العقلى ليس صريح الدلالة دائماً على المقصود ، فأدلة العقل إما ظنية وإما يقينية ، وكثيراً ما يخطئ الدليل العقلى فى العديد من المجالات ، فكيف يُقَدَّم على السمع ؟

ثانياً : رفض التأويل الكلامى :

للتأويل معانٍ ثلاثة [١] :

١ - المآل والعاقبة والمصير ، وهو المتكرر فى القرآن .

٢ - التفسير والبيان ، وهو ما دعا به النبى ﷺ لابن عباس ، وهو ما كان يتخاطب به الصحابة .

٣ - صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر ، وهذا الاستعمال مُحْدَث لا أصل له فى كتب اللغة المتقدمة ، ولم يُسْتعمل فى عصر السلف .

لهذا فقد رفض السلفيون النوع الثالث من التأويل [٢] ، لأنه يقتضى اتخاذ العقل أصلاً فى التفسير وتقديمه على الشرع فإذا ظهر بينهما تعارض وجب تأويل النصوص وفق مقتضى العقول .

واحتكموا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مكتفين بها ، ومطوِّعين المفاهيم العقلية لها ، لأن العقل يعجز عن الإحاطة بالحقائق التى أوردها الدين الصادر عن خالق العقل .

فصدعوا لأمر الله - تعالى - : ﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٣] .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٠١/١) (٢٣٤/٥ - ٢٣٥ ، ٣٨١ - ٣٨٣) .
- نقض المنطق ، ص ٥٧ - ٥٨ .
وانظر : د . محمد السيد الجليند : قضية التأويل ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) نقض المنطق ، ص ٥٨ ، وانظر : قضية التأويل ، ص ٤٩ .

(٣) الحجرات : (١) .

ثالثاً : الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية :

اكتفى السلفيون بالدليل الشرعى الوارد بالقرآن الكريم ، فاستندوا إليه واستدلوا به ، واستمدوا منه حقائق عالم الغيب وقواعد النظر ، ومن تلك الأدلة :

(أ) الآيات :

وهى علامات ودلالات على الله سبحانه وعلى ما أراد ، قال - تعالى - : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ (١) .

وتدل أيضاً على صدق الرسول ، لأنها مما يعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثلها ، قال - تعالى - : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا ﴾ (٢) .

وهى بيان وهدى من الله ، كما قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ، أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ، وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ (٣) .

والآيات القرآنية كثيرة تجلُّ عن الحصر ، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاس وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

(ب) البراهين القرآنية :

وهى طرق متعددة استخدمها القرآن فى الاستدلال :

١ - الميزان القرآنى :

وهو تلك المقاييس العقلية والأمثال المضروبة فى القرآن لبيان الحقائق وطرق معرفة التماثل والاختلاف ، كقوله - تعالى - : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ؟ مَا لَكُمْ

(١) البقرة : (٢٥٢) .
(٢) الإسراء : (٨٨) .
(٣) البقرة : (١٥٩) .
(٤) البقرة : (١٦٤) .

﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [1] .

٢ - قياس الأوْلَى :

وهو إثبات الحكم للشئ بناء على ثبوته لنظيره أو لما الشئ أوْلى بالحكم فيه ، وقد اعتمد السلف على هذا القياس فى مسائل التوحيد والتنزيه وإثبات المعاد ، وذلك كقوله - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [2] .

استدلالاً على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى .

٣ - اللُّزوم :

ويعبر عن الحقيقة المُعْتَبَرة فى كل دليل ، فمن عرف أن هذا لازم لهذا استدل بالملزوم على اللازم بغير ذكر لفظ اللزوم ، لأن الإنسان بفطرته السويّة يعرف أن كل شئ مصنوع لا بد له من صانع ، فيلْزم من وجوده وجود الصانع ، وهذا واضح فى قوله - تعالى - : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [3] ، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدّعى وجود حادث بدون محدث ، ولا يمكنه أن يقول إن الحادث أحدث نفسه .

وقد كان ابن تيمية خير من مثّل المنهج السلفى فى جانبيه النظرى والتطبيقى ذلك أنه قد أُتيحت له من فرص الاطلاع والاستيعاب ما لم يتح لسابقيه ، فكان شخصية موسوعية مستوعبة للثقافة الإسلامية بجوانبها المختلفة كما اطلع على الثقافة اليونانية ، ووقف منها موقف الناقد الخبير بمأتى الآراء وغاياتها ، فوجد البَوْن بينهما شاسعاً مما جعله يكرِّس حياته كلها للدفاع عن أصول المنهج السلفى [4] .

وقد تأثر منهجه فى دراسة النصرانية - دون شك - بتلك المنهجية السلفية التى استغرقته وشغلته ، ويبدو ذلك التأثر واضحاً جَليّاً للمتأمل فى دراسته للنصرانية ، وسنستجلى معالم ذلك التأثير فى إطار قواعد المنهج السلفى الثلاث ، لنبين مدى تأثير كل منها على حدة ، وإن كنّا لا نرمى من وراء هذا الفصل إلى إثبات كل الموافقات بين

---

(١) القلم : (٣٥ - ٣٦) .

(٢) الروم : (٢٧) .

(٣) الطور : (٣٥) .

(٤) د . محمد السيد الجليند : نظرية المنطق ، ص ١٨٩ .

ـ د . مصطفى حلمى : السلفية ، ص ٨٨ .

منهج الإمام السلفيّ وبين منهجه في دراسة النصرانية ، بل هدفنا - فقط - بيان وجوه التأثير دون تفصيلاته .

وسنعرض لذلك على النحو التالي :

أولاً : تقديم الشرع على العقل :

ويظهر تأثير تلك القاعدة على منهجه في جوانب ثلاثة :

١ - صياغة بعض قواعد منهجه في دراسة النصرانية - وفقها - مثل :

(أ) دراسة النصرانية في مقامين : الأول منها تبديل دين المسيح ، وذلك وفقاً لتنبيه الشرع عليه ولفت القرآن للأنظار إليه ، وتقديم ذلك على ما يُعْلَم بالعقول كالتثليث وتكذيب محمد ﷺ بل والعيب على علماء الأديان والمتكلمين في عدم الالتفات إلى هذا المقام وتقديمه كما قدمه القرآن (١) .

(ب) عدم تعارض كلام الأنبياء مع العقل الصريح (٢) :

وواضح أن هذا أحد الأسس التي بنى عليها الإمام أهم قواعد منهجه السلفي ، والذي تحقق منه بنفسه في أكثر من موضع ومجال .

٢ - شرطه على نفسه في دراسته للنصرانية تقديم النقل على العقل : يقول الإمام : « ونحن - ولله الحمد والمنة - نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية فلا حجة لهم في شئ منها ، بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم ، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول نفسه حجة ويظهر منه فساد قولهم » (٣) .

ويقول : « ونبين - إن شاء الله - أن ما عليه النصارى من التثليث والاتحاد لم يدل عليه شئ من كتب الله ، لا الإنجيل ولا غيره بل دلت على نقيض ذلك ، ولا دل على ذلك عقل ، بل العقل الصريح مع نصوص الأنبياء تدل على نقيض ذلك (٤) .

---

(١) انظر : ص ١١٩ .

(٢) انظر : ص   من البحث .

(٣) الجواب الصحيح (١/٢٠) .

(٤) السابق (١/٢٣) .

٣ - دراسة بعض القضايا كالتثليث وصحة الإنجيل وإثبات نبوة محمد ﷺ إلى جميع الإنس والجن .

وسنكتفى بإيراد نص واحد لإثبات ما نذهب إليه ثم نُحيل فى الباقى (١) .

يقول الإمام : « قالوا : والثلاثة أسماء فهى إله واحد ورب واحد وخالق واحد ، ومسمى واحد لم يزل ولا يزال شيئاً حياً ناطقاً ، أى : الذات والنطق والحياة . فالذات هى الآب الذى هو ابتداء الاثنين ، والنطق هو الابن الذى هو مولود منه كولادة النطق من العقل ، والحياة هى الروح القدس .

والجواب على هذا من وجوه :

الأول : أن أسماء الله - تعالى - متعددة كثيرة ، فإنه ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

وقال - تعالى - : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فى أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وقال - تعالى - : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٤) .

وقال - تعالى - : ﴿ طَهَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ، إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ، تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ، وَإِنْ تَجْهَرْ بالقول فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى . اللَّهُ لا إله إلاَّ هو له الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ (٥) .

---

(١) انظر : ص ٢١٠ .

والجواب الصحيح (١/٤٩ - ١١٤) فى إثبات عالمية الإسلام .

(٢) الحشر : (٢٢ - ٢٤) .

(٣) الأعراف : (١٨٠) .

(٤) الإسراء : (١١٠) .

(٥) طه : (١ - ٨) .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وهذا معناه فى أشهر قولى العلماء وأصحها أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، وإلا فأسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك ، كما فى الحديث الآخر الذى رواه أحمد فى مسنده وأبو حاتم فى صحيحه عن ابن مسعود عن النبى ﷺ أنه قال : « ما أَصَابَ عَبْداً قَطُّ هَمٌّ ولا حزَنٌ ، فقال : اللَّهُمَّ إِنِّى عَبْدُكَ ابنُ عَبْدِكَ ابنُ أَمَتِكَ ، ناصيتى بيدِكَ ، ماضٍ فِىَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِىَّ قَضَاؤكَ ، أَسْأَلُكَ بِكلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَه فى كِتَابِكَ ، أو عَلَّمْتَه أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ، أو استَأْثَرتَ بِهِ فى عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِى ، ونُورَ صَدْرِى ، وَجَلاءَ حَزَنِى ، وَذَهَابَ هَمِّى وَغَمِّى ، إلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَغَمَّهُ ، وأَبْدَلَ مَكَانَه فَرَحاً ، قَالُوا : يا رَسُولَ اللَّه ! أفلا نَتَعَلَّمُهُنَّ ؟ قال : بَلَى يَنْبَغِى لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ » .

وإذا كانت أسماء الله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها ، فالاقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل ، وأى شئ زعم الزاعم فى اختصاص هذه الأسماء دون غيرها فهو باطل » (1) .

ثانياً : رفض التأويل الكلامى :

يظهر تأثير تلك القاعدة من قواعد المنهج السلفى على منهج الإمام ابن تيمية فى دراسته للنصرانية ، فى عدة مظاهر منها :

١ - اعتباره قضية التأويل أهمّ وأخطر أسباب ضلال النصارى شأنهم فى ذلك شأن الغالين من عُبَّاد الشيعة والمتصوفة وغيرهم من طوائف المسلمين الذين أخذوا أنفسهم بالتأويل الباطل (2) .

٢ - توافق صور التأويل الباطل لدى النصارى والتى رفضها الإمام ، مع صور التأويل الباطل التى رفضها من كل الطوائف على وجه العموم ، كما بيَّنا ذلك آنفاً ، ويدلنا ذلك على رفضه لكافة صور التأويل الذى هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف مقتضى ذلك الظاهر .

---

(1) الجواب الصحيح (٢/١١٢ - ١١٣) .

(2) السابق (١/٣١٦ - ٣١٧) .

٣ – اهتمامه البالغ بتأصيل تلك القضية وبيانه حدودها ووضع الشروط التى يُقْبَل التأويل بتوافرها فيه ، وكذلك الشروط التى تمنع قبول التأويل الباطل ، وأيضاً التأكيد عليها فى أكثر من موضع ، بأكثر من طريقة .

٤ – تحذيره من محاولة النصارى تأويل القرآن .

فيذهب الإمام إلى أن النصارى يرمون من وراء مسلكهم فى تأويل القرآن والكتاب المقدس إلى أمرين (١) :

أحدهما : ابتغاء الفتنة وإثارتها بين المسلمين .

الثانى : الانتصار لمذهبهم فى التثليث .

لذلك حذَّر الرسول ﷺ المسلمين منهم ، مبيناً أن أولئك هم الذين سمَّاهم الله فى قوله – تعالى – : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ (٢) .

وخير مثال يبين تأثير أصول المنهج السلفى فيما يخص قضية التأويل على منهج ابن تيمية فى دراسته للنصرانية تفسيره لاستدلال النصارى على التثليث بالقول المنسوب إلى المسيح فى إنجيل متى : « عَمِّدُوا النَّاسَ بِاسْمِ الآبِ والابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ » (٣) .

يقول الإمام : « مراده مُرُوا الناسَ أن يؤمنوا بالله ونبيه الذى أرسله ، وبالمَلَك الذى أَنْزل عليه الوحى الذي جاء به ، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهذا هو الحق الذى يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول ، فتفسير كلام المعصوم بهذا التفسير الذى يوافق سائر ألفاظ الكتب التى عندهم ويوافق القرآن والعقل أَوْلَى من تفسيره بما يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول .

وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ، ولا هو من التأويل الذى هو صرف الكلام عن

---

(١) الجواب الصحيح (١/١٣١ – ١٣٢) .
وانظر : قضية التأويل ، ص ١٤٦ .
(٢) آل عمران : (٧) .
(٣) متى (٢٨/١٩) .

ظاهره إلى ما يخالف ظاهره ، بل هو تفسير له بما يدل ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة فى خطاب المسيح وخطاب سائر الأنبياء .

وأما تفسير النصاري بأن الابن مولود قديم أزلى هو العلم ، أو كلمة الله ، فتفسير للفظ بما لم يستعمل هذا اللفظ فيه ، لا فى كلام أحد من الأنبياء ، ولا لغة أحد من الأنبياء ، وكذلك تفسير روح القدس بحياة الله ، فالذى فسر النصارى به ظاهر كلام المسيح هو تفسير لا تدل عليه لغة المسيح وعادته فى كلامه ، ولا لغة غيره من الأنبياء والأمم ، بل المعروف فى لغته وكلامه وكلام سائر الأنبياء تفسيره بما فسرناه ، وبذلك فسره أكابر علماء النصارى .

وأما ضُلاَّل النصارى المحرِّفون لمعانى كتب الله عز وجل فقد فسروه بما يخالف معناه الظاهر وينكره العقل والشرع »[1] .

ثالثاً : الاستدلال بالآيات والبراهين القرآنية :

من تلك الأدلة التى استعملها الإمام فى دراسته النصرانية :

(أ) دليل اللزوم :

وهو الذى يُعَبِّر لديه – عن الحقيقة المعتبرة فى كل برهان فى العالم [2] . وقد استدل به الإمام على إبطال الاتحاد وجميع مقالات النصارى لاشتراكها فى أصل فاسد ، وفى إثبات نبوة محمد ﷺ ، وفى رفض احتجاج النصارى بالقرآن [3] .

من تلك المواضع التى استدل فيها بدليل اللزوم قوله : « وقد ذكرنا أنه لا يجوز أن يحتجوا بشئ من القرآن ، وما نقل عن محمد ﷺ إلا مع التصديق برسالته ، وأنه مع التكذيب برسالته لا يمكن الإقرار بنبوة غيره ، ولا الاحتجاج بشئ من كلام الأنبياء ، فتكذيبهم به يستلزم تكذيبهم بغيره ، فإذا ثبتت نبوة غيره ثبتت نبوته ، وذلك يستلزم بطلان دينهم فكأنَّ صحة دليلهم يستلزم بطلان المدلول ، وفساد المدلول يستلزم فساد الدليل .

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٩٨ – ٩٩) .

(٢) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص ٢٥٢ .

(٣) الجواب الصحيح (١/١٨٣ ، ٢/٢٦٨ ، ٣/٢٦٠) .

فإن الدليل ملزوم للمدلول عليه ، وإذا تحقق الملزوم تحقق اللازم وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم ، فإذا ثبت الدليل ثبت المدلول عليه وإذا فسد المدلول عليه لزم فساد الدليل . فإن الباطل لا يقوم عليه دليل صحيح ، فإن كان محمد ﷺ رسول الله لزم بطلان دينهم ، وإذا بطل دينهم لم يجز أن يقوم دليل صحيح على صحته ، وإذا لم يكن رسول الله لم يجز الاستدلال بقوله ، فثبت أن استدلالهم بقوله باطل على التقديرين »[1] .

(ب) قياس الأولى :

وهو - كما أشرنا - إثبات الحكم للشئ بناء على ثبوته لنظيره أو لما الشئ أولى بالحكم فيه .

وقد اعتمد الإمام عليه فى إثبات نبوة محمد ﷺ وتفضيلها على سائر النبوات ، يقول الإمام :

« والطريق التى بها تثبت نبوة الأنبياء تثبت نبوة محمد ﷺ بمثلها وبأعظم منها ، بل نحن نبين أن التصديق بنبوته أوْلَى من التصديق بنبوة غيره ، لأن كل ما يُستَدَلُّ به على نبوة نبى ، فمحمد ﷺ أحق بجنس ذلك الدليل من غيره ، وما يُعَارض به نبوة نبى فالجواب عن محمد ﷺ أوْلَى من الجواب عن غيره .

فهو مُقَدَّم فيما يدل على النبوة ، وفيما يُجَاب به عن المعارضة ، وهو أكمل فى ذلك ، فيمتنع عن العلم والعدل أن يُصَدَّق بنبوة غيره مع التكذيب بنبوته ، كما يمتنع مع العلم والعدل فى كل اثنين أحدهما أكمل من الآخر فى فن ، أن يُقَر بمعرفة ذلك الفن للمفضول دون الفاضل »[2] .

ويقول : « فلا يقدح أحد بحجةٍ عقليةٍ فى محمد ﷺ إلا كان ذلك قد جاء بطريق الأوْلَى فى غيره من الأنبياء ، كما بيَّنا فى الرد على الرافضة أنه لا يقدح أحد فى الخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان ، إلا أمكن أن يُقْدح بمثل ذلك وبأعظم منه فى

---

(١) الجواب الصحيح (١/١٨٣) .

(٢) السابق (٣/٢٦٨) .

عليٍّ ، فيمتنع أن يكون عليٌّ سليماً من القوادح فى إمامته إلا والثلاثة أسلم منه مما يَقْدح فى إمامتهم .

ويمتنع أن يكون موسى وعيسى وداود براء مما يَقْدح فى نبوتهم إلا ومحمد ﷺ أبرأ مما يَقْدح فى نبوته ، وهذا كما إذا احتج محتج بما فى القرآن من آيات الصفات ، فيقال له : فى التوراة وغيرها من كتب الأنبياء مثل ذلك وأعظم ، وإذا احتج بإنزال المتشابهات ، فيقال له : فى الكتب المتقدمة من المتشابهات أعظم مما فى القرآن » [1] .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٣/٢٦٦) .

الباب الثالث

آراء ابن تيمية فى النصرانية
{ دراسة تطبيقية لمنهجه }

« تَرَاهُ وَأَنْتَ تُطَالِعُ مَقَالاتِهِ فى النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ تَسَنَّمَ ذِرْوَةَ طَوْدٍ شَامِخٍ يُشْرِفُ مِنْهُ عَلَى آرَاءِ النَّصَارَى ، وعَقَائِدِهِمِ ، وَعِبَادَاتِهِم مُلِمًّا بِمَسَالِكِهَا ، فَيَصِفُ عَنْ حِسٍّ ، ويُفَنِّدُ عَنْ بَصِيرَةٍ ، ويُمَهِّدُ بِكُلِّيَّاتٍ يُشُدُّهَا بِأَدِلَّةِ الاسْتِقْرَاءِ من صَحِيحِ المَنْقُولِ وصَرِيحِ المَعْقُولِ » .

الإِمَامُ أَبُو زَهْــرَةَ

تمهيـــد

سبقت الإشارة إلى أن خطة ابن تيمية فى دراسة النصرانية تقوم على تناولها فى مقامين أو على مستويين : [1] .

أولاً : تبديل دين المسيح .

ثانيـاً: تكذيبهم محمداً ﷺ .

فهو ينتهى إلى أن النصارى يُكَفَّرون من جهتين : [2] .

١ ـ جهة تبديلهم لدين المسيح عليه السلام .

٢ ـ جهة تكذيبهم لمحمد ﷺ .

كما يعرض آراءه فى النصرانية من خلال هذين المستويين ، وقد حقق له ذلك إمكانية استيعاب وتناول مختلف جوانب التبديل ومظاهره ، وكذلك مكَّنه من الرد على جميع دعاواهم فى تكذيب محمد ﷺ وإثبات نبوته ﷺ بالدلائل والبراهين القاطعة والوفيرة .

ويُعدُّ هذا من تمام دقة علمه وكمال معرفته بالنصرانية وطبيعة رسالة المسيح ومهمَّته فى دعوته إلى بنى إسرائيل .

فقد جاء المسيح إلى بنى إسرائيل وله مهمتان :

١ ـ حفظ التوراة وتجديد الدعوة إلى العمل بها ، كما يقول المسيح : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما يأمرونكم بحفظه فاحفظوه واعملوه » [3] ، ويقول : « ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء » [4] .

---

(١) انظر ص : ١١٨ .

(٢) الجواب الصحيح (١ / ٢٣ ، ١٢٦ ـ ١٢٧ ، ٤٣٩ ، ٣٦٠ ـ ٣٦١ ، ٣٨٠) ، (٢ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠)

ـ مجموع الفتاوى (١٩ / ١٩٠)

ـ معارج الوصول / ص : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) متى (٢٣ / ٢ ـ ٣)

(٤) متى (٥ / ١٧)

٢ ـ التبشير بمجئ نبى الإسلام محمد ﷺ ، الذى سيكون ناسخاً لشريعة موسى ـ عليه السلام ـ كما يحكى عنه سفر أعمال الرسل :

« موسى قد قال للآباء : إن الرب إلهكم سيُقيم لكم من إخوتكم نبيًا مثلى ، فاسمعوا له فى كل ما يقوله لكم وكل نفس لا تسمع لذاك النبى تهلك من بين الشعب »(١) .

وذلك تصديقاً لقوله ـ تعالى ـ عن رسالة المسيح : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (٢) .

ولهذا عندما ارتد النصارى عن تعاليم نبيهم عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فإنهم سلكوا طريقين :

١ ـ لفقوا شريعة جديدة من بقايا شريعة موسى ، ومن تعاليم الوثنيين .

٢ ـ طبقوا نبوءات التوراة والإنجيل عن النبى الذى سيظهر للعالم ويكون مثل موسى فى الحروب والمعجزات والنصر على الأعداء طبقوها وسحبوها عنوة على عيسى ـ عليه السلام ـ وراحوا يثيرون الغبار ـ إلى يومنا هذا ـ حول النبى الآتى بدعوة الإسلام .

فكان على من يريد دراسة النصرانية دراسة مستوعبة شاملة دقيقة أن ينهج ذلك النهج حتى يحقق لدراسته مقومات المنهجية العلمية ، وهذا ما فعله الإمام ـ تماماً ـ لهذا سنسايره فى ذلك ، ونعرض آراءه فى النصرانية كما عرضها فى مقامين وفى فصلين :

١ ـ الفصل الأول : تبديل دين المسيح .

٢ ـ الفصل الثانى : تكذيب محمد ﷺ .

---

(١) أعمال الرسل (٣ / ٢٢ ـ ٢٣)

(٢) الصف : ٦

الفصل الأول

تبديل دين المسيح

لما كان المسيح ـ عليه السلام ـ رسولاً إلى بنى إسرائيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، فقد ظلت شريعة التوراة هى المرجع والحَكَم والفيصل فى دعوة نبى الجليل ، فكان المسيح يعمل بها ويحتكم إليها ، ولم يغير من أحكامها إلا القليل ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (١)

وقد حذَّر النصارى من مخالفة التوراة ، وتوعد من يخالف العمل بها ، وبشَّر من يحافظ عليها ويعمل بموجبها كما يحكى الإنجيل : « الحقَّ أقول لكم إنه إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا تزول يَاءٌ أو نقطةٌ واحدة من الناموس حتى يتُّم الكلُّ ، فمن ينقض واحدةً من هذه الوصايا الصغرى ويعلِّم الناس هكذا فإنه يُدْعَى الأصغرَ فى ملكوت السموات ، فأما من يعمل ويعلِّم بها فيُدْعى كبيراً فى ملكوت السموات » (٢) .

لذلك يقر النصارى ـ ظاهرياً ـ بالتوراة وكتب الأنبياء والنبوات التى تضمنها الكتاب المقدس ، فيعترفون أن هؤلاء الأنبياء رسل الله إلى خلقه وأن ماجاءوا به هو من عند الله، وأن جميع شرائع التوراة وما فيها حسن جميل ليس فيه شئ ينكرونه أو يجحدونه (٣) .

والنصارى ـ فى واقع الأمر ـ يعتقدون خلاف ما يظهرون ، فإنهم ـ فى الحقيقة ـ لا يؤمنون بموسى ولا بتوراته ولا بشئ مما جاء به واحد من الأنبياء ، وذلك لمَا أتوا به ـ فى اعتقادهم ـ من النقصان والاختلاف ، فالعقل ـ عندهم ـ لا يقبل شيئاً من هؤلاء الأنبياء لما يكتنفه من النقصان والخطأ (٤) .

أما السبب فى إظهار النصارى التصديق والإقرار بالتوراة رغم عدم الإيمان بها فى الحقيقة ، فيرجع إلى أمرين :ـ

أولهما : تأكيد المسيح والإنجيل على تقديس التوراة وحفظها والاحتكام إليها .

---

(١) آل عمران : (٥٠) .

(٢) متى (٥ /١٨ـ ١٩) .

(٣) ساويرس بن المقفع / مصباح العقل / ص : ٤٦ / سلسلة التراث العربى المسيحى (١) بتحقيق الأب سمير خليل / مطبعة دار العالم العربى القاهرة / ١٩٧٨م .

(٤) تيودور أبو قرة / ميمر فى وجود الخالق والدين القويم / ص : ٢٢٥ / بتحقيق الدكتور إغناطيوس ديك / المكتبة البولسية ـ لبنان / طبع سنة ١٩٨٢م .

الثانى (١) : أن العهد القديم يخدم قضيتين تقوم عليهما النصرانية :

١ ـ قضية تجسد الإله ، وإمكان أن يتحول رب العالمين إلى شخص يأكل ويشرب ويصارع ويجهل ويندم .... ألخ .

٢ ـ أن البشر جميعاً ـ بما فيهم الأنبياء ـ أرباب خطايا وأصحاب مفاسد ، وأنهم بحاجة لمن « ينتحر » من أجلهم لكى تغفر خطاياهم .

وقد تنبه الإمام ـ ابن تيمية ـ إلى هذا الفصل الواضح بين الإقرار الظاهرى بالتوراة وعدم إيمان النصارى بها فى الحقيقة ، وانتهى إلى أن النصارى لم يتبعوا لا التـوراة ولا الإنجيل ، بل أحْدَثُوا شريعةً لم يُبْعَثْ بها نبيٌّ من الأنبياء ، خالفوا فيها شـرع الأنبياء ، وضعها لهم أكابر علمائهم وعُبَّادهم (٢) .

وهذا عين ما تؤكده الدراسات العلمية الحديثة من أن بولس هو مؤسس النصرانية الراهنة ، ولولا وجوده لما قامت النصرانية من الأساس (٣) .

ولقد تعين على بولس حينما شرع فى وضع مسيحيته الجديدة أن يقضى على الشريعة ويلغى العمل بها ، ليفسح الطريق أمام تشريعه الجديد فأعلن أن الشريعة لعنة ، وأن المسيح قد افتدى الناس من لعنتها (٤) ، واعتبر العامل بها تحت اللعنة « جميع الذين هم من أعمال الناموس إنما هم تحت اللعنة » (٥) .

وأكَّد أن النجاة ليست فى الناموس « فلا يتزكى بشر بأعمال الناموس » (٦) إذ

---

(١) الشيخ محمد الغزالى / قذائف الحق / ص : ٣٠ / منشورات دار الكتب العصرية / بيروت / صيدا / بدون ترقيم .

(٢) الجواب الصحيح : (١ / ٢٣ / ، ١١٤ ـ ١١٦ ، ١٢٣ ، ٢ / ٨٦ ، ٣ / ٢٣٧ ، ٤ / ٨٥) .

(٣) شارل چينيير / المسيحية / ص : ١٤١ / طبع دار المعارف / مصر / الطبعة الثانية بترجمة الإمام عبد الحليم محمود .

ـ مايكل هارت /المائة / ص : ٢٤ ، ٣٧ / ترجمة أنيس منصور/ طبع المكتب المصرى الحديث / القاهرة / الطبعة الخامسة / ١٩٨٤م .

(٤) رسالة إلى أهل غلاطية (٣ / ١٣) .

(٥) السابق : (٣ / ١٠) .

(٦) السابق : (٣ / ١٦) .

ليست له فائدة « فلأى شئ يفيد الناموس » [1] ، وحمل على من قيدوا أنفسهم بالشريعة والناموس قائلاً :

« يا معشر الغلاطيين الجُهَّال : من الذى سحركم حتى لا تطيعوا الحقَّ ونصب أعينكم أُبْرِزَ جهارا يسوع المسيح مصلوباً بينكم ؟ أريد أن أعرف منكم هذا فقط : أمِنْ أعمال الناموس أخذتم الروح أم من سماع الإيمان ؟ أفبلغ منكم الجهل هكذا حتى أنكم ابتدأتم فى الإيمان الآن وتُتَمَّمُون بالجسد ؟ أفكابدتم كل هذه الأشياء عبثاً إن تكن عبثاً ؟ والذى يباشر لكم خدمة الروح ويعمل العجائب بينكم أمن أعمال الناموس أم من سماع الإيمان » [2] .

وما فَتِئَ بولس ينافح من أجل محو الشريعة التوراتية حتى تحقق له النصر النهائى فأعلن مبتهجاً : « الآن عُتِقْنا من الناموس » [3] .

ولم يكن طريق بولس سهلاً ميسوراً ، بل لاَقَى عقبات جمَّة من جانب المسيحيين اليهود وتلاميذ المسيح ، لكنه تغلب على تلك العقبات بمساعدة بطرس الشيطان كما لقبه المسيح [4] ، واستطاعا الخروج منتصرين من اجتماع أورشليم الذى انعقد بعد مضى نحو اثنين وعشرين عاماً على رفع المسيح ، وانفَضَّ المؤتمرون فيه بعد الاتفاق على اقتراح بولس وبطرس بشأن إلغاء العمل بشريعة موسى لما فيها من التكليف والمشقة ، وأصدروا قراراً أيدوا فيه الاقتراح عملياً ، وقصروا المحرمات على ذبائح الأصنام والدم والمخنوق والزنا ، وكلفوا وفداً من قِبَلِهم لتبليغ القرار إلى النصارى فى سائر المدن ، حاملاً الرسالة التالية : [5]

« من الرسل والمشايخ والإخوة إلى الإخوة الذين هم من الأمم فى أنطاكية والشام وقليقية السلام ، من حيث إنا سمعنا أن أناساً خرجوا منا قد شوشوكم بالكلام واستصرفوا أنفسكم قائلين أن تختتنوا وتحافظوا على الناموس ، ونحن لم نأمرهم

---

(١) الرسالة إلى أهل غلاطية (٣ / ١٩) .

(٢) السابق (٣ / ١ ـ ٥)

(٣) الرسالة إلى روما (٧ / ٦)

(٤) متى (١٦ / ٢٣)

(٥) أعمال الرسل (١٥ / ٤ ـ ٣٠)

بذلك ، فقد رأينا ـ ونحن متفقون ـ أن نرسل إليكم رجلين تحية مع حبيبينا « برنابا وبولس » ، رجلين قد خاطرا بأنفسهما على اسم ربنا يسوع المسيح ، فأرسلنا يهوداً وسيلاً ، وهما يخبرانكم بهذا القول :

لأنه قد رأى الروح القدس ورأينا نحن ألا نضع عليكم ثقلاً أزيد من هذه الأشياء الضرورية ، وهو أن تمتنعوا مما يذبح للأصنام ومن الدم ومن المخنوق ومن الزنا ، فإذا حفظتم أنفسكم من هذه فنعم ما تفعلون كونوا معافين » .

وهكذا بعد نجاح بولس وبطرس فى محو آثار الشريعة التوراتية من وجدان الأتباع الجدد لم تلبث المسيحية البولسية الجديدة أن تمكنت من النفوس لتستقر وتكتمل أسسها ولتصبح دين النصارى الجديد ، تلك الديانة التى عندما نتأملها كما يقول شارل چينيبر : « ثم نقارن حالها بدين نبى إقليم الجليل ، ذلك النبى المتواضع ، الرقيق الخلق ، الذى زعم أن رسالته هى فقط تبشير إخوته فى الله بالنبأ الطيب ، نبأ حلول مملكة الله ، وحثهم على إعداد العدة لها بمكارم الأخلاق ، دين عيسى الذى تسامت تقواه إلى إله أجداده فى تطلع بَنَوِىٍّ مطمئن ... لا نجد رابطة تذكر بين هذا وذاك » (١) .

ويُرْجع الإمام ـ ابن تيمية ـ ذلك التبديل والانتقال من دين المسيح إلى المسيحية الجديدة إلى عدة عوامل :

أولا : دور بولس :

يشير ابن تيمية إلى دور بولس فى تبديل دين المسيح ، واختراع معتقدات جديدة لم يعرفها دين نبى الجليل عليه السلام ، بغية إفساد دعوة المسيح ـ عليه السلام ـ ولم يقتصر دوره فى نظر ابن تيمية على زرع عقائد جديدة بل تعداه إلى تأسيس دعوة خاصة من البدع فى الاعتقادات والعبادات .

يقول الإمام فى نص جامع قاطع الدلالة صريح العبارة فى النَّصِّ على دور بولس (٢) : (وهذا الغلو الذى فى النصارى حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قد ذكروا أن أول من ابتدع لهم بولس

---

(١) شارل چينيبر / المسيحية / ص : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٢) ابن تيمية / جامع الرسائل / المجموعة الأولى / ص : ٢٦٠ .

الذى كان يهودياً فأسلم ، واتبع المسيح نفاقاً ، ليلبس على النصارى دينهم ، فأحدث لهم مقالات غالية ، وكثرت البدع فى النصارى : فى اعتقاداتهم وعباداتهم ، كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ (١) .

وقد سمع عدى بن حاتم النبى ﷺ يقرأ قوله ـ تعالى ـ ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٢) ، فقال عدى : يا رسول الله ، ما عبدوهم ، فقال النبى ﷺ : « أما أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئاً حَرَّمُوهُ ») (٣) .

فهو ينص على دور بولس فى تبديل دين المسيح إلى دعوة جديدة بعقائدها وعباداتها ، وذلك رغبة منه فى إفساد دين المسيح والتلبيس على النصارى .

وتعليل الإمام للدور الذى قام به بولس فى تبديل دعوة نبى الجليل بأنه نفاق منه وتلبيس على النصارى ، يقوم دليلاً جديداً على عمق الإمام ووعيه بالنصرانية وقضاياها .

ذلك لأن رسائل بولس تكشف عن نفاقه وقصده السيئ من وراء دعوته الجديدة ، فهو يقول موضحاً طبيعة النفاق داخله : « عُبِّدت نفسى للجميع ، لأربح الأكثرين ، وقد صرت لليهود كاليهودى لأربح اليهود ، وللذين هم تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين هم تحت الناموس ، وللذين هم لا ناموس لهم كأنى لا ناموس لى مع أنى لم أكن بلاً ناموس عند الله بل كنت تحت ناموس المسيح لأربح الذين لا ناموس لهم ، وصرت للضعفاء كالضعيف لأربح الضعفاء ، بل للكل صرت كُلاً لأنَجِّى بالكلية بعضا » (٤) .

فهو يبين أن رغبته فى تأسيس دعوته الجديدة وجمع الأتباع حولها قد جرته إلى النفاق ليرضى الجميع ومن ثمَّ يكسب الجميع ، تدفعه فى كل ذلك طبيعته الشريرة التى تمنعه من فعل الخير فيصرح :

---

(١) الحديد : ٢٧ .
(٢) التوبة : ٣١ .
(٣) جامع الترمذى (كتاب التفسير ـ سورة التوبة) .
(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل قرنثية (٩ / ١٩ ـ ٢٢) .

« أما عَمَل الخير فلست أجده ، لأن الخير الذى أريده لا أعمله ، بل الشر الذى لا أريده فذلك أعمله ، فإن كنت أعمل ما لا أريد ، فما أنا بَعْدُ أعمله ، لكنْ الخطيّة الحالّة فيَّ ، فإذن أجد ناموساً أنىّ لمّا أريد أن أعمل خيراً يحضر الشر عندى لأنى أرتاح إلى ناموس الله بحسب الإنسان الباطن ، ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ضميرى ويستأسرنى إلى ناموس الخطية التى فى أعضائى ، فأنا إنسان شقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » (١) .

ثانياً : تأثير الوثنية :

يؤكد الإمام ابن تيمية بشدة على إرجاع العقائد والعبادات النصرانية إلى الأصول الوثنية القديمة ، التى كانت تسيطر على البيئة الجديدة التى خرجت إليها المسيحية ، فانتقلت أساطير الأمم الوثنية : كالروم والفرس واليونان بواسطة النصارى الجدد إلى المسيحية الجديدة ، وقد أولى الإمام تلك المسألة عناية بالغة ، فهو لا يمل من الترديد والتكرار والإشارة إلى هذا التأثير القوى للوثنية فى أكثر من موضع ومناسبة ، يقول الإمام :

« وكان الروم واليونان وغيرهم مشركين يعبدون الهياكل العلوية والأصنام الأرضية ، فبعث المسيح ـ عليه السلام ـ رسله يدعونهم إلى دين الله تعالى ، فذهب بعضهم فى حياته فى الأرض ، وبعضهم بعد رفعه إلى السماء ، فَدَعَوْهم إلى دين الله تعالى ، فدخل من دخل فى دين الله وأقاموا على ذلك مدة ، ثم زيّن الشيطان لمن زيّن له أن يغير دين المسيح ، فابتدعوا ديناً مركباً من دين الله ورسله ، ودين المسيح عليه السلام ، ومن دين المشركين ، وكان المشركون يعبدون الأصنام المجسدة التى لها ظل ، وهذا كان دين الروم واليونان » (٢) .

ويربط بين عقائد النصارى والفرس قائلاً :

« ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس ، ولهذا لا ينقلون هذا القول فى كتاب منزل ، ولا عن أحد من الحواريين ، ولهذا كان المانوية دينهم مركباً من دين

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية (٧ / ١٨ ـ ٢٤) .

(٢) ابن تيمية / الجواب الصحيح / (١ / ١١٥ ـ ١١٦)

النصارى ، والمجوس ، وكان رأسهم مانىّ نصرانياً مجوسياً ، فالنسب بين النصارى والمجوس بل سائر المشركين نسب معروف »[1] .

ويُعْتَبر ابن تيمية بذلك من أوائل ـ بل ربما كان بالفعل أول ـ من تنبهوا إلى إشارة القرآن الكريم ـ فى معناها الدقيق ـ لتأثير الوثنية فى النصرانية ، ومضاهاة النصارى للمشركين من الأمم الوثنية القديمة فى عقائدهم وذلك فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[2] .

وكذلك يُعَدُّ الإمام ـ فيما أعلم ـ أكثر من عرض لقضية تأثير الوثنية فى المسيحية بهذا العمق والتفصيل ، وبتلك الدقة المعهودة عنه ، وذلك لما لهذه المسألة من أهمية بالغة ودلائل قوية على تبديل دعوة نبى الجليل عليه السلام .

كما تؤيد الدراسات الغربيةالحديثة توجه الإمام ذاك ، إذ لم تَعُد الأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية فرضاً علمياً أو تخميناً أو استنتاجاً ، لكنها بعد تقدم العلوم النقدية واكتشاف الوثائق وقراءة المخطوطات والنقوش ، قطع علماء الأديان الغربيون بأن هذه العقائد النصرانية إن هى ـ فى حقيقة الأمر وواقع الحال ـ إلا خرافات وأساطير عرفتها الأمم الوثنية القديمة ، وسجلتها فى آثارها ، ثم استمدتها النصرانية منها ونقلتها نقلاً حرفياً[3] .

---

(١) الجواب الصحيح (١ / ٢١٨) ، ثم انظر :
- منهاج السنة النبوية (١ / ٨٧) .
- الرد على المنطقيين / ص : ٢٩٠ .
- الجواب الصحيح (١/ ١٢٢) ، (٢ / ٦٦ ، ٩١ ، ٩٢) ، (٣ / ٢١١ ، ٢٣٧) .

(٢) التوبة : (٣٠) .

(٣) د. محمد عبد الله الشرقاوى / الإيمان : ص : ٢٠٢ / مكتبة الزهراء / مصر / الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ثم انظر :
- Edwyn Bevan : Hellenism and Christianity, London, George allen and Unuin LTD.
- Robin Lane Fox: Pagans and christians , viking, 1986.
- Jenkins : The contradiction of christianity , SCM Prees, 1985.
- Dean Spence : Early christianity and paganism, Hoovince.

وسنتناول هذه المسألة بتفصيل أكثر فى خاتمة البحث إن شاء الله .

ثالثاً : الجهل بتعاليم الأنبياء :

يرى الإمام أن النصارى قد ضلوا لكونهم لم يتدبروا القول الذى قالته الأنبياء حق التدبر حتى يفقهوه ويفهموه ، أو لأخذهم ببعض الحق دون بعض ، والإيمان ببعض ما أنزله الله دون بعض ، فضلُّوا من جهة ما لم يؤمنوا به كما قال ـ تعالى ـ عنهم : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) ، أو لنسبتهم إلى الأنبياء ما لم يقولوه من أقوال كُذِبَت عليهم ، وترجمة أقوالهم على غير وجهها ، وتفسير كلامهم بغير ما يدل عليه شئ من كلام الأنبياء (٢) .

ويبين الإمام فى موضع آخر طبيعة هذا الجهل الذى أوقع النصارى فى مخالفة دين المسيح ، قائلا : « ومما ينبغى أن يعلم أن سبب ضلال النصارى وأمثالهم من الغالية كغالية العبّاد والشيعة وغيرهم ثلاثة أشياء :

أحدها : ألفاظ متشابهة مُجْمَلة مُشْكِلة منقولة عن الأنبياء . وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المُحْكَمة وتمسكوا بها ، وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن دليلاً على ذلك ، والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يُفَوِّضَوها . وإما أن يتأولوها ، كما يصنع أهل الضلال ، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين .

والثانى : خوارق ظنوها من الآيات وهى من أحوال الشياطين ، وهذا مما ضَلَّ به كثير من الضلاَّل المشركين وغيرهم ، مثل دخول الشياطين فى الأصنام وتكليمهم للناس ، ومثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة ، ولابد لهم مع ذلك من كذب ، ومثل تصرفات تقع من الشياطين .

والثالث : أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقاً وهى كذب ، وإلا فليس مع النصارى ولا غيرهم من أهل الضلال على باطلهم لا معقول صريح ولا منقول صحيح ولا آية من آيات الأنبياء .

---

(١) المائدة : ١٤ .

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ٢٨٨) .

إن تكلموا بمعقول تكلموا بألفاظ متشابهة مجملة ، فإذا استُفْسِرُوا عن معاني تلك الكلمات والفرق بين حقها وباطلها تبين ما فيها من التلبيس والاشتباه ، وإن تكلموا بمنقول فإما أن يكون صحيحاً ولا يدل على باطلهم وإما أن يكون غير ثابت ، بل مكذوب »[1] .

وهذا أمر واضح بَيِّنٌ لكل من يتأمل شيئاً من عقائد النصارى أو شرائعهم وسنوضح معالم أخرى لذلك الجهل عند تناول قضايا النصرانية ومظاهر تبديل دين المسيح في الصفحات القادمة إن شاء الله .

والغريب أنهم يقرون بذلك الجهل ، بل يتلونه في كتابهم المقدس على لسان أشعياء النبي : « تكلم الربُّ قائلاً : عَرَفَ الثَّوْرُ قَانِيَه ، والحِمَارُ مَعْلِفَ مَوْلاَه وإِسرائيلُ لَمْ يَعْرِفْني ، وشَعْبِي لَمْ يَفْهَمْ »[2] .

ونضيف إلى ما ذكر ابن تيمية عاملَيْن كان لهما أكبر الأثر في تبديل دين المسيح ، وانتصار المسيحية البولسية الجديدة :

أولهما : تأثير الحكام :

وعلى وجه الخصوص قسطنطين الذي كان لتدخله أكبر الأثر في الانتصار لرأي بولس وفرض عقيدة ألوهية المسيح ـ وهي رأي قلة قليلة من علماء النصرانية ـ على الدولة وممثليها من الأساقفة وهم أغلبية غالبة .

فقد اتخذ صفة عالم اللاهوت المسيحي ، وفرض على مجمع نيقية الصيغة التي قررت ألوهية المسيح وأزليته وأنه من جوهر الله[3] .

وربما يكون ذلك مقبولاً من رجل بلغت به عاطفته الدينية وحماسه للدعوة مبلغاً لا يستطيع معه إلا الانقياد وراء مذهبه وعقيدته ، لكن الأمر يختلف بشأن قسطنطين

---

(1) الجواب الصحيح (١ / ٣١٦ ـ ٣١٧) .
(2) أشعياء (١ / ٣) .
(3) تاريخ ابن البطريق / ص : ١٢٦ ـ ١٢٧)
ـ مايكل هارت / المائة / ص : ١٠٩ .

الذى كان كان طيلة حياته وثنياً ولم يُعَمَّد إلا على فراش الموت حسب روايات مؤرخيهم الثقات [١] .

ويؤيد تلك الروايات ذلك التضارب والخلط الذى وقع فيه ابن البطريق كلما عرض لقصة تَنَصُّر قسطنطين ، مما يفقد رواياته الثقة والاعتداد بها ، فهو يذكر روايتين لتنصره :

الأولى [٢] : أنه كان قبيل معركة روما بينه وبين مكسنتيوس ملك روما عقب رؤيته لصليبٍ من الكواكب فى السماء .

الثانية [٣] : أنه كان فى مدينة « نيقوميدية » عقب انتصاره على قوات « أغريقولاوس » وذلك بعد اثنتى عشرة سنة من توليه الحكم .

ويحاول أحد الكتاب المسيحيين تبرير موقف الإمبراطور فى بقائه على وثنيته بأنه ككثيرين من أهل بلاده بعد تغيير دينه جمع بين الإيمان المسيحى والميل إلى الوثنية ، لاعتقاده ـ كغيره من المسيحيين ـ أن العماد كفارة لمحو جميع الخطايا السابقة ، ولرغبته فى أن يستمتع ما استطاع بالعالمين الدنيوى والدينى » [٤] .

لكن الصواب فى حقيقة موقف قسطنطين أنه كان يقيم أركان حكمه على الميكيافيلية السياسية التى تسمح له ـ من أجل تثبيت حكمه وفرض السلام فى الامبراطورية ـ بمختلف الوسائل ومن بينها تطويع الدين لخدمة هذه السياسة فكان ينتصر للدين الذى

---

(١) مايكل هارت / المائة / ص : ١٠٩ .
أبو زهرة / محاضرات فى النصرانية / ص : ١٥٢ .
ـ المهندس أحمد عبدالوهاب / طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون / ص : ١٩ .
مكتبة وهبة / مصر / الطبعة الأولى : ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

(٢) تاريخ ابن البطريق / ص : ١٢١ .

(٣) السابق : ١٢٣ .

(٤) كامل صالح (تاريخ أثناسيوس) ص : ٦١ ، نقلاً عن أحمد عبد الوهاب / طائفة الموحدين / ص : ٢٠

يربح من ورائه ، وإلا فليدعه إلى غيره وإن لم يستطع فليجمع بينهما ، وهناك مجموعة من الدلائل على صحة ذلك » : (١)

أولها : أنه أصدر مرسوم « ميلان » الذى ساوى بين المسيحية وغيرها من الديانات الأخرى فى الأمبراطورية الرومانية عقب انتصاره على خصمه « ماكسنتيوس » ودخول الجزء الغربى من الامبراطورية فى طاعته ، فلم يتبق أمامه سوى الجزء الشرقى فى آسيا الصغرى حيث الأغلبية المسيحية ، وذلك ليفتح أمامه أبواب الشرق المسيحى .

الثانية : أنه احتفظ بلقب الكاهن الأعظم ، وبعبادة الوثنية القديمة ، وبرجالها ومعابدها ، وطقوسها ، وكان بلاطه يَعجّ بالأساقفة والقساوسة جنباً إلى جنب مع الكهنة والفلاسفة الوثنيين ، كما كانت وظائف الدولة مقسمة بين الوثنيين والمسيحيين ، ونقشت على نقوده شارات الديانتين .

الثالثة : أنه لم يتأثر فى حياته إطلاقاً بتعاليم المسيحية وأخلاقها ، وأدل دلائلها على ذلك قتله زوجته وولده .

ولم يقتصر دور الميكيافيلية السياسية القسطنطينية فى تطويع الدين لخدمة مآرب ومصالح الحاكم على الجمع بين الوثنية والمسيحية فى قارب الدولة ودستور الحكم لإرضاء الوثنيين والمسيحيين معاً وكسب الاستقرار الاجتماعى والسياسى للحاكم ، بل تعداه إلى اللعب بأوتار الاتجاهات المذهبية المختلفة داخل الدين الواحد .

فقد كان قسطنطين على استعداد تام لتغيير ميوله المذهبية فى المسيحية وفق ما تتطلبه مصالحه السياسية ، فقد ظل يؤيد المذهب الاثناسيوسى القائل بمساواة الابن للآب ، لأنه من نفس طبيعته وجوهره ، عندما كانت عاصمة امبراطوريته فى الغرب الذى يتبع المذهب الاثناسيوسى ، لكنه عندما شرع فى نقل عاصمته إلى الشرق الذى يعتنق المذهب الآريوسى ، وأحس بالحاجة إلى استرضاء سكان ذلك القسم من الامبراطورية ،

---

(١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور / أوربا العصور الوسطى / (١ / ٤٠ ـ ٤٢)
مكتبة الأنجلو المصرية / الطبعة السابعة .
وانظر نص مرسوم ميلان وفيه تأكيد إرضاء جميع المواطنين وجميع الآلهة والقوى السماوية / ص : ٦٨٥ من نفس المرجع .
ـ مايكل هارت / المائة / ص : ١٠٩ .

لم يجد غضاضة فى تغيير ميوله نحو المذهب الآريوسى ، وهكذا تم عقد مجمع دينى جديد فى صور سنة ٣٣٤ م ألغى قرارات مجمع نيقية ، وقرر إعادة الاعتبار للآريوسية[١] .

ولم يكن تأثير قسطنطين فى المسيحية مقصوراً على دعوة المجامع المقدسة وإملاء صيغ العقيدة التى يراها على أعضائها ، وفرض ما يناسبه من آراء ومعتقدات ، بل تعداه إلى فرض مجموعة من الشعائر منها[٢]:

- تقديس الصليب وحمله .
- بناء الكنائس على غرار معابد الوثنية .
- تعطيل العمل جمعة الفِصْح والجمعة التى بعدها .
- أكل الخنزير .

الثانى : اختفاء الإنجيل :

أنزل الله – تبارك وتعالى – على المسيح عيسى ابن مريم رسوله إلى بنى إسرائيل كتاباً هو الإنجيل جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وإن كان مخالفاً لها في بعض الأحكام القليلة ، بقوله – تعالى – : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ، وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٣] .

وهذا الإنجيل ليس واحداً من الأناجيل المعروفة لدى النصارى ، فهذه الأناجيل لم

---

(١) د . سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى (١/٤٤) .
- أحمد عبد الوهاب : طائفة الموحدين ، ص ٢٣ – ٢٤ .

(٢) تاريخ ابن البطريق ، ص ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٣ .
وانظر مزيداً من التفاصيل حول هذا الموضوع : ول ديورانت (قيصر والمسيح) الجزء الثالث من المجلد الثالث من موسوعة قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون ترقيم .
- Alister Kee, constantine versus christ, SCM 1982.

(٣) المائدة : (٤٦) .

تظهر إلا فى النصف الثانى من القرن الثانى [1] ، كما أن أحد كتابها لم يزعم أو يزعم معه أحد النصارى أن إنجيلاً منها هو ما أنزله الله على عيسى – عليه السلام – أو ما بَشَّر به المسيح ودعا إليه .

يقول « إكهارن » أحد العلماء الألمان : « إنه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال : إنها هى الإنجيل الأصلى ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب » [2] .

وتعترف الأناجيل نفسها بأن المسيح كان له إنجيل خاص به ، وأنه كان يدعو بهذا الإنجيل فى المجامع ويبشر به فى قومه بنى إسرائيل ، وتتعدد هذه الإشارات الإنجيلية :

ففى إنجيل متى يقول المسيح : « الحق أقول لكم حينما يُكْرَزْ بهذا الإنجيل فى هذا العالم يُخْبَر أيضاً بما فَعَلَتْه هذه تذكاراً لها » [3] .

ويقول مرقس : « جاء يسوع إلى الجليل يبشّر بإنجيل ملكوت الله قائلاً : قد كَمُل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمِنُوا بالإنجيل » [4] .

وفى رسائل بولس : « فليكن تصرفكم مناسباً لإنجيل المسيح » [5] .

ولا يدرى أحد بالضبط ما الذى حدث لهذا الإنجيل ، هل ضاع ؟ هل أتلف ؟ هل ترجم إلى اليونانية أو أية لغة أخرى ؟ ولماذا لم تحتفظ الكنيسة بالنسخة الأصلية من هذا الإنجيل الصحيح ؟ مع أنها احتفظت بالنسخ اليونانية للأناجيل الأربعة ؟ أيكون ذلك مؤشراً على أن ذلك كان عمداً خصوصاً وهذه الأناجيل والرسائل البولسية تُعَدُّ دعامة المسيحية الجديدة ، ويُعْتَبر كاتبوها الحقيقيون من مؤسسى الدين الجديد ؟

---

(١) مدخل إلى العهد الجديد ، (للكاثوليك) ، ص ٣ .

(٢) نقلاً عن أبى زهرة : محاضرات فى النصرانية ، ص ٦٥ .

(٣) متى (١٣/٢٦) ، وانظر : مرقس (٩/١٤) .

(٤) مرقس (١٥/١) ، وانظر : مرقس (٢٩/١٠ – ٣١) .

(٥) رسالة إلى أهل فيلبى (٢٧/١ – ٣٠) .

وانظر أيضاً : رسالة إلى أهل غلاطية (٦/١ – ٩) .

رسالة إلى أهل رومية (١/١ – ٣) .

وإلا فليخبرونا : لماذا لم يَكْتب الإنجيل وأصحاب الرسائل بلغاتهم الأصلية وإذا كانوا كتبوا بلغاتهم الأصلية لماذا لم تصل إلينا كتاباتهم على الرغم من وصولها باليونانية ؟ ومن الذى كان يخاطبه هؤلاء باللغة اليونانية وهم يبشرون بين اليهود عبرانى اللغة ؟ وأين تعلم بطرس ويوحنا ومتى اللغة اليونانية ليكتبوا بها ؟

والإجابة عن كل ذلك : لا يوجد سبب مقنع لاختفاء الإنجيل وجعل الروح القدس الذى نزل بالوحى على نبى الجليل باللغة العبرية يأتى على ما أنزله بالمحو والتلف ، ليعلم بعد ذلك حفنة أفراد من اليهود لغة أهل اليونان كى يكتب كل منهم بأسلوبه جزءًا من ذلك الوحى ، لا نجد لذلك سببًا إلا الاستخفاف بعقول البشر .

أما السبب الحقيقى لذلك فهو إفساح المجال لدعاة المسيحية الجديدة ليضعوا ويبتدعوا ما شاءوا من عقائد وعبادات ، ويسنوا ما شاءوا من تشريعات وقوانين ، ما كان لها أن تستقر فى ظل وجود الإنجيل الصحيح إنجيل المسيح (عليه السلام) .

وقد اتخذ ذلك التبديل النصرانى لدين المسيح مظاهر عدة ينطلق الإمام ابن تيمية فى حصرها من قاعدة مؤدّاها أن الكلام فى الفروع مَبْنِىٌّ على الكلام فى الأصول . فالدين الذى يُتَقَرَّبُ به إلى الله لا بد أن يكون الله أمر به وشرعه على ألسنة رسله وأنبيائه ، لأن جِمَاع الدين أن يُعْبد الله وحده وبما شرع [١] .

ليقرر أن عامة ما عليه النصارى من الشرع والدين مُبَدَّل مُبْتَدَع ، لأن الله لم يُنْزِل به كتاباً ولم يَبْعث به رسولاً ، بل وضعه لهم أكابرهم وأئمتهم [٢] . يقول الإمام : « وهم يُجَوِّزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع ، ويضعوا شرعاً جديداً ، فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعاً لم ينزل به كتاب ، ولا شرعه نبى » [٣] .

ويولى الإمام مسألة مخالفة النصارى لدين المسيح فى الشرائع والعبادات خصوصاً عناية فائقة تفرد بها من بين المصنفين فى مقارنة الأديان ، لأن كفر النصارى يظهر

(١) الرسالة القبرصية ، ص ٤٧ ، ٥٤ ، ٢٦٩ .
- اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٤٥١ .
(٢) الرسالة القبرصية ، ص ٤٧ .
- اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١١٨ .
- الجواب الصحيح (٣٤٣/١ ، ٩/٢ ، ١٢٣/٣) (٢٣/١) .
(٣) الجواب الصحيح (١٦/٢) .

جلياً - عنده - ببيان مخالفتهم لشرع المسيح والأنبياء كما أن الكفر والإيمان يتعلق بالرسالة والنبوة ، فإذا تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم ، يقول الإمام :

« وكثير من المصنفين فى الكلام لا يَرُدُّون على أهل الكتاب إلا ما يقولون إنه يُعْلم بالعقل ، مثل تثليث النصارى ، ومثل تكذيب محمد ﷺ ولا يناظرونهم فى غير هذا من أصول الدين ، وهذا تقصير منهم ومخالفة لطريق القرآن ، فإن الله يبين فى القرآن ما خالفوا به الأنبياء ، ويذمهم على ذلك ، والقرآن مملوءٌ من ذلك ، إذ كان الكفر والإيمان يتعلق بالرسالة والنبوة ، فإذا تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم » (١) .

ويذكر الإمام من تلك المخالفات ومظاهر تبديل دين المسيح (٢) :

١ - التثليث .

٢ - الصلب والفداء .

٣ - تحريف الإنجيل .

٤ - الأسرار السبعة (أشار الإمام منها إلى سر الاعتراف فقط) (٣) .

٥ - الرهبانية .

٦ - الصلاة .

٧ - الصوم .

٨ - تقديس الصليب .

٩ - تعطيل الختان .

١٠ - تحليل لحم الخنزير .

---

(١) معارج الوصول ، ص ٢٣ .

(٢) معارج الوصول ، ص ٢٣ - ٢٤ .

- الرسالة القبرصية ، ص ٤٥ - ٤٧ - ٦٠ - ٦١ - ٧٠ .

- اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢١٠ - ٢٢٧ .

- الجواب الصحيح (١/١٢٣ ، ١٢٥ ، ٣٤٧ ، ٣٦٠) (٢/٩ ، ١٥ ، ٢٣٠) (٣/١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٣٨)

(٣) الرسالة القبرصية ، ص ٤٥ - ٤٦ .

١١ - الغلو فى الدين .

وسوف نفصل القول فى كل منها إن شاء الله ، مُبَيِّنين وجوه التبديل فى كل منها على حدة ، وكيفية معالجة الإمام والانتقادات التى وجهها إليها حتى يظهر مدى مخالفتهم فى كل منها لدين المسيح - عليه السلام - .

وكذلك لنعرِّف ببعض هذه الشعائر الغامضة التى لا يعرف كثير من المسلمين شيئاً عنها مثل الأسرار السبعة المقدسة ، ولذلك سنعرض لها بشئ من التفصيل لغرابتها وصعوبتها ومصادمتها للعقل والحس الإنسانى ، وظهور بطلانها ومخالفتها لأى دين دون الحاجة إلى دليل يذكر ، وذلك حسب الترتيب السابق :

* * * * *

١ ـ التثليث

يعتقد النصارى أن الله ـ تعالى ـ كيان ذو ثلاثة أقانيم كل أُقنوم منهم إله تام : الآب ، الابن ، الروح القدس .

وتتمايز هذه الأقانيم فيما بينها ، فالآب ليس هو الابن ، والروح القدس ليس هو الآب ولا الابن ، وكذلك تتمايز فى الأفعال ، فإلى الآب ينتمى الخَلْق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء ، وإلى الروح القدس التطهير ، غير أن الثلاثة واحدٌ لا يتجزأ وكُلٌّ لا يتبعَّض يتمتع بكل خصائص الألوهية الممنوحة للأقانيم كلٌّ على حدة .(١)

---

(١) راجع فى ذلك :

ـ ساويرس بن المقفع : مصباح العقل ص : ١٢ – ١٣ ، بتحقيق الأب سمير خليل ، سلسلة التراث العربى المسيحى (١) / القاهرة ١٩٧٨ م .

ـ تيو دور أباقرة : ميامر تيودور أبى قرة ، ص ٢٣ – ٤٧ ، نشرة الخورى قسطنطين باشا ، مطبعة الفوائد . بيروت ، بدون ترقيم .

ـ أبا على عيسى بن إسحاق بن زرعة : مقالة فى التثليث ، ص : ٦ – ١٨ .

ـ إليا مطران نصيبين : مقالة فى حدوث العالم ووحدانية الخالق وتثليث أقانيمه ، ص : ٧٥ – ١٠٢ .

ـ سمعان بن كليل : مقالة فى وحدانية البارى وتثليث أقانيمه ، ص : ١٠٣ – ١١٠ .

ـ ابن العسال : مقالة فى التثليث ، ص : ١١١ ، ١٢٢ .

ـ أبا الخير بن الطيب : مقالة فى رد المسلمين وإدْحَاض ما يفتنتون على النصارى من الاعتقاد بثلاثة آلهة ، ص ١٧٦ – ١٧٨ ، وذلك ضمن « مباحث فلسفية دينية لبعض القدماء من علماء النصرانية » نشرها القس بولس سباط ، بيروت ١٩٢٩ م .

ـ بولس الأنطاكى : رسالة إلى أحد المسلمين ، ص : ٢٠ .

مجلة المشرق / السنة السابعة (العدد ١٥) لسنة ١٩٠٤ م .

ـ بولس الأنطاكى / شرح العقيدة النصرانية ، ص : ١ – ١٢ .

وله أيضاً : مقالة فى الفرق المتعارفة من النصارى ، ص : ١٥ – ١٦ وأيضاً : رسالة عقلية فى وجود البارى ـ تعالى ـ وكمالاته وأقانيمه ، ص ٤٣ – ٤٥ .

ـ يحيى بن عدىّ / مقالة فى صحة اعتقاد النصارى فى البارى أنه جوهر واحد ذو ثلاث صفات ، ص ٥٢ – ٥٥ .

ـ مار عبد يشوع مطران نصيبين / خطبة فى التثليث والتوحيد ص ١٠٠ – ١٠٣ .

وذلك ضمن " مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى " نشرها لويس شيخو / طبع

وقد اختلفوا فى تفسير هذه الأقانيم :

١ - فذهب بعضهم إلى أنها صفات . [١]

٢ - وذهب آخرون إلى أنها أشخاص . [٢]

٣ - وذهبت طائفة إلى أنها مجموع الجوهر والصفة . [٣]

٤ - وذهبت أخرى إلى أنها غير الصفة والعَرَض . [٤]

٥ - ورأت خامسة أنها ما ليس بكيان عام ولا عرض . [٥]

الآباء اليسوعيين / بيروت / ١٩٠٦ م .

- زكى شنودة / تاريخ الأقباط (١ / ٢٤٠ - ٢٤٧) دون بيانات (نسخة مصورة) .

- الأنبا غريغوريوس / موجز الاعتقاد فى وحدانية الإله / ص : ١٦ - ٣٠ .

من منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية / سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية (٣٣) مارس ١٩٨٦ م .

(١) بولس الأنطاكى / رسالة عقلية فى وجود البارئ - تعالى - وكمالاته وأقانيمه / ص : ٥٥ ضمن " مقالات دينية قديمة " .

- عيسي بن إسحاق بن زرعة / مقالة فى التثليث / ص : ١١ - ١٢ / ضمن " مباحث فلسفية دينية " .

- سمعان بن كليل / مقالة فى وحدانية البارى / ص : ١١٠ / ضمن " مباحث فلسفية " .

- الأنبا غريغوريوس / موجز الاعتقاد فى وحدانية الإله / ص : ١٦ .

(٢) الأنبا أثناسيوس (أسقف بنى سويف) دارسات فى الكتاب المقدس / ص : ٤٣ / مطبعة دار العالم العربى بمصر / بدون ترقيم .

(٣) ابن العسال / مقالة فى التثليث والاتحاد / ص : ١١٢ ، ١١٦ / ضمن " مباحث فلسفية دينية"

- الصفى الأمجد بن فخر الدولة بن العسال / الصحائح فى جواب النصائح / ص : ١٦ ، طبع سنة ١٦٤٣ قبطية على نفقة مرقص جرجس / مطبعة عين شمس بمصر .

(٤) ساويرس بن المقفع / مصباح العقل / ص : ٢٧ .

(٥) إليا مطران نصيبين : رسالة فى وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه / ص / ١٠٩ / ضمن " مقالات دينية قديمة " .

وله أيضاً رسالة فى وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه / ص : ١٠١ / ضمن " مباحث فلسفية دينية "

كما اختلف مفكروهم في الأطروحات التى قدموها لتوضيح ماهيّة التثليث ، وعلاقة أفراده بعضهم ببعض ، وكيفية التقائهم وصورة اجتماعهم :

١ – فالقديس يوحنا الدِّمشْقى يقدِّم الثالوث باعتباره (الجُود والحِكْمة والقدرة) [١]

٢ – ويتصور تلميذه تيودور أبو قرة أنه (الذات والنطق والحياة) . [٢]

٣ – أما يحى بن عدي فيعرِّفه بأنه (الجود والحكمة والقدرة) ، ثم تتطور نظريته فى التثليث حتى يصل إلى أطروحته الشهيرة (العقل والعاقل والمعقول) .[٣]

٤ – وجمع تلميذه عيسى بن إسحاق بن زرعة بين الأطروحتين . [٤]

٥ – ورأى إيليا مطران نصيبين أنه (الذات والحياة والحكمة) . [٥]

٦ – وطرحه بولس الأنطاكى بوصفه (الذات والنطق والحياة) . [٦]

---

(١) يوحنا الدمشقى / المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى / المقالة الخامسة ص : ٦١ / بترجمة الأرشمند ريت أدريانوس / الطبعة الأولى ١٩٨٤ / المكتبة البولسية . لبنان .

(٢) تيودور أبو قرة / ميامرتيودور أبو قرة / ص : ٤٤ .

(٣) يحيى بن عدى / مقالة فى التوحيد / ص ٢٦٣ / تحقيق الأب : سمير خليل اليسوعى وانظر مقدمة المحقق ص : ٥٣ : ، ١٢٦ ، ١٢٩ / سلسلة التراث المسيحى (٢) / المكتبة البولسية / لبنان / ١٩٨٠ م .

ـ وله أيضاً / مقالة فى صحة اعتقاد النصارى / ص : ٥٤ / ضمن " مقالات دينية قديمة " .

ـ ولتلميذه عيسى بن إسحاق بن زرعة / مقالته التى تلقاها عنه فى النوم : فى أمر العقل وتمثيل الآب والابن والروح القدس ، بالعقل والعاقل والمعقول / ص : ٦٨ – ٧٠ / ضمن " مباحث فلسفية دينية " .

(٤) عيسى بن إسحاق بن زرعة / مقالة فى التثليث ، مقالة فى مواضع الاختلاف بين اليهود والنصارى ، مقالة فى أمر العقل وتمثيل الآب والابن والروح القدس بالعقل العاقل والمعقول / ص : ٩ ، ١٢ ، ٣٩ ، ٦٨ – ٧٥ / ضمن مباحث فلسفية دينية " .

(٥) إيليا مطران نصيبين / رسالة في وحدانية البارئ وتثليث أقانيمه / ص :١٠٢ / ضمن "مباحث فلسفية دينية " ، ونفس الرسالة أيضاً ص : ١٠٥ ضمن "مقالات دينية قديمة " .

(٦) بولس الأنطاكى / رسالة إلى أحد المسلمين / ص : ٢٠ / العدد (١٥) السنة السابعة : مجلة المشرق .

٧ – وصوّره ابن العسال على أنه (الحياة والعلم والقدرة) .[(١)]

وكذلك اختلفوا فى تمثيل صورة التثليث :

١ – فمنهم من يراه : كالشمس وضوئها وحرارتها .[(٢)]

٢ – ومنهم من يمثّله : بالإنسان ونطقه وروحه .[(٣)]

وأيضاً تناقضوا فى المصدر الذى تلقّوا عنه التثليث :

١ – فذهب بعضهم إلى أنهم تلقوا التثليث عن الكتاب المقدس .[(٤)]

٢ – وذهب آخرون إلى أن مصدر التثليث هو العقل .[(٥)]

= وله أيضاً : شرح العقيدة النصرانية ، خلاصة معتقد النصارى فى التوحيد والاتحاد ، رسالة عقلية فى وجود البارئ تعالى وكمالاته وأقانيمه ، ص : ٤ ، ١٣ ، ٤٣ – ٤٤ ، ضمن « مقالات دينية قديمة » .

(١) ابن العسال : مقالة فى التثليث والاتحاد ، ص ١١٦ ، ضمن « مباحث فلسفية دينية » .

(٢) إيليا مطران نصيبين : رسالة فى وحدانية الخالق وتثليث أقانيمه ، ص : ١٠١ ، ضمن « مباحث فلسفية » .

ـ بولس الأنطاكى : مجموعة رسائل ضمن « مقالات دينية قديمة » ، ص : ٣ ، ١٣ ، ٤٤ ، وله أيضاً رسالة إلى أحد المسلمين ، ص : ١٩ – ٢٠ ، بمجلة المشرق (مرجع سابق) .

(٣) تيودور أبو قرة : ميامر تيودور أبو قرة ، ص : ٤٤ .

ـ إيليا مطران نصيبين : رسالة فى وحدانية الخالق ، ص : ١٠١ / ضمن مباحث فلسفية .

ـ بولس الأنطاكى : رسالة إلى أحد المسلمين ، ص : ١٩ ، بمجلة المشرق (مرجع سابق) .

(٤) أبو الخير بن الطيب : مقالة فى الرد على المسلمين ، ص : ١٧٦ ، ضمن « مباحث فلسفية دينية »

ـ ساويرس بن المقفع : مصباح العقل ، ص : ١٢ ، ١٩ ، ٢٢ .

ـ الأنبا غريغوريوس : موجز الاعتقاد في وحدانية الإله ، ص : ١٧ .

ويكذب القديس يوحنا الدمشقى هذه الطائفة ، ففى أثناء دفاعه عن الأيقونات ردٌ على القائلين بأن الأيقونات ليست فى الكتاب المقدس بقوله : " إنكم لن تجدوا أيضاً التثليث ، أو وحدة مادة الآب والابن ، أو ثنائية الطبيعة فى المسيح ، فى الكتب المقدسة " .

انظر : أسطورة تجسد الإله فى السيد المسيح : مجموعة من المؤلفين ، مقالة دون كوبيت ، ص ٢١١ ، طبع دار القلم ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

(٥) تيودور أبو قرة : ميامر تيودور أبو قرة ، ص : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ .

٣ - وحاول فريق ثالث الجمع بين طريق الشرع والعقل كمصدر للتثليث . (١)

وتنحصر أدلتهم على التثليث فى دليلين :

أولاً / دليل عقلى من النظر ، فحواه أنهم نظروا فوجدوا الله مُحْدِثاً للمخلوقات ، فقالوا : إنه شئٌ لا كالأشياء المخلوقة حتى ينفوا عنه العَدَم ، ورأوا الأشياء قسمين إما حىٌّ وإما غير حىٍّ ، فوصفوه بأجلِّهما وهى الحىُّ ، ورأوا الحىَّ ينقسم قسمين : إما ناطق أو غير ناطق ، فقالوا : إنه « ناطق » لينفوا الجهل عنه ، وقد اضطربوا فى هذا القسم بين الوصف بالنطق والعلم والحكمة والقدرة . (٢)

ثانياً : دليل نقلى من الكتاب المقدس ، خلاصته أن الله ـ تعالى ـ أسمى لاهوته ، وأفراد الثالوث : الآب والابن وروح القدس فى آيات عدة تخص كلَّ فردٍ من أفراد الثالوث ، وذلك على النحو التالى : (٣)

---

(١) عيسى بن زرعة : مقالة فى المواضع التى فيها خلاف بين اليهود والنصارى ، ص : ٣٨ ، ضمن « مباحث فلسفية » .
ـ بولس الأنطاكى : رسالة عقلية فى وجود البارئ ، ص : ٤٣ - ٤٤ ، ضمن « مقالات دينية قديمة » .
ـ وله أيضاً : رسالة إلى أحد المسلمين ، ص : ١٩ - ٢٠ مجلة المشرق (مرجع سابق) .
ـ ابن العسال : مقالة فى التثليث والاتحاد ، ص : ١١٥ ، ضمن " مباحث فلسفية " .

(٢) بطرس السدمنتى : مقالة فى نفى الشك والكفر عن النصارى ، ص : ٤٤ - ٤٦ ، نشرها الأب سمير خليل اليسوعى فى مجلة (صديق الكاهن) التى يصدرها المعهد الاكليركى للأقباط الكاثوليك بالمعادى (السنة التاسعة عشرة ـ العدد الأول - يناير ١٩٧٩ م .
ـ بولس سباط : رسالة إلى أحد المسلمين ، ص ٢٠ ، بمجلة المشرق ، (مرجع سابق) .
مجموعة مقالات ص : ٤ ، ١٣ ، ٤٣ - ٤٤ / ضمن « مقالات دينية قديمة » .
ـ إليا مطران نصيبين : رسالة فى وحدانية البارئ : ص : ١٠٥ ، ضمن « مقالات دينية قديمة » .
ـ عيسى بن زرعة : مقالة فى التثليث ، ص : ٨ ، ضمن « مباحث فلسفية دينية » .
ـ سمعان بن كليل بن أبى الفرج القبطى : مقالة فى وحدانية البارئ ـ تعالى ـ وتثليث أقانيمه ، ص : ١٠٣ - ١٠٤ ، ضمن « مباحث فلسفية دينية » .

(٣) بولس سباط : رسالة إلى أحد المسلمين ، ص : ٢٠ ، مجلة المشرق ، (مرجع سابق) مجموعة مقالات ص : ١٠ - ١١ ، ضمن « مقالات دينية قديمة » .
ـ الأنبا غريغرريوس : موجز الاعتقاد فى وحدانية الإله ، ص : ١٨ - ٢٠ .

١ ـ الآب :

يقول الكتاب المقدس : « أليس هذا الآب الذى صنعكَ وبَرَأَكَ واقتناكَ » [١] .

: « اذهبوا وعلِّمُوا جميعَ الأُمَمِ وعَمِّدُوهم باسم الآب والابن والروح القدس » [٢] .

٢ ـ الابن :

يقول الكتاب المقدس : « يَيْبَسُ القَتَادُ ويَجِفُّ العُشْبُ وكلمةُ الله باقيةٌ إلى الأبد » [٣] .

: « أنت هو المسيح ابن الله الحى » [٤] .

: « ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به » [٥] .

وقد احتاج النصارى بالإضافة إلى دليل الكتاب المقدس الذى سحبوه عنوة على القول بألوهية المسيح إلى تقديم تفسير لحلول الله ـ تعالى ـ وتجسده واتحاده بابن مريم، والذى أوقعهم فى ذلك المأزق ظنهم أن معجزات المسيح ـ عليه السلام وولادته من غير أب تقتضى إثبات الفعل الإلهى له ، مع علمهم بأن المسيح ـ عليه السلام ـ بشر فى فعله وطبيعته .[٦]

فلم يجدوا مخرجاً للتوفيق بين الأمرين سوى القول بأن الله (الآب) أرسل كلمته (نطقه ، علمه ، ابنه) من غير مفارقة الآب له ـ كما ترسل الشمس ضوءها على الأرض من غير مفارقة القُرْص ـ فتجسَّم إنساناً كاملاً من الروح القدس ومن مريم العذراء ، فهو ابن لها من جهة الناسوت ، وابن لله من جهة اللاهوت ، طبيعتان مختلفتان بغير

ـ زكى شنودة / تاريخ الأقباط (١ / ٢٤٢ - ٢٤٧) .

(١) النص الوارد بسفر التثنية (٣٢ / ٦) ليس فيه كلمة " الآب " ، بل الإشارة فيه إلى " الرب " .

(٢) متى (٢٨ / ١٩) .

(٣) أشعياء (٤٠ / ٨) .

(٤) متى (١٦ / ١٦) .

(٥) رسالة بولس الأولى إلى أهل قرنثية (٨ / ٦) .

(٦) بولس الأنطاكى ، رسالة إلى أحد المسلمين / ص : ٢١ - ٢٢ / بمجلة المشرق (مرجع سابق) وله أيضاً / مقالة فى الفرق المتعارفة من النصارى / ص : ١٧ - ١٨ / ضمن « مقالات دينية قديمة »

امتزاج ولا اختلاط صارتا ذاتاً واحدة وشخصاً واحداً [1] .

٣ - الروح القدس :

يقول الكتاب المقدس : « وكان يَرِفُّ روحُ الله على الماء » [2]

: « روحك القدس لا تَنْزِعْه منِّى » [3] .

: « روح الله خلقنى وهو يعلِّمنى » . [4]

ولم يجدوا لديهم مانعاً من الاستدلال بالقرآن الكريم بآيات نزعوها قَسْراً وألبسوها ثوب التثليث ، وذلك كقوله ـ تعالى ـ :

١ - : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [5] .

٢ - ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [6].

٣ - ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [7] .

فهذه الآيات وغيرها يدلُّون بها على تصريح القرآن بالتثليث ، لاقتصاره فى أسماء

---

(١) بولس الأنطاكى : شرح العقيدة النصرانية ، ص : ٥ - ٦ ، خلاصة معتقد النصارى فى التوحيد والاتحاد ، ص : ١٣ - ١٤ ، فى الفرق المتعارفة من النصارى ، ص : ١٧ - ١٨ . ضمن " مقالات دينية قديمة " ص : ٢١ - ٢٢ وله أيضاً : رسالة إلى أحد المسلمين ، بمجلة المشرق ، ص / ٢١ - ٢٢ (مرجع سابق) .

ـ تيودور أبو قرة / القول فى تأنس الله الكلمة / ص : ٩٠ - ٩٩ / ضمن مقالات دينية قديمة .

ـ ابن العسال / مقالة فى تثليث الاتحاد / ص : ١١٦ - ١٢٢ / ضمن « مباحث فلسفية دينية » .

ـ زكى شنودة تاريخ الأقباط (١ / ٢٤٣ - ٢٤٦) .

(٢) سفر التكوين (١ / ٢) .

(٣) مزامير داود (٥١ / ١١) .

(٤) أيوب (٣٣ /٤) وليس فيه « خلقنى » ، بل النص « روح الله صنعنى ونفس القدير آتانى الحياة » .

(٥) ال عمران : ٤٥ .

(٦) التحريم : ١٢ .

(٧) الفاتحة : ١ .

الله على ذكر ثلاثة فقط (الله ، الرحمن ، الرحيم) ولِوَصْفِه المسيحَ بكلمة الله ، ولخلقه وتجسده من روح الله ومريم ابنة عمران . [1]

تلك كانت استدلالاتهم لإثبات عقيدة التثليث وصحتها ، عَمَدتُ فى نَقلها من كتبهم اقتطاعها من عباراتهم بِنَصِّها ، فلم أتصرفْ فيها بأى نوع من أنواع التصرف فى البيان خشيةَ التزيُّد عليهم ، وخشية تغيير الفكرة .

وقد أدرك ابن تيمية منذ البداية ـ وَعْياً منه بمواطن الضعف فى النصرانية ـ وهاءَ عقيدة التثليث أساس النصرانية ، واختلاف النصارى فيها ، وتهافت أدلتهم عليها ، وتناقض استدلالاتهم لإثباتها ، واضطرابهم فى ذلك بين العقل والنقل .

فالعقل لا يسلِّم لهم دليلاً واحداً مما يستدلون به ، لذلك " يؤمنون بالنصرانية لأنها دين غير معقول " [2] ، فكيف يعقلون ما هو غير معقول ، بَلْه يستدلون على معقوليته بأدلة النظر والمعقول .

أما النقل فهم يُحَمِّلون استدلالاتهم به من أثقال المعانى ما تنوء به العبارات ، ولا تحتمله أبعد الإشارات ولا أقصى أنواع الاحتمالات ، لذلك فقد أجهدتهم محاولاتهم تصوير القضية ، وكلَّفتهم ما لا يُطِيقون .

ويُرْجِع الإمام ذلك الاضطراب إلى أن النصارى يجدون نَفْرة عقولهم وقلوبهم عن التثليث ؛ لأن فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وما جعله الله فى قلوب الناس من

---

(١) بولس الأنطاكى / رسالة إلى أحد المسلمين / ص : ٢٠ - ٢١ / بمجلة المشرق (مرجع سابق) .
ـ كنيسة القديسة دميانة بالهرم / استحالة تحريف الكتاب المقدس / ص : ٧٠ - ٧٥ / مطبعة قاصد خير / ١٩٥٧ م .
ـ بولس سباط / المشرع ص : ٢٥ / نقلاً عن الدكتور أحمد شلبى / المسيحية / ص : ١٥ / مكتبة النهضة المصرية / الطبعة الثانية / ١٩٦٥ م .
(٢) تيودور أبو قرة / ميامر تيودور أبى قرة / ص : ٢٨ .
ـ القديس أوغسطين / محاورة المعلم / ص : ٩٠ / ترجمة د. حسن حنفى ضمن كتاب " نماذج من الفلسفة المسيحية " / مكتبة الأنجلو المصرية / ط ٢ / عام ١٩٧٨ م .
ـ القديس أنسليم / آمن كى تعقل / ص : ١٤٣ / ضمن " نماذج من الفلسفة المسيحية " .
ـ زكى شنودة / تاريخ الأقباط / (١ / ٢٤١ - ٢٤٢) .

المعارف العقلية يدفع ذلك وينفر عنه ، لذلك يلجأون إلى الشرع ، ويزعمون أن نصوص الأنبياء والكتب المنزلة نطقت بذلك ، ثمّ تكلفوا لما ظنوه مدلول الكتب طريقاً عقلية فسرُوه بها تفسيراً ظنُّوه جائزاً فى العقل . (١)

أما المصدر الحقيقى لعقيدة التثليث والحلول والاتحاد فى المسيحية والذى أوقع النصارى فى ذلك الخلط والاضطراب بين الشرع والعقل لإثباتها ، وجعلهم يحاولون دفع التناقض الجَلِيِّ بين تلك العقيدة وبين مقررات العقول بادعاء أنها من طور فوق طور العقل ، فَيُرْجِعُه الإمام إلى تأثير الوثنية فى النصرانية ومشاكلة النصارى ومضاهاتهم للوثنيين ، ذلك التأثير وتلك المشاكلة والمضاهاة التى جعلت النصارى كما يقول : (٢)

" لا يميزون بين ما يحيله العقل ويبطله ويعلم أنه ممتنع ، وبين ما يعجز عنه العقل فلا يعرفه ، ولا يعلم فيه بنفى ولا إثبات ، وأن الرسل أخبرت بالنوع الثانى ، ولا يجوز أن تخبر بالنوع الأول ، فلم يفرقوا بين محالات العقول ومحارات العقول ، وقد ضاهوا فى ذلك من قبلهم من المشركين الذين جعلوا لله ولداً وشريكاً ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) .

وقد كان ابن تيمية موفقاً فى إرجاعه عقيدة التثليث النصرانى إلى الضغط الوثنى المتزايد على النصرانية (٤) ، مما جعلها تتلقف فكرة التثليث الوثنية التى توائم البيئة الجديدة التى خرجت المسيحية إليها وبها من دائرة دعوة يحملها نبىٌّ الجليل عيسى - عليه السلام - لقومه بنى إسرائيل إلى ديانة عالمية جديدة .

فوجد دعاة الديانة الجديدة أنفسهم وجها لوجه أمام الكتاب المقدس الذى يؤمنون به، وتلتزم نصوصه التزاماً صارماً بالتوحيد .

ولم يكن أمامهم للخروج من هذا المأزق سوى الاختيار بين حلَّين :

(١) الجواب الصحيح (٢ / ٩١) .
(٢) السابق (٢ / ٩٢) .
(٣) التوبة : (٣٠) .
(٤) لقد جاءت آراؤه فى ذلك مطابقة للدراسات العلمية الحديثة ، وسنعرض لذلك بالتفصيل فى خاتمة البحث إن شاء الله .

١- التخلّى صراحة عن التوحيد والتسليم بالتثليث .

٢ - التخلّى عن التمييز بين الشخصيات الثلاث فى الله ـ تعالى ـ والقول إن كُلاً من هذه الشخصيات ليس سوى جانب جوهرى من جوانب الذات الإلهية الواحدة .

لكنهم رفضوا الاختيار بين الأمرين ، وأرادوا أن يبقوا فى نفس الوقت على وحدة الله التى لا تتجزأ ، وعلى وجود شخصيات ثلاث متميزة فيه " (١) .

ويبدو أن غرابة هذا الحل وصعوبته كانت السبب فى رفض غالبية النصارى له واستهجانه ؛ لجمعه بين المتناقضات والأضداد ، لذلك لم يستطع دعاة المسيحية الوثنية الجديدة فرضه دفعة واحدة .

فقرر المؤتمرون الثلاثمائة وثمانية عشر بـ " نيقية " عام ٣٢٥ م ألوهية المسيح ومساواته الآب فى الجوهر وبنوته له . (٢)

ثم استقر التثليث كعقيدة ثابتة بأمانة النصارى المقدسة فى مجمع القسطنطينية الثالث عام ٣٨٣ م ، عندما اتفق مائة وخمسون من الأساقفة المجتمعين بمدينة القسطنطينية بعد ثمانية وخمسين عاماً من مجمع نيقية ، على ألوهية روح القدس ، وأنه خالق غير مخلوق ، إله حق من طبيعة الآب والابن وزادوا فى نص الأمانة : " ونؤمن بروح القدس ، الربِّ ، المُحْيى ، المُنْبَثِق من الآب ، الذى هو مع الآب والابن مسجودٌ له ، ومُمَجَّد "(٣)

ولما كانت هذه المقررات لا تُعَبِّر إلا عن رأى أقلية قليلة من الأساقفة المجتمعين لا تجاوز عشرين بالمائة من مجموع المجتمعين (بنيقية) وعددهم ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً ، لم يجد دعاة المسيحية الجديدة إلا القوة والإرهاب والنَفْى واللّعن والحرق كوسيلة وحيدة وفعّالة لفرض تلك العقيدة على جموع النصارى الرافضين لها ، مستخدمين فى ذلك السلطان الممنوح لهم من الملك قسطنطين ، والذى سلّطهم بمقتضاه على كافة

(١) شارل جينيبر / المسيحية / ص : ١٩٩ / ترجمة د. عبد الحليم محمود / طبع دار المعارف / الطبعة الثانية / بدون تاريخ .

(٢) سعيد ابن البطريق / التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق / ص : ١٢٦ - ١٢٧ / طبع الآباء اليسوعيين / بيروت / ١٩٠٥ م .

(٣) السابق : ص : ١٤٥ .

المملكة يقولون ما يشاءون بلا مُعَقِّب من ورائهم ، ويفرضون ما يرون لصالح المسيحية الوثنية الجديدة . (١)

وقد احتشد الإمام لتقويض دعائم التثليث بكل ما أوتى من علم وقوة ، وباستفاضة وشمول لم يسبق إليه ، وبمنهجٍ تحليلىٍّ نقدىٍّ يستغرق جوانب القضية ومرتكزاتها ، مما يُعْطى نقده التثليث أهمية بالغة ومكانة خاصة ، إذ تناول تفنيده أهمَّ دعاوى النصارى على صحة التثليث وأهمَّ استدلالاتهم عليه ، والتى ما زالت عماد احتجاج النصارى حتى اليوم . (٢)

فأضفى كل ذلك على دراسته للنصرانية خصوبة دائمة ، وجعل منها ضرورة وبداية لابد منها لكل باحث فى حقل الجدل الدينى مع النصارى .

يكشف عن هذا تناوله قضية التثليث فى دوائر ثلاث :

١ – هدم فكرة التثليث النصرانى من أساسها .

٢ – مناقشة مسمَّيات وألوهية أفراده .

٣ – إبطال فكرة الحلول والاتحاد .

سالكاً فى ذلك مسلكين متكاملين : مبتدئاً بالنقد والهجوم ، ومعقِّباً بالرد على الدعاوى النصرانية وتفنيد الأدلة على صحتها .

فحقق ذلك التناول لنقده الشمول والعمق وتعدد الطرق والوسائل فى دراسة القضية من أكثر من زاوية وبأكثر من منهج يجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول ، وسيتضح ذلك من العرض التالى :

---

(١) تاريخ ابن البطريق ، ص : ١٢٦ .

(٢) انظر فى ذلك :

ـ موجز الاعتقاد فى وحدانية الإله / للأنبا غريغوريوس .

ـ وكذلك مناظرة الداعية أحمد ديدت والقس سوجارت .

ـ ومحاضرة فى التثليث للأنبا شنودة بطريرك الإسكندرية توزع الآن فى الأسواق على شريط كاسيت .

وقد طبعت قبل ذلك على هيئة كتيب باسم « القرآن والمسيحية » مطبعة المجد ، محرم بك ، الإسكندرية.

١ ـ هدم فكرة التثليث النصرانى

يبدأ ابن تيمية محاولته إبطال تلك الفكرة برفض كل التصورات والتفسيرات التى يقدمها النصارى للتثليث ، لأنهم يعتقدون خلافها ، ويؤمنون بثلاثة آلهة حقيقية ، مختلفة، متساوية فى الجوهر ، كما تنص على ذلك وتصرح به أمانتهم التى يتفقون عليها جميعاً . (١)

وهذا عين ما صرَّح به يوحنا الدمشقى بقوله :

" فالمسجود لهم ثلاثة : الآب آب واحد ، وهو لا مَبْدأ له ، لأنه ليس من أحد ، والابن ابن واحد ، وهو ليس بلا مَبْدأ ، وهومن الآب ، وإذا اعتبرت البدء انطلاقاً من الزمن فالابن لابدء له ؛ لأنه صانع الأزمان وهو ليس تحت الزمن ، والروح القدس روح واحد صادر من الآب ، وذلك ليس بالولادة بل بالانبثاق لأن الآب لم ينفك أن يكون غير مولود ، والابن لم ينفك أن يكون مولوداً ، فكيف إذن والروح القدس لا يستحيل إلى الآب أو إلى الابن ؟ لأنه منبثق ولأنه إله ، فإن خاصته لا تتحرك ، وإلا كيف تبقى خاصة إذا تحركت واستحالت ؟ فإذا صار الآب ابناً فلا يكون آباً بالحقيقة ؛ لأن الآب واحد حقاً ، وإذا صار الابن آباً فلا يكون ابناً بالحقيقة ، لأن الابن واحد حقاً ، والروح القدس واحد (٢) .

ويمضى الإمام مبطلاً تلك الفكرة من وجوه :

أولها : (٣) أن أسماء الله ـ تعالى ـ كثيرة ، والاقتصار على ثلاثة منها دون غيرها باطل كما أن الزعم بأن تلك الأسماء تختص بشئ دون غيرها فهو باطل أيضاً .

ثانياً : (٤) تناقض النصارى فى تفسير : الآب والابن وروح القدس ، واختلافهم فى مسمياتها وخواصها بين (الوجود والحياة والعلم والقدرة والجود والحكمة) (٥) .

ولا يُخْرِج النصارى من ذلك المأزق الاعتذارُ الذى قدَّمه يحيى بن عدى عن التثليث

---

(١) الجواب الصحيح (٢ / ١١٦ - ١١٨) .

(٢) يوحنا الدمشقى / المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى / ص : ٧٢ .

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١١٢ - ١١٣) .

(٤) السابق (٢ / ٩٤ - ٩٥) .

(٥) راجع تفسير النصارى للتثليث كما عرضناه : آنفاً .

بأنه بمثابة قولك : زيد الطبيب الحاسب الكاتب ، ثم تقول : زيد الطبيب ، وزيد الحاسب ، وزيد الكاتب (١) .

فهو ـ كما يقول الإمام (٢) ـ مع كل صفة له حكم خلاف حكمه مع الصفة الأخرى ، فالذات واحدة لكن المساوِى ليس هو المساوَى .

ثالثاً (٣) : اشتمال تلك التفسيرات على التعطيل ؛ إذ تقتضى أن يكون الآب قبل (الحياة والقدرة) إن فسروا روح القدس بذلك ، وأن يكون قبل (النطق ، العلم ، الحكمة) إن فسروا " الابن " بذلك . فيلزم أن يكون الله حياً بعد أن لم يكن ، وأن يكون ناطقاً ، عالماً، قادراً بعد أن لم يكن ، وهذا من أعظم الكفر .

رابعاً : (٤) يلزم من تلك التفسيرات أن يكون روح القدس ابناً ثانياً ، فكما أن الابن هو صفة له ، فكذلك الحياة صفة ثانية لازمة له ، فيجب التسليم بابن ثان هو روح القدس.

خامساً : (٥) الدعوى بأن المتحد بالمسيح هو الكلمة التى هى العلم ، إن أريد به نفس الذات العالمة الناطقة كان المسيح هو الآب وهو الابن وروح القدس . وهذا باطل . وإن أريد بالمتحد العلم ، فالعلم صفة لا تفارق العالم ، ولا تفارق الصفة الأخرى التى هى الحياة ، فيمتنع أن يتحد به العلم دون الذات والحياة .

سادساً: (٦) تتضمن تلك التفسيرات أن المسيح صفة ، ومن المعلوم أن المسيح ـ عندهم ـ خالق وسيأتى بمجده ليدين الناس ويحاسبهم ، وهذا عين التناقض ، فالصفة لا تخلق ولا تحاسب ، فكيف والمسيح ليس صفة قائمة بغيرها ؟ .

---

(١) يحيى بن عدى / رسالة فى الرد على أبى عيسى الوراق / مخطوط المكتبة الأهلية بباريس / ورقة رقم : ٦ ، ٧ .

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١١٨) .

(٣) السابق : (٢ / ١١٥) .

(٤) السابق : (٢ / ١١٥) .

(٥) السابق : (٢ / ١١٥ ، ١٥٦) .

(٦) السابق : (٢ / ١١٥ ، ١٥٦ - ١٥٧) .

سابعاً : (١) إذا كان روح القدس هو حياة الله ، وكان المسيح قد تجسد من روح القدس ومريم كما تنص الأمانة ، فيلزم أن يكون المسيح كلمة الله وحياته فيكون لاهوته أقنومين من الثلاثة وهذه ثنوية لا تثليث ، أما إن رفضوا الإقرار بأن روح القدس هو حياة الله ، فقد بطل التثليث أيضاً .

ثامناً : (٢) يلزم من تلك التفسيرات تأليه كلٌ مِنَ الأنبياء الذين حلَّت فيهم روح القدس، وهم لا يقرون بذلك إلا للمسيح .

بعد أن قدم الإمام البراهين على بطلان فكرة التثليث النصرانى يعرض لمناقشة استدلالات النصارى على صحة القول به وتتضمن تلك الاستدلالات :

١ - تشبيهات لتقريب معناه للعقول .

٢ - أدلة نقلية من الكتاب المقدس .

٣ - مزاعم حول تأييد القرآن للتثليث .

فيسوق من الدلائل والحجج ما يبطل به :

أ ـ التشبيهات لتقريب معنى التثليث :

وذلك من ناحيتين : (٣)

أولاهما : إن كان المقصود بالضياء والحرارة ما يقوم بذات الشمس فذلك صفة للشمس قائمة بها لم تَحُلّ بغيرها ، على افتراض صحة القول بقيام الحرارة بالشمس .

الثانية : إن أرادوا بالضياء والحرارة ما هو بائن عن الشمس قائم بغيرها كالشعاع والحرارة القائمين بالهواء والأرض بطل قولهم من وجوه .

١ - أن هذه أعراض منفصلة عن الشمس قائمة بغيرها لا بها .

٢ - أن هذه الأعراض تخالف الكلمة وروح القدس التى هى جواهر بنص الأمانة .

(١) الجواب الصحيح (٢ / ١١٩) .
(٢) السابق : ١٢٠ .
(٣) السابق : ١٢٠ - ١٥٩ .

٣ - أن الحرارة والضياء ليسا هما الشمس ولا صفة من صفتها، وإنما هما أثران حاصلان فى غير الشمس بسببها ، ومثل هذا لا يُنْكر قيامه بالأنبياء ، لكن ليس للمسيح اختصاص به دون سائر الأنبياء ، فلا وجه لاعتباره إلهاً دون غيره من الرسل .

ب ـ أدلة الكتاب المقدس :

وهى النص الوارد بإنجيل متى (١) : " اذهبوا إلى جميع الأمم ، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " .

ويشكك الإمام ـ بداية ـ فى صدور هذه العبارة عن المسيح ، ومن ثمَّ لا يُجَوِّز الاستدلال بها ، لأنه يُفْهم منها عند الإطلاق المعانى الباطلة ، ولو قُصِد بها معنى صحيح(٢) .

وهذا ما وقع فيه النصارى بالضبط ، فقد قال بعضهم بألوهية مريم باعتبارها أم المسيح الابن الإله وهم المريمانية (٣) ، وفهم البعض الآخر من القول بألوهيتها وأمومتها للابن الإله أنها زوجة الله ـ تعالى ـ ؛ لذلك ينادونها فى صلواتهم اليومية« أيتها السيدة الطاهرة العذراءُ النقيةُ عروسَ اللّه » (٤) ، وينشدون لها يوم عيد ميلادها فى صلاة المساء : « اليوم حَنّةُ العاقرُ تَلِدُ فتاةَ اللّه » (٥) ، بل يخلعون عليها لقباً يؤكد تلك المعانى الباطلة ، فيطلقون عليها " التى لها دَالَّةٌ عند الله " (٦) .

كما ينفى الإمام أن يكون قَصْدُ المسيح من تلك العبارة ـ إن كان قالها ـ إثبات الأقانيم الثلاثة ، فلم يستعمل أحد قط لفظ الابن فى معنى صفة من صفات الله ، وكذلك لم يستعمل أحد روح القدس بمعنى حياة الله بل يجب تفسير العبارة ـ على فرض ثبوتها ـ تفسيراً يوافق سائر ألفاظ المسيح وكلامه وسائر ألفاظ الكتب التى بأيديهم وبما يوافق صريح المعقول وصحيح المنقول ، فيكون مراد المسيح من تلك العبارة :

---

(١) متى (٢٨ / ١٩ - ٢٠) .

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ٩٥ - ٩٦) وسنأتى على هذه المسألة بالتفصيل فى خاتمة البحث .

(٣) تاريخ ابن البطريق / ص : ١٢٧ .

(٤) الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله / مجموعة من المؤلفين / ص : ٤١ ، ١٦٥ ، سلسلة تعرف إلى كنيستك (٩) منشورات النور / بيروت / ١٩٨٢ م .

(٥) السابق / ص : ٤٦ .

(٦) السابق / ص : ١٦٥ .

« مُرُوا الناسَ أنْ يؤمنوا بالله (الآب) ، ونَبِيِّه الذى أرسله (الابن) وبالمَلَك الذى أنزل عليه الوحىَ الذى جاء به ، فيكون أمراً لهم بالإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله »(1).

وتفسير الإمام للبنوة بمعنى العناية والتربية يوافقه عليه كثير من النصارى ، وإن لم يصرحوا بذلك ، ففى إجابة سؤال ورد إلى أحد الكتبة النصارى عن مريم العذراء : أبقِيَتْ عذراء بعد ولادة المسيح أم كان لها أبناء كما يزعم البعض أن يوسف ولد أربعة أبناء ذكور : يعقوب ، يوسى ، سمعان ، يهوذا ، وثلاث بنات : أشير ، ثامر ، سالومى ؟.

قال الكاتب : إنها كانت أمهم بالذخيرة والعناية فقط . (2)

فهذا التفسير أوْلى وأقرب إلى العقل ، وأكثر اتفاقاً مع نصوص الكتاب المقدس التى تسمِّى غير المسيح ابناً ، كما قيل لموسى : « أليس هذا الآب الذى صنعكَ وبَرَأَكَ واقتناكَ » (3) .

وذلك بدلاً من الاختلاف فى تفسير البنوة بين المسيح وغيره ، واعتبار بنوة المسيح بنوة بالطبع ، وبنوة غيره بنوة بالوضع (4) ، وجعل اللفظ مشتركاً بين معنيين ، مع العلم بأن الاشتراك على خلاف الأصل ، إذ كيف يكون حقيقة فى حق هذا ، ويكون مجازاً فى حق ذاك ، بلا مسوغ أو دليل .

جـ ـ دعوى تأييد القرآن للتثليث :

وذلك لا يجوز من وجوه :

١ - أن القرآن قد جاء بما يخالف دين النصارى ، فيلزم ـ إنْ كان محمد ﷺ رسولاً صادقاً ـ أن يكون دين النصارى باطلاً .(5)

---

(1) الجواب الصحيح (٢ / ٩٨ - ٩٩ ، ١٣١ ، ١٣٣) .

(2) مجلة المشرق / السنة الثانية ١٨٩٩ م / العدد ٩ / ص : ٤٣١ .

(3) تثنية (٣٢ / ٦) .

(4) الصفى بن العسال : نهج السبيل / ص : ١٦ - ١٧ .

ويقصد ابن العسال ببنوة الطبع أن يكون الابن من نوع أبيه وطبعه ، أما البنوة بالوضع فأن يكون بينهما مشابهة فى الصفة أو مناسبة ما مع تميز كل منهما بقرينة ، نهج السبيل ، ص ١٦ .

(5) الجواب الصحيح (١ / ٣٨) .

٢ – إن لم يكن النبى ﷺ صادقاً فى قوله : إنه رسول الله لم يكن من الأنبياء والمرسلين ، فلا يكون قوله أو شئ مما جاء به من القرآن حجة .[١]

٣ – إن كان صادقاً فى موضع وكاذباً فى موضع فلا يصح الاحتجاج بشئ مما جاء به من القرآن ، فمن كذب فى موضع لا يستحيل عليه الكذب فى موضع آخر .[٢]

٤ – أن التثليث موجود قبل أن يبعث محمد ﷺ فكيف يستدل باللاحق على السابق.[٣]

٥ – تواتر النصوص الظاهرة فى القرآن على تكفير النصارى القائلين بالتثليث[٤] كقوله – تعالى – : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾[٥]

٦ – تحريف النصارى معانى الآيات التى استدلوا بها ، وذلك كاستدلالهم على ألوهية روح القدس وأنها روح الله وحياته ، بقوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾[٦]

فهذه الروح بيّن حقيقتها قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ : إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ، قَالَ : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾[٧]

فبين القرآن أن تلك الروح هى رسول من الله ومخلوق له ، أرسله يبشّر مريم ، وليست تلك الروح حياة الله أو صفته سبحانه وتعالى .[٨]

---

(١) الجواب الصحيح (٣٨/١) .

(٢) السابق .

(٣) السابق (٢ / ١٣٤) .

(٤) السابق (١٣٥) .

(٥) المائدة : (٧٣) ، وانظر : المائدة : ١٧ ، ٧٢ ، والنساء : ١٧١ – ١٧٢ .

(٦) التحريم : (١٢) .

(٧) مريم : (١٨) .

(٨) الجواب الصحيح (٢ / ١٤١) .

٢- مناقشة مسميات وألوهية أفراد التثليث

أ ـ الآب

يستدل النصارى على مصدر تلك التسمية بقول التوراة : « أليس هذا الآب الذى صنعك وبَرَأكَ واقتناكَ » (١)

ويرى الإمام أن نفس تلك العبارة تنفى خصوصية المسيح ببنوة اللاهوت ففى هذا النص تسمية اللاهوت أباً لغير المسيح ، لكنهم يجعلون تلك الأبوة فى حق المسيح بمعنى التولد ، وفى حق غيره بمعنى الربوبية ، رغم أن اللفظ واحد ، والإله واحد ، والابن نوع واحد هو البشر . (٢)

كما أن اختصاص اللاهوت بأبوة المسيح لا يَثْبت حتى يُعْلم أنه أُريد به ذلك المعنى فى حق المسيح ، وذلك ممتنع ، فلا دليل لهم إلا مجرد إطلاق اللفظ . (٣)

إذ لا يوجد فى كتب الأنبياء وكلامهم إطلاق اسم الآب ويكون المراد به اللاهوت ولا إطلاق اسم الابن ويكون المراد به شيئًا من اللاهوت ولا كلمته ولا حياته ، بل لا يوجد لفظ الابن إلا والمراد به المحدَث المخلوق ، فعلى النصارى إما أن يؤمنوا بكلام الأنبياء وبطلان دينهم وإما أن يصححوا دينهم ويكذبوا الأنبياء .(٤)

* * * * *

---

(١) التثنية (٣٢ / ٦) .

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٣) .

(٣) السابق : ١٢٣ .

(٤) السابق : ١٢٣ - ١٢٤ .

(ب) الابن

يمنع الإمام بشدة إطلاق لفظ الابن على المسيح؛ لأنه يقود ضرورة إلى فهم معانٍ باطلة : [1] منها ألوهية أمه مريم وقد قالت بذلك طائفة منهم [2] ، ومنها الاعتقاد السائد بين النصارى أن المسيح ابن الله البنوة المعروفة فى الآدميين ، والذى يعبر عنه تيودور أبو قرة بقوله :

" فإن أنكر أحد أن آدم شِبْهُ اللّهِ ، واللهُ شِبْهُ آدم ، فى الولادة والرئاسة كمثلما هو شَبِيْهُه فى سائر فواضله ، فإننا نجيبه أنه ما ينبغى له أن ينكر ذلك ؛ لأنه ليس فى آدم فضلُ كرمٍ ولا أرفعُ من الولادة والرئاسة " [3]

ويعجب أبو قرة ممن ينكر أن يلد الله ـ تعالى ـ الولادة المعروفة فى البشر ، فيقول : « أخبرنى أيها الجاحد للابن . أتقول إن الله يقدر أن يلد مثله أم لا يقدر فإن زعمتَ أن الله لا يقدر أن يلد مثله ، فقد أدخلت عليه أعظم المنقصة حيث تجعلنا نحن يقدر أحدنا أن يلد مثله ، وتجعل الله لا يقدر على ما نقدر نحن عليه من الفواضل ، لأن الولد قد عَلِم كل الناس أنه من مكارم ما عندنا » [4]

ويقرر أن الله تعالى : « ثلاثة وجوه : والد ومولود ومنبثق » [5] .

أما استدلال النصارى على ألوهية المسيح بكونه كلمةَ الله الخالقة فيردُّه الإمام بوجوه منها :

---

(١) الجواب الصحيح (٢ / ٩٥ - ٩٦) .

(٢) تاريخ ابن البطريق / ص : ١٢٧ .

(٣) ولا يزال النصارى إلى الآن يعتقدون ألوهيتها كما تعبر عن ذلك نصوص أدعيتهم وابتهالاتهم وأناشيدهم فى الصلوات والأعياد ، ففى صلاة النوم الصغرى يرددون يومياً : « إنى أنا عبدك يا والدة الإله .... اعتقينى من صنوف الشدائد » الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله / ص : ٤٢ .
وفى هذه النصوص أيضاً : « فلنَسْجُد لها جميعاً مبتهلين » الرؤية الأرثوذكسية ، ص : ٦٦ .
: لنسبِّح اليومَ التى هى من نسل داود « الرؤية الأرثوذكسية » ص ٦٦ .

(٣) تيودور أبو قرة / ميمر فى وجود الخالق والدين القويم / ص : ٢٢٥ / بتحقيق الأب الدكتور اغناطيوس ديك / المكتبة البولسية ـ لبنان / ط عام ١٩٨٢ م .

(٤) السابق / ص : ١١٢ .

(٥) السابق : ص : ٢٢٨ .

١ – أن الله قد خلق الأشياء بالكلمة التى هى (كن) : كما قال فى التوراة : « ليكن ..... يكن .... » [١] وليس المسيح هو هذه الكلمات . [٢]

٢ – أن الكلمة اسم جنس ، وعلى هذا فكلمات الله متعددة لا نهاية لها كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ [٣] ومن المعلوم أن المسيح ليس هو مجموع هذه الكلمات . [٤]

٣ – أن النصارى يعتقدون أن المسيح هو الخالق كما تصرح الأمانة أنه " إلهٌ حقٌ من إلهٍ حقٌ " وعلى هذا يكون هو الذى يشدِّد السموات والأرض ، لكنهم يؤمنون أيضاً بأن السموات والأرض قد تشدَّدت بواسطته ، مما يوجب أن يكون الكلمة فى هذه الحالة صفة بها خلقت السموات والأرض ، والمعلوم أن المسيح ليس صفة (٥)

ويفسِّر الإمام سر اختصاص المسيح باسم كلمة الله دون سائر البشر ، بأن البشر خلقوا على الوجه المعتاد فى المخلوقات من ماء الأبوين الذى يصبح نطفة فعلقة ، فمضغة ، فعظاماً مكسواً باللحم ، ثم تُنْفَخ فيه الروح .

أما المسيح ـ عليه السلام ـ فلم يُخْلَق من ماء رجل ، بل لمَّا نفخ روح القدس فى أمه حبلت به ، وقال الله له : كن . فكان ، ولهذا شبَّهه الله بآدم : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٦] فلم يحتج آدم إلى مراحل الخلق التى يحتاجها أولاده .

ومن عادة العرب فى لغتها أن الاسم إن كان له نوعان ، خَصَّت أحدهما باسم وأبقت الاسم العام مختصاً بباقى أفراد النوع ، كلفظ الدابة والحيوان فإنه عام فى كل ما يدب وكل حيوان ، فلما كان للآدمى اسم يخصه بقى لفظ الحيوان مختصاً بالبهيم ، ولفظ الدابة يختص به الخيل والبغال والحمير ، وكذلك الأمر بالنسبة للمسيح اختص باسم الكلمة العامة دون غيره لأن لغيره اسماً يختص به [٧] .

---

(١) سفر التكوين (١ / ١٧) .
(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٦) .
(٣) الكهف : (١٠٩) .
(٤) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٦) .
(٥) السابق .
(٦) آل عمران : (٥٩) .
(٧) الجواب الصحيح (٢ / ١٦٥ – ١٦٦) .

(جـ) الروح القدس

يدفع الإمام قول النصارى بألوهية الروح القدس بالأدلة التالية :

١ - لا تنطبق كتبهم وما بأيديهم بتسمية حياة الله أو روحه بروح القدس [١] .

٢ - بطلان تفسيرهم قول التوراة " وكان روح الله يَرِفُّ على الماء [٢] " بأن روح الله وحياته القائمة به كانت ترف على الماء ، فهذا لا يقوله عاقل . [٣]

٣ - عدم اختصاص روح القدس بالمسيح ، فالتوراة تقول على لسان داود " رُوحُكَ القدس لا تَنْزِعْه مِنّى " [٤] ، وهم يسلمون أن روح القدس قد حلّت أيضاً فى الحواريين ، فإن كانت روح القدس هى حياة الله ومن حلّت فيه كان فيه شئ من اللاهوت ، لزم من ذلك تأليه كل من حلّت فيه وهذا باطل . [٥]

٤ - أن روح الله المذكورة على لسان أيوب : " روح الله خلقنى وهو يعلمنى " [٦] يراد به الملك الذى هو روح اصطفاها الله كما قال فى القرآن [٧] : (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا) [٨]

فإن كانت تلك العبارة ثابتة عن أيوب ـ عليه السلام ـ فمعناها أن الملك صوّرنى فى بطن أمى وهو يعلمنى ، يؤيد ذلك قوله ﷺ : " إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ . أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ فَيَقْضِى رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ رِزْقَهُ ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِى يَدِهِ ، فَلَا يُزَادُ عَلَى أَمْرٍ وَلَا

---

(١) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٥) .
(٢) تكوين (١ / ٢) .
(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٤) .
(٤) مزامير (٥١ / ١١) .
(٥) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٥) .
(٦) أيوب : (٣٣ / ٤) .
(٧) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٧) .
(٨) مريم : (١٧ - ١٩) .

يُنْقَصُ . [1]

فالخلق والفعل يُضاف إلى الرب تارة وإلى الوسائط تارة أخرى ، كما فى قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [2] .

ويقول فى موضع آخر : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ ﴾ [3] ، فأضيف الفعل إلى الله ـ تعالى ـ تارة ، وإلى الملائكة الذين هم وسائط تارة أخرى [4] .

* * * * *

(١) مسلم (كتاب القدر / باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) .
(٢) الزمر : ٤٢ .
(٣) الأنعام : ٦١ .
(٤) الجواب الصحيح (٢ / ١٢٩) .

(٣) إبطال فكرة الحلول والاتحاد

يسلك ابن تيمية فى سبيل إبطال هذه الفكرة ثلاثة طرق مختلفة :

أ ـ طريق شرعية .

ب ـ طريق عقلية .

جـ ـ مناقشة أدلتهم على الحلول وذلك على النحو التالى :

أولاً : الطريق الشرعية :

وخلاصتها أن الأخبار الإلهية من نصوص كتبهم صريحة بأن المسيح عند الله ليس بخالق العالم أو شريك فى خلقه وذلك كقول الأناجيل : [١]

١ – « أما ذلك اليوم والساعة فلا يَعْلَمُ أحدٌ ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن ، إلا الآب » [٢] .

يعلِّق الإمام على ذلك النص قائلاً : " وهذا يدل على شيئين : على أن اسم الابن إنما يقع على الناسوت وحده دون اللاهوت ، فإن اللاهوت لا يجوز أن يُنْفَى عنه علم الساعة ، ويدل على أن الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله ، وهذا يبطل قولهم بالاتحاد ، فإنه لو كان الاتحاد حقاً كما يزعمون لكان الابن يعلم ما يعلمه الله ، ويقدر على ما يقدر عليه" [٣] .

٢ – " هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإلهُ الحقيقىُّ وحدَكَ ، ويسوعَ الذى أرسلته " [٤] .

٣ – " لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحدٌ صالحاً إلا الله " [٥] .

٤ – " إلَهى إلَهى ، لِمَ تَرَكْتَنى ؟ " [٦] .

---

(١) الجواب الصحيح (٢ / ٢١٧ – ٢١٨) .
(٢) مرقس (١٣ / ٣٢) .
(٣) الجواب الصحيح (٢ / ٢١٨) .
(٤) يوحنا (١٧ / ٣) .
(٥) متى (١٩ / ١٧) .
(٦) مرقس (١٥ / ٣٥) .

ثانياً : الطريق العقلية :

فحواها أن تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق ، وولادتهما معاً أى الكلمة مع الناسوت وهو ما يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت أمرٌ ممتنع فى صريح العقل ، ودلائل بطلانه كثيرة متعددة الوجوه [1] :

أحدها : أن المتحد بالمسيح إما أن يكون الذات المتصفة بالكلام أو الكلام فقط ، فإن كان المتحد به الكلمة مع الذات كان المسيح هو الآب وهو الابن وهو روح القدس وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة ، وهذا باطل باتفاق النصارى ، وسائر أهل الملل .

وإن كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفة والصفة لا تقوم بغير موصوفها ، والصفة ليست إلهاً خالقاً والمسيح عندهم إله خالق ، فبطل قولهم على التقديرين .

الثانى : أن ناسوت المسيح مع الذات المتحدة به إن كانتا بعد الاتحاد ذاتين ، وهما جوهران ـ كما كانا قبل الاتحاد ـ فليس ذلك باتحاد .

وإن قيل : صارا جوهراً واحداً ـ كما يقول من يزعم أنهما صارا كالنار مع الحديد أو اللبن مع الماء ـ فهذا يستلزم استحالة كلٌ منهما وانقلاب حقيقته ، وحينئذ يلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته ووجدت له حقيقة أخرى وانعدمت صفته وحقيقته الأولى .

وذلك باطل ؛ لأن القديم واجب الوجود بنفسه يستحيل عَدَمه ، فالقديم لا يكون قديماً إلا لكونه لازماً للوجوب بنفسه .

الثالث : أن كلام الله ـ سبحانه ـ إما أن يكون صفة له قائماً به ، وإما أن يكون مخلوقاً له بائناً عنه ، وإما أن يكون لا هذا ولا هذا ، وقول النصارى باطل على كل تقدير.

فعلى القول الأول : وهو قول سلف الأمة وأئمتها وجمهورها وقول كثير من أهل الكتاب ، إما أن تكون كلمات الله كثيرة لا نهاية لها ولم تزل وهو المأثور عن أئمة السلف ، وإما أن تكون معنى واحداً صفة قائمة بالموصوف .

---

(١) الجواب الصحيح (٢ / ١٦٠ – ١٦٦) بتصرف خشية أن يُظن أنها مكتوبة بهذا الشكل لأن هيئتها توحى بذلك .

وإما أن تكون معنى واحداً صفة قائمة بالموصوف .

ويبطل قول النصارى على ذينك القولين ، فالمسيح ليس هو كلمات كثيرة لا نهاية لها ، بل هو مخلوق بكلمة واحدة من كلمات الله كما يدل على ذلك القرآن والتوراة : يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١) ، (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) (٢) .

وفى التوراة : " ليكن يوم الأحد ، ليكن كذا ، ليكن كذا " . وعلى التقدير الثانى فالكلام صفة قائمة بالموصوف لا يُتَصور أن يكون جوهراً قائماً بنفسه ولا يُتَصور أن يكون خالقاً و له مشيئة أو أن يَحُلَّ بغيره ، بل لا يجوز أن يَحُلَّ بغير المتكلم .

وعلى القول الثانى وهو قول المعتزلة والجهمية فليس لله كلام قائم به حتى يتحد بالمسيح أو يحلّ به ، والمخلوق عَرَض من الأعراض ليس بإله خالق .

وعلى القول الثالث وهو قول الفلاسفة والصابئة أن الرب لا تقوم به الصفات وليس خالقاً باختياره وكلامه ما يفيض على النفوس ، وليس متكلماً ما نطقت به الأنبياء . أطلقه من دخل فى الملل منهم ، فالمسيح لا وجود له .

الرابع : لو كان حلول الله ـ تعالى ـ فى البشر ممكناً لم يكن لاختصاص واحد من البشر بذلك ـ دون من قبله وبعده ـ وجه ، فإن القدرة شاملة وحاجة الخلق لذلك دائمة ، لهذا لمّا كانت الرسالة ممكنة أرسل الله غير واحد من البشر ، ولما كان كلامه للبشر ممكناً سمع كلامه غير واحد ، وكذلك لمّا كانت الخُلَّةُ ممكنة اتّخذ إبراهيم خليلا كما اتخذ محمداً ﷺ خليلاً ، كما هو ثابت فى الصحيحين .

الخامس : أن القول لا يدل عليه عقل ولا نقل ، ولا ادعى صادق قط حلول الرب فى بشر ، وإنما يدّعيه الكذابون كالمسيح الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان ، ويدعى الألوهية ، فيُنْزِلُ اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ المسيح عيسى ابنَ مريم ؛ ليقتل المسيح الدجال الذى ادعى الألوهية بالباطل ، وليبين أن رب العالمين لا يمكن أن يحُلَّ ببشر .

---

(١) ال عمران : ٥٩ .

(٢) ال عمران : ٤٧ .

الطريق الثالث : مناقشتهم فيما ذكروه دليلاً لهم وهو حجة عليهم :

أ ـ الدليل الأول : (١)

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾ (٢) .

ويبطل ابن تيمية استدلالهم بهذه الآية ، ودلائل بطلان هذا الاستدلال : (٣) .

أولها : إذا كان الله لم يكلم أحداً من الأنبياء أو البشر إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل إليه رسولاً فاتحاده وحلوله به أكثر امتناعاً بالأولى والأحرى ، وبخاصة وهم يرون أن المتحد به هو كلامه وهم قد سلموا أن الكلام لا يكون إلا من وراء حجاب .

ثانيها : أن قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ يقتضى أن يكون الحجاب حجاباً يحجب البشر كما حجب موسى حينما سأل ربه الرؤية، وعلى ذلك فلابد أن يكون الحجاب الحاجب للبشر ليس هو من البشر وهذا يبطل قول النصارى .

ثالثها : أن الجسد الذى ولدته مريم من جنس أجسام بنى آدم ، فإن جاز أن يتحد به ويحل فيه الرب ، جاز أن يكلمه بغير حجاب بينه وبينه بطريق الأولى والأحرى ، وهذا خلاف ما ذكروه وخلاف القرآن ؛ لأن نفى رؤية الله فى الدنيا هو نفى لماسته للبشر بطريق الأولى والأحرى ، والناسوت المسيحى بَشَرٌ ، فإذا لم يمكنه أن يرى الله ، فكيف يمكنه أن يتحد به ، ويماسه ، ويصير هو وإياه كاللبن والماء ، والحديد والنار ، أو كالروح والبدن ؟ .

رابعها : إذا كان الله لم يخاطب بشراً إلا وحياً أو من وراء حجاب ، فإن تكليمه للبشر من وراء حجاب كما كلّم موسى ، وإرساله الملائكة إلى الأنبياء إما أن يكون كافياً فى حصول مراد الرب من الرسالة إلى عباده ، أو ليس كافياً ، بل لابد من حلوله نفسه فى بشر .

---

(١) انظر : بولس الأنطاكى / رسالة إلى أحد المسلمين / ص : ٢١ / مجلة المشرق (مرجع سابق) .

(٢) الشورى : ٥١ .

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١٦٦ – ١٧٢) بتصرف .

فإن كان ذلك كافياً أمكن أن يكون المسيح مثل غيره فيُوحِي الله إليه أو يرسل إليه ملكاً أو يكلمه من وراء حجاب ، وحينئذ فلا حاجة إلى اتحاده ببشر مخلوق .

وإن كان ذلك ليس كافياً وجب أن يتحد بسائر الأنبياء ، كما اتحد بالمسيح فيتحد بنوح وإبراهيم وموسى وداود وغيرهم .

خامساً : إذا كان الرب قد اتحد بالمسيح محتجباً ببدنه ، وتفضل بنفسه بتكليم عباده النصارى واليهود المكذبين للمسيح ، ألم يكن الأولى والأحرى أن يتحد بإبراهيم فيكلم من هم أفضل من عوام النصارى واليهود المكذبين ، فيكلم إسحاق ويعقوب ولوطاً ، أو يتحد بيعقوب فيكلم أولاده ، أو بموسى فيكلم هارون ويوشع بن نون .

فإن كان الرب لم يفعل ذلك لامتناعه ، أو لعدم الحاجة إليه ، أو لعزته وحكمته ، عُلِم أنه لا يفعل ذلك مع المسيح بطريق الأَوْلى والأحرى .

سادساً : إذا ما أمكنه الاتحاد ببشر فاتحاده بملَك من الملائكة أولى وأحرى ، وحينئذ يكون اتحاده بجبريل الذى أرسله إلى الأنبياء أَوْلى من اتحاده ببشر يخاطب اليهود المكذبين للمسيح وعوام النصارى .

ب ـ الدليل الثانى :

تشبيه اتحاد اللاهوت بالناسوت باتحاد الروح بالبدن وتشبيه ظهوره فيه بظهور الروح فى البدن (١) . يقول ابن تيمية مُفَنِّدا هذا التشبيه :

" وحينئذ فمن المعلوم أن ما يصيب البدن من الآلام تتألم به الروح ، وما تتألم به الروح يتألم به البدن ، فيلزمهم أن يكون الناسوت لمّا صُلِبَ وتألّم وتوجّع الوجع الشديد كان اللاهوت أيضاً متألماً متوجعاً . (٢)

جـ الدليل الثالث :

قولهم بتجسد كلمة الله فى المسيح وظهورها فيه ؛ لأن اللطائف لا تظهر إلا فى الكثائف ، وليس هناك أجلُّ من الإنسان لتظهر فيه (٣) ، ويبطل الإمام ذلك القول من

---

(١) بولس الأنطاكى / رسالة إلى أحد المسلمين / ص : ٢١ .

(٢) الجواب الصحيح (٢ / ١٧٢) .

(٣) بولس الأنطاكى / رسالة إلى أحد المسلمين / ص : ٢١ - ٢٢ .

وجوه : (١)

أولاً : يرى أنه تركيب فاسد لا دلالة فيه ، وإنما يدل ـ على مرادهم ـ إذا بيّنوا أن كل لطيف يظهر فى كثيف ولا يظهر فى لطيف . وإلا فإنْ قيل : إنه لا يحل فى لطيف ولا كثيف ، أو قيل : إنه يَحُلُّ فيهما بطل قولهم بوجوب حلوله فى المسيح الكثيف دون اللطيف .

ثانياً : هذا القول يناقض بعضه بعضاً ، فإنهم يجعلون كلمة الله المتجسدة فى المسيح تارة يجعلونها خالقة وتارة يجعلونها مخلوقاً بها ، ومعلوم أن الخالق ليس هو المخلوق به والمخلوق به ليس هو الخالق .

ثالثاً : هذا كلام مجمل ، فإن أرادوا به أن روح الإنسان تظهر فى جسده فهذا ليس مما نحن فيه ، وإن أرادوا به أن الله يحل فى البشر ، فهذا محل النزاع ، ولا دليل عليه.

رابعاً : قولهم بتجسد الكلمة يقتضى صيرورتها جسداً وجسماً بالإنسان المخلوق وهذا يقتضى استحالتها وتغيرها ، وهو يناقض قولهم باتحاد بغير استحالة .

خامساً : اتحاد الكلمة بالجسد بغير استحالة كلام متناقض أيضاً :

فإما أن يصيرا شيئين كما كانا وحينئذ فليس هناك اتحاد ، بل هناك تعدد ، وأما أن يصيرا شيئاً واحداً ، فيكون هذا الواحد أحدهما ويقتضى هذا عُدْم الآخر لاتحاده ، وإن لم يكن أحدهما فقد اقتضى ذلك استحالة الاثنين وتَغَيُّرَهما .

يوضح هذا أن الماء إذا اتحد باللبن كان الحاصل من اتحادهما شيئاً ثالثاً ليس ماءً محضاً ولا لَبَناً محضاً ، والاتحاد بغير ذلك غير معقول .

سادساً : أن عيسى لم يتغير حاله بعد حلول الرب فيه ، ولم يسمع الناس منه صوتاً غير مألوف ، مع أن موسى أخبر قومه بأن صوت الرب كصوت الصواعق ، وأن الله عندما تجلى للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا ، ولم يحدث شئ من هذا مع المسيح مع أن الله حَالٌّ به كما يزعمون .

سابعاً: أن الذى كلم موسى من الشجرة لم يتكلم إلا بكلام الربوبية فقال : ﴿ إِنَّنِي

---

(١) الجواب الصحيح (١ / ١٧٢ – ١٧٥) بتصرف .
(١/٢٦٧ – ٢٧٧) .

أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ، إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ، فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴾ (١) .

وسائر ما تكلم به يقتضى أنه كلام رب العالمين ، وأما المتكلم على لسان المسيح فلم يقل كلمة من هذا أصلاً ، بل أقر فى كلامه أنه رسول الله وأنه مخلوق محتاج لنجـدة ربه ، وأنه ابن البشر ، وغير ذلك مما يناقض كلام المنادى لموسى من الشجرة فمن سوّى بين هذا وهذا كان قد سوّى بين رب العالمين وبين إنسان من الآدميين ، وهو أضل من الذين قال الله فيهم : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (٢)

ثامناً : إذا كان الله هو الذى كلّم الخلق على لسان المسيح ، وكان الحواريون رسله الذين سمعوا منه بلا واسطة ـ كما يزعم النصارى ـ فالحواريون إما مثل موسى وإما أعظم وهذا باطل ، فالمسيح نفسه لم تكن آياته مثل آيات موسى عليهما السلام . فأعظم آيات المسيح وهى إحياء الموتى قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كما أنها إعادة للشئ إلى ما كان عليه قبلاً ، أما معجزات موسى فعجيبة :

فليس أعجب من انقلاب الخشبة ثعباناً ، يأكل الحبال والعصى ثم يعود خشبة كما كان كما أن بياض اليد من غير برص ثم برؤها منه أعجب من إبراء مرض كسائر الأمراض ، وكذلك فلق البحر وعودته إلى حاله وإغراق فرعون وجنوده من أعجب العجائب، وكذا سائر آيات موسى ـ عليه السلام ـ فلو كان الله قد حل فى المسيح لأظهر من قدرته على يد المسيح أعظم مما أظهر على يد موسى رغم أنه لم يحل فى موسى .

تاسعاً : أن الرب إذا تكلم تكلم بكلام الربوبية ، فلو كان فى المسيح اللاهوت الذى أرسل موسى لما خضع لموسى وتوراته وذكر أنه إنما جاء ليكملها لا لينقضها ولا كان يقوم بشرائعها ، فإن رب العالمين أعز وأعظم وأجل من ذلك ، وإذا زعمت النصارى أنه فعل ذلك خوفاً من بنى إسرائيل أو خوفاً من أن يكذبوه كان عذرهم أقبح من ذنوبهم ، فرب العالمين لا يخاف من خلقه وعباده كما أنه ينصر رسله فكيف يرضى أن يكون ربّاً مصلوباً ؟

وقد أولى الإمام مسألة الحلول والتجسد عناية فائقة يكشف عنها هذا الحجم والحيز الذى شغلته فى موسوعته " الجواب الصحيح " وفى مواضع أخرى من كتبه خصوصاً

---

(١) طه : (١٤ - ١٦) .

(٢) الشعراء : (٩٨) .

«منهاج السنة» ، « درء تعارض العقل والنقل » .

يدل ذلك على وعيه بأهمية مسألة الحلول والتجسد وخطورتها سواء من جهة ارتباطها بانحراف بعض طوائف الصوفية والشيعة ووقوعهم فى براثنها ، أو باعتبارها أساساً لقضية التثليث وعلامة مميزة للمسيحية لدرجة أن كثيراً من الباحثين يعتبر التجسد مرادفاً لكلمة المسيحية ، وأن المسيحية بدون التجسد لها وقع مُبْهَم وغير مفهوم [(١)] .

كما يدل على إدراكه مواطن الضعف فى المسيحية ، فقد بات المفكرون ينظرون إلى التطورات والتفسيرات الكنسية لعقيدة التجسد لا على أنها انبلاجٌ تدريجيٌّ لشمس الحقيقة مُسْتَلْهم من الروح القدس ، بل على أساس أنها تطور محدد قاد إلى الطرق المسدودة بسبب التناقض وعدم المنطقية [(٢)] .

إذ إن المعادلة المسيحية : يسوع = الله ، ليست فقط فاشلة ، بل شاذة بشكل واضح ، فاختصار « كُلِّيَّة الله » إلى تجسد بشرى أمر لا يمكن تصوره حقاً . [(٣)]

بل هو أمر ليس بعيداً عن متناول الطرق العادية للبحث العلمى فقط ، ولكنه غير قابل للتعريف بلغة البشر ، ولا يُدْرَك فى إطار قدرات وتجارب العقل البشرى [(٤)] .

* * * * *

---

(١) مجموعة من المؤلفين : أسطورة تجسد الإله فى السيد المسيح ، مقالة موريس وايلز ، ص : ٢٨ .

(٢) مجموعة من المؤلفين : مقالة فرنسيس يونغ / ص : ٦٣ .

(٣) السابق / ص : ٧٢ .

(٤) السابق : ص : ٧٠ .

(٢) الصلب

وهو الأساس الثانى من أسس المسيحية إذ لا يتم الإيمان والخلاص للمرء فى المسيحية إلا بعد التسليم به ، كما أن انتفاء الصلب يعنى انتفاء المسيحية [(١)] ، وهو يرتبط بالأساس الأول للمسيحية (التثليث وألوهية المسيح) ارتباط تلازمٍ ووجود ، فالصلب لا يكون إلا بوجود الثالوث المقدس ، ونفى التثليث يقتضى انتفاء الصلب ؛ لذلك هاجم النصارى دعوة (أريوس) هجوماً لا هوادة فيه ؛ لأنها تقود إلى أمرين يسحبان الهواء من أشرعة المسيحية ويقوضانها من أساسها ، وهما [(٢)] .

١ - هدم الثالوث المقدس .

٢ - قلب « بناء الخلاص » كُلِّيَّة ، لأن المخلِّص الذى أخذ على عاتقه خلاص البشرية يلزم أن يكون هو نفسه حاصلاً على خصائص اللاهوت .

وتقوم فكرة الصلب فى المسيحية على أن آدم حين خالف وصية الله جلب الموت على نفسه وعلى سائر ذريته ، وطُرِد هو وذريته من الفردوس ولم يبق لهم حق الدخول فيه والتمتع بمجد الله كما كانوا قبلاً إلا بعد الحصول على مغفرة خطاياهم .

لأن من أخصِّ صفات الله العدل والرحمة ، فبمقتضى صفة العدل كان عليه أن يُخْرِج آدم من الجنة لارتكابه الخطيئة ، وأن تظل اللعنة تلاحق أبناءه وذريته من بعده ، فيذهب كل من يموت منهم إلى الجحيم ، وتظل روحه حبيسة فى أسر إبليس .

وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يُدبِّر وسيلة يُنْقذ بها البشرية من العذاب ، فلم يجد أفضل من إرسال ابنه الوحيد متجسداً فى رحم مريم ومتأنِّساً من الروح القدس ، متخذاً جسداً بشرياً ، ليخدع إبليس الذى سيسارع باختطاف روحه - بعد موته - وأسرها فى الجحيم ظناً منه أن تلك الروح من ذرية آدم وبنيه .

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١ / ٢ ، ٢ / ٢٠ ، ٥ / ٢٤ ، ٦ / ١٣) .
وانظر : ميارمر تيودور أبو قرة / ميمر فى عدم مغفرة الخطايا إلا بأوجاع المسيح / وانظر ما كتبه البروفيسور جوردن مولتمان فى كتابه " الإله المصلوب " نقلاً عن أحمد ديدات / مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء / ص / ١٠ / بترجمة على الجوهرى / طبع دار الاعتصام ١٩٨٩ م

(٢) البروفيسور ب . ك خريستو . أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى باليونان ، الآريوسية ، ص : ١٣٨ ، نشر مركز دارسات الآباء . حدائق القبة / القاهرة / ١٩٨٦ م .

وبذلك يفدى الله البشرية ويتجاوز عن خطيئتها بتقديم ابنه الوحيد ضحية على خشبة الصليب بأيدى اليهود الذين يَهْزَءُون به ، ويضربونه ويشتمونه ويكلّلونه بالشوك والقانورات ، ويصفعونه على وجهه وقفاه ، دونما رحمة منهم أو مساعدة من أبيه السماوى على الرغم من طلبه النجاة من أبيه وصَرْفَ هذه الكأس عنه .

وذلك حتى يمكن أن تتم المصالحة بين الله والناس ؛ لأن العدل يقضى بأن الطبيعة التى أخطأت هى التى تموت ، ومن ثم فقد أخذ ابن الله وعدله طبيعة الإنسان كى يتحمل فيها القصاص ، بعد أن أعطى لها كمالاً غير متناهٍ أمكن بواسطتة تقديم الكفارة عن الخطيئة غير المتناهية .

ولم يكن هناك أسمى من هذه الوسيلة التى استوفت العدل والرحمة معاً ووفقت بينهما [1] .

وتشتمل قضية الصلب على جزئين :

١ - عملية الصلب ، وقد حفلت بأحداثها المختلفة وتفصيلاتها الدراماتيكية الأناجيلُ الأربعةُ المعتمدةُ لدى النصارى . [2]

---

(١) راجع فى ذلك :
- رسالة بولس الرسول إلى أهل روما (٣ / ٢٣ - ٢٦ ، ٥ / ٨ـ ٢١ ، ٦ / ١ - ٧) رسالته إلى أهل غلاطية (١ / ٣ - ٤ ، ٢ / ٢٠ - ٢١ ، ٣ / ١٣ - ١٤) .
- مرقص (١٠ / ٤٥) ، يوحنا (٣ / ١٧) .
- يوحنا الدمشقى : المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى / ص : (١٥١ ، ١٥٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٣)
- تيودور أبو قرة : ميامر تيودور أبى قرة / ميمر فى عدم مغفرة الخطايا إلا بأوجاع المسيح / ص : ٩١ - ٩٣ .
- رسالة القس حنا مقار العيسوى إلى أبى عبيدة الخزرجى / ص : ٧٢ ، نشرها الدكتور محمد شامة ضمن كتابه « بين الإسلام والمسيحية » .
- زكى شنودة : تاريخ الأقباط (١ / ٢٤٣ - ٢٤٤) .
- بولس الأنطاكى : شرح العقيدة النصرانية ص : ٦ ، ضمن مقالات دينية قديمة .

(٢) راجع الإصحاحات الأخيرة فى الأناجيل الأربعة :
- متى : من ٢٦ - ٢٨ . - مرقس : من ١٤ - ١٦ .
- لوقا : من ٢٢ - ٢٤ . - يوحنا : من ١٨ - ٢١ .

٢ - الفداء : وهو التفسير الفلسفى لقصة الصلب المشينة ، ويُعَدُّ بولس صاحبَ ذلك الطرح الفلسفى لتفسير عملية الصلب ، فهو مؤسس عقيدة الفداء فى المسيحية ، وأول من قدم تفسيراً للصلب ، لم يكن يخطر ببال أصحاب الأناجيل الأربعة [١] .

ولم يكن بولس كغيره من حوارىٍّ المسيح قد شاهد عملية الصلب ، فمن أين له ذلك التصور الشيطانى لتفسير " فضيحة الصلب " ؟

ذلك ما يجيب عنه الإمام ابن تيمية فى معالجته لقضية الصلب والتى يعالجها من زوايا ثلاث :

١ - المصدر .

٢ - الفكرة .

٣ - الحدث .

١ - المصدر :

يرجع ابن تيمية مصدر عقيدة الصلب والفداء فى المسيحية إلى العقائد الوثنية السابقة للمسيحية والمحيطة بها خلال العهد الأول لقيامها فيقول : [٢]

« وهل هذا القول إلا من قول المجوس الثنوية الذين يقولون : إنَّ كلَّ ما فى العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس لم يفعل الله شيئاً من ذلك ، ولا عاقب الله أحداً على ذنب ؟

ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس ، ولهذا لا ينقلون هذا القول فى كتاب منزل ولا عن أحد من الحواريين ، ولهذا كان المانوية دينهم مركباً من دين النصارى والمجوس ، وكان رأسهم (مانىّ) نصرانياً مجوسياً ، فالنسب بين النصارى والمجوس ، بل وسائر المشركين نسب معروف » .

ويشير ابن تيمية بذلك إلى أن الصلب والفداء المسيحى مأخوذ من المجوسية على وجه الخصوص ومن سائر الوثنيات القديمة على وجه العموم .

---

(١) شارك جينيير / المسيحية / ص : ١٣٤ .

(٢) الجواب الصحيح (١ / ٢١٨) .

وقد يبدو مستغرباً تأكيد الإمام أن مصدر عقيدة الصلب والفداء هو المجوسية القائلة بالنور والظلمة ، ولم تَرِدْ فيها إشارة إلى عملية صلب أو فداء .

لكن هذا ـ فى الواقع ـ من تمام دقة ابن تيمية وبراعته ، فإلى جانب نسبة المجوسية أفعال : الشر والفساد والضرر والغم والتشويش والاختلاف إلى الشيطان أحد لوازم الظلمة وهى مكانه [1] .

فإن المجوسية تحكى عن اتفاقية مبرمة بين الإله (أورمزد) وإبليس اشترط فيها إبليس لنفسه الصلاحيات التالية : [2] .

١ – أن يتسلّط هو وجنوده على خَلْق الله .

٢ – أن يخلط جوهر خلقه بجوهر خَلْق الله .

٣ – أن تصير له السبيل إلى أن يُعَمِّر من أهل الدنيا من أراد ألف سنة أو يزيد ويجعلهم أغنياء أقوياء قادرين .

٤ – أن تصير له السبيل على إفناء الصالحين .

٥ – أن يملك أمر الأموات ويبقى الأخيار وينفى الأشرار .

كما أن المجوس قد انتشرت بينهم عبادة الإله " مِثْرا " قبل الميلاد بستة قرون ، ثم نزحت إلى روما حوالى سنة ٧٠ ق . م ، وانتشرت فى بلاد الرومان ، وتَذْكر هذه الديانة أن : [3] .

ـ مِثْرا كان وسيطاً بين الله والبشر .

ـ كان له اثنا عشر حوارياً .

مات ليخلِّص البشر من خطاياهم .

ـ دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره .

---

(١) الشهرستانى / الملل والنحل (٢ / ٤٦ ، ٥٠) .

(٢) السابق (٢ / ٤٧ – ٤٨) .

(٣) شارل جينبر / المسيحية / ص : ٩١ – ٩٢ .

د . أحمد شلبى : المسيحية ، ص : ١٢٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ – ١٩٦٥ م .

ـ صعد إلى السماء أمام تلاميذه ، وهم يبتهلون له ويركعون .

ـ كان يُدْعَى مخلِّصاً ومنقذاً .

ويذكر أحد علماء المسيحية أن ديانة " مثراس ؛ لم تنته فى روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية (١) .

ويؤكد شارل جينيبر أستاذ تاريخ الأديان بجامعة باريس : أن الدراسة المفصلة لرسائل بولس ـ مؤسس عقيدة الصلب والفداء ـ تكشف النقاب عن مزيج من الأفكار الغريبة ، فهى مزيج من دعوى الاثنى عشر ، ومن الأفكار اليهودية ، ومن المفاهيم المنتشرة فى الأوساط الوثنية اليونانية ، ومن الأساطير الدينية الشرقية (٢) .

وكان القاسم المشترك فى تلك المفاهيم الوثنية والأساطير الدينية هو عذاب " المنقذ الإلهى " تماماً كما يتعذب الإنسان ، ثم موته كما يموت الإنسان ، ولكنه يتغلب على الموت والعذاب ، ثم يُبْعَث من جديد ويتمتع بحياة السعادة فى ديار الخلد الإلهى مشاركاً بنى البشر فى عذابهم وفى نجاتهم وخلودهم فى ديار السعادة (٣) .

ثم يقرر أن بولس قد تدرج فى نشأته الأولى بين أحضان بيئة مُشَبَّعة تماماً بفكرة « النجاة » هذه القائمة على شفاعة أو وساطة إله يموت ثم يُبْعث ، ويشاركه أتباعه فى مصيره إذ يتحدون به لا بالإيمان المطمئن القوى فحسب ، بل بالطقوس الرمزية الفعالة والتى تُعَدُّ العنصر الأساسى فى وصول الأتباع إلى مرادهم (٤) .

وسوف نفصِّل القول ـ إن شاء الله تعالى ـ فى أوجه الشبه بين تلك العقائد والأساطير الوثنية وبين عقائد المسيحية فى خاتمة البحث .

وليس ذلك هدفنا الآن ، وإنما هدفنا تأكيد ربط ابن تيمية بين المجوسية والمسيحية

---

(١) نقلاً عن الدكتور / أحمد شلبى / الموضع السابق .

(٢) شارل جينيبر / المسيحية / ص : ٩١ .

ـ وانظر : وهيب البكرى / بولس ودوره فى تحريف النصرانية / رسالة ماجستير / بكلية الدعوة بالرياض ـ ٦-١٤ هـ / بإشراف أستاذنا الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى .

(٣) شارل جينيبر / المسيحية ص : ٩٥ - ٩٦ .

(٤) السابق : ص : ١٠٣ .

واستلهام النصارى من المجوس عقيدتهم فى تسلط إبليس على البشر ، وكذلك أسطورة " ميثرا " المنقذ الإلهى .

٢ - الفكرة :

تقوم فكرة الصلب والفداء ـ كما ذكرنا ـ على لعنة آدم نتيجة أكله من الشجرة المحرمة وبقاء العقوبة فى ذريته التى يحبسها إبليس فى أسره ويذهب بروح من مات منهم إلى جهنم حتى جاء المسيح وصُلِبَ كفارة عن بنى البشر .

ويعجب الإمام ـ بداية ـ من تلك الخرافة التى هى من مضاحك العقلاء ، والتى لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم ؛ لأنها تقوم على مؤاخذة الله الإنسان بذنب أبيه الأبعد ، وتفترض ذنباً على البشر أخبر الله أنه قد تاب على مرتكبه الأصلى وكذلك تُخْرِج عاصياً من دائرة العقاب مع كونه ما زال عاصياً لله مستحقاً لعقابه منذ امتناعه عن السجود لآدم حتى اليوم (١) .

وينتهى إلى بطلان تلك الفكرة من وجوه متعددة ، منها : (٢)

أولاً : أن إبليس إن كان قد أخذ ذرية آدم بذنب أبيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره ، وإن كان أخذهم بالخطايا فلماذا يأخذهم بخطيئة أبيهم ؟ .

ثانياً : إن ذرية آدم يخطئون من بعد المسيح كما كانوا يخطئون قبله ، فكيف يجوز أن يتمكن إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين ولا يُمَكَّن من عقوبة الكفار والجبابرة بعد المسيح ؟

ثالثاً : إن دخول ذرية آدم جهنم إما أن يكون عدلاً من إبليس فلا يجوز أن يُحْتَال عليه ليُمْنَع من العدل ، وإما أن يكون ظلماً منه ، والرب أحق بمنعه قبل المسيح ، فإن لم يكن قادراً على ذلك وصف بالضعف والعجز ، وذلك كفر صريح .

رابعاً : أن إبليس إما أن يكون معذوراً قبل المسيح فلا حاجة لعقوبته ، وإما ألا يكون معذوراً فهو مستحق للعقوبة ولا حاجة لحيلة تُقام بها الحجة عليه .

---

(١) الجواب الصحيح (١ / ٢١٥) .

(٢) السابق : ص ٢١٦ - ٢٢١ .

خامساً : أن الصلب ليس حجة على إبليس ، فباستطاعته أن يقول ما علمت أن هذا الناسوت هو ناسوت الرب ، ولو علمتُ يا ربِّ أنك أو ابنك اتحد به لَعَظَّمتُه ، فأنا معذور لا يجوز أن تظلمنى .

سادساً : أن يقر إبليس بخطئه فى أخذ روح ناسوت المسيح ، لكنه يقول يا ربِّ لى أن أحبس أرواح سائر بنى آدم ـ بعده ـ فى جهنم كما حبستُ أرواح السابقين ، إما بذنب أبيهم وإما بخطاياهم وحينئذ فلا حجة لله على إبليس .

سابعاً : أن العقل يرفض أن يذنب آدم وبنوه بتزيين الشيطان وغوايته ثم يعاقبهم إبليس بغير إذن من الله فى ذلك .

ثامناً : أن إبليس إن كان قد عاقب بنى آدم بإذن الله فلا ذنب له فى ذلك يُعَاقَب عليه ، بَلْه يُحْتَال عليه لمعاقبته ، وإن كان بغير إذنه فما جاز فى زمن جاز فى جميع الأزمنة .

تاسعاً : أن فعل اليهود إن كان طاعة لله فقد استحقوا الثواب والإكرام واليهود شرار الخلق عند النصارى ، وإن كان اليهود عصاة ولم يقدر الله على منعهم من تلك المعصية فلن يقدر على منع إبليس من ظلم الذرية فى المستقبل ، وإن كان قادراً على منعهم ولم يمنعهم كان قادراً على منع إبليس بدون هذه الحيلة وإن كان حسناً منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسناً منه تمكين إبليس من ظلم الذرية فلا حاجة للاحتيال عليه .

عاشراً : إذا كان الله ـ تعالى ـ قد دفع ظلم إبليس بهذه الحيلة ، فهَلاَّ اتحد بناسوت بعض أولاد آدم ليحتال على إبليس فيمنعه من ظلم المتقدمين على المسيح !! وما الذى يمنعه من رفع الظلم الكثير عن أولاد آدم ؟ هل لا يعلم أن إبليس كان يظلمهم ؟ فهذا تجهيل له ، أم كان يعلم ويعجز عن رفع الظلم ؟ فهذا تعجيز له ، وما الفرق بين زمان وزمان ؟ فإن كان تَرْكُه مَنْعَ ظلم إبليس عدلاً منه فى زمن كان عدلاً فى كل زمان .

حادى عشر : [(1)] .

ليست هناك مناسبة بين الصلب وتخليص البشر من الشيطان .

---

(1) الجواب الصحيح (١ / ٣٦٥) .

ثانى عشر [1] :

إذا كان الشيطان تَسلَّط على حبس الذرية فى الجحيم لأجل ذنوبهم مع ذنب أبيهم ، لم يجز إخراجهم لأجل سلامة ناسوت المسيح من الذنوب فليس فى مجرد سلامة المسيح من الذنوب ما يوجب سلامة غيره .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح ، ص : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٣) الحدث

يطعن الإمام ابن تيمية فى صحة الروايات الإنجيلية لأحداث الصلب الدراماتيكية ، سالكاً فى ذلك منهج المُحَدِّثين فى نقد متون الروايات وسندها :ـ

(أ) فمن ناحية السند ينتهى الإمام إلى أن أحداً من كُتّاب الأناجيل (متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا) وهم رواة أحداث الصلب ، أو أحداً من الحواريين ، أو أحداً من أتباع المسيح ، لم يكن قد رأى شيئاً من عملية الصلب المزعوم . (١)

فالجميع كما يحكى القديس مرقس « تركوه كلهم وهربوا » (٢) .

وهذا يُفْضِى ـ لدى الإمام ـ إلى إسقاط رواياتهم من الاعتبار فإنهم ـ على حد قوله ـ إذا لم يكونوا : ممن يُتّهم بتعمد الكذب ، فإن الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة لا يمتنع وقوع الغلط والنسيان منهم لاسيما ما سمعه الإنسان وراه ثم حدّث به بعد سنين كثيرة ، فإن الغلط فى مثل هذا كثير ، ولم يكن هناك أمة معصومة يكون تلقّيها لها بالقبول والتصديق مُوجِباً للعلم بها ، لئلا تجتمع الأمة المعصومة على الخطأ ، والحواريون كلهم اثنا عشر رجلاً ، وقصة الصلب مما وقع فيها الاشتباه وقد قام الدليل على أن المصلوب لم يكن هو المسيح ، بل شُبِّهَ لهم ، وهم ظنوا أنه المسيح ، فالحواريون لم ير أحد منهم المسيح مصلوباً (٣) .

(ب) ومن ناحية المتن يقرر الإمام أن تلك الروايات الإنجيلية لأحداث الصلب والتى قد وقع فيها الغلط الكثير مما تبين غلطه فى مواضع أخرى قد اختلف فيه الناقلون أيضاً ، يقول الإمام : (٤)

« والحواريون مُصَدَّقون فيما ينقلونه عنه لا يُتّهمون بتعمد الكذب عليه ، لكن إذا غلط بعضهم فى بعض ما ينقله لم يمنع ذلك أن يكون غيره معلوماً ، لا سيما إذا كان ذلك الذى غلط فيه مما تبين غلطه فيه فى مواضع أخر ، وقد اختلفت النصارى فى عامة ما وقع فيه الغلط حتى فى الصلب » .

---

(١) الجواب الصحيح (١ / ٣١٣ - ٢ / ١٤) .

(٢) مرقس (١٤ / ٥٠) .

(٣) الجواب الصحيح (٢ / ١٤) .

(٤) السابق (٢ / ١٥) ، وانظر : الرسالة القبرصية / ص : ٦٠ .

والخلافات فى الروايات التى يشير إليها الإمام من باب اختلاف التناقض لا التنوع ، فإن اختلاف التنوع لا يعيب الروايات بل يصقلها ، أما اختلاف التضاد فهو يسقط حجيتها ، والأناجيل مليئة بتلك الاختلافات والتناقضات وفيها من ذلك ما فيها كما يقول الإمام [١] ، وسنذكر بعضاً من المواضع التى اختلف فيها الإنجيليون الأربعة حول أحداث الصلب مما يوهن رواياتهم ، إذْ اختلفوا فى المواطن التالية : [٢]

حامل الصليب: متى ومرقس ولوقا : حامله سمعان القيروانى ، وفى يوحنا : حامله المسيح نفسه .

شراب المصلوب: فى متى : أعطوه خلا ممزوجاً بمُرٍّ ، وفى مرقس : كان خمرا بمُرٍّ.

الاقتراع على ثيابه: فى متى ومرقس ولوقا : اقتسموا ثيابه واقترعوا عليها ، فى يوحنا: اقترعوا على قميصه فقط وهم أربعة .

المكتوب فوق رأسه: فى متى : هذا يسوع ملك اليهود ، ويصرح لوقا أنها كانت بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية ، ويصرح يوحنا أنها كانت كذلك ، أما متى ومرقس فيسكتان تماماً عن لغة الكتابة .

دعاء المصلوب: فى لوقا : يا أبتاه اغفر لهم ؛ لأنهم لا يعلمون ما يفعلون ولا يذكر الثلاثى الآخر شيئاً عن ذلك .

المستهزئون بالمسيح: فى متى ومرقس ولوقا : استهزأ به المارون ورؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ واللصان اللذان كانا معه بقولهم : إن كنت ابن الله حقاً فنجِّ نفسك ، أما فى يوحنا فقالوا السلام عليك يا ملك اليهود .

صرخة المصلوب: فى متى ومرقس : صرخ المسيح مرتين ، وفى لوقا : مرة واحدة ، ولم يصرخ عند يوحنا .

---

(١) الرسالة القبرصية / ص : ٦٠ .

(٢) لن نذكر موضع كل آية حتى لا نزحم الصفحات وسنكتفى بالإشارة إلى الإصحاحات :

ـ متى : ٢٦ ، ٢٧ — ـ مرقس : ١٤ ، ١٥ .

ـ لوقاً : ٢٢ ، ٢٣ . — ـ يوحنا : ١٨ ، ١٩ .

طعنة المسيح — فى يوحنا : طُعِن بحربة فى جنبه فخرج دم وماء ، ولم يُطْعن فى متى ومرقس ولوقا .

آخر كلام المسيح — فى متى ومرقس : إلهى إلهى لماذا تتركنى ؟ وفى لوقا ويوحنا يا أبتاه فى يديك أستودع روحى .

وقت الصلب — فى متى ولوقا : من الساعة السادسة حتى التاسعة ، وفى مرقس: من الساعة الثالثة حتى التاسعة ، ولم يذكر يوحنا نهاية وقت الصلب.

شهود الصلب — فى متى ومرقس : نساء كن يتبعنه بينهن مريم المجدلانية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومى أم ابنى زبدى ، وفى لوقا : نساءٌ كنّ تبعنه من الجليل ينظرن من بعيد وفى يوحنا : أمه وأخت أمه زوجة اكلاوبا ومريم المجدلانية .

عقب الصلب — فى مرقس : انشق حجاب الهيكل ، فى متى : انشق حجاب الهيكل وتزلزلت الأرض وتفطرت الصخور وتفتحت القبور وقام الأموات من القبور ودخلوا المدينة ، وفى لوقا : انشق الهيكل وكسفت الشمس ، وفى يوحنا : لا شئ من ذلك يحدث .

٣ ـ تحريف الإنجيل

أشرنا من قبل إلى أن رأى ابن تيمية فى الإنجيل يعتبر تفصيلاً لأحكام القرآن والسُّنة فيه . (١)

فهو يقرر أن الإنجيل الذي بأيدى النصارى يعترف النصارى أنفسهم أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يكتبه ، ولا أملاه على مَنْ كَتَبه ، وإنما أملاه ـ بعد رفع المسيح ـ « متى » و « يوحنا » من أصحاب المسيح ، و « مرقس » و « لوقا » وهما لم يريا المسيح ـ عليه السلام ـ وقد ذكر هؤلاء أنهم كتبوا بعض ما قاله المسيح ، وبعض أخباره ، وأنهم لم يستوعبوا جميع أقواله وأفعاله وذكرها . (٢)

ويَخْلُص الإمامُ من ذلك الاعتراف بنتيجة مؤداها : " أن نقل اثنين وثلاثة وأربعة يجوز فيه الغلط " (٣)

ثم يضيف إليها : أن سَنَد الإنجيل مقطوع ، فليس لدى النصارى نقل متواتر عن المسيح أو غيره بألفاظ هذه الأناجيل ، لا نقل تواتر ، ولا نقل آحاد . (٤)

لينتهى إلى أن هذا الإنجيل قد دخله التحريف والتبديل مستنداً إلى قوله تعالى (٥) :
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ، سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ ، سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (٦) .

---

(١) راجع ص : ١٢٣ .

(٢) الجواب الصحيح (١ / ٣٥٦ ، ٢ / ١١) .

(٣) السابق (١ / ٣٥٦) .

(٤) السابق (١ / ٣٥٦ ، ٣٦٠) وسنناقش آراءه فى الإنجيل عند دراسة القيمة العلمية لمنهجه .

(٥) الجواب الصحيح (١ / ٣٦٨) .

ومما يذكر أن الإيمان بتحريف التوراة والإنجيل يعتبر جزءاً متمماً للأصل الثالث من أصول الإيمان فى الإسلام (د . محمد عبد الله الشرقاوى : الإيمان ، ص : ٢٣٣ ، مكتبة الزهراء : بمصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م) .

(٦) المائدة : ٤١ ، وانظر : المائدة :١٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ـ البقرة: ٧٥ ، ٧٩ ، آل عمران : ٧٨ ـ النساء: ٤٦ ولا يحتاج من يريد إثبات التحريف فى الكتاب المقدس لأدلة من الخارج بل فى الكتاب نفسه =

وأن هذا التحريف قد أخذ صورتين :

أولاهما : (١) تحريف المعاني بالتفسير والتأويل .

والثانية : (٢) تبديل بعض الألفاظ ، وقد وقع ذلك في باب الإخبار وهذه الألفاظ المبدلة تناقضها سائر النصوص ، وتبينها ألفاظ صريحة ، تكشف غلطها وتوضح المقصود منها ، ولهذه الألفاظ الصريحة شواهد ونظائر متعددة يصدق بعضها بعضاً بخلاف المبدل فإنه قليل .

إلا أن هذا الإنجيل فيه ما هو حكم الله ، وإن كان قد بدل وغير بعض ألفاظه ومعانيه تصديقاً لقوله تعالى (٣) : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ (٤) .

فاللام في الآية هي لام الأمر ، وهو أمر من الله أنزله على لسان محمد ﷺ لمن كان موجوداً من النصارى أن يحكموا بما أنزل الله في الإنجيل مما لم ينسخه محمد ﷺ ولم يُبَدَّل . (٥)

ويمضي الإمام مؤكداً هذا الحكم بقوله : " ومما يوضح هذا قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ،

= الدليل على التحريف :
تقول المزامير : « ماذا يصنع بي البشر ، إنهم يعكسون كلامي كل يوم » مزامير داود (٥٦ / ٦)
ويقول أرميا : « فأما موضوع الرب فلا تذكروه من بعد ؛ لأن كلمة كل إنسان إنما تكون موضوعاً له؛ لأن كلمة كل إنسان إنما تكون موضوعاً له ؛ لأنكم قد عكستم كلام الله الحي رب الجنود إلهنا » أرمياء (٢٣ / ٣٦ - ٣٧) والتعبير بكلمة (موضوع) بدلاً من (كلام) هو عين التحريف ؛ لأن مجال الحديث كله عن كلام الله .

(١) الجواب الصحيح (١ / ٣٤٧) .
(٢) السابق (١ / ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٢ / ٥) .
(٣) السابق (١ / ٣٦٨ ، ٣٦٩) .
ـ الفرقان بين الحق والباطل / ص : ٨٤ - ٨٦ / مطبعة المدني . القاهرة . بدون ترقيم .
(٤) المائدة : (٤٧) .
(٥) الجواب الصحيح (١ / ٣٧١) ، وانظر : الفرقان بين الحق والباطل / ص ٨٥ .

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً ، فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [1] .

فإن هذا يبين أن هذا أمر لمحمد ﷺ أن يقول لأهل الكتاب الذى بعث إليهم : إنهم ليسوا على شئ حتى يقيموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليهم من ربهم . فدل ذلك على أنهم عندهم ما يُعْلم أنه منزل من الله وأنهم مأمورون بإقامته إذا كان ذلك مما قرره محمد ﷺ ولم ينسخه [2] .

وينص الإمام على أن أمر الله لأهل الإنجيل بتحكيم ما أنزل فيه ينصرف إلى ما يُبَشِّر ويدل على نبوة محمد ﷺ فإنهم إذا حكموا به حكموا بما أوجب عليهم اتباعه ﷺ فيما لم ينسخه من حكم الإنجيل ، لقوله تعالى [3] : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ، يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [4] .

ويبدو أن الإمام لا يقصد من ذلك التحديد أن البشارة بمحمد ﷺ ودلائل نبوته هى فقط ما أنزله الله فى الإنجيل ؛ لأنه يصرح أن الكتب الإلهية تشتمل دائماً على : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأنه أرسل إلى الخلق رسلاً من البشر ، وأنه أوجب العدل ، وحرم الظلم والفواحش والشرك ، وفيها الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب ، ووجوب الإيمان باليوم الآخر [5] .

فإذا كانت هذه الشرائع والأوامر مما أنزله الله فى الإنجيل وهى باقية فيه إلى الآن [6] ، كما أنها من الكليات التى لم ينسخها محمد ﷺ فحينئذ لا يكون لذلك التحديد

---

(١) المائدة : ٦٨ .
(٢) الجواب الصحيح (١ / ٣٧٧) .
(٣) الجواب الصحيح (١ / ٣٧١ ، ٣٧٧) .
(٤) الأعراف : ١٥٧ .
(٥) الجواب الصحيح (١ / ٣٧٧) .
(٦) فى التوحيد والعبودية لله :
« إن الله واحد ليس آخر سواه » مرقس (١٢ / ٢٩ - ٣٢) متى (٢٢ / ٣ ، ٣٨)
لوقا (١٠ / ٢٧) . =

وجه ، وإنما الصواب أن يكون الأمر باتباع هذه البشارات والدلائل ـ على وجه الخصوص ـ لأنها الطريق الواضح المبين للنجاة والهداية ، فهى تقود لاتباع النبى الخاتم الذى أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وارتضى رسالته للناس أجمعين ، كما أن هذا النبى سيضع عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى إصْرهم والأغلال التى كانت عليهم ، وكذلك سيُبيِّن لهم الناسخ والمنسوخ والصحيح والباطل والأصيل والدخيل وما يخفون وما يعلنون من كتبهم دون عناء منهم لقوله تعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [(١)] .

فيكون الله ـ تعالى ـ قد أمرهم باتباع الطريق الواضح البين الذى لن يتكلفوا فيه مشقة أو عناء أو بَحْثاً عن صحيح وباطل ، فهذا الطريق هو الميزان الذى سيكيل صاحبه لهم ما يحتاجون وما ينفعهم بالعدل والإنصاف .

= ـ « للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » متى (٤ / ١٠) ، لوقا (٤ / ٨) .

ـ فى النبوة وإرسال الرسل :

« فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع ، قالوا هذا بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » يوحنا (٦ / ١٤) .

« قد قام فينا نبى عظيم » لوقا (٧ / ١٦) ، « والذى أرسلته يسوع المسيح » يوحنا (١٧ / ٤)

ـ العدل وتحريم الظلم :

« لا تدينوا لئلا تدانوا ، فإنكم بالدينونة التى تدينون تدانون ، وبالكيل الذى تكيلون يكال لكم » متى (٧ / ١ - ٢) ، وانظر أيضاً : متى (٦ / ٢٢ - ٢٥) .

ـ اليوم الآخر والثواب والعقاب :

« وستأتى ساعة يسمع فيها جميع من فى القبور صوته ، فيخرج الدين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » يوحنا (٥ / ٢٨ - ٢٩) .

« فيمضى هؤلاء إلى عذاب دائم ، أما الصديقون فإلى حياة أبدية » (متى ٢٥ / ٤٦) .

(١) المائدة : (١٦) .

(٤) الأسرار السبعة

تعتقد الكنائس الشرقية والغربية بوجود سبعة أسرار في الكنيسة مُؤَسَّسة من السيد المسيح ، يجب ممارستها بحسب النظم والترتيبات التي وضعها الرسل القديسون وآباء الكنيسة[1] .

وتَعْتَبِر الكنيسة هذه الأسرار من دعائم الدين القويم وأركان المعتقد المستقيم ، لذلك وضع آباء الكنيسة وعلماؤها المؤلفات التي حاولوا فيها الاستدلال على صحة تلك الأسرار من الكتاب المقدس وأقوال تلاميذ المسيح وخلفائهم ، أو من العقل [2] .

والسر عمل مقدس به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة منظورة [3] ، وسوف نُعَرِّف بكل سر من تلك الأسرار ، رغم أن الإمام لم يُشِرْ إلا إلى سر الاعتراف فقط [4] ، لكني رأيت ذلك كمالاً للنفع وتماماً للفائدة ، حتى يتسنى لنا بيان وجوه تبديلهم ومخالفتهم في ذلك لدين المسيح في أخص شعائرهم والتي تستوجب دراسة إسلامية خاصة تُبْرِز طقوسها ومدلولاتها ومقارنتها بالطقوس الدينية لدى الأمم الوثنية التي سبقت المسيحية ، وذلك وحده كافٍ لبيان مخالفتها لدين المسيح ومصادمتها للعقل والحس والفطرة ، وسنحاول تحقيق بعض ذلك أو كله حسب الطاقة ، ومناسبة المقام لذلك ، عند عرض كل سر على حدة .

* * * * *

---

(١) يختلف البروتستانت مع الكاثوليك والأرثوذكس في الإيمان ببعض هذه الأسرار إذ يرفضون استحالة الخبز والخمر في العشاء المقدس ، كما يرفضون سر الاعتراف وغفران الخطايا ، انظر:
- زكي شنودة : تاريخ الأقباط (٢٧٦/١) .
- د . أحمد شلبي : المسيحية ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

(٢) يوحنا سلامة : اللآلئ النفيسة (٨/٢) .

(٣) تاريخ الأقباط (٢٦٥/١) .

(٤) ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ص ٤٥ – ٤٦ .

(أ) المَعْمُوديَّة

وهى سر يرمز إلى موت المسيح ، لأن العماد بواسطة التغطيسات الثلاث يعنى الأيام الثلاثة التى دُفن فيها المسيح (1) ، وبه يُولد النصرانىّ ميلاداً جديداً (2) ، إذ يُمْنح مغفرة لجميع خطاياه (3) ، ولا يجوز إعادة العماد مرة أخرى ، لأن ذلك معناه تجديد صلب المسيح (4) .

والعماد عبارة عن مرحلتين من الطقوس :

الأولى (5) : جحد الشيطان ، ويراد بها طرح الخطايا والشرور ، واتباع الشريعة النصرانية تمهيداً لدخول مُلك الرب يسوع .

الثانية (6) : تكميل سر المعمودية ، وقد وضعت له الكنيسة قُدَّاساً خاصاً (صلوات وابتهالات) لتقديس الماء الذى يُغَطَّس فيه المُعَمَّد ثلاث غطسات .

وتختلف المعمودية بحسب القابل لها ، فهى أنواع ثمانية (7) :

إن كانت لطفلٍ فهى لميلاده من جديد ، وإن كان المُعَمَّد لصاً فهى للتوبة ، وإن كان ميتاً فهى للشهادة فى سبيل الرب يسوع ، وإن كان كافراً فهى للإقلاع عن الهرطقة ،...

وهناك بعض العوائق التى تعترض هذا السر بصورته الراهنة نجملها فيما يلى :

١ - لم يعمد المسيح أحداً من تلاميذه ، وما جاء على لسانه فى الإنجيل خاصاً بالعماد : « عمدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس » مشكوك فى صحته (8) .

٢ - أنهم اقتصروا فى العماد على الرش أو التغطيس فى الماء ، رغم أن (متى) يقول على لسان يوحنا المعمدان : « أنا أُعَمِّدكم بالماء للتوبة ، أما الذى يأتى بعدى فهو

---

(1) يوحنا الدمشقى : المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى ، ص ٢٢٤ .
(2) تاريخ الأقباط (١/٢٦٥) .
(3) المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى ، ص ٢٢٥ .
(4) السابق ، ص ٢٢٤ .
(5) اللآلئ النفيسة (٢/١١) .
(6) السابق (٢/٤٩ - ٥٠) .
(7) السابق (٢/٤٥ - ٤٦) وانظر : المائة مقالة ، ص ٢٢٦ .
(8) سنناقش تلك المسألة بالتفصيل فى خاتمة البحث إن شاء الله .

أقوى منى ، وأنا لا أستحق أن أحُلَّ حذاءه ، وهو يعمِّدكم بالرُّوح القدس والنار » [١] .

ويقول بولس على لسان المسيح : « إن يوحنا إنما عمَّد بالماء ، أما أنتم فستعمَّدون بالروح القدس والنار » [٢] . فلماذا لم نسمع بكاهن أحرق أحد المعمَّدين أو كواه بالنار رغم وصية يوحنا والمسيح ؟

٣ – إذا كانت الروح القدس تحل على المعمَّد عقب تلاوة الكاهن لقداس التغطيس ، فلماذا لم يحترق أحد المعمَّدين ؟ تصديقاً لزعمهم أن الروح القدس حل على التلاميذ القديسين بصورة نار ، لأنه إله والله نارٌ آكلة [٣] .

٤ – أن الروح القدس كانت تحل فى عصور المسيحية الباكرة بوضع اليد على المعمد كما فعل بولس لما قدم إلى أفسس [٤] ، فلماذا اختلفت وسيلة استدعاء الروح القدس ، ولم يعد يجدى معها إلا الماء ؟

(ب) سر المسحة (أو المِيْرون المقدس) [٥]

وبه ينال المعمَّد موهبة الروح القدس والثبات فى الإيمان ، وبدونه تكون المعمودية ناقصة وغير قانونية ، لأن حلول الروح القدس على المسيح إثر عماده فى نهر الأردن كان بنزوله على هيئة حمامة ، لذلك يجب مسح المعمَّد بالميرون إثر خروجه من المعمودية عِوَضاً عن الحمامة التى حلت على المسيح [٦] .

ويتم حلول الروح القدس على المعمَّد عقب مسح جسده بذلك الميرون المقدس ، إثر نفخ الكاهن فى وجه الممسوح ، الذى يرتدى بعدها ثوباً أبيض مشرقاً كالروح القدس [٧] .

---

(١) متى (١١/٢) .

(٢) أعمال الرسل (٥/١) .

(٣) المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى ، ص ٢٢٦ .

(٤) أعمال الرسل (١/١٩ – ٦) .

(٥) الميرون : كلمة يونانية تعنى (الطِّيْب) ، وتطلق فى اصطلاح الكنائس على سائل مركب من نحو ثلاثين صنفاً من أصناف الطيب (اللآلئ النفيسة ٦٦/٢) .

(٦) تاريخ الأقباط (٢٦٦/١) .

(٧) اللآلئ النفيسة (٩٥/٢ – ٩٦) .

لاحظ - كريماً ومتفضلاً - أن :

١ - المسيح - عليه السلام - لم يمسحه أحد ، لا بالميرون ولا بغيره .

٢ - المسيح لم يمسح أحداً من تلاميذه .

٣ - حلول الروح القدس قد تم من قبل عقب انتهاء إجراءات المعمودية فهل خرج الروح من المعمَّد ثم حلّ فيه ثانية ؟ أم أنها روح غير الروح الأولى ؟

٤ - أعمال الناموس ليست شرطاً لحلول الروح القدس ، فالإنسان لا يتزكى بالناموس بل بالإيمان وحده حسب قول بولس [١] .

٥ - اعتناق المسيحية فى القرون الأولى لم يكن يتطلب أكثر من الشهادة بأن عيسى المصلوب مات من أجل البشر فداء لخطاياهم ، وأنه سوف يعود فى الأجل القريب ، ليقضى بين الأحياء والأموات ، ولينشئ مملكة الله [٢] .

(جـ) الإفخَارسْتِيا

وهو السر الذى يتحول فيه الخبز والخمر الذى يتناوله النصارى إلى جسد المسيح ودمه ، وله عدة أسماء منها : القربان المقدس ، والتناول ، والعشاء الربانى ، ذبيحة القُدَّاس [٣] .

ولا شك أن الإيمان بهذا السر يُعَدُّ من مضاحك العقلاء ، ففضلاً عن استحالة تحول الخبز والخمر تحت سلطان كلمات أى إنسان - كائناً من كان - إلى لحم ودم ، فإن روايات الأناجيل التى عرضت لصورة العشاء الأخير للمسيح قد تناولتها معاول الهدم والبطلان من وجوه متعددة منها [٤] :

١ - أن تلك الروايات مختلفة فى تحديد وقت العشاء الأخير للمسيح ، أكان مساء

---

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (١٦/٢ ، ١/٣ - ٥) .
(٢) شارل جينيير : المسيحية ، ص ١٨٨ .
(٣) المائة مقالة ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .
- اللآلئ النفيسة (٢٦٢/١) .
- تاريخ الأقباط (٢٦٨/١) .
(٤) أحمد عبدالوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، ص ٣٤ - ١٣٧ .

الخميس ؟ أم كان مساء الأربعاء ؟

٢ – الخلاف حول كون العشاء الأخير هو الفصح أم قبله ؟

٣ – تُعْتبر قصة العشاء فى إنجيل لوقا كابوساً يثير مشاكل جمة عند دراسة نص الإنجيل ويُرجح العلماء أن القصة أُدْخلت على النص على يد كاتب مجهول .

٤ – اختلاف رواية يوحنا اختلافاً شديداً عن رواية الإنجيليين الثلاثة الآخرين .

كما يؤكد المسيو شارل جينيير أن النصوص التى ترجع إلى بداية القرن الثالث لا تشير البتة إلى شئ من شعائر المسيحية : العشاء الربانى ، المعمودية ، التنصيب فى الوظيفة الكنسية (سر الكهنوت) ، الزواج ، المسحة الأخيرة بالزيت للموتى [١] .

ومن الوجوه العقلية التى تدفع ببطلان ذلك السر :

١ – أن التسليم بالتثليث فى الوحدانية يقضى بأن النصارى يأكلون إلهَهُمْ كل أسبوع ويبقى العالم بلا مدبر .

٢ – التسليم باتحاد المسيح اتحاداً حقيقياً بالمسيحى الذى يتناول القربان بعد أن تكون قد حلت عليه الروح القدس فى العماد ، يستوجب أن يكون النصارى جميعاً آلهة ، إذ صار بهم أقنومان من الأقانيم الثلاثة !! ويستوجب ذلك أيضاً أن يكونوا أفضل من المسيح نفسه لأن المسيح به أقنوم واحد – فقط – هو أقنوم الكلمة !!

٣ – إذ كان سر الإفخارستيا تَتِمَّةٌ لذبيحة الصلب كما يزعمون [٢] ، فمعنى ذلك أن الصلب لم يكن كافياً لفداء البشرية ، وينفى ذلك عن الله – تعالى – صفة الرحمة والعدل ، إذ يكون قد تسبب فى صلب ابنه دون فائدة !!

٤ – إذا كانت الإفخارستيا تعطى حياة دائمة [٣] ، فلماذا تُمارس أكثر من مرة ؟

٥ – إذا كان العشاء يستأصل جرثومة الموت [٤] ، فلماذا يموت النصارى ؟ ولماذا

---

(١) شارل جينيير : المسيحية ، ص ٢٠٧ .

(٢) يوحنا سلامة : اللآلئ النفيسة (١/ ٢٧٠) .

(٣) السابق (١/ ٢٩٠) .

(٤) السابق .

يرتعدون من الموت « إيدزا » ؟

(د) سر الاعتراف

وهو السر الذى أسسته الكنيسة لمغفرة خطايا المذنبين والآثمين بعد تقديم اعترافاتهم التفصيلية أمام الكهنة والقساوسة [1] .

ويستدل النصارى على صحته بقول المسيح لتلاميذه : « كل ما تَرْبطونه على الأرض يُرْبَط فى السماء » [2] ، وقوله بعد قيامته من الموتى : « مَنْ غَفَرْتم خطاياه تُغْفر له ، ومن أَمْسكتم خطاياه أُمْسِكَتْ » [3] .

وفى بداية تأسيس السر كان حق غفران الذنوب مرهوناً بالتوبة منها والإقلاع عنها ، لكن التطور لَحِقَ هذا السر فأصبح من حق الكهنة غفران جميع الذنوب سواء أكان صاحبها تائباً أم غير تائب ، فانفتح الباب بذلك أمام المتاجرة فى حق مغفرة الذنوب جميعها ما تقدم منها وما تأخر ، فظهر للوجود ما يعرف بـ (صك الغفران) الذى يتيح لحامله دخول الجنة دون قيد أو شرط .

وقد عرض الإمام ابن تيمية لذلك السر مشيراً إلى أن النصارى قد وقعوا به فى أحد أطراف الغلو وهو التفريط ، إذ ناقض النصارى بذلك السر اليهود الذين زعموا أن الله لا يصلح له أن يغير ما أمر به فينسخه ، فقالت النصارى : « بل الأحبار والقسيسون يغيرون ما شاءوا ويحرمون ما رأوا ، ومن أذنب ذنباً وظُنُّوا عليه ما رأوا من العبادات وغفروا له » [4] .

ودلائل بطلان هذا السر كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

١ - أن بطرس الذى تأسس السر على أساس خلافته للمسيح فى الأرض ، وتَسلُّمِه مفاتيحَ الملكوت من المسيح ، لا يصلح - أصلاً - لتلك الخلافة لأنه :

- شيطان [5] .

---

(١) تاريخ الأقباط (١/٢٦٩) .

(٢) متى (١٨/١٨) .

(٣) يوحنا (٢٠/٢٢) .

(٤) ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٥) متى (١٦/٢٣) .

- شرير آذى المسيح [1] .

- غير عاقل ولا رشيد ، ولا يؤتمن على شعائر الله ، كما أنه جاهل بمصالح العباد [2] .

- أنكر معرفته بالمسيح ، وقد أنكر المسيح خلافة من ينكر معرفته [3] .

٢ - أن قصة قيامة المسيح التي تضمنت دلائل تأسيس هذا السر ، قصة متهافتة لا تَصْمُدُ أمام النقد والتمحيص ، وقد أثبت العلماء تهاويها [4] .

٣ - أن الاعتراف التفصيلي بالخطايا لا سيما فى مخالفة الوصية السابعة (لا تَزْنِ) يقود إلى كثير من الموبقات التى وقع فيها عدد من البابوات : كيوحنا الثانى عشر ، والثالث والعشرين [5] .

(هـ) سر مسحة المرضى

وهو سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس لشفائه روحياً وجسدياً [6] استناداً إلى قول يعقوب فى رسالته : « أمريض أحد بينكم ؟ فَلْيَدْعُ قسوس الكنيسة ، فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان يشف المريض والرب يقيمه » [7] .

ونحن نسلم للنصارى أن المسيح كان يشفى بعض الأمراض بإذن الله كما قال - تعالى - ﴿ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [8] . لكن الذى لا نسلمه هو انتقال تلك الخصوصية والقدرة على ذلك إلى أحد من كهنة النصارى فذلك يستحيل فى العقل والنقل ، بل العقل مع النقل يبطلان السر من وجوه منها :

---

(١) متى (١٦/٢٣).

(٢) متى (١٦/٢٣) .

(٣) متى (١٠/٣٣) ، يوحنا (١٨/١٦ - ٢٦) .

(٤) أحمد عبدالوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، ص ٣٠٠ - ٣٠٣ .

(٥) المستشار محمد عزت الطهطاوى : الإسلام والنصرانية ، ص ١٨٦ ، مكتبة النور ، القاهرة ، ١٩٨٧ - ١٤٠٧هـ ، الطبعة الثانية .

(٦) اللآلئ النفيسة (٢/١٩٦) .

- تاريخ الأقباط (١/٢٧٠) .

(٧) رسالة يعقوب الرسول العامة (٥/١٤ - ١٥) .

(٨) آل عمران : (٤٩) .

١ - أن نصوص الأناجيل التى حكت معجزات المسيح وأفعاله لم تقص علينا ولو مرة واحدة أن المسيح دهن مريضاً بزيت ليشفيه .

٢ - هذا السر يصطدم بمقررات العلوم والعقول ، وبالتقدم الهائل فى مجال الطب الذى طرق كل أبواب الأمراض وقدم للبشرية ما يشبه المعجزات فى وسائل العلاج ، مما يجعل العودة إلى العلاج بدهون الكهنة غير المتخصصين فى الطب نوعاً من الشعوذة .

(و) سر الزواج

وهو سر يُمْنح الزوجان بمقتضاه النعمة الإلهية بواسطة الكهنة المنوط بهم - وحدهم - إتمام طقوس الزواج التى تسمى « الإكليل » نظراً لوضع إكليل (تاج) على رؤوس المتزوجين[1] .

وقد بُنِى على كون الزواج سراً مقدساً اعتبار الطلاق أمراً مرفوضاً تماماً فى المسيحية[2] .

(ز) سر الكهنوت

وهو عمل مقدس به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ، فينال النعمة الإلهية التى ترفعه إلى إحدى درجات الكهنوت [3] ، التى تنقسم إلى ثلاث درجات هى[4]:

١ - الأسْقُفِيَّة :

وهى الرتبة العليا فى الرتب الكنسية التى يُعْتبر صاحبها وكيلاً لله فى الأرض ، وتتعدد ألقاب أصحاب هذه الدرجة ، فيُطْلق عليهم :

الأسقف ، أو البطريرك ، أو المطران ، أو البابا ، وهم يرأسون كل الكهنة فى كنيستهم .

---

(١) اللآلئ النفيسة (٢/١٢٠) .
- تاريخ الأقباط (١/٢٧٠) .
(٢) السابق .
(٣) تاريخ الأقباط (١/٢٧١) .
(٤) اللآلئ النفيسة (٢/٢٤٠ - ٢٤٨) .

٢ - القُسُوسِيَّة :

وهى الوسطى فى مراتب الكهنوت ، وينضوى تحتها : الخورى والإيغومانوس ، والقُمُّص ، والقِسّ ، والأبْروطَس .

٣ - الشَّمَامِسِيَّة :

وهى طائفة الخدم الذين يعاونون الكهنة فى الكنائس بتوزيع الصدقات وحمل الكتب والمصابيح والترتيل فى الصلوات .

وليس من حق أولئك الشمامسة إتمام الأسرار الكنسية .

* * * * *

(٥) الرهبانية

وهى نظام يرمى إلى التقرب من الله بالبعد عن متاع الدنيا ، وهجر الناس ، والانقطاع فى الصحارى البعيدة ، وإضناء قوى الجسد وحرمانه مما يلزمه من إشباع كى يفنى ، وتستحيل قواه العضوية إلى فكرة مجردة يعاين العقل خلالها الحقيقة الخالدة الممثلة فى رب الكون [١] .

وأركان الرهبانية خمسة [٢] :

أولاً : الوِحْدة ، ومع أنهم يعتبرونها رذيلة من رذائل المجتمع المجبول بحكم طبيعته على التآلف والتعاون بين الناس ، إلا أنها الركن الأول فى الرهبانية .

ثانياً : التَّبَتُّل : وهو صم الآذان عن نداء الغريزة الجنسية ، ورغم أنهم يعدونه أمراً يخالف مقتضيات الحياة البشرية ومطالب الجسد بما جُبِل عليه من رغبة إلا أن الرهبنة التى تستوجب التضحية تعتبر هذا الكبت الإجبارى والإلغاء لغريزة طبيعية فى الإنسان نوعاً من التسامى بالروح لاستشعار مجد الله .

ثالثاً : التقشف : وهو صورة من صور الجور على جانب المادة فى الإنسان لإذكاء جانب الروح فيه ، وذلك بحرمان الجسد من أطايب المأكولات والمشروبات وفاخر الثياب ، لكيلا يلهيه ذلك عن الجهاد فى سبيل مجد الله .

رابعاً : الصلاة وهى السلاح الذى يستعين به الراهب للوصول إلى هدفه وهو معاينة الله .

خامساً : التأمل ، وهو السعي إلى استكناه أسرار الوجود طلباً للحكمة وسمو العقل ، فإن التسامى إلى الله لا يكون إلا بسمو الروح ، وسمو الروح لا يأتي إلا بسمو العقل .

---

(١) زكى شنودة : تاريخ الأقباط (١/١٨١ – ١٨٢) .

(٢) السابق ، ص ١٨٢ – ١٨٥ .

ـ د . أسد رستم : تاريخ كنيسة أنطاكية (١٧٩/٢) ، منشورات النور ، لبنان ، بدون ترقيم .

ـ الأب . جوزيف قزى : بدايات الرهبانية اللبنانية ، ص ١٨٣ – ٢٠٩ ، مركز النشر والتوزيع ، الكسليك ، لبنان ، ١٩٨٨م .

وتستند الرهبانية فى نشأتها إلى أسس خمسة أيضاً [1] :

١ - فكرة هجر العالم والزهد فى متاعه نشأت عن قول الإنجيل : « إنْ أردتَ أن تكون كاملاً فاذهبْ وبِعْ أملاكَكَ وأعطِ الفقراءَ ، فيكون لك كنزٌ فى السماء ، وتعالَ واتْبِعْنى » [2] ، ولقول المسيح : « كلُّ مَنْ ترك لأجل اسمى بيوتاً ، أو أُخوة أو أَخَوات ، أو أباً ، أو أمّاً ، أو زوجة ، أو أولاداً ، أو حقولاً ، يَنَالُ مائةَ ضعفٍ ويَرِثُ الحياةَ الأبدية » [3] .

٢ - فكرة اللجوء إلى الجبال والبرارى نشأت عن صعود المسيح الجبل كلما أراد الصلاة أو تعليم الجموع .

٣ - البتولية مستمدة من قول المسيح : « يوجد خِصْيان خَصَوْا أنفسهم لأجل الملكوت من استطاع أن يحتمل فليحتمل » [4] ، وقول بولس : « يحسن بالرجل ألا يَمَسَّ امرأةً » [5] .

٤ - الفقر والتقشف مصدره زهد المسيح واحتماله الآلام .

٥ - طاعة الرؤساء يُحْتذى فيها بالمسيح الذى مع كونه ابناً فقد أطاع وقدم نفسه للموت ، وكذلك يقول بولس : « وذكِّرهم أن يخضعوا لذوى الرئاسة والقدرة » [6] .

ويذهب بعض الباحثين المسيحيين بنشأة الرهبانية كسلوك فردى إلى القرن الثانى للميلاد ، وكنظام له أسس وقواعد منظمة إلى القرن الثالث [7] .

ويلاحظ على الرهبانية ما يأتى :

١ - أنها نشأت - كما يقررون - فى القرن الثانى للميلاد ، وبعد ذهاب المسيح بما يزيد عن قرن من الزمان ، أى أنها من بدع النصارى وإضافاتهم إلى الدين ،

---

(١) تاريخ الأقباط (١/١٩٣ - ١٩٦) .
(٢) متى (٢١/١٩) .
(٣) متى (٢٩/١٩ - ٣٠) .
(٤) متى (١٢/١٩) .
(٥) الرسالة الأولى إلى أهل قرنثية (١/٧) .
(٦) الرسالة إلى طيطس (١/٣) .
(٧) تاريخ الأقباط (١/١٩٣) .

وإنا لنتساءل : أكانت دعوة المسيح ناقصة حتى يأتى أولئك ليضيفوا إليها ويكملوها ؟ أم أن المسيح نسى أن يكون راهباً ويأمرهم بالرهبانية فاستدركوا هم ما فات المسيح أن يدعو إليه ؟

٢ - لا يدرى أحد هل الرهبانية دعوة عامة لكل النصارى أم خاصة بطائفة معينة ؟ فإن كانت عامة فلماذا لا يدخلون فيها جميعاً ؟ ولماذا هذا التكالب على المال واستغلال حاجات المرء الاقتصادية فى إجباره على ترك دينه كما يفعلون فى جنوب إفريقيا ؟ وكيف نصدق أنهم يطيعون المسيح فى دعوته للتقشف والزهد وهم يسيطرون الآن على مقدرات العالم الاقتصادية ويمارسون أبشع أنواع الاستغلال البشرى ؟

وإن كانت خاصة فمن أين فهموا اختصاصها ببعض الناس دون بعض ؟ ولماذا لم يقبل عليها الحواريون وهم أولى الناس باتباع المسيح وأقربهم إليه وأكثرهم فهماً لدعوته ؟

٣ - محاربة الجسد وتعذيبه تتنافى مع وصية بولس بالجسد : « أمَا تعلمون أن جسدَكم هو هيكلٌ للروح القدس الذى نلتموه من الله وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتُرِيتم بثمن ، فمجدوا الله بجسدكم وبروحكم اللذين هما لله »(١) .

٤ - دعوة التبتل قضاء بفناء الجنس البشرى الذى صُلِب المسيح من أجل بقائه بريئاً خالصاً من اللعنة .

٥ - مصدرها الحقيقى البيئة الوثنية التى انتشرت فيها المسيحية (٢) .

---

(١) الرسالة الأولى إلى أهل قرنثية (٦/١٩ - ٢٠) .

(٢) سنعرض لذلك تفصيلاً فى الخاتمة .

(٦) الصلاة

الصلاة فى المسيحية هى ارتفاع العقل إلى الله وسَكْب النفس أمامه أو التضرع إليه والتماس الاحتياجات منه (١) .

وهى واجبة ومفروضة من الله ، لتكون دليلاً على عبودية العبد وربوبية الرب الذى خلق الإنسان ليعبده (٢) .

والأدلة على وجوبها من الكتاب المقدس كثيرة منها ما يذكره لوقا عن المسيح أنه قال : « أنه ينبغى أن يصلوا كل حين ولا يَمَلُّوا » (٣) .

وليست للصلاة عندهم كيفية محددة أو عبارات خاصة معلومة يجب تلاوتها بل لهم أن يتلوا العبارات التى يختارونها والتسابيح التى يرونها ، ومهما يكن ما جاء به أحدهم من ذلك فهو مثاب عليه ، لأن المسيح لم يَحُدُّ لهم حَدّاً فاصلاً يجب الاقتداء به ولزومه ، بل جعلهم ، مخيَّرين فى ذلك (٤) .

لكن لها شروط يجب توافرها فيمن يُقْدِم عليها ، منها (٥) :

أولاً : الإيمان الكامل بما عندهم ، لقول مرقس :

« إنَّ كلّ ما تسألونه فى الصلاة فآمِنوا بأنكم تنالونه فيكون لكم » (٦) .

ثانياً : أن تكون باسم الرب يسوع ، فالصلاة التى تقدم باسم يسوع تخرق السحب ، وتشق كبد السماء ، وتدخل مقادس الله ، تأتى بالمطلوب ، لقوله فى إنجيل يوحنا : « الحقَّ أقول لكم : إنه كل ما تسألونه من الآب باسمى يعطيكموه وإلى الآن لم

---

(١) ابن العسال : شرح مقالة لعيسى بن يحيى ، ص ١١٧ ، من مقالات دينية قديمة .
ـ يوحنا الدمشقى : المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكسى ، ص ٢٠٤ .

(٢) يوحنا سلامة (القمص) : اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة (١٢٠/١) .

(٣) لوقا (١/١٨) وانظر : متى (٥/٦ – ١٣ ، ٤١/٢٦) ، لوقا (٥/١/١١) ، رسالة بولس إلى القولوسيين (٢/٤ – ٣) .

(٤) ساويرس بن المقفع : مصباح العقل ، ص ٧١ – ٧٢ .

(٥) اللآلئ النفيسة (١٣٥/١ – ١٣٩) .

(٦) مرقس (٢٤/١١) ، وانظر : رسالة يعقوب العامة (٥/١ – ٧) .

تسألوا باسمى شيئاً ، فاسألوا تنالوا ، ليكون فرحكم كاملاً » [١] .

ثالثـــاً: أن تكون بخضوع لا بكبرياء .

رابعـــاً: أن تكون بلجاجة وإلحاح .

خامساً: أن تكون بمواظبة وبدون انقطاع .

سادساً: أن تكون بحرارة .

سـابعاً: بعد التصالح مع الجميع .

وهيئة الصلاة غير محددة ، فللمسيحى أن يصلي واقفاً ، أو راكعاً ، أو ساجداً رافعاً رأسه أو حانيها ، باسطاً يديه أو رافعاً ، له الحرية فى كل ذلك [٢] .

لكن عليه فى بداية الصلاة أن يرسم علامة الصليب على الوجه بالأصبع قائلاً : باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين [٣] .

ثم يتجه ناحية الشرق ، لأنه الجهة التى قال المسيح إنه سيظهر منها فى المجئ الثانى [٤] .

فإن كان لا يحسن إلا الصلاة الربانية : « أبَانا الذى فى السموات لِيَتَقدَّس اسمُكَ ، لِيأتِ ملكوتُكَ ، لِتَكُنْ مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خُبْزَنا كفَافَنا أَعْطنا كلَّ يوم ، واغفر لنا خطايانا ، لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تُدْخِلنا فى التجربة ، ولكن نَجِّنا من الشر » [٥] .

فلا عليه أن يكتفى بها ، لأنها قد جمعت الإيمان والتسبيح والمسألة والاستغاثة [٦] .

أما عدد الصلوات فهو سبع ، لأن مواهب الروح القدس سبع ، وتسبيح داود سبع ،

---

(١) يوحنا (١٦/٢٣ – ٢٤) ، وانظر : رسالة بولس إلى القولوسيين (٣/١٧) ، وانظر : يوحنا (١٤/١٣ – ١٤ ، ١٥/١٦) .

(٢) اللآلئ النفيسة (١/١٧٤ – ١٧٦) ، مقالات دينية قديمة ، ص ١١٧ – ١١٨ .

(٣) اللآلئ (١/١٥٦ – ١٥٧) ، مقالات دينية قديمة ، ص ١١٧ .

(٤) اللآلئ (١/١٦٧) ، مقالات دينية قديمة ، ص ١١٧ .

(٥) متى (٦/٩ – ١٣) ، وانظر : لوقا (١١/٢ – ٥) .

(٦) مصباح العقل ، ص ٧٤ .

والسبعة عدد كامل وضع لسبعة أرواح [1] .

وأوقاتها : البكور ، الساعة الثالثة ، السادسة ، التاسعة ، الحادية عشرة ، الثانية عشرة ، نصف الليل [2] .

وخصصت الصلاة فى هذه الأوقات دون غيرها للأسباب التالية [3] :

١ - صلاة البكور (وقت ظهور المخلِّص ، ووقت القبض عليه ، ووقت قيامته) .

٢ - صلاة الساعة الثالثة (تقديم المسيح للصلب ، ووقت حلول الروح القدس على التلاميذ) .

٣ - صلاة الساعة السادسة (وقت صلب المسيح) .

٤ - صلاة الساعة التاسعة (وقت موت المسيح على الصليب) .

٥ - صلاة الساعة الحادية عشرة (وقت إنزال جسد المسيح من على الصليب) .

٦ - صلاة الساعة الثانية عشر (وقت وضع يسوع فى القبر) .

٧ - صلاة نصف الليل (وقت المجئ الثانى للمسيح) .

ويلاحظ من خلال العرض السابق لعبادة الصلاة ما يلى :

١ - أنهم لم يشترطوا الطهارة لصحة الصلاة .

٢ - أنهم لم يتلقوا شيئاً من شروط الصلاة أو كيفيتها أو أوقاتها عن المسيح ، بل كل ذلك تشريع من الآباء والحواريين .

---

١) ابن العسال : شرح مقالة لعيسى بن يحيى ، ص ١١٧ ، ضمن مقالات دينية قديمة .
- ساويرس بن المقفع : مصباح العقل ، ص ٧٣ .
- اللآلئ النفيسة (١/١٤٧) ، تاريخ الأقباط (١/٢٦٤) .
هذه هى الصلوات الفردية ، وهناك صلوات أخرى تؤدى جماعة بالكنيسة فى مناسبات عدة : كصلاة الأحد ، صلاة القربان ، صلاة التعميد ، صلاة الزواج .

(٢) نفس المواضع السابقة .

(٣) اللآلئ النفيسة (١/١٤٩ - ١٥٥) .

٣ - أن الصلاة توجه إلى المسيح وترتبط بفصول من حياته ، لا شئ منها شرعه الله أو علمهم إياه .

٤ - أن الصليب عنصر أساسى فى الصلاة ، إذ تبدأ بوشمه على الوجوه وترتبط بأوقات حدوثه .

* * * * *

(٧) الصوم

الصوم فى المسيحية هو الامتناع عن تناول الطعام وقتاً معيناً من النهار ، ثم الاقتصار بعد ذلك على مأكولات خالية من الدسم ، إضعافاً للشهوات وتقوية للعواطف الروحية ، وتمكيناً للإنسان من الاستعانة بوسائل النجاة من ضيق الحياة [١] .

وتفرض الكنيسة على أتباعها أيام الصوم التالية [٢] :

١ – الصوم المقدس : وعدد أيامه خمسة وخمسون يوماً ، عبارة عن الأربعين يوماً التى صامها المسيح مضافاً إليها أسبوعى الاستعداد والآلام .

٢ – صوم الميلاد : وعدد أيامه ثلاثة وأربعون تنتهى بعيد الميلاد .

٣ – صوم الرسل : ويزيد وينقص حسب ضبط المجامع المسكونية لعيد الفصح .

٤ – صوم العذراء : ومدته خمسة عشر يوماً تنتهى بعيد انتقال العذراء .

٥ – صوم أهل نينوى : ومدته ثلاثة أيام بعد عيد الغطاس .

٦ – صوم يومى الأربعاء والجمعة على مدار العام ، لأن أحدهما تذكار للمؤامرة عليه والآخر تذكار لصلبه .

٧ – صوم البرامون : ومعناه الاستعداد ، ومدته بين يوم وثلاثة أيام ، ويقع قبل عيدى الميلاد والظهور .

٨ – وعلى المسيحيين أن يمتنعوا فى تلك الأصوام عن أكل كل حيوان أو ما يتولد منه ، أو يستخرج من أصله ، ويقتصروا على أكل البقول [٣] .

---

(١) مصباح العقل ، ص ٧٧ .
– اللآلئ النفيسة (٢/٣٦٠) .
– تاريخ الأقباط (١/٢٧٢) .
(٢) مصباح العقل ، ص ٧٩ – ٨٠ .
– اللآلئ (٢/٣٧٢ – ٣٩٥) .
– تاريخ الأقباط (١/٢٧٣) .
(٣) مصباح العقل ، ص ٧٧ – ٧٨ ، تاريخ الأقباط (١/٢٧٣) .

ويلاحظ على عبادة الصوم فى المسيحية ما يلى :

١ - أن المسيح لم يأمرهم بالصوم ، بل ترك الأمر لحرية الإنسان بقوله : « إذا صمتم فلا تكونوا عابسين »[١] .

٢ - لم يعين الكتاب المقدس وقتاً للصوم .

٣ - نقلوا زمن الصوم الكبير الذى كان يصومه المسيح حتى لا يكون فطرهم يوم فصح الفطير ، وهو يوم عيد الفصح لدى اليهود[٢] .

٤ - خالفوا المسيح بترك أكل اللحوم وتابعوا فى ذلك شريعة (مانىّ) الكافر ، يقول ابن البطريق : « فأكد هذا القول من بطرس إذ كان أحد رؤساء الحواريين وأركان الدين ومن يجب أن يؤخذ عنه ويقبل منه ما فعل المسيح فى أكل الذبيحة وفى تحليل جميع الحيوان ولحقت التهمة كل من ترك أكل اللحم وغرب عن مذهب سيدنا المسيح وعن بطرس رئيس الحواريين ، وصار كل من لا يأكل الذبيحة عندنا مخالفاً لشريعة النصرانية ومضاهياً لمذهب المنانية »[٣] .

٥ - تغيير الطعام ليس صوماً ، بل الصوم هو الإمساك الجسمانى والنفسى عما حرم الله وذلك بنص أقوالهم[٤] .

٦ - ما الحكمة فى تحريم بعض الأطعمة مع قول المسيح : « ما يَدْخُلُ الفمَ لا يُنَجِّس الإنسان » ؟[٥] .

٧ - أكل البقول دليل على ضعف الإيمان ، لقول بولس : « وأما الضعيف فيأكل البقول »[٦] .

٨ - الصوم لا يكون إلا لله ، وهذا صوم للرسل تارة وللعذراء تارة .

---

(١) متى (٦/١٦) .

(٢) تاريخ ابن البطريق ، ص ١٢٧ .

(٣) السابق ، ص ١٤٧ .

(٤) ابن العسال : شرح مقالة لعيسى بن يحيى ، ص ١١٧ ، من مقالات دينية قديمة .

(٥) متى (١٥/١١) .

(٦) رسالة إلى أهل رومية (١٤/٢) .

(٨) تقديس الصليب

يَعْتَبِرُ النصارى الصليب شعارهم المقدس والعلامة المميزة لأبناء الكنيسة ، ولا يتبارك شئ من أمورها إلا بإشارة الصليب ، فلا يتعمَّد مسيحى ولا تُكرَّس كنيسة أو مذبح ، ولا يتكلَّل عُرْسٌ ، ولا تنحلُّ خطايا لتائب ، ولا يترسَّم كاهن أو شماس ، ولا يتقدَّس عشاء أو ميرون إلا برسم الصليب (١) .

ولهذه المكانة التى يتبوأها الصليب فى المسيحية سببان (٢) :

أولاً : أنه الآلة التى تم بها الخلاص واكتمل سر الفداء .

ثانياً: أنه العلامة التى أنبأ المسـيح بظهورها قبل مجيئه ، بحسـب قول متى(٣) : « وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان » .

والعجيب أن هذا الكاتب الذى يعلّل لأهمية المكانة التى يحتلها الصليب فى المسيحية بأنه الآلة التي تم بها الخلاص البشرى من الخطيئة واكتمل بها سـر الفداء يقول ما نصـه (٤) :

« نعم إن المسيح تألم وصلب ومات مرة واحدة ولا سلطان للموت عليه بعد ، ولكن نحن نحيي ذكرى موته سنوياً ، لأن الخطيئة التى سبّبت موته لم تمت ، ولا تزال سائدة على الساكنين على الأرض ، وما دامت الخطيئة عائشة والإنسان لابساً جسدها ، وجب أن يعاد تذكار آلام وموت الرب ، ليكون زاجراً لنا عن الخطيئة التى تصلب ابن الله ثانية » .

ولزيادة إكرام الصليب أمرت الكنيسة بالاحتفال بيوم الصلب وصومه وعدم الزواج فى أسبوع آلام المسيح على الصليب (٥) .

ويلاحظ على تلك الشعيرة ما يأتى :

١ – أن استعمال الصلبان لم يكن شائعاً فى النصرانية حتى القرن الرابع إلى أن

---

(١) اللآلئ النفيسة (١/١٦٥) .

(٢) السابق ، ص ١٦٥ – ١٦٦ .

(٣) متى (٢٤/٣٠) .

(٤) اللآلئ النفيسة (٢/٣٠٩) .

(٥) السابق (٢/٣١٠) .

ذهبت هيلانة أم قسطنطين إلى بيت المقدس وأخرجت الصليب من المزبلة وجعلته فى غلاف من ذهب وحملته إلى القسطنطينية ، لأنهم لم يكونوا قد اعتادوا تكريمه ولم يكونوا ليستطيعوا المجاهرة به قبل ذلك (١) .

٢ - تنص التوراة على أن المصلوب على خشبة ملعون يجب التخلص من جثته حتى لا ينجس الأرض (٢) ، فكيف يستقيم ذلك مع وصف المسيح بـ « تبارك الآتى باسم الرب » (٣) ؟ ، وقول المسيح : « العمل الذى أعطيتَنى لأعمل قد أكملتُه ، والآن مجِّدنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان عندك قبل كون العالم » ؟ (٤) .

٣ - لم يأمر المسيح بتقديس الصليب ، وما ورد فى إنجيل متى منسوباً إليه : « ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى » (٥) ورد فى إنجيل يوحنا ما يفيد معناه دون ذكر أية إشارة إلى الصليب ، وذلك فى قوله : « إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى ، وحيث أكون أنا هناك يكون خادمى » (٦) .

٤ - يرفض كثير من المسيحيين الإقرار بصلب المسيح ومن ثم تقديس الصليب ، جاء فى دائرة المعارف الأمريكية (٧) : « إن الحقيقة المزعومة عن أن يسوع مات من أجل خطايانا ، وبهذا وقانا لعنة الله إنما هى مرفوضة قطعاً . إن الاعتقاد أن يسوع كان له هذه النتيجة إنما يعنى الطعن فى أخلاق الله ... إن الموت الدموى على الصليب أمر مناقض للحلم الإلهى » .

٥ - تقديس الصليب مستعار من البيئة الوثنية (٨) .

---

(١) تاريخ البطريق ، ص ١٣١ ، وانظر : اللآلئ النفيسة (١/١٦٣) .

(٢) التثنية (٢١/٢٣) .

(٣) مرقس (١١/٩) .

(٤) يوحنا (١٧/٤ - ٥) .

(٥) متى (١٠/٣٩) .

(٦) يوحنا (١٢/٢٦) .

(٧) دائرة المعارف الأمريكية (٢٧/٣٠٠ - ٣٠١) ط ١٩٥٩م ، نقلاً عن الأستاذ/أحمد عبدالوهاب ، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ، ص ٣٨ .

(٨) سنعرض لذلك تفصيلاً - إن شاء الله تعالى - فى الخاتمة .

(٩) تعطيل الختان

الختان هو عهد الله وميثاقه إلى إبراهيم ، كما قال له فى سفر التكوين : « أما أنت فاحفظ ميثاقى أنت ونَسلُك من بعدك فى أجيالهم ، وهذا ميثاقى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك : لِيَخْتَتِنَ منكم كلُّ ذكرٍ ، فتَخْتِنونَ لَحْمَ غُرْلَتِكم ، فيكون علامةً للميثاق بينى وبينكم »[١] .

وقد ظل هذا العهد محفوظاً فى بنى اسرائيل إلى أن أُرسل المسيح بعد أن جَدَّد اللهُ الأمرَ به لموسى كما تقول التوراة :

« وكلّم الربُّ موسى قائلاً : كلِّم بنى إسرائيل قائلاً : إذا احبَلَتْ المرأة وولدتْ ذكراً تكون نَجِسَةً سبعة أيام ، وعلى حسب أيام نجاسة ضعفها تكون نجسة ، وفى اليوم الثامن يُخْتَنُ لحمُ غَلَفَتِهِ »[٢] .

والمسيح – عليه السلام – كان مختوناً ، اختتن فى اليوم الثامن لمولده ، كما نصت التوراة[٣] .

إلا أن بولس عندما أراد تصدير مسيحيته إلى الأمم الوثنية وجد الختان عائقاً يحول بين قبول الوثنيين لدعوته لما فيه من مشقة وتكليف ، فما كان منه إلا أن قرر أن الختان لن ينفع الإيمان شيئاً[٤] .

وطرح على المجتمعين بأورشليم رأيه بعدم جدوى الختان ، فوجد معارضة شديدة من المؤمنين من تلاميذ المسيح الذين يرون عدم الخلاص بدون الختان[٥] .

لكن فى النهاية تغلب رأى بولس وحزبه وقرر المؤتمرون فى أورشليم رفع التكليف بالختان عن المؤمنين الجدد ، وأن الخلاص يكفى بالإيمان بالرب يسوع ، والاكتفاء بتحريم الأصنام والزنا والمخنوق والدم وإيفاد مبعوثين من قبل كنيسة أورشليم مع بولس

---

(١) تكوين (٩/١٧ – ١١) .

(٢) سفر الأحبار (١/١٢ – ٢) .

(٣) لوقا (٢١/٢) .

(٤) الرسالة إلى غلاطية (٢/٥ – ٦ ، ١٤/٦ – ١٥) .

(٥) أعمال الرسل (١/١٥ – ٦) .

وبرنابا لإبلاغ قرار المجتمعين إلى الأمم [1] .

وهكذا تعطلت فريضة الختان ، وأُلغِيَ ميثاق الرب وعهده إلى إبراهيم وأمره لموسى ، وذلك باقتراح بولس وموافقة بطرس الشيطان كما لقبه المسيح بعد اثنين وعشرين عاماً من ذهاب عيسى عليه السلام .

ويلاحظ على ذلك ما يأتى :

١ - أنهم بذلك قد خالفوا سُنَّة المسيح وعمله ، فقد كان - عليه السلام - مختوناً وكذلك حواريوه وتلاميذه .

٢ - أن الذى أحلّ الحرام مما حرمته التوراة وكتب الأنبياء السابقين هم التلاميذ ، وما ذلك إلا تصديق لقوله تعالى :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [2] .

---

(١) أعمال الرسل (١٥/١٩ - ٣٠) .

(٢) التوبة : (٣٠) .

(١٠) تحليل لحم الخنزير

تنص التوراة على نجاسة الخنزير وتحريم أكله وعدم مس جيفته [١] لكن المؤتمرون بكنيسة أورشليم – كما يحكى سفر أعمال الرسل – قرروا تحليل لحم الخنزير ، وقصر المحرمات من الأطعمة على ما يذبح للأصنام وعلى الدم والمخنوق [٢] .

وقد أصبح أكل الخنزير أمراً واجباً ومفروضاً على النصارى بأمر قسطنطين الملك عندما أراد إخلاء بيت المقدس من غير النصارى ، وقتل كل من يرفض التنصر من أهلها ، فدخل فى النصرانية خلق كثير من اليهود والوثنيين هرباً بحياتهم من القتل ، فأزعج ذلك بطريرك القسطنطينية الذى أخبر قسطنطين : « أن اليهود قبلوا النصرانية ظاهرياً للفرار من القتل ولا يزالون على عقيدتهم ، فاختبرهم بأكل لحم الخنزير فإنه محرم فى التوراة ، فمن قبل أكله منهم فقد خالف التوراة وقبل النصرانية ، ومن رفض تبين عدم قبوله النصرانية فيقتل ، فقال قسطنطين : إن كان الخنزير محرماً فى التوراة فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه ونطعمه للناس ؟ فقال له البطريرك : إن المسيح قد أبطل سائر ما فى التوراة وجاءنا بتوراة جديدة هى الإنجيل الذى قال فيه : إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان ، إنما ينجس الإنسان كل ما يخرج من فيه (يعنى السفه والكفر ومثل ذلك) ، وقال بطرس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل قرنثية : الطعام للبطن والبطن للطعام والله يبطل كليهما ، ومكتوب فى الإبركسيس : أن بطرس رئيس الحواريين كان فى مدينة يافا فى منزل رجل دباغ يقال له سيمنى ، وأنه صعد إلى سطح المنزل ليصلى فى وقت ست ساعات من النهار ، فوقع عليه سبات ، فنظر إلى السماء قد انفتحت وإذا إزار قد نزل من السماء حتى بلغ إلى الأرض وفيه كل ذوات الأربع قوائم والسباع والذباب وطير السماء ، وسمع صوتاً يقول له : يا بطرس قم واذبح وكل ، فقال بطرس : يا رب ما أكلت شيئاً نجساً قط ، فجاءه صوت ثان : كل ما طهره الله فلا تنجسه أنت ، فجاءه الصوت بهذا ثلاث مرات ، ثم إن الإزار ارتفع إلى السماء ، فعجب وتحير بطرس فيما بينه وبين نفسه ، فبهذا المنظر ، وبما قال سيدنا المسيح فى إنجيله المقدس أمَرَنا بطرس وبولس أن نأكل لحم كل ذى أربع قوائم ، فالخنزير وغيره من

---

(١) سفر الأحبار (١١/٧ –٨) .

(٢) أعمال الرسل (١٥/٢٩) ، (١٠/١٠ – ١٧) .

جميع الحيوان حلال لنا »[1] .

فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع قطعاً صغيرة وتوضع على أبواب الكنائس فى سائر المملكة يوم أحد الفصح ، وكل من يخرج من الكنيسة يأكل لقمة لحم خنزير ، ومن لم يأكلها يقتل[2] .

ويلاحظ على تحليل لحم الخنزير ما يلى :

١ - أنهم استندوا فى ذلك إلى تلاميذ المسيح لا إلى المسيح نفسه ، وهؤلاء لا يملكون أمر الحِلِّ والحرمة ، فهو للأنبياء والرسل فقط .

٢ - أن الاعتماد على الرؤى والمنامات فى التحليل والتحريم أمر يحتاج لإعادة النظر ، خصوصاً إذا كانت تلك الرؤيا صادرة عن الشيطان بطرس كما لقبه المسيح ، فما المانع أن تكون رؤيا شيطانية من شيطان إلى شيطان .

٣ - إذا كان بطرس قد أحل جميع ما فى الإزار ، فلماذا لا يأكلون بقية ذوات الأربع من الحيوانات ؟

(١) تاريخ ابن البطريق ، ص ١٢٣ .
(٢) السابق ، ١٣٤ .

(١١) الغُلُوّ فى الدين (*)

وهو مجاوزة الاعتدال فى السلوك الدينى فكراً وعملاً ، أو على الأصح هو الخروج عن طريق الجادة والصواب فى فهم الدين وتلقى شرائعه والعمل به [١] .

والغلو فى العمل صنو الغلو فى الفهم ، وكلاهما تَحَدٍّ لسماحة الأديان ، وتزيُّد فيها ، وتطاول عليها ، واتهام لها بالتقصير ، ودَمْغٌ للرسل بعدم تبليغ رسالاتهم على الوجه الأكمل كما يأتى الغلاة ليكملوها ويتموها .

وأسباب هذا الغلو التى ولَّدت مسبباته ، ومقدماته التى أثمرت نتائجه ليست واحدة ، فالظاهرة التى بين أيدينا مركبة معقدة ، دواعيها متنوعة متداخلة بعضها مباشر وبعضها غير مباشر ، منها ما هو دينى ، ومنها ما هو سياسى ، ومنها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو خليط من هذا كله أو بعضه .

فهناك مَنْ أَرْجَعَ الغلو فى الدين إلى فراغ فى النفس ، أو التِيَاثٍ فى الفكر ، أو ردِّ فعلٍ لغلو آخر ينتقص من نفوذ الدين ، أو ائتِمَارٍ خبيث تقوده قوى غامضة لتقويض الدين وهدمه [٢] .

وأضاف آخرون لذلك ضعف البصيرة ، والتباس المفاهيم ، وضعف المعرفة بالتاريخ وسنن الكون والحياة ، وكذلك الاتجاه الظاهرى فى فهم الدين وتلقى شرائعه وتفسير حقائقه [٣] .

كما يمكننا أن نضيف إلى ما سبق سبباً يُعَدُّ من أهم أسباب الغلو الدينى فى النصرانية ألا وهو الجهل بتعاليم الأنبياء وقلة البضاعة فى فقهها وفهم مقاصدها ،

(*) ونعنى به ظاهرة التطرف الدينى ، التى تحاول وكالات الأنباء ووسائل الإعلام الغربية إطلاقها وربطها بالحركات والجماعات الإسلامية فى العالم الإسلامى ، وقد استبدلنا اللفظ بكلمة إسلامية أصيلة حتى لا نقع فى محظور متابعة الألفاظ الدارجة المستحدثة .

(١) خالد محمد خالد : المسلمون والعصر ، ص ٥١ ، كتاب العربى (١٤) ، سلسلة تصدر عن مجلة العربى .

(٢) السابق .

(٣) د . يوسف القرضاوى : الصحوة الإسلامية بين الجحود التطرف ، ص ٦٢ - ٧٠ ، كتاب الأمة (٢) الطبعة الأولى ، سلسلة تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية بقطر .

فعلى الرغم – مثلاً – أن المسيح كان غالب أمره اللين والرحمة والتسامح والدعوة إلى السلام ، فإن الداعين إلى التطرف وإراقة الدماء كالقديس أوغسطين لم يجدوا تبريراً لهم إلا فى آيات غلطوا فى فهمها كقول المسيح : « لا تظنوا أنى جئت لألقى على الأرض سلاماً بل سيفاً ، فإنى جئت لأفرق بين الإنسان وأبيه ، الابنة وأمها ، والزوجة وحماتها ، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته »[1] .

وفى ذلك من اتباع للمتشابه من النصوص وترك للمحكمات البينات منها ، مما لا يصدر عن راسخ فى العلم ، فإن هذه المتشابهات قد بيَّنتها آيات محكمات فى الإنجيل وما قبله كما يقول ابن تيمية[2] .

ويضيف الإمام أن الذى أوقعهم فى ذلك أيضاً عدم تدبرهم لكلام الأنبياء حقَّ التدبر ، وترجمة أقوالهم على غير وجهها ، وتفسير كلامهم بغير ما يدل عليه شئ من أقوالهم[3] .

والحق أن سبباً واحداً مما سلف لا يقوم بمفرده وراء الظاهرة ، بل مجموع تلك الأسباب الدينية والفكرية والسياسية والاجتماعية تعمل بأقدار متفاوته مخلِّفة وراءها آثاراً تتفاوت فاعليتها فى الظاهرة من موضع لآخر .

وكما أن للغلو أسباباً عديدة فكذلك مظاهره كثيرة كأسبابه ، بيد أنه يمكن تلخيصها فيما يلى[4] :

١ – التعصب للرأى تعصباً لا يُعْتَرف معه للآخرين بوجود ، والجمود فى الفهم جموداً لا يسمح بالرؤية الواضحة لمقاصد الشرائع ، ولا يفتح النوافذ للحوار مع الآخرين والأخذ بما يرجح ميزانه وينصع برهانه .

٢ – التزام التشديد دائماً مع قيام موجبات التيسير ، وإلزام الآخرين بذلك التشديد مع أن الشرائع الإلهية لم تُلْزِم الخلق بالأشد من الأمور .

---

(١) متى (١٠/٣٤ – ٣٧) .

(٢) الرسالة القبرصية ، ص ٢٢ .

(٣) الجواب الصحيح (٢/٢٨٨) .

(٤) د . يوسف القرضاوى : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، ص ٣٩ – ٥٦ .

ـ ست علامات للتطرف الدينى ، ص ٦٠ – ٧٠ ، كتاب العربى (١٤) المسلمون والعصر .

٣ – الغلظة فى الأسلوب والدعوة خلافاً لهدى الله تعالى ومنهج رسله الذين دعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالحماقة والعبارة الخشنة .

٤ – تكفير الخصوم وإباحة دمائهم واستباحة أموالهم وأعراضهم .

هذه هى بعض مظاهر الغلو الدينى عامة ، غير أن هناك سمة تميز بها الغلو الدينى فى النصرانية حتى صارت أخص خصائصه ، وأبرز علاماته .

ألا وهى الرغبة فى مخالفة اليهود الذين وقفوا فى الطرف المقابل لهم فكانت مغالاتهم فى التوحيد والأنبياء والشرائع والحلال والحرام والأخلاق وغير ذلك ، إذ عمدوا – كما يقول ابن تيمية – إلى الشريعة التى يعبدون الله بها فناقضوا الأولين من اليهود فيها مع أنهم مأمورون بالتمسك بالتوراة إلا ما نسخه المسيح [(١)] .

ففى التوحيد خالفوا التوراة وهى صريحة فى نصوص الوحدانية ، وقالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وقالوا بألوهية مريم ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم .

وفى الأنبياء : قالت اليهود إن يسوع موجود فى لُجَّاتِ الجحيم بين الزفت والنار ، وأن أمه مريم قد أتت به من العسكرى (بندارا) بمباشرة الزنا [(٢)] ، فغلا النصارى فيه ، وقالوا إنه الله ، وابن الله الذى صلب لفداء البشر من خطيئة آدم .

وقد استقام أمر الغلو الدينى فى النصرانية منذ عصورها الباكرة ، إذ اعتبرت نفسها وريثةَ اليهودية فألغت العمل بالتوراة وشرائع الأنبياء وجعلت الإيمان بالإنجيل مصدراً وحيداً للنجاة ، ولأن النصارى ناقمون على اليهود وافترائهم على عيسى وأمه فلم يَرَوْا لهم وجوداً إلى جانبهم ، ومن ثَمَّ سَنُّوا فى معاملتهم قوانين الإذلال والاستئصال واعتبروهم مسئولين عن دم المسيح .

---

(١) الرسالة القبرصية ، ص ٤٥ .

(٢) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، ص ١١ ، ترجمة : د . يوسف حنا مسعد ، نشر المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

ـ ظفر الإسلام خان ، التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص ٦٢ ، طبع دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

لذلك عندما استقر الأمر للنصرانية وأصبحت دين الدولة الرومانية فى عهد قسطنطين ، سَنَّ مجموعة من القوانين منها : كسر الأصنام وقتل من يعبدها ، وألا يكتب فى ديوان المملكة إلا النصارى ، وأن يكونوا هم القواد والوزراء والأمراء دون غيرهم (١) .

ثم أصدر فى عام ٣٣٨ م أمراً بألاَّ يسكن بيت المقدس يهودى ، كما أمر بقتل كل من لا يتنصر من اليهود ، وعقد لهم اختباراً بإطعامهم لحوم الخنزير المحرمة فى التوراة ، فمن أكلها نجا ، ومن لم يأكل قتل ، فقتل فى ذلك عدد كبير من اليهود (٢) .

ولم تقتصر مظاهر الغلو النصرانى على اضطهاد اليهود ، بل عمَّ جميع المخالفين فالقتل والحرق والحرمان أبسط شرائع العقاب .

لمَّا ظهر آريوس بالإسكندرية و أنكر ألوهية المسيح ، ونادى بأنه لا يساوى الآب فى جوهره ولا طبيعته ، لأنه خُلِق بإرادة الآب وبعده ، عند ذلك أمر قسطنطين بعقد مجمع نيقية الذى حكم بلعن آريوس وإحراق كتبه وتحريم اقتنائها وعزل ونفى آريوس ومن ينتصر لمذهبه من الأساقفة (٣) .

ومن الغريب – حقاً – أن ترتكب تلك الفظائع باسم المسيح – عليه السلام – وهو الذى يستهل خطبته على الجبل بقوله :

« طُوبَى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوتَ السماوات ، طوبى للمتأسِّفِينَ فإنهم سيفوزون ، طوبى للودَعَاء فإنهم يَرِثُونَ الأرضَ ، طوبى للذين يَجُوعون ويَعْطَشُون إلى البِرِّ فإنهم يشبعون ، طوبى للراحمين فإنهم يُرْحمون » (٤) .

ثم يقرر أصل النصرانية ، ويُرْسى دعائم التسامح العام فى مواجهة المخالفين بقوله :

« لا تقاوموا الشرَّ ، بل من لَطَمك على خَدِّك الأيمن فأدِرْ له الآخرَ أيضاً ، ومن أراد

---

(١) تاريخ ابن البطريق ، ص ١٢٩ .

(٢) السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) السابق ، ص ١٢٧ .

(٤) متى (٥/٣ – ٩) .

أن يأخذ منك الصُّدْرَةَ فَدَعْ له الرداء أيضاً ، ومن سخَّرك ميلاً فسِرْ معه ميلين ، ومن سألك فأعْطه ومن أراد أن يقترض منك فلا تردُّه ، وسمعتم أنه قيل أحبب جارك ، وأبغض عدوك ، لكنى أقول لكم : أحبوا أعداءكم ، وباركوا على لاعنيكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وادعوا لظالميكم وطارديكم » (١) .

مع أن هذه وصية المسيح وتلك كانت أوامره وتعاليمه وأساس رسالته إلا أن النصارى قد ضَنُّوا بالحياة إلى جوارهم على مخالفيهم من اليهود والمسلمين ، فتجسدت معالم البغض والكراهية المتناهية إبان الحملات الصليبية على العالم الإسلامى فى صورة القتل والحرق والتدمير والإبادة الشاملة لكل ما واجه الصليبيون فى طريقهم .

يصف ابن الأثير دخول الصليبيين بيت المقدس بعد تسليم حاميته بقوله : « عندما دخل الصليبيون بيت المقدس ركب الناس السيف ، ولبث الإفرنج فى البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين ، وقتل الإفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً من المسلمين » (٢) .

ويعلق العلامة مكسيموس مونروند الفرنسى على تلك المذبحة قائلاً :

« وأصدر ديوان المشورة العسكرية حكماً مرهباً ، وهو أن يموت كل مسلم باقٍ داخل المدينة المقدسة ، حتى من احتمى براية النبيل (تانكر يد) إذ أراد أن يخلص حوالى ثلاثمائة شخص هربوا إلى جامع عمر ، فأرسل رايته ليحتموا تحتها ، لكنَّ الصليبيين لم يحترموا الراية ، وذبحوا ثلاثمائة مسلم عن آخرهم وعندما احتمى اليهود بكنيستهم حاصرهم الصليبيون وأضرموا النار فى جنبات الكنيسة حتى أبادوها وإياهم » (٣) .

فلم تكن تلك الحروب - فى الحقيقة - لغرض دينى كما أشاعوا ، بل كانت كما يقول (غاردنر) أحد المستشرقين : لتدمير الإسلام وإبادة المسلمين (٤) .

---

(١) متى (٥/٣٩ - ٤٥) .

(٢) ابن الأثير : الكامل (١٠/٢٨٣ - ٢٨٤) .

وانظر ما كتبه : الكونت هنرى دى كاسترى : الإسلام خواطر وسوانح ، ص ٤٢ ، حول فظائع الصليبيين ، ترجمة : أحمد فتحى زغلول باشا ، طبع دار الفرجاني ، القاهرة ، بدون ترقيم .

(٣) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة ، ص ١٢٥ ، طبع أورشليم ١٨٦٥م .

(٤) جلال العالم : دمروا الإسلام ، ص ٥٩ .

يؤكد ذلك أن البابا أوربان الثانى الذى دعا العالم المسيحى إلى الحروب الصليبية لم يكتف بدعوة النصارى للحج أو تحرير الأرض المقدسة من أيدى المسلمين ، بل طالبهم أن ينتزعوها ويقيموا فيها لخصوبتها ورحابتها (١) .

كما يؤيد ذلك تلك الفتوى التى أصدرها البابا (نقولا الرابع ٦٨٧ هـ - ١٢٨٨م / ٦٩٢هـ - ١٢٩٢م) وأقرها البابا (أربا نوس السادس ٧٨٠هـ - ١٣٧٨م / ٧٩٢هـ - ١٣٨٩م) والتى بمقتضاها غدَت شعائر الغلو الدينى فى النصرانية أمراً مشروعاً ، وواجباً دينياً ، وقرباناً مُحَبَّباً ، ينال فاعله البركة وتحيق بتاركه اللعنة ، مضمون تلك الفتوى : « أن الغدْرَ إثْمٌ ، لكنَّ الوفاءَ مع المسلمين أكثرُ إثْماً » (٢) .

يؤيد ذلك أيضاً تلك الهجمة البربرية التى تعرض لها الإسلام عقب هزيمة المسلمين فى الأندلس ، إذ حُرِّم الإسلام على المسلمين ، وأُجْبِروا على تركه ، كما حَرَّم عليهم استخدام اللغة العربية والأسماء العربية والزى العربى ، ومن خالف تلك الفروض حُرِق حياً (٣) .

ويُعْتبر الغلو الدينى فى النصرانية أبرزَ النتائج التى نجمت عن عقيدة الخلاص ، إذْ استمد النصارى من تلك العقيدة حجة للتنكيل بمخالفيهم فى الرأى والعقيدة فأشاع القديس أوغسطين أنَّ أدلَّ الدلائل على الرفق وأثبت الشواهد على الرحمة أن يُعَاقب الملحدون فى الدنيا إذا كان هذا العقاب ينقذهم من العذاب الأبدى فى الآخرة ، فلهذا من العدالة والرحمة استخدام القوة والعنف ، وصب أشد ألوان العذاب على المخالفين (٤) .

ولأن الإيمان فى نظر النصارى متى اشتد ، ارتفع فوق كل احتمال للجدل ، واعتقد أهله أن كل من خالفهم مصيره جحيم يصلى فيه شقاء أبدياً ، لذلك خرج الكاثوليك بنظرية مؤداها أن الخلاص لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية .

---

(١) مايكل هارت : المائة ، ص ٢٠٦ .

(٢) نقلاً عن الدكتور : محمد حميدالله الحيدر آبادى ، ص ٨١ ، من مقدمته لكتاب أحكام أهل الذمة ، للإمام ابن القيم ، مطبعة جامعة دمشق ، الطبعة الأولى .

(٣) جلال العالم : دمروا الإسلام ، ص ١٢ .

- الكونت هنرى دى كاسترى : الإسلام خواطر وسوانح ، ص ٤٢ .

(٤) د . توفيق الطويل : قصة الاضطهاد الدينى ، ص ٦٠ ، دار الفكر العربى ، مصر ، بدون ترقيم .

فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى خرج بعض النصارى من « الألبيين » رعايا أمير « تولوز » بالجنوب الغربى من فرنسا على الكنيسة فى عهد البابا « أنوسنت الثالث» فنهضت الكنيسة لإبادة الحركة واستئصال أعوانها ، فأعلن البابا غفران كل ذنب ارتكبه من يجاهد للقضاء عليها ، فأعمل أعوان الكنيسة فى خصومهم القتل والحرق فيما يعرف بمذبحة الألبيين »(١) .

وفى نهاية القرن السادس عشر الميلادى أراد تشارلس التاسع ملك فرنسا أن يهادن البروتستانت وأن يزوج أخته بزعيمهم وفى ليلة الزفاف التى أقبل إليها البروتستانت آمنين عزم الكاثوليك على التخلص من ضيوفهم ، فدق ناقوس الكنيسة فى منتصف الليل مؤذناً ببدء المذبحة التى انتهت مع تباشير الصباح وشوارع باريس تجرى بدماء نَيِّفٍ وعشرين ألفاً من البروتستانت (٢) .

ناهيك عن الذعر والرعب الذى أثارته محاكم التفتيش بأساليبها المنكرة فى القتل والتعذيب ، وعانى منها جميع مخالفى الكاثوليك من اليهود والنصارى والمسلمين .

ولم تكن البروتستانتية نفسها متسامحة ، بل عندما استقر الأمر لها أقرت الاضطهاد مبدأ مشروعاً لمقاومة الهرطقة وهي التى عانت بالأمس من الاضطهاد الكثير ، فقام زعماؤها يرسون أساس الغلو ووضعوا الكتب التى أيدوا فيها مشروعية الاضطهاد (٣) .

ثم طاردت البروتستانتية بمختلف شُعَبِها أحرار الفكر ، تعقبت خصومها ومخالفيها ، فسلطت حقدها على ديكارت وحرمت كتبه ، وليراجع من شاء مأساة « كالا » ومأســــاة « سيرفين » (٤) .

---

(١) د . توفيق الطويل : قصة الاضطهاد الدينى ، ص ٦٧ .
(٢) د . أحمد شلبى : اليهودية ، ص ٢٥ ، دار النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤م .
(٣) مايكل هارت : المائة ، ص ٩٨ .
ـ د . توفيق الطويل : قصة الاضطهاد الدينى ، ص ١٠٣ .
(٤) مايكل هارت : المائة ، ص ٢٥٥ .
ـ الشيخ محمد الغزالى : التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية ، ص ٧٢ ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، بدون ترقيم .

الفصل الثانى

تكذيب محمد ﷺ

عَلِم النصارى من توراة موسى وكتب الأنبياء بعده أن نبياً سيظهر للعالم ، تحكى أسفارهم أن موسى قال عنه : « الربُ إلهكم سيُقِيمُ لكم من إخوتكم نبياً مِثْلى ، فاسمعوا له فى كل ما يقوله لكم ، وكلُّ نَفْسٍ لا تسمع لذلك النبى تُهْلَك من بين الشعب ، وجميع الأنبياء من صموئيل ومَنْ جاء بعده ممَّن تكلَّم فإنما أَخْبروا عن هذه الأيام » [1] .

وأن هذا النبىَّ ليس عيسى - عليه السلام - لأن عيسى من بنى إسرائيل ، ولو كان النبىُّ الآتى من بنى إسرائيل لقال موسى « من أنفسكم » أو منكم ، كما أن عيسى ليس مماثلاً لموسى فى الحروب والمعجزات والنصر على الأعداء .

ولم يُبِد اللّهُ على يديه من الشعب من لم يستمع لكلامه [2] ، وأيضاً فعيسى لم يأت ناسخاً للتوراة ، بل جاء مصدقاً ، أما النبى الآتى فناسخ لشريعة موسى - عليه السـلام - بحسب قوله : « فاسمعوا له فى كل ما يقوله لكم » .

عند ذلك عمدوا إلى استبدال نبىٍّ بنبىٍّ ، نَبِىٌّ لم يَرِدْ له ذكْرٌ فى البشارة (عيسى) بنبىٍّ تحدَّثتْ عنه نبوءات عديدة فى التوراة هو محمد ﷺ وعندما ظهر هذا النبى المنتظر المبشَّر به من قِبَل الأنبياء راحوا يُثيرون الغُبَارَ حول رسالته وشخصه وإن كان شخصه قد نال حظاً وافراً من الافتراءات والمطاعن [3] .

وبِغَضِّ الطَّرْف عن هذه المطاعن وذلك التردِّى الذى يَخْرج عن نطاق البحث العلمى وينقض قول المسيح : « من يَقُلْ لأخيه يا أحمق يَسْتوجب نارَ جهنَّم » [4] ، والذى حال فى دعوته بين الحط من مقام أى إنسان فضلاً عن رسول نبىٍّ بل أفضل رسول وأكرم نبى ، فإن مزاعم النصارى ومطاعنهم قد دارت حول محورين :

---

(١) أعمال الرسل (٣/٢٢ - ٢٤) .

(٢) تنص التوراة على أنه : « لم يقم فى إسرائيل نبىٌّ من بعده (يوشع) مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه فى جميع الآيات والعجائب التى بعثه بها الرب ليعلمها فى أرض مصر لفرعون ، وفى تلك اليد القوية وفى كل ذلك الهول العظيم الذى أبداه موسى » التثنية (٣٤/١٠ - ١٢) .

(٣) تجلى ذلك الغِلُّ فى الصيغة المستعملة فى الكنيسة للخروج من الإسلام والدخول فى المسيحية ، انظر ملحق رقم (٣) .

(٤) متى (٥/٢٣) .

١ - التشكيك فى صحة رسالة النبى ﷺ ومصدرها الإلهى وإنكار أن يكون النبى ﷺ رسولاً من عند الله ، ومن ثم فقد تَخَبَّطوا فى تفسير مظاهر الوحى التى كان يراها أصحاب النبى ﷺ وأرجعوها إلى صَرَعٍ كان ينتابه ، ومنهم مَنْ أرجعها إلى تَخَيُّلاتٍ كانت تملأ ذهنه ، ومنهم من فسَّرها بمرضٍ نفسىٍّ (١) .

٢ - التشكيك فى قيمة ما جاء به ﷺ وإنكار أن يكون من عند الله ، وقد تبع ذلك التشكيك ولزم عنه إنكار كون القرآن من عند الله والزعم بأنه من تأليفه وتعليم الرهبان النصارى له ، وأن الإسلام مُلَفَّق من اليهودية والمسيحية .

وقد تصدى الإمام ابن تيمية لتفنيد هذه الادعاءات ودحضها ، ولتثبيت دلائل نبوة محمد ﷺ وذلك فى محورين أيضاً :

١ - الرد على تلك المطاعن وتفنيد الدعاوى والمزاعم النصرانية حول صحة رسالته ﷺ .

٢ - إثبات نبوته ﷺ بالدلائل القاطعة والبراهين الناصعة .

وسنعرض ذلك - أيضاً - فى مقامين :

المقام الأول : دعاوى النصارى فى تكذيب محمد ﷺ وتتلخص دعاوى النصارى حول صحة رسالته ﷺ فى ما يأتى :

١ - ليست هناك حاجة إليه .

٢ - لم تبشر به النبوات .

٣ - لم يؤيد بالمعجزات .

٤ - لم يرسل إلا إلى العرب .

٥ - الإسلام هرطقة مسيحية .

وسنعرض - إن شاء الله - للدعوى كما طرحها النصارى ثم نتبعها بجواب الإمام عليها كما يلى :

---

(١) وقد تولى الشيخ رشيد رضا جمع هذه المزاعم وتفنيدها فى كتابه القيم « الوحى المحمدى » .

« الدعوى الأولى »

« ليست هناك حاجة إليه »

ومضمونها أن الشرائع شريعتان : شريعة عدل وشريعة فضل ، لأن البارى - تعالى - عَدْلٌ وجواد ، فوجب أن يُظْهِر عَدْلَه على خَلْقه ، فأرسل موسى إلى بنى إسرائيل ، فوضع شريعة العدل ، وأمرهم بفعلها حتى استقرت فى نفوسهم .

ولمّا كان الكمال الذى هو الفضل لا يمكن أن يضعه إلا أكمل الكمال وجب أن يكون هو - تقدست أسماؤه - الذى يضعه ، لأنه ليس شئ أكمل منه ، ولأنه جواد فقد وجب أن يجود بأجل الموجودات ، وليس فى الموجودات أكمل من كلمته ، ولذلك وجب أن يجود بها ، فيتخذ ذاتاً محسوسة يُظْهر منها قدرته وجوده .

ولمّا لم يكن فى المخلوقات أجلُّ من الإنسان اتحد بالطبيعة البشرية من السيدة الطاهرة مريم البتول .

وبعد هذا الكمال ما بَقِى شئ يُوضَع ، لأن جميع ما تَقدَّمه منقصة ، وما يأتى بعده يحتاج إليه ، ويأخذ منه ، فهو دونه وأدنى منه ، وهو فضل لا يحتاج أحد إليه [(١)] .

ويفند ابن تيمية تلك الدعوى بوجوه :

أحدها [(٢)] : أن الشرائع ثلاث ، شريعة عدل فقط ، وشريعة فضل فقط ، وشريعة تجمع العدل والفضل ، فتُوجب العدل وتَنْدب إلى الفضل ، وهذه أكمل الشرائع الثلاث ، وهى شريعة القرآن الذى يجمع بين العدل والفضل .

---

(١) راجع تفصيل ذلك فى :

- رسالة بولس الأنطاكى ، ص ٢٥ - ٢٦ .
- شرح يوحنا بن مينا من كبار كتبة الأقباط فى القرن الثانى عشر ، لمقالة حنين بن إسحاق الطبيب (كيفية إدراك حقيقة الديانة) ضمن (مباحث فلسفية دينية لكبار الكتبة النصارى) نشرة بولس سباط ، ص ١٩٦ - ١٩٨ .
- مقالة (المواضع التى فيها الخلاف بين المسلمين والنصارى ، ١ /٥٥ - ٥٩) .
- مقالة (المواضع التى فيها اختلاف بين اليهود والنصارى ، ص ٣٠ ، لأبى على عيسى بن إسحاق بن زرعة المنطقى ، من كبار علماء الملة اليعقوبية المتوفى سنة ١٠٠٧م ، ضمن مباحث فلسفية دينية لكبار الكتبة النصارى) .

(٢) الجواب الصحيح (٣/٢٢٩ - ٢٣٤) .

مع أننا لا ننكر أن يكون موسى - عليه السلام - قد أوجب العدل وندب إلى الفضل ، وكذلك المسيح أيضاً أوجب العدل وندب إلى الفضل .

ومن يقل : إن المسيح أوجب الفضل وحرّم على كل مظلوم أن يَقْتصّ من ظالمه أو أن موسى لم يندب إلى الإحسان ، فهذا فيه غضاضة بشريعة المرسلين .

والصواب أن يقال : إن ذِكْر العدل فى التوراة أكثر ، وذِكْر الفضل فى الإنجيل أكثر ، والقرآن جمع بينهما على غاية الكمال .

إذ بيّن أن السعداء من أهل الجنة نوعان : أبرار مقتصدون ومُقَرّبون سابقون ، وتحصل الدرجة الأولى بالعدل ، وهى أداء الواجبات وترك المحرّمات .

والثانية لا تحصل إلا بالفضل ، وهو أداء الواجبات والمستحبات ، وترك المحرمات والمكروهات.

وهذا من تمام كمال شريعة القرآن التى تجمع بين العدل والفضل .

يقول تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ (١) ، فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (٢) ، فهذا فضل ، ويقول تعالى : ﴿ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ (٣) ، فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ (٤) ، فهذا فضل ، وقال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (٥) ، فهذا عدل ، ثم قال : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٦) ، فهذا فضل .

الثانى (٧) : أن الناس - فى أمر الله ونهيه - على قولين مشهورين :

أحدهما : أنه يرجع إلى محض المشيئة ، ولا اعتبار فيه لمصلحة الخلق .

---

(١) النحل : (١٢٦) .
(٢) النحل : (١٢٦) .
(٣) المائدة : (٤٥) .
(٤) المائدة : (٤٥) .
(٥) الشورى : (٤٠) .
(٦) الشورى : (٤٠) .
(٧) الجواب الصحيح (٢٣٤ - ٢٣٨) .

الثانى : أن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لأمر الناس بما يصلحهم وينفعهم إذا فعلوه .

كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أعمى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ؟ قَالَ : كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ (٢) .

فعلى القول الأول ليس لأحد أن يسأل عن حكمة إرسال الرسل ، وعلى القول الثانى ففى إرسال النبى ﷺ من الحكم والمصالح أعظم مما كان فى موسى والمسيح عليهما السلام ، إذ حصل به من صلاح العباد فى المعاش والمعاد أضعاف ما حصل بإرسالهما ، ولم تكن شريعة التوراة فى الكمال مثل شريعة القرآن .

ففى القرآن من ذكر المعاد والاحتجاج له ، ووصف الجنة والنار ، وذكر قصص الأنبياء ، وذكر أسماء الله الحسنى وصفاته وملائكته وأصنافهم ، والجن وخلقهم ، وتقرير التوحيد بالأدلة ، وذكر أديان أهل الأرض ، ومناظرة المخالفين للرسل وإقامة البراهين على أصول الدين ، وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث ، وقبول الدية فى الدماء .

وغير ذلك الكثيرُ مما لم يُذْكَر فى التوراة ، أما الأنجيل فليس فيه شريعة مستقلة ، بل أكثره إحالة على شريعة التوراة ، وعامة ما امتاز به الزهد المستحب ومكارم الأخلاق المستحسنة وتحليل بعض المحرمات وهذا كله فى القرآن وهو فى القرآن أكمل .

الثالث (٣) : أن شريعة موسى وعيسى – عليهما السلام – تكون كافية إذا كانت محفوظة معمولاً بها ، لكن الأمر ليس كذلك ، إذ قد درس كثير من معالمها ، وبُدِّل أكثر منه ، مما أدى إلى اختلافهم فى أمر المسيح وغيره اختلافاً عظيماً كما قال تعالى :

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (٤) .

---

(١) الأنبياء : (١٠٧) .
(٢) طه : (١٢٣ – ١٢٦) .
(٣) الجواب الصحيح (٣/٢٣٨ – ٢٣٩) .
(٤) المائدة : (١٤) .

فحين بُعِثَ محمدٌ ﷺ كان الناس أحوج ما يكون إلى رسول ، فهم : إما أميون لا كتاب لهم ، يشركون بالرحمن ويعبدون الأوثان ، وإما أهل كتاب قد بدلوا معانيه وأحكامه ، وحرّفوا حلاله وحرامه ، ولبسوا حقه بباطله .

فبعث الله - تبارك وتعالى - محمداً ﷺ بالكتاب الذى أنزله عليه مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فميز به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والغى من الرشاد . قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1) ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (2) .

الرابع (3) : أن شريعة التوراة يغلب عليها الشدة ، وشريعة الإنجيل يغلب عليها اللين ، وشريعة القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا ، كما قال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ، لتكونوا شهداء على الناس ﴾ (4) ، وقال فى وصف أمة محمد ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (5) ، وقال أيضاً : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (6) ،

---

(1) المائدة : (15 - 17) .

(2) المائدة : (15 - 19) .

(3) الجواب الصحيح (3/240 - 243) .

(4) البقرة : (143) .

(5) الفتح : (29) .

(6) المائدة : (54) .

فوصفهم بالرحمة للمؤمنين والذلة لهم ، والشدة على الكفار والعزة عليهم .

وهذا من كمال الشريعة الإسلامية التى تجمع بين اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق أعظم مما فى الإنجيل ، بين الشدة والجهاد وإقامة الحدود أعظم من التوراة ، ولهذا يقال :

بُعِثَ موسى بالجلال ، وبُعِثَ عيسى بالجمال ، وبُعِثَ محمد بالكمال .

الخامس (١) : أن نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والإحسان إليهم ، وذلك نوعان :

أحدهما : أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم ، وذلك كالرزق الذى لولاه لماتوا جوعاً ، وكالنصر الذى لولاه لأهلكهم عدوهم .

الثانى : النعم التى يحصل بها من علو الدرجة ما لا يحصل بدونها .

وقد حَصَلَ بإرساله ﷺ هذان النوعان من النعمة ، فالخلق كانوا محتاجين إلى إرساله من هذين الوجهين إذ كان الناس بدونه جهالاً ضالين أُمِّيُّهم وأهل الكتاب منهم ، فلم يكن قد بقى من أهل الكتاب أتباع المسيح من هو قائم بالدين الذى يوجب السعادة عند الله فى الآخرة ، بل كانوا قد بَدَّلوا وغَيَّروا .

وأيضاً فلو قُدِّر أنهم لم يُبَدِّلوا شيئاً ، ففى إرساله من كمال النعم وفواضلها وعلو الدرجات فى السعادة ما لم يكن حاصلاً بالكتاب الأول ، والذين ردّوا رسالته هم ممّن قال الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ (٢) .

السادس (٣) : أن سائر طوائف أهل الأرض تقر أن محمداً ﷺ دعا أهل الأرض إلى خير مما كانوا عليه .

فأهل الكتاب يسلمون لنا أن من سوى أهل الكتاب انتفع بنبوة محمد ﷺ منفعة ظاهرة ، بل كانوا أحوج الناس إلى رسالته ، اليهود يسلمون لنا حاجة النصارى إلى

---

(١) الجواب الصحيح (٣/٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٢) إبراهيم : (٢٨) .

(٣) الجواب الصحيح (٣/٢٤٤ - ٢٤٥) .

الإسلام ، والنصارى تسلم لنا حاجة اليهود إليه ، واعترف الفلاسفة أنه لم يقرع العالمَ ناموسٌ أفضل من ناموسه .

فإذا كانت شهادة الطائفة لنفسها غير مقبولة فى حال خصومتها للإسلام ، وشهادة جميع الطوائف مقبولة على غيرهم ، فتكون هى شهادة أهل الأرض جميعاً أن النبى ﷺ قد دعاهم إلى خير مما كانوا عليه .

السابع [1] : أن النصارى معترفون بانتفاع المشركين به غاية الانتفاع ، بإقامة توحيد الله ودينه فيهم ، وأنه عظّم المسيح وأمه ، ورد على اليهود قولهم فيه وافتراءهم على أمه ، وذلك من أعظم الفوائد وأجل المقاصد وأعظم نعم الله على عباده .

ثم إنه - مع ذلك - قال : إن الله أرسله وأمره بذلك ، فإن كان كاذباً فالكذاب المفترى على الله من شرِّ الكفار ، ومن كان كذلك لا يحصل منه هذا الخير العظيم .

أما من حصل منه هذا الخير والعلم والهدى وما فيه صلاح الدنيا والآخرة فقد وجب أن يكون من خير أهل الأرض وأحقهم برضوان الله .

الثامن [2] : أن الجواد هو الذى يحسن إلى الناس ، ليس هو الذى يلزم الناس بترك حقوقهم ، ومقتضى كلام النصارى أن شريعة الإنجيل ألزمت الناس بترك حقوقهم ، وعدم انتصاف مظلوم من ظالمه .

ولهذا فليس عندهم حكم عدل يحكمون به بين الناس ، بل الحكم لديهم نوعان :

حكم الكَتَبة ، وليس فيه إنصاف المظلوم من الظالم .

والثانى : حكم الملوك ، وهو ليس شرعاً منزلاً ، بل بحسب آراء الملوك .

ونتيجة لتلك الازدواجية غير العادلة نجدهم يردُّون الناس إلى حكم الإسلام فى الدماء والأموال .

فالدماء والأموال وإن كان يستحب للمظلوم أن يعفو فيها عن ظالمه ، فالحاكم الذى يحكم بين الناس متى حكم على المظلوم بترك حقه كان حقه حاكماً بالظلم لا بالعدل .

---

(١) الجواب الصحيح (٣/٢٤٥ - ٢٤٦) .
(٢) السابق ، ص ٢٤٦ - ٢٥٠ .

ولو أمرنا كلَّ وليّ مقتول أن لا يقتص من القاتل ، وكل صاحب دين أن لا يطالب غريمه بل يدعه على اختياره ، وكل مشتوم مضروب أن لا ينتصف من ظالمه ، لم يكن للظالمين زاجر يزجرهم ، وظلم الأقوياءُ الضعفاءَ ، وفسدت الأرض لقوله تعالى :

﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ (١) .

فلا بد من شرع يتضمن الحكم بالعدل ، ولا بد - مع ذلك - من ندب الناس إلى العفو والأخذ بالفضل .

التاسع (٢) : أن العدل والفضل لا يشرعه إلا الله ، فشريعة التوراة لم يشرعها إلا الله ، وشريعة الإنجيل لم يشرعها إلا الله عز وجل ، على عكس ما يرى النصارى أن العدل وضعه موسى ، وأن الفضل وضعه أكمل الكمال الذى هو الله .

فشريعة العدل أحق بأن تضاف إلى الله من شريعة الفضل ، فإن الأمر بالإحسان والعفو يحسنه كل واحد ، أما شريعة العدل والحكم بين الناس به فلا يقدر عليه إلا آحاد الناس .

فكيف يقال : إن الذى يأمر بشرع الفضل هو الله دون الذى يأمر بشرع العدل ؟ والله - تعالى - أرسل الرسل وأنزل الكتب ، ليقوم الناس بالقسط كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣) .

ومن المعلوم أن أمر المسيح - عليه السلام - للمظلوم بالعفو عن الظالم ليس فيه ما يدل على أنه من الواجب الذى مَنْ تركه استحق الذم والعقاب بل هو من المرغَّب فيه الذى مَنْ فعله استحق المدح والثواب ، وموسى - عليه السلام - أوجب العدل الذى مَنْ تركه استحق الذم والعقاب . وحينئذ فلا منافاة بين إيجاب العدل وبين استحباب الفضل ، لكن إيجاب العدل يقترن به الترهيب والتخويف فى تركه ، واستحباب الفضل يقترن به الترغيب والتشويق إلى فعله .

---

(١) البقرة : (٢٥١) .

(٢) الجواب الصحيح (٣/٢٥٠ - ٢٥١) .

(٣) الحديد : (٢٥) .

فعُلِم من ذلك أن شرع الإنجيل لم يناقض شرع التوراة ، إذ كان فرعا عليها ومكملاً لها ، والزعم أن شرع الإنجيل شرعه الله دون شرع التوراة كلامُ مَنْ هو أجهل الناس وأضلهم ، لذلك كان قولهم هذا فرعاً لقولهم بالاتحاد وألوهية المسيح .

* * * * *

« الدعوى الثانية »
« لم تُبَشِّرْ به النُّبُوَّات »

ومضمونها أن محمداً ﷺ لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح – عليه السلام – فإنه بشرت به النبوات ، بل أخبر المسيح أنه لا نبى بعده (1) .

ومقتضى تلك الدعوى أمران :

أحدهما : أنه لا يكون نبياً حتى يُبَشَّرْ به .

والثانى : أن هذا طريق تعرف به نبوة المسيح – عليه السلام – اختص به .

ويقتضى الوجهان الإجابة عنهما ، لأنه ما من طريق تعرف به نبوة نبى إلا ومحمد ﷺ تثبت نبوته بمثل تلك الطرق وأفضل .

فيجيب ابن تيمية عن **الأول** :

بأنه ليس من شرط نبوة كل نبى أن يُبَشَّر به مَنْ قبله ، إذ النبوة ثابتة بدون ذلك لا سيما ونوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء لم يُبَشَّر بهم مَنْ قبلهم ، وكذلك عامة الأنبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل لم يتقدم لهم بشارات كداود وأشعياء وغيرهما (2) .

أما الثانى فالجواب عنه من طريقين (3) :

---

(1) يبدو أن تلك الدعوى كانت من الأخبار الشائعة على ألسنة علماء النصارى ، توحى بذلك إشارة ابن تيمية إليها بقوله : « والنصارى لهم سؤال مشهور بينهم ، وهو أن منهم من يقول : محمد ﷺ لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح فإنه بشرت به النبوات ، وزعموا أن من لم تبشر به فليس بنبى » الجواب الصحيح (٣/٢٧٥) كما أنى لم أعثر على مضمونها فيما تيسَّر لى الوقوف عليه من كتب النصارى ، لكن يمكنك أن تراجع فيها :

- أبا عبيدة الخزرجى : مقامع هامات الصلبان ، ص ٢١٤ .
- عليا بن رين الطبرى : الدين والدولة ، ص ٢٣ .
- نصر بن يحيى المتطبب : النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٨ .
- الجواب الصحيح (٣/٢٧٥) .

(2) الجواب الصحيح (١/١٧٧) .

(3) السابق (٣/٢٧٥ – ٢٨٢) .

الأول : أن العلم بنبوة محمد ﷺ والمسيح - عليه السلام - لا تتوقف على العلم بأنه من قبلهما بشّر بهما ، بل طرق العلم بالنبوة متعددة ، فإذا عرفت نبوته بطريق من الطرق ثبتت عند من علم ذلك ، وإن لم يعلم أن من قبله بشر به .

الثانى : أن الأنبياء بشرت بمحمد ﷺ وعلى وجه الخصوص المسيح عيسى ابن مريم ، وذلك دليل مستقل على نبوته وعَلَمٌ عظيمٌ من أعلام رسالته .

وتلك البشارات فى الكتاب الذى جاء به محمد ﷺ [(١)] ، وفى الكتب التى سبقته ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [(٣)] .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [(٤)] فى موضعين من القرآن .

وقال تعالى : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [(٥)] .

---

(١) يبدو أن الإمام يهتم بحشد وسوق الآيات القرآنية الدالة على البشارة بالنبى ﷺ حتى يدحض دعوى النصارى - والتى سنأتى عليها فى الصفحات التالية - أن كتابه ﷺ ليست فيه بشارة به أو معجزة له ، مما يقتضينا أن نورد استدلالاته القرآنية بكاملها .

(٢) الصف : (٦) .

(٣) الأعراف : (١٥٧) .

(٤) البقرة : (١٤٧) ، الأنعام : (٢٠) .

(٥) البقرة : (٨٩) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا : آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ، أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٧) .

والعلم بأن الأنبياء قبل محمد ﷺ بشّرت به يُعلَم – لدى الإمام – من وجوه :

أحدهما (٨) : ما فى الكتب الموجودة اليوم بأيدى أهل الكتاب مِنْ ذكْره .

الثانى (٩) : إخبار من وقف على تلك الكتب ممّن أسلَم وممن لم يُسلِم بما وجدوه

(١) الأنعام : (١١٤) .
(٢) الشعراء : (١٩٧) .
(٣) الرعد : (٤٣) .
(٤) المائدة : (٨٣) .
(٥) الإسراء : (١٠٧ – ١٠٨) .
(٦) يونس : (٩٤) .
(٧) القصص : (٥٢ – ٥٤) .
(٨) الجواب الصحيح (٣/٢٨٢) .
(٩) السابق (٣/٢٨٢ – ٢٩٢) .

من ذكره بها .

وذلك كإخبار الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه وأنه رسول الله ، وأنه موجود عندهم ، وأنهم ينتظرونه ، وكان ذلك مما دعا الأنصار إلى سرعة الإيمان به ، ومثل ذلك ما تواتر عن إخبار هرقل ملك الروم ، والمقوقس حاكم مصر ، والنجاشي ملك الحبشة عن وجوده في كتبهم .

الثالث [1] : إخبار النبي ﷺ بذلك في القرآن مرة بعد مرة أو استشهاده بأهل الكتاب ، وإخباره بأنه مذكور في كتبهم ، مما يدل على أنه كان موجوداً في كتبهم ، فلو لم يَعْلم أنه مكتوب عندهم لامتنع أن يخبر بذلك مرة بعد مرة ، ويستشهد به ويظهر ذلك لموافقيه ومخالفيه وأوليائه وأعدائه .

وهذا لا يفعله عاقل فضلاً عمن كان من أعقل أهل الأرض ، والذي أقام ذلك الأمر العظيم الذي لم يحصل لأحدٍ بعده ولا قبله .

الرابع [2] : أن الأعلام والبراهين والدلائل قد قامت على صدقه وثبوت نبوته وهو قد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة ، وأن الأنبياء بشَّروا به ، فعلم أن الأمر كذلك حق وصدق .

الخامس [3] : من المعلوم أن ظهور دين محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها أعظم حادث في الأرض ، وانتشاره ودوامه لم يعرف له مثيل .

فلو كان ذلك المدِّعي للنبوة كاذباً فلا بد أن يخبر به الأنبياء فإنهم أخبروا بظهور المسيح الدجال تحذيراً للناس من فتنته وكذبه ، فلو كان ما يدعيه المكذب لمحمد ﷺ حقاً ، وأنه كاذب ليس برسول لكانت فتنته أعظم من فتنة الدجال ، لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال ، وكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال .

ولو كان ذلك المدعي للنبوة صادقاً ، فالبشارة للإيمان به من أولى ما يبشِّر به الأنبياء من المستقبلات .

---

(١) الجواب الصحيح ، ص ٢٩٢ .

(٢) السابق (٣/٢٩٢ - ٢٩٣) .

(٣) السابق (٣/٢٩٣ - ٢٩٩) .

فعلى كلا الوجهين لا بد أن يكون فى الكتب ذكره .

ولما كان ذكره في كتب أهل الكتاب قد ثبت بالمدح والثناء ، علم بذلك أن الأنبياء المتقدمين ذكروه بالمدح والثناء ، ولم يذكروه بذم ولا عيب .

وكل من ادعى النبوة ومدحه الأنبياء وأثنوا عليه لم يكن إلا صادقاً فى دعوى النبوة ، إذ يمتنع أن يثنى الأنبياء على من يكذب فى دعوى النبوة ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ ﴾ (١) .

ونضيف إلى ماسبق من استدلالات ابن تيمية أن الزعم بأن المسيح – عليه السلام – قد أخبر أنه لا نبى بعده دعوى ينقضها ما بأيديهم من الأناجيل ، وفيها تسمية بعض الحواريين رسلاً بل صرح الإنجيل بأسماء بعض من يزعمون أنهم أنبياء:

« جاء فى أعمال الرسل : ثم انطلق برنابا إلى طرطوس فى طلب شاول فلما وجده جاء به إلى أنطاكية ، واجتمعا هناك بالكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعاً كثيراً ودُعيت التلاميذ أولاً بأنطاكية مسيحيين ، وفى هذه الأيام جاءت أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية ، فقام واحد منهم اسمه أغابوس فأنبأ بالروح أن سيكون غلاء عظيم فى كل المسكونة ، وقد وقع ذلك فى أيام اقلوديوس القيصر » (٢) .

« وكان فى الكنيسة التى بأنطاكية أنبياء ومعلمون وهم برنابا وسمعون الذى يقال له نبكارو لوقيوس القيرواني ومناين الذى ربِّى مع هيرودس رئيس الربع وشاول » (٣) .

« أما يهودا وسيلا لّما كانا هما نبيّين عزّيا الأخوة بكلام كثير وثبّتاهم » (٤) .

« واتفق أنه لما كان أبلّوس فى قرنثوس اجتاز بولس بأعلى تلك الأطراف وأتى إلى إفس فوجد بعض تلاميذ ، فقال لهم : هل أخذتم الروح القدس منذ آمنتم ، فقالوا له : بل ما سمعنا بأن الروح القدس موجود ، فقال لهم بماذا عُمِّدْتم ؟ فقالوا بمعمودية يوحنا ، فقال بولس : إن يوحنا قد عمَّد بمعمودية التوبة وهو يقول للشعب أن يؤمنوا

---

(١) الأنعام : (٩٣) .
(٢) أعمال الرسل (١١/٢٥ – ٢٨) .
(٣) السابق (١/١٣) .
(٤) السابق (١٥/٣٤) .

بمن يأتي بعده ، أى بالمسيح يسوع ، فلما سمعوا بذلك اعتمدوا باسم الرب يسوع ، ولما وضع بولس يديه عليهم حلّ عليهم الروح القدس ، فتكلّموا باللغات وتنبئوا ، وكان الرجال كلهم نحو اثنى عشر » (١) .

وكذلك تنص الأناجيل النصرانية على أن عيسى - عليه السلام - قد بيّن ووضّح لليهود أن « المسِّيا المنتظر » سيأتى من بعده ، ولن يكون من آل داود ، لأن داود دعاه : سيداً له .

يقول متى : « ولما اجتمع الفريسيون سألهم يسوع قائلاً :

ماذا يظهر لكم فى المسيح ؟ ابنُ من هو ؟

قالوا : ابنُ داود .

فقال لهم :كيف دعاه داود إذاً بالروح رباً ؟ فقال :الربُّ لربى :اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك له موطئاً لقدميك ، فإذا كان داود قد دعاه رباً فكيف يكون ابنه ؟ » (٢) .

وقد حددت التوراة أوصاف هذا « المسيا المنتظر » ، وبيّن علماء المسلمين ، والمهتدون إلى الإسلام والمنصفون من أهل الكتاب ، أنَّ أوصاف « المسيا المنتظر » تدل على محمد ﷺ ، وليس عيسى (عليه السلام) (٣) .

---

(١) السابق (١٩/١ - ٧) . (٢) متى (٣١/٢٢ - ٣٥) .

(٣) راجع تفصيل ذلك فى : - الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد ﷺ لعلى ابن ربن الطبرى .
- إفحام اليهود : للسموأل بن يحيى المغربى .
- النصيحة الإيمانية : لنصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب .
- مقامع هامات الصلبان : لأبى عبيدة الخزرجى .
- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب : القس انسلم تورميدا .
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل : لابن حزم الأندلسى .
- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى : لابن قيم الجوزية .
- الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام : القرطبى .
- الأجوبة الفاخرة : للقرافى الصنهاجى .
- دلائل النبوة : لابن قتيبة الدينورى ، أبى نعيم صاحب الحلية ، البيهقى .
- تثبيت دلائل النبوة : للقاضى عبد الجبار . - الوفا بأحوال المصطفى : لابن الجوزى .
- إظهار الحق لرحمت الله الهندى ، وسوف نعرض لهذه البشارات تفصيلاً - إن شاء الله - فى الدراسة التطبيقية لمنهج ابن تيمية .

« الدعوى الثالثة »

« لم يؤيد بالمعجزات »

خلاصة تلك الدعوى أن القرآن الذى جاء به النبى ﷺ يخلو من ذكر الآيات والمعجزات التى تؤيد صاحبه ومن أتى به (١) ومع أنه لا حاجة فى تصحيح خبر الأنبياء إلى ذكر آياتهم ومعجزاتهم فى كتبهم (٢) إلا أن الإمام يرد على دعواهم لإلزام من لا يؤمن إلا بما فى القرآن من آيات كالمذكورة لموسى وعيسى فى التوراة والإنجيل (٣) .

فيرى أن تلك الدعوى واهية إذ ليس من شرط النقل المتواتر أن يكون فى القرآن ، بل تواتر عنه من شريعته ما ليس فى القرآن ، وهو من الحكمة التى أنزلها الله عليه .

وكذلك تواتر عنه من دلائل نبوته ما ليس فى القرآن ، وقد قال تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾ (٤) .

فالحكمة منزلة عليه ، وهى منقولة فى غير القرآن (٥) .

ومن آيات محمد ﷺ ودلائل نبوته فى القرآن قصة الفيل قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ ألم يجعل كيدهم فى تضليل ؟ وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

إذ سار النصارى من أهل الحبشة بجيش عظيم ، ليهدموا الكعبة لَمَّا أهان بعض العرب كنيستهم باليمن ، فقصدوا إهانة الكعبة وتعظيم كنائسهم فأرسل الله عليهم طيراً أهلكت عامتهم ، وكان ذلك عام مولد النبى ﷺ.

فهذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت ، لأنهم حينئذ كانوا مشركين ، ودين النصارى خير من دينهم ، بل كانت لأجل البيت وحفظه ، أو لأجل النبى ﷺ الذى ولد فى ذلك العام عند البيت .

---

(١) تيودور أبو قرة : ميمر فى وجود الخالق والدين القويم ، ص ٨٥ .
 ـ على بن ربن الطبرى : الدين والدولة ، ص ٢٣ .

(٢) علي بن ربن الطبرى : الدين والدولة ، ص ٢٤ .

(٣) الجواب الصحيح (١٢٨/٤) .

(٤) النساء : (١١٣) .

(٥) الجواب الصحيح (١٢٨/٤) .

فأى الأمرين كان فهو من دلائل نبوته ، إذ لا يحج البيت ولا يصلى إليه أحد من أهل الملل إلا أمة محمد ﷺ .

وإذا كان هذا البيت عند الله خيراً من كنائس النصارى ، حتى إن الله أهلك أهل الكنائس لما أرادوا تعظيمها وإهانة البيت ، علم أن دين أهل هذا البيت الذين يتخذونه قبلة لهم خير من دين النصارى ، وذلك يستلزم صدق نبى أهل هذا البيت (١) .

ومن آياته الظاهرة فى القرآن ما ذكره من أن السماء ملئت حرساً شديداً وشهبا بخلاف ما كانت العادة جارية به ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ، وَأَنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾ (٢) .

وهذا الأمر قد رآه الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم ، فلم ينكره منهم أحد ، ولو لم يكن كذلك لكانوا كذبوا به ، خصوصاً وقد سمع القرآنَ ألوفٌ مؤلفة شاهدوا أحوال السماء ، وكان عامتهم مكذبين للنبى ﷺ لكن لم ينكر منه تلك الحال أحدُهم (٣) .

* * * * *

---

(١) الجواب الصحيح (١٢٣/٤) .
(٢) الجن : (١ - ١٠) .
(٣) الجواب الصحيح (١٢٣/٤ - ١٢٤) .

« الدعوى الرابعة »

« لم يُرْسَل إلا إلى العرب »

يزعم النصارى أن محمداً ﷺ لم يُرْسَل إليهم بل أُرْسل إلى العرب خاصة ، وأنه لم يَدْعُ ﷺ منذ بعث إلى أن مات إلا قومَه [1] .

ويستدلون على ذلك بآيات من الكتاب العزيز تنص على أن القرآن كتاب عربى ، ليس بلسان النصارى غير العربى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] ، وكذلك الآيات الدالة على دعوته ﷺ قومه الذين لم يأتهم نذير من قبلُ كقوله تعالى : ﴿ ... لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ... ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [4] .

فهذه الآيات تدل فى زعمهم على أن النبى ﷺ أرسل فقط إلى العرب الجاهلية الذين لم يأتهم مِنْ نذيرٍ قبله ، وأنه ﷺ لم يُلزِمِ النصارى اتباعَه وقد أتاهم رسل من قبله خاطبوهم بألسنتهم وسلموا إليهم التوراة والإنجيل بلغاتهم ، وعلى ذلك فقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [5] يراد منه – حسب مقتضى العدل – قومُ محمد ﷺ من العرب الجاهلية فقط » [6] .

ويقوم الإمام برد تلك الدعوى فى ثلاثة محاور :

أولاً : رفض احتجاج النصارى بالقرآن أو بشئ مما جاء به محمد ﷺ .

---

(١) رسالة بولس الأنطاكى إلى أحد المسلمين ، ص ١٥ – ١٦ ، مجلة المشرق (مرجع سابق) .
ـ ابن العسال : الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٣٧ – ٣٨ .
ـ السير وليم مور : الخلافة ، الأمير كيتانى : حوليات الإسلام .
نقلاً عن السير توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٥٠ .

(٢) يوسف : (٢) .

(٣) السجدة : (٣) .

(٤) الشعراء : (٢١٤) .

(٥) آل عمران : (٨٥) .

(٦) رسالة بولس الأنطاكى ، ص ١٦ .
ـ الصحائح فى جواب النصائح ، ص ٣٨ .

ثانياً : تفسير الآيات التى احتج بها النصارى تفسيراً صحيحاً يبطل الاحتجاج بها .

ثالثاً : مجموعة الأدلة على عالمية الإسلام .

أولاً : رفض احتجاج النصارى بالقرآن :

لا يجوز الإمام احتجاج النصارى بشئ من القرآن أو بما جاء به محمد ﷺ على صحة ما يخالفون فيه المسلمين ، إذ لا يجوز أن يَحْتَجَّ من يكذب محمداً ﷺ فى كلمة واحدة مما جاء به بمجرد المنقول عنه ، فما أخبرت به الأنبياء لا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض سواء على تقدير صدقهم أو كذبهم (١) .

يقول الإمام : (فيقال لهم ، على تقدير سواء إن أقروا بنبوته إلى العرب أو إلى غيرهم ، أو كذبوه فى قوله : إنه رسول الله مطلقاً ، أو سكتوا عن هذا وهذا ، أو صدقوه فى البعض دون البعض : إن احتجاجهم على صحة ما يخالفون فيه المسلمين مما جاء به محمد ﷺ لا يصح بوجه من الوجوه فاحتجاجهم على أنه لم يرسل إليكم أو على صحة دينكم بشئ من القرآن حجة داحضة على كل تقدير) (٢) .

ثانياً : تفسير الآيات التى احتج بها النصارى على وجهها الصحيح :

١ - فكون القرآن أنزل باللسان العربى إنما لأن الكتب الإلهية لا تنزل إلا بلسان القوم الذين اختصهم الله بتلك الكتب ، ثم تبلغ بعد ذلك إلى من لا يعرف تلك اللغة » (٣) .

وهذا ما كان من أمر المسيح - عليه السلام - فقد كان لسانه عبرياً وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه أولاً ، ثم إنهم - على حد قولهم - أرسلوا إلى الأمم يخاطبونهم ويترجمون لهم بلغاتهم ما قاله المسيح (٤) .

---

(١) الجواب الصحيح (٣٢/١) .

(٢) السابق .

(٣) السابق (١٨٩/١) .

(٤) السابق (١٩٢/١) .

ونصارى العرب فى زمنه ﷺ فهموا القرآن بدون ترجمة مع أن أصول ألسنتهم فارسىٌ أو قبطىٌ أو تركىٌ أو هندىٌ ، كما أن النصارى الذين استدلوا على عروبة الإسلام بتلك الآيات قد فهموا من القرآن ما فهموا بدون ترجمة أو واسطة [1] .

كما أن نزول القرآن باللسان العربى يتضمن إنعاماً من الله على عباده ، لأن اللسان العربى أكمل الألسنة ، وأحسنها بياناً للمعانى ، ولإقامة الحجة به على العرب الذين يعرفون معانيه قبل غيرهم [2] .

٢ - وكونه ﷺ أُرْسِلَ للعرب لا يمنع إرساله ﷺ إلى النصارى من غير العرب ، كما أُرْسَلَ المسيح - بزعمهم - رسله من الحواريين إلى الأمم من غير بنى إسرائيل ، أما زعمهم امتناع إرساله إليهم ، لمجئ الرسل إليهم قبل محمد ﷺ فزعم باطل ، فالمعلوم أن بنى إسرائيل كانوا أكثر الأمم أنبياء ، ولم يمنع إرسالُ موسى والأنبياء بعده إرسالَ المسيح ، فكيف يمتنع إرسال محمد ﷺ إليهم ، وهم منذ مجئ المسيح لم يأتهم رسول حتى جاء محمد ﷺ وقد بلغت الفترة بينهما أكثر من ستمائة سنة [3] .

٣ - أما تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [4] ، بأن مراده قوم محمد ﷺ من العرب ، فكذب وافتراء على النبى ﷺ وعلى القرآن ، وتفسير لكلام الله بغير المراد منه [5] .

فقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ صيغة عامة ، إذ يعتبر « من » الشرطيه من أبلغ صيغ العموم ، كما أن سياق الكلام يدل على أنه أراد أهل الكتاب وغيرهم ، فالآية فى سورة آل عمران فى أثناء مخاطبته لأهل الكتاب ومناظرته ﷺ للنصارى ، فالآية نزلت لما قدم وفدُ نجران من النصارى على النبى ﷺ فى القصة المشهورة [6] .

---

(١) الجواب الصحيح (١/١٩٤) .
(٢) السابق ، ص ١٩٥ .
(٣) السابق ، ص ٢١٠ .
(٤) آل عمران : (٨٥) .
(٥) الجواب الصحيح (١/٢١٩ - ٢٢٠) .
(٦) الواحدى : أسباب النزول ، ص ٧٤ - ٧٥ ، مكتبة المتنبى القاهرة ، بدون ترقيم .

ويؤكد الإمام معنى آخر يقتضى شمول دعوته ﷺ فى الآية السابقة للنصارى واليهود وغيرهم ، ألا وهو أن الله - تعالى - قد أخبر فى كتابه أن الإسلام دين الأنبياء جميعاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ (1) .

ثم يورد الآيات الناطقة بإسلام الأنبياء وأتباعهم من لدن نوح أول رسول إلى أهل الأرض حتى عيسى - عليه السلام - (2) ، ثم يقول : « فهؤلاء الأنبياء كلهم وأتباعهم يذكر الله - تعالى - أنهم كانوا مسلمين ، وهذا مما يبين أن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ لا يختص بمن بعث إليه محمد ﷺ بل هو حكم عام فى الأولين والآخرين »(3) .

* * * * *

---

(1) آل عمران : (١٩) .
(2) انظر : يونس : (٧١ - ٧٣ ، ٨٤) .
- البقرة : (١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣٠ - ١٣٢) .
- آل عمران : (٦٧ -٦٨ ، ٥٣) .
- يوسف : (١٠١) .
- الشعراء : (٥٠ - ٥١) .
- الأعراف : (١٢٦) .
- النمل : (٣٠ - ٣١ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٤) .
- المائدة : (٤٤ ، ١١١) .
(3) الجواب الصحيح (١/٢٢٨ - ٢٢٩) .

ثالثاً : مجموعة الأدلة على عالمية الإسلام :

يقرر الإمام – بداية – فى مواجهة من يزعم أن محمداً ﷺ رسول أرسل إلى العرب الجاهلية دون أهل الكتاب أن المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله ، وبالنقل المتواتر الذى هو أعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما ، وبالقرآن المتواتر عنه ، وسنته المتواترة عنه ، وسنة خلفائه الراشدين من بعده ، أنه ﷺ ذكَر أنه أرسل إلى أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، كما ذكَر أنه أرسل إلى الأميين رسولاً ، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بنى آدم : عربهم وعجمهم من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحبشة وسائر الأمم بل إنه أرسل إلى الثقلين الجن والإنس جميعاً (١) .

ثم يقسم مجموعة الأدلة على عالمية الإسلام وشموله الجن والإنس جميعاً التقسيم التالى (٢) :

(أ) دعوته ﷺ اليهود والنصارى بالمدينة للإسلام .

(ب) إرساله ﷺ الكتب والرسل إلى ملوك النصارى وغيرهم من الحكام .

(جـ) جهاده ﷺ الكفار من النصارى وغيرهم وأمره بقتالهم .

(د) تصريحه ﷺ بإرساله إلى الناس عامة .

(هـ) دعوة القرآن لأهل الكتاب بالإيمان بمحمد ﷺ وتصريحه ببعث محمد ﷺ للناس كافة .

فيورد من الدلائل على كل نوع حسب تقسيمه السابق :

(أ) دعوته ﷺ اليهود والنصارى بالمدينة للإسلام (٣) :

يذكر الإمام أن كثيراً من اليهود بالمدينة قد استجابوا لدعوته ﷺ وآمنوا به لِمَا أظهره من دلائل النبوة ، كما هو معروف من السيرة النبوية (٤) . أما النصارى فقد

---

(١) الجواب الصحيح (١/٤٩) .

(٢) السابق (١/١١٢) .

(٣) الجواب الصحيح (١/٥٠ – ٨٨) .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية (٢/١٠١ – ١٠٢) ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، بدون ترقيم .

دعاهم للإسلام وناظرهم حينما قدم عليه وفد نجران من النصارى وطلب منهم المباهلة فرفضوا ، وأقروا بالجزية [١] .

(ب) إرساله ﷺ الكتب والرسل إلى الملوك والحكام [٢] :

ومنها كُتُبه ﷺ إلى كل من : « هرقل ، المقوقس ، النجاشي ، كسرى » ، فقد أرْسل ﷺ دحية الكلبي بكتاب إلى هرقل ملك الروم النصارى جاء فيه [٣] :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلِمْ تسلَمْ ، وأسلم يُؤْتك اللّهُ أجرك مرتين ، فإن تَوَلَّيْتَ فعليكَ إِثْمُ الأريسيين ، و ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٤] .

وكتب إلى المقوقس حاكم مصر كتاباً بعثه مع حاطب بن أبي بلتعة ، هذا نصه [٥] :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَىَ الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ : سَلاَمٌ عَلَىَ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْقِبْطِ ، و ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ : أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) الواحدى : أسباب النزول ، ص ٧٤ – ٧٥ .
– ابن هشام : السيرة النبوية (١٥١/٢ – ١٦٠) .

(٢) الجواب الصحيح (٨٨/١ – ١١٠) .

(٣) تاريخ الطبرى (٦٤٩/٢) ، طبعة دار المعارف ، مصر .
– البخارى [كتاب التفسير (سورة آل عمران) ، باب قل : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء].
– مسلم [كتاب الجهاد ، باب كتاب النبى ﷺ إلى هرقل يدعوه للإسلام] .

(٤) آل عمران : (٦٤) .

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية (١٨٧/٤) .
– الدكتور محمد حميدالله الحيدر آبادى : مجموعة الوثائق السياسية فى العصر النبوى والخلافة الراشدة ، ص ٥٠ ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ، القاهرة ، بدون ترقيم .

(٦) آل عمران : (٦٤) .

(جـ) جهاده ﷺ الكفار وأمره بقتالهم [1] :

فقد أرسل – أولاً – زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة فى جيش لقتال النصارى بمؤته ، ثم بعد ذلك غزا ﷺ النصارى بنفسه وأمر جميع المسلمين القادرين على القتال أن يخرجوا معه لقتال النصارى فى تبوك وقام خلفاؤه من بعده بدينه ، فغزوا النصارى وفتح الله الشام على يدى خليفته الفاروق عمر بن الخطاب .

(د) تصريحه ﷺ ببعثه إلى الناس عامة [2] :

فقد روى جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : « ... وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ... » [3] .

(هـ) تصريح القرآن بإرسال محمد ﷺ للناس كافة [4] :

فيقول تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ [5] ، ويقول تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [6] .

ويأمر – سبحانه وتعالى – بقتال النصارى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَيَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [7] .

تلك كانت مجموعة الأدلة التى اعتمد عليها ابن تيمية فى الاستدلال على عالمية الإسلام وشمول دعوته أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وتسمى هذه المجموعة بالأدلة النقلية لاعتمادها على التاريخ والسيرة والكتاب والسنة .

غير أن هناك مجموعة – أخرى – من الأدلة تسمى الأدلة الذاتية ، وهى عبارة عن الخصائص الرئيسية والمقومات الأساسية للإسلام والتى تضمن له الخلود وتكفل له

---

(١) الجواب الصحيح (١/١٠١ – ١١٠) .

(٢) السابق (١/١١١ – ١١٢) .

(٣) البخارى (كتاب الصلاة ، باب قول النبى ﷺ جلعت لى الأرض مسجداً وطهوراً) مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، مقدمة الكتاب) .

(٤) الجواب الصحيح (١/١١٢ – ١١٤) .

(٥) سبأ : (٢٨) .

(٦) الأعراف : (١٥٨) .

(٧) التوبة : (٢٩) .

الهيمنة على الدين كله ، لملاءمتها الفطرة الإنسانية التى لا يمكنها النزوع عنها ولا يسعها إلا الانقياد لها والتسليم بها ، وتفيد تلك الأدلة الباحثين من غير المسلمين عن الإسلام وهى قاطعة فى الرد على المتشككين فى صلاحيته لقيادة البشرية .

وقد فات الإمام ابن تيمية أن يلحق الحديث عن هذه المجموعة بالأدلة النقلية التى استعان بها فى الاستدلال على عالمية الإسلام ، وهو وإن كان قد انتبه إلى هذه المجموعة من الأدلة وتحدث عن بعضها أثناء رده على دعوى النصارى بعدم الحاجة للإسلام بعد دين العدل الموسوى والفضل المسيحى [1] ، وفى حديثه المتكرر عن الوسطية الإسلامية خصوصاً فى رسالته إلى ملك القبرص والتى قصد فيها بيان فضائل الإسلام ومناقب دعوته [2] ، غير أن تلك الأحاديث لم تكن بهدف الرد على دعوى عروبة الإسلام ، وكانت فى مواضع متفرقة .

* * * * *

(١) انظر : تفنيد الإمام للدعوى الأولى من دعاوى النصارى حول رسالة الإسلام .

(٢) الرسالة القبرصية ، ص٤٨ - ٥٢ .

« الدعوى الخامسة »

« الإسلام هَرْطَقَةٌ مسيحيّة »

درج النصارى على تسمية كل مخالفة لعقيدة التثليث وألوهية المسيح وطبيعته بالبدع والهرطقات ، وأطلقوا تلك التسمية على كل مخالف لقانون الإيمان (الأمانة) بدءاً بآريوس ، وانتهاء بكلٍّ من تسول له نفسه التصريح بضرورة البحث وإعمال العقل الصريح للوقوف على طبيعة الإيمان الصحيح (١) .

ومن ثمَّ فقد نظر المسيحيون - سواء من عاش منهم داخل الأراضي الإسلامية ، أو خارجها - إلى الإسلام على أنه بدعة محرفة عن الدين النصراني الصحيح ، ولكن تحديداً كبدعة تهدد ذلك الدين (٢) .

وكان الدافع وراء اعتبار الكنيسة الإسلام « هرطقة مسيحية » هو انضمام الطوائف التوحيدية في المسيحية للإسلام ، أو توافقها مع الإسلام في طبيعة المسيح ، فتلك الطوائف هي التي رفضت قبول الثالوث كما صيغ أساسه في مجمع نيقية واستقر في مجمع القسطنطينية ، والتي ترى في المسيح نبياً ورسولاً بشرياً (٣) .

ويبدو أن هناك شبه اتفاق بين طوائف النصارى على هذا الرأي ، إذ يبدون له ارتياحاً عظيماً ، بل يعتبرون نظرة يوحنا الدمشقي للإسلام على أنه « هرطقة مسيحية » يعتبرونها أكثر آرائه أصالة ، ويذهبون إلى أنه لم يأت برأي أصيل إلا في الإسلام (٤) .

وقد تبع تيودور أبو قرة أستاذه يوحنا الدمشقي في خلاصة رأيه في الإسلام فاعتبر محمداً ﷺ نبياً أريوسياً مزيفاً (٥) .

وعلى هذا النحو نظر بطرس الموقر (ت ١١٥٦م - ٥٥٠ هـ) رئيس رهبان كلوني

---

(١) زكي شنودة : تاريخ الأقباط (١/١٤١ - ١٤٢) .

(٢) الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، مقال بمجلة عالم الفكر ، ص ٧٠٣ ، ٧١٤ ، ٧١٧ (مرجع سابق) .

(٣) روجيه جارودي : وعود الإسلام ، ص ٤١ ، بترجمة د. نوقان قرقوط ، طبع مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

(٤) لويس غرديه - جورج قنواتي : فلسفة الفكر الديني (٢/٤٣) .
- بابا دوبولس : تاريخ كنيسة أنطاكية ، ص ٥٢٨ .

(٥) الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى ، ص ٧٠٦ ، مقال بمجلة عالم الفكر (مرجع سابق) .

بأسبانيا إلى الإسلام باعتباره هرطقة نصرانية (١) .

وفيما بعد وضع دانتي محمداً ﷺ في عداد الهراطقة لا في عداد الوثنيين إذ ورد الكلام عنه في (الحلقة الثامنة من الجحيم - نشيد ٢٨) من الكوميديا الإلهية ، وهي نفس حلقة البابا وات ، (نيقولا الثالث ، بونيفاس الثامن ، كليمانت الخامس) (٢) ومن المعروف أن دانتي يتبنى فلسفة توما الإكويني اللاهوتية (٣) .

ورغم هذه الفرضيات التي يخلعها النصارى على الدين الإسلامي لم ينفك الإسلام يعبر خلال تاريخه الطويل ، عن قناعات ذاتية خاصة به تؤكد خضوعه التام لتقريرات الوحي الإلهي ، والتزامه الصارم بها ، كدين سماوي توحيدي أصيل ، استوقفت أصالته أحرار الفكر ولفتت انتباههم ، فقام مؤرخون محدثون يتساءلون عن هذه الزوابع التي ينشرها إخوتهم من النصارى ويرجعون تلك الادعاءات النصرانية إلى مواقف ومشاعر شخصية قد حرفتها أهواء عصرية ذات صبغة سياسية تغذي تلك المناقشات التي تدفعها الصراعات الدينية المحكومة بالمواجهات العسكرية (٤) .

ولسنا بحاجة إلى تقرير أصالة الإسلام وعقد الموازنات بينه وبين النصرانية ، كي نثبت أن الإسلام ليس هرطقة مسيحية ، فتلك ليست مهمة هذا البحث وإنما عرضنا لهذه المسألة باعتبارها مدخلاً وأساساً لادعاءين نصرانيين انفرعا عن هذه الدعوى وترتبا عليها وهما :

١ - أن النبي ﷺ قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس ، وخاصة على العهد القديم في قسم القصص ، ومن ثم فالقرآن تكرار للقصص التوراتي (٥) .

---

(١) د . زقزوق : الاستشراق ، ص ٢٤ .

(٢) جارودي : وعود الإسلام ، ص ٤١ .

(٣) د. رجاء عبدالمنعم جبر : في الأدب المقارن : دراسة في المصادر والتأثيرات ، ص ٧٧ ، مكتبة الشباب ١٩٨٧م .

(٤) دومينيك سورديل : الإسلام في القرون الوسطى ، ص ٢٦ ، طبع دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

(٥) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ، ص ١٤٩ ، طبع دار المعارف ، بدون ترقيم .
- د . زقزوق : الاستشراق ، ص ٨٤ .
- بابا دوبولس : تاريخ أنطاكية ، ص ٥٢٨ .
- دومينيك سورديل : الإسلام في القرون الوسطى ، ص ٢٤ .

٢ - أنه تعلم ما جاء به ﷺ من راهب مسيحى يدعى (بحيرا) (١) وقد أجاب الإمام ابن تيمية عن الادعاءين على النحو التالي :

١ - الادعاء بأن القرآن تكرار للقصص التوراتي :

يقوم رد الإمام ابن تيمية لذلك الادعاء على النقد المنهجي المقارن لمتن ومحتوى القصص القرآني والقصص التوراتي ، ذلك النقد المقارن الذى قام به الإمام وأبرز فروقاً جوهرية ثلاثة بين القصص فى القرآن والقصص فى التوراة وهى :

١ - قصص لم يوردها الكتاب المقدس بقسميه التوراة والإنجيل ، لا التوراة فحسب ، وذلك كقصة هود وصالح وشعيب .

٢ - معلومات لا يوجد مثلها فى الكتاب المقدس كالمعلومات الواردة عن المعاد مثلاً .

٣ - تفصيلات دقيقة عن الجنة والنار والنعيم والعذاب فى الآخرة جاءت فى القرآن وليس لها مثيل فى الكتاب المقدس .

يقول الإمام فى ذلك : « وفى القرآن من قصص الأنبياء - عليهم السلام - ما لا يوجد فى التوراة ولا فى الإنجيل مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك ، وفى القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب ما لا يوجد مثله فى التوراة والإنجيل ، بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد، وعامة ما فيها من الوعد والوعيد فهو فى الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعافية ، والوعيد بالقحط ، والأمراض ، والأعداء » (٢) .

وقد فتح الإمام بذلك الباب أمام علماء الأديان لإثبات الخلافات الجذرية والجوهرية بين القرآن والكتاب المقدس ، فى مجال القصص وغيره ، فما انفك علماء النقد المنهجى المقارن لمتون الروايات التوراتية والقرآنية يسيرون فى هذا الدرب حتى قادتهم دراساتهم إلى التساؤل :

---

(١) دومينيك سورديل : الإسلام فى القرون الوسطى ، ص ٢٥ .
- رشيد رضا : الوحى المحمدى ، ص ٧٢ ، مكتبة القاهرة بالأزهر ، الطبعة السادسة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
- د . زقزوق : الاستشراق ، ص ٨٥ .
(٢) الجواب الصحيح (١/٢٠٠) .

إن كان محمدٌ ﷺ مؤلِّفَ القرآن - كما يدّعي البعض - قد نقل كثيراً من التوراة فمن الذى دفعه ؟ وما الحجة التى أقنعته بالعدول عن نقل التوراة فيما يتعلق بأسلاف المسيح وبإدخال تصحيح فى القرآن يضع نصَّه بعيداً عن أيِّ مرمى نقدى تثيره المعارف الحديثة ، على حين أن نصوص الأناجيل والعهد القديم غير مقبولة بالمرة من وجهة النظر هذه؟ [1] .

ولم يجدوا مَفَرّاً من التسليم بأن الإسلام له ذاتيته الخاصة على الرغم من التشابه الظاهرى بينه وبين الديانات السابقة ، وبأن محمداً ﷺ مؤسس حقيقى لدين أصيل [2].

فذلك التشابه والاتفاق فى بعض المواضع والقصص بين الكتاب المقدس والقرآن مرجعه إلى أمرين [3] :

أحدهما : أن القرآن جاء مصدقاً لما صح من الكتاب المقدس ومهيمناً عليه .

الثانى : أن الأنبياء والرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - يعبدون إلهاً واحداً أرسلهم جميعاً ، ومن ثم فقد اشتركوا فى المنهل الذى تلقوا عنه الوحى .

كما أن هناك أمرين يقفان عقبة كؤوداً فى وجه ذلك الادعاء النصرانى ألاَ وهما [4] :

أولاً : أن النبى ﷺ كان أُمِّيّاً لا يعرف القراءة أو الكتابة حتى يستطيع استخلاص تعاليمه من مطالعاته المباشرة للكتب المقدسة القديمة سواء أكانت يهودية أم مسيحية أم غيرها ، وكانت تلك الأمية برهاناً أكد به القرآن ربانية تعليمه ﷺ ، إذ يقرر القرآن أن محمداً ﷺ ليس أمياً فحسب ، بل لم يسبق له أن قرأ كتاباً قبل القرآن أو كتب بيده ، يقول تعالى :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [5] .

---

(١) بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٢٤٢ .

(٢) دومينيك سورديل : الإسلام فى القرون الوسطى ، ص ٣٣ .

(٣) الكونت دى كاسترى : الإسلام خواطر وسوانح ، ص ٢٠ - ٢٢ .

(٤) د . محمد عبدالله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، ص ١٣٩ - ١٤١ ، طبع دار القلم بالكويت ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

(٥) العنكبوت : (٤٨) .

ثانياً : على فرض معرفته ﷺ بالقراءة ، فلم تكن قد وجدت فى هذا الوقت توراة أو إنجيل باللغة العربية .

إذ تجمع الدراسات على أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لم ينقل إلى اللسان العربى فى عهد الرسول ﷺ ولا فى عهد الخلفاء الراشدين [١] ، بل يذهب بعض الباحثين المحققين من النصارى إلى أبعد من ذلك ، فيؤكد الدكتور « جراف » : أن الكتاب المقدس لم يظهر باللغة العربية إلا بعد ذلك بقرون عديدة فلم تكن الحاجة - فى نظره - ملحة لإنجيل بالعربية إلا فى القرن التاسع والعاشر [٢] .

ويقول القس شيدياق فى دراسته عن الغزالى : إنه لم يتمكن من الرجوع بتاريخ أقدم ترجمات العهد الجديد باللغة العربية إلى أبعد من القرن الحادى عشر » [٣] .

٢ - الادِّعاء بأنه ﷺ تعلم ما جاء به من بحيرا الراهب :

يرفض الإمام ابن تيمية ذلك الادعاء - بدايةً - انطلاقاً من سند تاريخى ، ونظرة واقعية تحليلية فاحصة لقصة الراهب المسيحى بحيرا والتى تذكر أن محمداً ﷺ قابله فى الثانية عشرة من عمره عندما صاحب عمه أبا طالب فى سفره إلى سوريا .

فيؤكد الإمام أهمية الأخذ فى الاعتبار أن تلك المقابلة - بحسب الثابت من تاريخه وسيرته ﷺ - كانت مقابلة عارضة تمت فى جزء من نهار لا تصلح أن تكون مصدراً لتعليمه ﷺ [٤] .

ويُخْضِع القصة لمنهجه النقدى فى دراسة متون القصص ، واضعاً فى الحسبان كل وقائع المقابلة التى تمت فى حضور جميع أفراد القافلة ، وأن محمداً ﷺ كان مستخبراً عنه ولم يخبره الراهب بشئ [٥] .

وتؤكد الدراسة النقدية الحرة لكتاب النصارى ما قرره الإمام من قبل جاء فى خاتمة

---

(١) د . محمد عبدالله الشرقاوى : مقدمة تحقيقه لكتاب الرد على النصارى للجاحظ ، ص ٦٧ .

(٢) مجلة (العالم الإسلامى) باللغة الإنجليزية ، عدد إبريل ١٩٣٩م ، نقلاً عن الدكتور محمد عبدالله دراز : مدخل إلى القرآن ، ص ١٤١ .

(٣) نقلاً عن الدكتور دراز ، الموضع السابق .

(٤) الجواب الصحيح (٢٩٦/٣ - ٢٩٧) .

(٥) السابق (٢٩٧/٣) .

مقال لـ « هوارت » أحد كتبة النصارى :

« لا تسمح النصوص العربية التى عثر عليها ونشرت وبحثت منذ ذلك الوقت بأن نرى فى الدور المسند إلى هذا الراهب السورى إلا مجرد قصة من نسج الخيال » (١) .

ثم يقدم الإمام مجموعة من الموانع التى تقف عائقاً أمام قبول الادعاء بأنه ﷺ تعلم من بشر هو بحيرا أو غيره (٢) :

أولها : أن قومه المعادين له والذين هم من أحرص الناس على القدح فى نبوته مع كمال علمهم بحاله لم يطعنوا فيه بذلك ، ويمتنع ألا يقدحوا فيه وكذلك يمتنع عدم ظهور ذلك الطعن .

الثانى : تواتر عن قومه أنهم كانوا يقولون : لم يكن يجتمع به من يعلِّمه ذلك .

الثالث : لو كانت هذه التعاليم التى جاء بها من تعليم أهل الكتاب مع عداوتهم له ، لكانوا أخبروا بذلك وأظهروه ، وذلك من الحوادث التى لا تخفى لو نقلت مع توافر الهمم والدَّواعى على نقلها .

الرابع : لم يكن هناك أحد على الدين الذى دعا إليه لا وثنى ولا كتابىٌ .

الخامس : أن مثل هذا الأمر - لو كان - لابد أن يعرفه خواص أصحابه الذين آمنوا به ، ولعلموا كذبه ، فكيف ذلك وقد كان أخص أصحابه وأعلمهم بحاله من أعظم الناس محبة له وموالاة له ؟

السادس : أن أخباره مستفيضة مشهورة لم يبق منها خافياً على الناس ما هو دون هذا من أحواله ، فكيف بهذا الأمر .

السابع : أن أهل الكتاب كانوا يسألونه مسائل يقولون : إنه لا يعلمها إلا الأنبياء ، ليمتحنوا بها نبوته ، وكان ﷺ يجيبهم عليها ، فلو كان السائلون يعلمون أن أحداً من إخوانهم علمه ذلك لما حصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبى أم لا ؟

---

(١) « الجريدة الأسيوية » عدد يوليو - أغسطس ١٩٠٤م ، نقلاً عن الدكتور دراز : مدخل إلى القرآن ، ص ١٣٤ .

(٢) الجواب الصحيح (٢٤/٤ - ٢٥ ، ٥٣ - ٦٣) .

والغريب فى الأمر أننا إذا سايرنا النصارى فى ادعائهم بتعلم النبى ﷺ من بحيرا الراهب ، وطالبناهم بالدليل على أن محمداً ﷺ قد نقل فى القرآن ما علمه الربانية إياه أو أملوه عليه ؟

جاءت الإجابة : « ليس هناك دليل على ذلك ، كما أنه ليس هناك أى سند للدعوى القائلة بأن راهباً مسيحياً قد علمه تعليماً دينياً متيناً »[1] .

* * * * *

(١) بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ١٧٣ .

المقام الثانى : إثبات نبوة محمد ﷺ

لاشك أن مسألة إثبات وجود الله – سبحانه وتعالى – ليست مشكلة دينية ، لأن وجوده – سبحانه – مركوز فى الفطر الإنسانية ، ومحاولة الاستدلال على وجوده تعد انحرافاً عن الفطرة وشذوذاً فى الطبيعة البشرية .

أما المسألة الأساسية فى الدين : فهى البرهنة على صدق النبى الذى جاء به ، فالناس أمام النبوات فريقان :

١ – مكذوب بجنسها كالبراهمة (١) .

٢ – مصدق بجنسها ، مكذب لأعيانها كأهل الكتاب من اليهود والنصارى فاليهود ينكرون نبوة عيسى ومحمد – عليهما السلام – بدعوى عدم النسخ وعدم جواز البداء على الله (٢) .

والنصارى يكذبون محمداً ﷺ بدعاوى متعددة سبق تفصيلها والرد عليها .

والنبى محمد ﷺ كما يقول ابن تيمية : « لم يكن محتاجاً إلى تقرير جنس النبوة إذ كان الرسل قبله قد جاءوا بما ثَبَّتَ ذلك ، وقومه كانوا مقرين بالصانع ، وإنما كانت الحاجة داعية إلى تثبيت نبوته » (٣) .

لذلك اهتم أسلافنا – رضوان الله عليهم – بالبحث فى دلائل النبوة وبراهين صدقها اهتماماً بالغاً ، حتى قل من العلماء والمبرزين وأئمة الفقه والدين وراسخى القدم فى علومه ومسائله من لم يكتب كتاباً فى دلائل النبوة أو يتصدى للحديث عنها ضمن مؤلفاته وكتاباته .

فتعددت المؤلفات واختلفت عنواناتها وأساليب التناول والمعالجة فيها ، كل بحسب رؤيته لدلائل النبوة وأنواعها وطرق إثباتها ، فجاءت فيضاً غزيراً ومعيناً ثرا ، يُشَكِّل رصيداً علمياً هائلاً يجعل من هذا الموضوع علماً مستقلاً بذاته ، له أصوله وقضاياه ومناهجه المختلفة وطرق البحث فيه ، مما يستدعى البحث والنظر والدراسة والوقفة

---

(١) ابن حزم : الفصل (٦٣/١) ، الشهرستانى : الملل والنحل (٩٥/٣) .

(٢) ابن حزم : الفصل (٨٢/١) ، الشهرستانى : الملل والنحل (١٦/٢) .

(٣) الجواب الصحيح (٢٨٤/٤) .

المتأنية أمامه لتأصيله وإحلاله محله اللائق بمثل أهميته وتفرده وانفراد المسلمين واختصاصهم به[1] .

وقد أدرك ابن تيمية أهمية هذا الموضوع وقيمته بالنسبة للمسلمين فى مواجهة مخالفيهم من أرباب الملل الأخرى ، ليكون بذلك أول من يقرن بين هذا الموضوع وبين الرد على أهل الملل الأخرى كاليهود والنصارى ، وفقاً لمنهجه الرائد القائم على دراسة النصرانية فى مستويين :

١ - تبديل دين المسيح .

٢ - تكذيب محمد ﷺ .

إذ اقتضاه ذلك المنهج الرد على دعاوى النصارى فى تكذيبه ﷺ وتفنيد تلك الدعاوى والافتراءات ، ثم اتباع ذلك بإثبات نبوته ﷺ بطرق متعددة من خلال الدلائل والآيات والبراهين .

فالنصارى يقرون بجنس النبوة ، وبنبوة نوح والخليل وموسى عليهم السلام ، ويعرفون أن نبياً سيبعث بعد المسيح ، وحاجتهم إلى أن يعرفوا هل هذا هو النبى المذكور أو غيره ؟ فهم يحتاجون إلى أن يعلموا هل هذا النبى المعين هو من جنس الأنبياء الصادقين أو من جنس المتنبئين الكاذبين ؟

والطريق إلى ذلك معرفة ما يختص به من آياتِ صدقه وبراهين نبوته ودلائلها وأعلامها[2] .

فثبوت تلك الدلائل مقرونة بدعوى النبوة ، هى طريق ابن تيمية فى إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ أمام النصارى[3] .

لذلك نجده قد اهتم بتقسيم تلك الدلائل إلى أنواع ، عرَّف بكل منها ، ثم عمد إلى بيان أهمية البحث فى موضوع دلائل النبوة ، وبين خصائص وسمات تلك الدلائل التى

---

(١) لفت أستاذنا الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى النظر إلى تلك المسألة ونبه عليها ، وأكد أهميتها البالغة ، وذلك فى توجيهاته لنا وفى محاضراته لطلاب الدراسات العليا .

(٢) الجواب الصحيح (٣٢١/٤) .

(٣) النبوات ، ص ٢٠ - ٢٣ .

تُعْرف وتنفرد بها ، ثم عرَّف بوجوه دلالتها العلم اليقينى القطعى ، مستعيناً فى ذلك بمعارفه الموسوعية ، ودقته المعهودة . مخلِّفاً لنا دراسة فريدة متكاملة الجوانب والعناصر .

أما العلم الحقيقى بصدق النبى - لديه - فليس من الأمور الكلية التى تحتاج للاستدلال ، بل هو من الأمور المعينة التى يعلمها الخبير بها علماً ضرورياً بخبرته أحوالَ ذلك المعيَّن .

فالعلم بصدق النبى وكذب المتنبى يحصل - لديه - بالضرورة من قبل ثبوت ورؤية آياتهم ، بل يحدث ذلك من وجوه كثيرة لا تكاد تنضبط ، فبمجرد سماع خبر هذا وخبر هذا ، وكلام هذا وكلام هذا ، وأحوال هذا وأحوال هذا ، يُعْرف الصادق من الكاذب [١] .

فإيمان خديجة وأبى بكر وغيرهما من السابقين الأولين كان قبل انشقاق القمر ، وقبل إخباره بالغيوب ، وقبل تحديه بالقرآن [٢] .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٣٠٩/٤) .
(٢) السابق (٣١٦/٤) .

أما دلائل النبوة لدى ابن تيمية فهى الآيات والبراهين والأدلة والعلامات المستلزمة لصدق النبى محمد ﷺ فى كل ما يخبر به من الأوامر والنواهى والأخبار (١) .

وهى كثيرة متنوعة أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء (٢) إذ استوعبت جميع الآيات الفعلية والخبرية ، مما لا يوجد مثله لأحد من النبيين (٣) . فكل ما يُستْدل به على نبوة نبى فمحمد ﷺ أحق بجنس ذلك الدليل من غيره ، وما يُعَارض به نبوة نبى فالجواب عن محمد ﷺ أولى (٤) .

لذلك لا يستطيع بَشَرٌ الإحاطةَ بجميع أعيانها ، إذ بيَّن الله لكل قوم ، بل لكل شخص من الآيات والبراهين والدلائل ما لا يبين لقوم آخرين ، مما يريه الله لكل إنسان فى نفسه وفى الآفاق من الآيات (٥) .

وذلك تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

فالضمير فى « أنه الحق » يرجع إلى القرآن ، وإذا كان القرآن حقاً لزم كون الرسول الذى جاء به صادقاً يجب التصديق بما أخبر وإطاعة ما أمر واجتناب ما نهى ، وذلك يتضمن إثبات النبوة (٦) .

وتسمى آيات النبوة عند كثير من النظار معجزات (٧) ، والبعض يسميها دلائل النبوة وأعلامها ، ويرجح ابن تيمية تلك التسمية ، لأنها أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، كذلك لتسمية القرآن لها بـ : الآية ، البينة ، البرهان (٨) .

---

(١) النبوات ، ص ٣٨ .
(٢) الجواب الصحيح (٧٠/٤) .
(٣) السابق (١٣٣/٤) .
(٤) السابق (٢٦٨/٣) .
(٥) السابق (٢٤٩/٤) .
(٦) السابق (٢٥٠/٤) .
(٧) لم يرد لفظ المعجزة فى القرآن أو السنة .
(٨) الجواب الصحيح (٦٧/٤) .

وذلك كقوله تعالى فى قصة موسى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [1] وذلك فى العصا واليد .

وقال تعالى فى حق محمد ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ [2] .

أما لفظ « الآيات » فكثير فى القرآن [3] :

كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ، وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ . اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [4] .

* * * * *

---

(١) القصص : (٣٢) .
(٢) النساء : (١٧٤) .
(٣) الجواب الصحيح (٤/٦٨) .
(٤) الأنعام : (٢٤) ، وانظر :
- البقرة : (٢١١ - ٢٥٩) .
- آل عمران : (٤١ - ٤٩) .
- المائدة : (١١٤) .
- الأعراف : (١٠٦) .
- هود : (٦٤) .

وأما لفظ المعجز فإنما يدل على أنه أعجز غيره كما قال تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [2] وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آية ودليلاً إلا إذا فُسِّرَ المراد به وذُكِرَتْ شرائطه ، خصوصاً عند من لا يثبت فعلاً إلا لله ، ويقول : الله هو المعجز ، ويسمى غيره معجزاً مجازاً .

ومن ثم لا يكون هناك اختصاص به لآيات النبوة ، بل قد يطلقه البعض على آيات غيرهم من الأولياء » [3] .

ولآيات النبوة ودلائلها خصائصُ وسمات تُعْرف وتَمتازُ بها لدى ابن تيمية ، من بينها :

أولاً : يجب أن لا يعارضها من ليس بنبى ، فكل ما عارضها صادراً ممن ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم ، فعندما طلب فرعون أن يُعَارض ما جاء به موسى ، وجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى حتى لا تبقى حجته مختصة بالنبوة ، وأمرهم موسى أن يأتوا أولاً بخوارقهم فلما أتت وابتلعتها العصا التى صارت حية عَلِمَ السحرةُ أن هذا ليس من جنس مقدورهم فآمنوا إيماناً جازماً .

ولما قال لهم فرعون : ﴿ لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ، قَالُوا : لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا ﴾ [4] ، فكان من تمام علمهم بالسحر أن السحر معتاد لأمثالهم ، وأن هذا ليس من هذا الجنس بل هذا مختص بمثل هذا فدل على صدق دعواه [5] .

ثانياً : أنها مختصة بالنبى ﷺ ليست مشتركة بينه وبين غيره ، فالدليل مستلزم لمدلوله ، لا يجب أن يكون أعم وجوداً منه ، بل إما أن يكون مساوياً له فى العموم والخصوص ، أو يكون أخص منه [6] .

---

(١) الزمر : (٥١) .

(٢) العنكبوت : (٢٢) .

(٣) الجواب الصحيح (٧٠/٤) .

(٤) طه : (٧٢) .

(٥) النبوات ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٦) النبوات ، ص ١١ .

فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول ، وإذا انتفى المدلول انتفى هو ، فما يوجد مع وجود الشئ ومع عدمه لا يكون دليلاً عليه ، بل الدليل ما لا يكون إلا مع وجوده ، فما وجد مع النبوة تارة ، ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلاً على النبوة ، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها (١) .

وحينئذ فآية النبي لا تكون لغير الأنبياء ، لكن إذا كانت معتادة لكل نبى أو لكثير من الأنبياء لم يقدح هذا فيها ، فلا يضرها أن تكون معتادة للأنبياء (٢) .

ثالثاً: سلامتها من التناقض ، فكل ما جاء من عند الله لا يتناقض كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ (٣) .

أما من ادعى النبوة وكان كاذباً ، فلابد أن يتناقض (٤) .

رابعاً: ليس من شرطها استدلال النبى بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها ، بل هى دليل على نبوته وإنْ خلت من هذين القيدين ، وهذا كإخبار من تقدم بنبوة محمد ﷺ فإنه دليل على صدقه ﷺ وإن كان هو لم يعلم بما أخبروا به ولا يستدل به .

كذلك ما كان يظهره الله على يديه من الآيات مثل تكثير الطعام والشراب ونبع الماء من بين أصابعه ، وغير ذلك من دلائل النبوة ، لم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا يتحدى بمثلها ، بل لحاجة المسلمين إليها (٥) .

خامساً: ليس من شرط دلالتها استدلال النبى بها ، فالدليل الدال على المدلول عليه ليس من شرط دلالته استدلال أحد به ، بل ما كان النظر الصحيح فيه موصلاً إلى علم فهو دليل وإن لم يستدل به أحد ، وما لا يدل إذا لم يستدل به لا يدل إذا استدل به ، ولا ينقلب ما ليس بدليل دليلاً إذا استدل به مدع لدلالته (٦) .

سادساً: لا تكون إلا خارقة للعادة ، ولا تكون مما يقدر أحد على معارضتها ولا

---

(١) النبوات ، ص ٢٨ .
(٢) السابق ، ص ١١ .
(٣) النساء : (٨٢) .
(٤) النبوات ، ص ١٠٤ .
(٥) النبوات ، ص ١٠٦ .
(٦) السابق .

تكون مما يعتاده غير الأنبياء ، فمتي عرف أنها توجد لغير الأنبياء بطلت دلالتها ، ومتى عارض غير النبيٌ النبيٌ بمثل ما أتى به بطل الاختصاص [1] .

سابعاً : خارجة عن مقدور من أُرْسِلَ الأنبياء إليه وهم الجن والإنس ، فلا تقدر الإنس والجن على أن يأتوا بمثل معجز الأنبياء كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [2] .

أما الملائكة فلا تضر قدرتهم على مثل ذلك ، فإن الملائكة إنما تنزل على الأنبياء لا تنزل على السحرة والكهان ، كما أن الشياطين لا تتنزل على الأنبياء ، والملائكة لا تكذب على الله ، فإذا كانت الآيات من أفعال الملائكة مثل نصرهم للنبي ﷺ على عدوه يوم بدر ، فهذا ليس خارجاً عما اعتاده الأنبياء ، بل هذا لم يعتده إلا الأنبياء [3] .

ويَعْتبر ابن تيمية النظرَ والبحثَ فى دلائل النبوة من أوْلى الواجبات الدينية فمن أعظم أصول الضلال - فى نظره - الإعراض عن بيان الرسول للأدلة والآيات والبراهين والحجج ، فالمعرضون عن هذا إما أن يصدقوه ويقبلوا قوله ، ويؤمنوا به بلا دليل ولا علم ، وإما أن يستدلوا على ذلك بغير أدلته .

ومن يستدل على ذلك بغير الآيات والأدلة التى دعا النبى ﷺ بها الناس فهو مع كونه مبتدعاً لابد أن يخطئ ويضل ، فالذى يظن أنه بالأدلة والبراهين الخارجة عما جاء به يدل على ما جاء به ، فهو من جنس من يظن أنه يأتى بعبادات غير ما شرعه الرسول ﷺ توصل إلى مقصوده [4] .

من جهة أخرى إذا كان الأخذ عن الأنبياء فيما أخبروا به من أصول الدين واجباً ، فأخذ ما بينوا به تلك العقائد من الآيات والبراهين أولى وأحرى فإنه بهذا يتبين ذاك .

وإلا فتصديق الخبر متوقف على دليل صحته أو على صدق المخبر به ، وتصديقه

---

(١) النبوات ، ص ١٠٧ .

(٢) الإسراء : (٨٨) .

(٣) النبوات ، ص ١٠٧ .

(٤) السابق ، ص ٣٨ .

بدون أن يُعْلم أنه فى نفسه حق أو أن المُخْبِر به صادق قول بلا علم ، والرسول ﷺ قد أرسل بالبينات والهدى ، وبيَّنَ الأحكام الخبرية والطلبية وأدلتها الدالة عليها ، وبين المسائل والوسائل ، وبين الدين ما يقال وما يعمل ، وبين أصوله التى بها يعلم أنه دين حق [1] .

وقد ذكر المولى – تبارك وتعالى – هذا المعنى فى غير موضع فبين أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ذكر ذلك فى سورة التوبة والفتح والصف .

والهدى هو هدى الخلق إلى الحق وتعريفهم ذلك وإرشادهم إليه ، وهذا لا يكون إلا بذكر الأدلة والآيات والبراهين الدالة على أن هذا هدى ، وإلا فمجرد خبر لم يعلم أنه حق ولم يقم دليل على أنه حق ليس بهدى ، وهو – سبحانه –إذا ذكر الأنبياء – نبينا وغيره – ذكر أنه أرسلهم بالأيات البينات ، وهى الأدلة والبراهين البيِّنة المعلومة علماً يقينياً .

إذ كل دليل لا بد أن ينتهى إلى مقدمات بينة بنفسها قد تسمى بديهيات وقد تسمى ضروريات ، وقد تسمى أوليات ، وقد يقال : هى معلومة بأنفسها ، فالرسل – صلوات الله عليهم – بعثوا بالآيات البينات [2] .

وتفيد دلائل النبوة العلم اليقينى – لدى ابن تيمية – من طرق :

الطريق الأول [3] : (التواتر العام) :

فقد تواترت هذه الدلائل والآيات لدى العامة واستفاضت ونقلتها الأمة جيلاً بعد جيل وخلفاً عن سلف ، فما من طبقة من طبقات الأمة إلا وهذه الآيات مشهورة مستفيضة فيها ، ينقلها أكثر ممن ينقل كثيراً من أحكام الشريعة ، فتواترها أعظم – مثلاً – من تواتر سجود السهو فى الصلاة ، فهذا إنما كان مرات قليلة ، ولم يحضره إلا المصلون خلفه ، وكذلك تواترها أعظم من تواتر ونقل أنصبة الزكاة وفرائضها فهذا إنما سمعه منه طائفة قليلة .

---

(١) النبوات ، ص ١٥٤ .

(٢) السابق ، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

ـ الجواب الصحيح (٤/٢٤٣) .

(٣) السابق (٤/٢٢٧ – ٢٣٧) .

أما هذه الآيات فكان كثير منها بمشهد من الخلق عظيم ، فيشاهدون تلك الآيات ، كما شاهد أهل الحديبية وهم ألف وخمسمائة نبعَ الماء من بين أصابعه ﷺ ، وكما شاهد أهل خيبر وهم ألف وخمسمائة الطعام الذى كان كربضة الشاة فأشبع الجيش كله ، وكما شاهد الجيش العظيم فى تبوك - وهم نحو ثلاثين ألفاً - العينَ لما كانت قليلة الماء فكثر ماؤها حتى كفى الجيش كله ، وكما شاهد أهل الخندق وهم أكثر من ألف صاع الشعيرَ فى بيت جابر يأكلون منه جميعاً ويفيض .

ومن تدبر نقلها وجد شهرتها فى كل زمان ، وظهور الأخبار بها أعظم من شهرة ما ينقل من آيات الأنبياء و سير الملوك والدول التى جرت العادة بتوفر الهمم والدواعى على نقلها .

الطريق الثانى [1] : (التواتر الخاص) :

وهو تواتر هذه الآيات والدلائل عند قوم دون قوم ، بحسب عنايتهم بها ، وطلبهم لها ، وعلمهم بمن أخبر بها ، وصفاتهم ومقاديرهم وما دل من الدلائل على صدقهم .

وذلك كتواترها واستفاضتها لدى أهل العلم بحديث النبى ﷺ وأقواله وأفعاله وسيرته ، فهؤلاء لهم بهذا من العلم وعندهم به من اليقين ما لا يوجد مثله لغيرهم .

فهم أرغب الخلق فى معرفة أحواله ، وأعظم تحرياً للصدق فيها ، وأَرَدُّ للكذب منها ، حتى لقد صنفوا الكتب الكثيرة فى أخبار جميع من روى شيئاً من أخباره ، وذكروا فيها أحوال نقلة حديثه ، وما يتصل بذلك من جرح وتعديل ، ودققوا فى ذلك وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لأحد من الأمم ، ولا لأحد من هذه الأمة إلا لأهل الحديث .

وذلك يدل على أنهم أعلم بحال نبيهم من كل أحد بحال متبوعه ، وأنهم أعلم بصدق الناقل وكذبه من كل أحد بصدق من نقل عن متبوعهم وكذبه .

فإذا كانوا فيما ينقلونه عن النبى ﷺ متفقين عليه جازمين بتصديقه ، فلا يكون إلا صدقاً .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٢٢٧ - ٢٣٧) .

وهذه الآيات والدلائل هى من موارد إجماعهم المستفيضة عندهم ، والتى يجزمون بصدقها ، ليست من موارد نزاعهم .

الطريق الثالث [1] : (التواتر المعنوى) :

وهو اشتراك عامة الناس فى معرفة أخبار وحكايات يجمعها أمر واحد كالأخبار والحكايات التى تتضمن : شجاعة عنترة وخالد بن الوليد ، وسخاء حاتم الطائى ومعن بن زائدة ، وحلم الأحنف بن قيس ومعاوية ، وعدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وفقه الشافعي ومالك وأحمد وأبى حنيفة ، وزهد الحسن البصرى والفضيل بن عياض .

فمجموع تلك الأخبار يحصل به علم ضرورى بأن الشخص موصوف بذلك النعت ، وإن كان كل خبر على حدة لا يفيد الغلم ، وليس منقولاً وحده بالتواتر لكن المجموع يحصل به استفاضة توجب العلم القطعى كالعلم بالإيمان والموت .

وإذا تقرر ذلك ، فالآيات والدلائل على نبوة نبينا ﷺ أضعاف أضعاف ما ينقل عن الواحد من هؤلاء ، ونقلتها أجل وأفضل وأكثر من نقلة هؤلاء ، وكلها تتضمن أن محمداً ابن عبد الله ﷺ كان يجرى على يديه من الآيات الخارقة للعادة والعجائب العظيمة ما لا يعرف نظيره أحد من الناس .

وعلم المسلمين بهذا أعظم من علم أهل الكتاب بما ينقلونه عن آيات موسى وعيسى – عليهما السلام – ، فإن نقلة آيات محمد ﷺ فى غير القرآن أضعاف أضعاف نقلة التوراة والإنجيل ، فالتوراة والإنجيل ليسا محفوظين كما يحفظ عامة المسلمين القرآن .

الطريق الرابع [2] : الإقرار والتصديق) :

ذلك أن تلك الآيات كانت تقع على مرآى ومسمع كثير من الخلق يحصون بالآلاف كما حدث فى غزوة خيبر ويوم الحديبية ويوم الخندق ، وكان المشاهدون لها ينقلون تفاصيلها أمام آخرين ممن حضرها لأقوام لم يشاهدوها فيصدق بعضهم بعضاً ، ويحكى هذا مثل ما حكى هذا دون تواطؤ أو إنكار من أحد منهم .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٢٣٨ – ٢٣٩) .

(٢) السابق (٤/٢٣٩ – ٢٤٢) .

ومن المعلوم أن السلف بموجب ما كانوا عليه من اعتياد الصدق وتحريه ، ومن شدة توقي الكذب على النبي وتعظيمهم ذلك ، لمَا تواتر عنه عندهم من قوله ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبوأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ »[1] .

لم يكونوا يقرون من يعلمون أنه كذب عليه ﷺ فيما كانوا مشاهدين له .

فلما اتفقوا على الإقرار على ذلك وعلى تناقله بينهم من غير إنكار أحد منهم لذلك ، كما هم متفقون على نقل القرآن والشريعة المتواترة ، علم قطعا اتفاقهم على نقل ذلك ، وهذا غاية التواتر ومبلغ العلم اليقيني القطعي بصحة آيات ودلائل نبوة محمد ﷺ .

الطريق الخامس[2] : (النقول المتواترة لطوائف العلماء) :

فما مِنْ صِنْفٍ من أصناف العلماء إلا وقد تواتر عندهم من الآيات ما فيه كفاية ، فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها ، وكذلك كتب الحديث ، وكتب السير والمغازي ، وكتب التاريخ ، وكتب الفقه ، وكتب الأصول ، وكتب الكلام مشحونة بذكر الآيات متواتر ذلك فيها .

ونقل كل طائفة من تلك الطوائف يفيد العلم اليقيني ، فكيف باجتماع كل تلك الطوائف .

ومن أمعن النظر في ذلك وأعطاه حقه من الاعتبار والاستدلال ازداد بذلك علماً ويقيناً ، وتبين له أن العلم بذلك أظهر من جميع ما يطلب من العلم بالأخبار المتواترة تحقيقاً لقوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [3] .

فظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان إنما هو بما يظهره من آياته وبراهينه ،

(١) البخاري (كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ) ، مسلم (المقدمة ، باب تغليظ الكذب على الرسول ﷺ) .

(٢) الجواب الصحيح (٤/٢٤٢ – ٢٤٣) .

(٣) التوبة : (٣٣) .

ويتم ذلك بالعلم بما ينقل عنه ﷺ من آياته التى هى الأدلة ، وشـرائعه التى هى المدلـول .

الطريق السادس [1] : (مصنفات دلائل النبوة) :

ذلك أن العلماء قد صنفوا مصنـفات كثيرة فى ذكر آياته وبراهينه المنقولة فى الأخـبار ، وجردوا لذلك كتباً مثل كتاب دلائل النبوة للبيهقى ، وأبى نعيم الأصبهانى ، وأبى القاسم الطبرى ، والحافظ أبى زرعة الرازى ، وأبى بكر عبد الله بن أبى الدنيا ، وأبى إسحاق الحربى ، والحافظ أبى جعفر الفريابى ، والحافظ أبى عبدالله المقدسى ، وكذلك ما صنفه أبو الفرج ابن الجوزى فى كتـابه المسـمى (الوفا فى فضائل المصطـفى) ، والقاضى عياض فى كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) .

وهؤلاء المصنفون منهم من يميز فيما يذكره من الأحاديث بين ما فى صحيحى البخارى ومسلم ، وما فى غيرهما وإن كان صحيحاً أيضاً ، كالبيهقى وابن الجوزى والمقدسى .

ومنهم من يذكر ذلك جميعه بأسانيده ، وقد يتكلم على الأسانيد والطرق ويذكر تعددها من غير احتياج منه إلى أن يذكر ما رواه البخارى ومسلم ، كأبى زرعة شيخ الإمام مسلم ، وأبى نعيم الأصبهانى .

وآخرون يذكرون ما يذكرونه مفرداً مسنداً إلى ما رواه ، وإن لم يذكروا إسناده ، كما يفعل القاضى عياض السبتى فى كتابه (الشفا) ، ومنهم من يقر ذلك بشهرة ذلك ، وبطرق أخرى تبين صحته ، كما يفعل كثير من النظار : كالقاضى عبد الجبار ، والجاحظ ، والماوردى القاضى ، وسليم الرازى الفقيه .

وهذه الكتب فيها من الأحاديث المتضمنة لآيات نبوية ، وبراهين رسالته أضعاف أضعاف الأحاديث المأثورة فيما هو متواتر عنه ، لذلك كانت شهرتها واستفاضتها فى الأمة أكثر وأعظم من أى شئ آخر .

وتنقسم دلائل النبوة - لدى ابن تيمية - إلى نوعين [2] :

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٢٤٣ - ٢٤٤) .

(٢) السابق (٤/٧٠) .

أولاً: ما مضى وصار معلوماً بالخبر .

ثانياً: ما هو باقٍ إلى اليوم ، كالقرآن ، وكالعلم والإيمان اللذين فى أتباعه ، وشريعته ، والآيات التى يظهرها الله من كرامات الصالحين من أمته ، ونعته الموجود فى كتب الأنبياء قبله .

وهو يرى أن آيات النبوة لا تقتصر على وجود الرسول وحياته ، بل براهين النبوة تسبق وجوده فيكون منها قبل مولده ، كذلك لا تختص بحياته فقط ، بل تكون بعد مماته (١) .

ومن ثم فقد قسم دلائل النبوة على النحو التالى :

أولاً: البشارات .

ثانياً: القرآن الكريم .

ثالثاً: المعجزات .

رابعاً: السيرة النبوية وأخلاقه ﷺ .

وسنعرض لها - أيضاً - كما قسمها الإمام ، وذلك كما يلى :

* * * * *

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٢٥٠) .

أولاً : البشارات :

يدخل موضوع البشارات فى باب الإلزام للنصارى ، لإفحامهم وإظهار عنادهم ، إذ طَرِيقُه ذِكْرُ أخبار الأنبياء ، والرسل المتقدمين المبشِّرين بنبوة محمد ﷺ مِنْ كُتُبِهم التى بأيديهم وعلى ما ترجمها مترجموهم من غير زيادة ولا نقصان .

وهو مقصور على أهل الكتاب ، فلا ينتفع فى الاستدلال بهذا النوع إلا من صدق بتلك الكتب من اليهود والنصارى الذين يدعون أن هذه الكتب قد تواترت عندهم ، أما غيرهم فلا يستدل بها عليهم (١) .

ويبدو أن ابن تيمية قد قدّم هذا النوع من دلائل النبوة – مع أن غيره قد يكون أوْلى – لكون الأنبياء الخبيرين بعلاماته ﷺ متقدمين عليه فى الزمان ، ولكون هذه البشائر معروفة قبل مجيئه ﷺ ، ولكون الاستدلال على نبوته ﷺ فى مواجهة النصارى يكون ألزم بالاحتجاج عليهم بما فى كتبهم هم .

فقد وردت البشارات به ﷺ فى الكتب المقدسة بالإشارة حيناً ، وبالتصريح باسمه حيناً آخر ، وبنعته وصفته وأرضه وبلده وجميل سيرته وصلاح أمته وملته ووقت مخرجه ، لتعيينه وتمييزه وتعريفه وحصر نوعه فى شخصه ، بعبارات عديدة وألفاظ مختلفة يفقهها كل من أنار الله بصيرته ، وأزال عنها الغشاوة ، فرأت الحق حقاً ولم تركب طريق العناد .

ويبدأ ابن تيمية بتأصيل هذه العلامة من القرآن بحشد الآيات التى تخبر بمعرفة النصارى بالنبى ﷺ

وبخصائصه معرفة جيدة كمعرفتهم أبناءهم ، وبأن المسيح – عليه السلام – قد سماه ﷺ ونص عليه بالاسم (٢) ، كما فى قوله تعالى على لسان المسيح : ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ

---

(١) القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ص ٢٦٣ .

(٢) خالف ابن القيم إجماع علماء الإسلام ومستخرجى البشارات من علماء أهل الكتاب المهتدين للإسلام فى أن الكتب السابقة للقرآن قد نصت على اسم محمد ﷺ واتهم من يقول ذلك بالجهل وقلة فهم القرآن . يقول الإمام :

« إن هذا السؤال مبنى على فهم فاسد وهو أن المسلمين يعتقدون أن اسم النبى ﷺ الصريح ، =

يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ (١) .

وقد دفعت هذه الإشارات القرآنية الإمام إلى الوقوف بنفسه على هذه البشارات فى كتب النصارى ، يقول : « وقد رأيتُ أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ

= وهو محمد بالعربية مذكور فى التوراة والإنجيل ، وهما الكتابان المتضمنان لشريعتين ، وأن المسلمين يعتقدون أن اليهود والنصارى فى جميع أقطار الأرض محوا ذلك الاسم وأسقطوه جملة من الكتابين ، وتواصوا بذلك بعداً وقرباً وشرقاً وغرباً ، وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين ولا أخبر الله – سبحانه – فى كتابه به ... وإنما أُتِيَ هؤلاء من قلة فهم القرآن ... والحق أن الرب – سبحانه – إنما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم ، أى الإخبار عنه وصفته ومخرجه ونعته ، ولم يخبر بأن صريح اسمه العربى مذكور عندهم فى التوراة والإنجيل ، وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه » . (هداية الحيارى ، ص ٩١ – ٩٣ ، نشرة الدكتور أحمد حجازى السقا) .
ولا أدرى كيف يستقيم ذلك للإمام ابن القيم مع ما جاء فى سفر حبقوق (الإصحاح الثالث ، ٣ – ٦) فى النسخة المطبوعة بلندن سنة ١٨٤٨م ، والأخرى المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٨٤م ، والنسخ القديمة قبل ذلك :
« القدوس من جبل فاران لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتلأت الأرض من حمده ، شاع منظره مثل النور يحوط بلاده ، بعزة تسير المنايا أمامه ، وتصحب سباع الطير أجناده ، قام فمسح الأرض ، فتضعضعت له الجبال القديمة وتزعزعت ستور أهل مدين . ثم قال : زجرك فى الأنهار واحتدام صوتك فى البحار يا محمد ادْنُ لقد رأتك الجبال فارتاعت « فإنه سمى محمداً – عليه الصلاة والسلام – مرتين » .
المستشار :
(محمد عزت الطهطاوى : محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ص ٢٧ ، مكتبة النور ، الطبعة الثانية) .
ومع ما جاء فى ترجمة القس أوسكان الأرمنى لكتاب « أشعيا » باللغة الأرمنية عام ١٦٦٦م (الإصحاح الثانى والأربعون) :
« سبحوا لله تسبيحاً جديداً وأثر سلط[illegible]ى ظهره واسمه أحمد »
(رحمة الله الهندى : إظهار الحق ، ص ٦٤٦ ، مطابع منارة إظهار الحق بمصر ، سنة ١٩٧٨م – ١٣٩٨هـ ، بتقديم الدكتور : عبدالحليم محمود ، وتعريب وتحقيق : محمد كمال فراج) .
والغريب أنه أورد هذه البشارات وغيرها مما فيه التصريح باسمه ﷺ وجاء تعليقه عليها كالتالى :
« فمن رام صرف هذه البشارة عن محمد ﷺ فقد رام ستر الشمس بالنهار وتغطية البحار ، وأنَّى يقدر على ذلك وقد وصفه بصفات عينت شخصه ، وأزالت عن الحيران لبسه ؟
بل قد صرح باسمه مرتين ، حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين » ، هداية الحيارى ، ص ١٦٢ – ١٦٣ م .

(١) الصف : (٦) .

باسمه ، ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر فيها ذلك ، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون فى بعض النسخ من صفات النبى ﷺ ما ليس فى أخرى (١) .

ونظراً لتعدد النسخ والكتب التى اطلع عليها الإمام فى موضوع البشارات حرصت على ذكر أهم البشارات التى أوردها الإمام بالتفصيل ومقارنتها بما أورده علماء الإسلام والمهتدين للوقوف على البشارات التى انفرد بذكرها الإمام ، ولبيان أصالته وعمق اطلاعه وعدم اعتماده علي النقل من كتب السابقين بل الاعتماد علي الرؤية والتثبت والتحقيق ، مما سيجعله لا يعبأ كثيراً بمخالفة المنقولات المعروفة فى ذلك المجال ، وأيضاً لأهمية ذلك النوع من دلائل النبوة وبقائه إلى اليوم - بالإضافة إلى القرآن الكريم - أظهر وألزم ما يمكن مواجهة المخالفين به .

وقد قَسَّم الإمام البشارات بمحمد ﷺ إلى قسمين بالترتيب التالى :

* * * * *

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٢٦ - ٢٧) .

القسم الأول : البشارات التوراتية :

ويقصد الإمام بالتوراة جنس الكتب التى عند أهل الكتاب ، فيتناول ذلك كتاب موسى وزبور داود وصحف سائر الأنبياء سوى الإنجيل ، فإنه ليس عند أهل الكتاب عامة ، وإنما هو لدى النصارى خاصة (١) .

أما سائر كتب الأنبياء فالأمتان تقران بها ، لذلك يقرن القرآن بين التوراة والإنجيل عند البشارة بمحمد ﷺ : ﴿ يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ (٢) .

ولا يذكر القرآن أن محمداً ﷺ مذكور فى كتاب موسى أو زبور داود مع أنه مذكور فيهما ، ومع أنه أفردهما بالذكر فى مواضع أخرى كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ (٣) ، ﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤) ، وذلك لكونهما مندرجين فى لفظ التوراة .

وبذلك تحدث مَنْ تحدث من الصحابة كعبد الله بن عمرو فيما رواه البخارى أنه قيل له : أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ فى التوراة .

فقال : « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ، يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميّتك المتوكِّل ، لستَ بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخَّاب بالأسواق ، ولا تَجْزى بالسيئة السيئةَ ، ولكن تجزى بالسيئة الحسنة ، وتعفو وتغفر ، ولن أقبضَه حتى أقيمَ به الملَّة العوجاء ، فأفتح به أعيناً عُمْياً وآذاناً صُمّاً وقلوباً غُلْفاً ، بأن يقولوا : لا إله إلا الله » .

فهذه البشارة ليست موجودة فى أسفار موسى الخمسة ، بل هى عندهم فى نبوة أشعياء :

« هوذا عبدى الذى أنا أسنده مُنْتَخَبِى الذى رَضِيتْ عليه نفسى ، قد جعلتُ روحى

(١) الجواب الصحيح (٣/٢٨١ - ٢٨٢) ، (٣/٣٢١ - ٣٢٢) .
(٢) الأعراف : (١٥٧) .
(٣) الإسراء : (٥٥) .
(٤) الأحقاف : (١٢) .

عليه ، فهو يخرج المُحْكَم للأمم ، لا يصرخ ، ولا يرفع ، ولا يسمع صوته فى الأسواق ، قصبة مرضوضة لا يُكْسر ، وذُبَالَةٌ مُدْخِنَة لا يُطْفأ ، ويُخْرج الحُكْم للحق ، لا ينى ولا يفشل إلى أن يجعل الحكم فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته .

هكذا يقول الله الرب خالق السموات والأرض وباسطها داحى الأرض وما يخرج منها ، الذى يعطى القوم عليها نسمة والماشين فوقها روحاً :

أنا الرب دعوتك بالبر وإنى أمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للقوم ونوراً للأمم ، لتفتح العيون العمى ، وتخرج المحبوس من السجن والجالسين فى الظلام من بيت الحبس ، أنا الرب وهذا اسمى ولست أعطى آخر مجدى والمسبوكات حمدى .

ها هى الإمور السالفة قد مضت فأنا أخبركم بمستحدثات أنبئكم بها قبل حدوثها :

سبِّحوا للرب تسبيحاً جديداً حمداً له من أقصى الأرض أيها الهابطون إلى البحر وجميع ما فيه والجزائر وسكانها ، فلترفع البرية ومدنها والقرى التى يسكنها قيدار ، وليسبح قطان الصخر ، وليهتفوا من رؤوس الجبال ، فليؤدوا المجد لله ، ويخبروا بحمده فى الجزائر »[1] .

وقد رتب ابن تيمية بشارات التوراة بمحمد ﷺ على النحو التالى :

* * * * *

(١) أشعياء(٤٢/١ -١٢) .

أولاً : بشارات الأسفار الخمسة (1) :

(أ) سفر التكوين :

١ - « لما فارقت سارة خاطبها الملك فقال :

يا هاجر من أين أقبلت وإلى أين تريدين ؟ فلما شرحت له الحال قال : ارجعي فإني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يُحْصَوْن ، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً تسمينه إسماعيل ، لأن الله قد سمع تذلُّلك وخضوعك وولدك يكون وَحْيَ الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، ويد الكل به ، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته » (2) .

يعلّق الإمام على تلك البشارة قائلاً :

« ومن المعلوم أن يد بني إسماعيل لم تكن - قبل مبعث محمد ﷺ فوق أيدي بني إسحاق ، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب ، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب ، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد ، ثم خرجوا منها لما بعث الله موسى ، وكانوا مع موسى أعز أهل الأرض ، لم يكن لأحد عليهم يد ، ثم مع يوشع بعده إلى زمن داود ، وملك سليمان الذي لم يؤت أحد مثله .

وسلط عليهم بعد ذلك بختنصر ، فلم يكن لبني إسماعيل عليهم أمر ، ثم بعث المسيح وخرب بيت المقدس الخراب الثاني حيث أفسدوا في الأرض مرتين ، ومن حينئذ زال ملكهم وقطّعهم الله في الأرض أمماً ، وكانوا تحت حكم الروم والفرس والقبط ، ولم يكن للعرب عليهم حكم أكثر من غيرهم .

فلم يكن لولد إسماعيل يد فوق الجميع حتى بعث الله محمداً ﷺ الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل حيث قالا : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (3) .

فلما بعث صارت يد ولد إسماعيل فوق الجميع ، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم ، فقد قهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم ، وقهروا اليهود والنصارى

---

(1) الجواب الصحيح (٣/٣٠٠ - ٣١٤) .
(2) تكوين (١٦/١٠ - ١٢) .
(3) البقرة : (١٢٩) .

والمجوس والمشركين والصابئين ، فتحقق بذلك قول التوراة : (وتكون يده فوق الجميع ، ويد الكل به) ، وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر »[1] .

٢ - قول الله لإبراهيم[2] : « قد استجبتك فى إسماعيل وباركته وكثرته وعظمته جداً

(١) الجواب الصحيح (٣/٣١٣ - ٣١٤) .

(٢) خلط ابن تيمية بين بشارة التوراة لهاجر ، وبين البشارة لإبراهيم ، فجمع بين قول التوراة فى بشارة هاجر :

« لأنى سأجعله أمة عظيمة » ، تكوين (٢١/١٨) .

وقول التوراة فى بشارة إبراهيم : « وعظمته جداً جداً وأجعله لأمة عظيمة » (١٧/٢٠) .

فجاء نص البشارة عنده على النحو التالى : « إنى جاعله لأمة عظيمة ومعظمة جداً جداً » وظن أنها لهاجر (الجواب الصحيح ٣/٣٠٦) ولا يمكن دفع ذلك الخلط بوجود نسخة قديمة للتوراة تحوى هذا النص وتنسبه لهاجر ، إذ اشتهر هذا النص على وجه الخصوص بين مصنفى دلائل النبوة ، وجامعى البشارات من مسلمة أهل الكتاب وغيرهم لما فيه من رمز إلى اسم النبى ﷺ بالإضافة إلى ما تقتضيه هذه البشارة نفسها .

فنص البشارة باللغة العبرية :

« وليشماعيل شمعيتخا هنى بيرختى أونوا وهفريتى أوثو وهزبيتى أوثو بماد ماد »

(تكوين ١٧/٢٠) .

وترجمتها « وأما فى اسماعيل فقد قبلت دعاءك ، ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكثره جداً جداً » .

وأما قوله : « وأجعله لشعب عظيم » فهو بالعبرية « لجوى جدول » .

ويشير المعلقون على هذه البشارة ممن خبروا اللغة العبرية إلى أن كلمتى « بماد ماد » و « لجوى جدول » ، ترمز إلى اسم النبى محمد ﷺ بحساب الجمل المعروف عند اليهود .

وتقوم طريقة حساب الجمل على حساب حروف أبجدية

« أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت » .

بحيث يساوى كل حرف من حروفها عدداً معيناً كالتالى :

أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ، ى = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ، ص = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ، ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠ .

وبحساب الحروف هذا تكون « بماد ماد » تساوى :

ب = ٢ + م = ٤٠ + أ = ١ + د = ٤ الناتج = ٤٧

م = ٤٠ + أ = ١ + د = ٤ الناتج = ٤٥

وتكون « لجوى جدول » تساوى :

ل = ٣٠ + ج = ٣ + و = ٦ + ى = ١٠ الناتج = ٤٩

ج = ٣ + د = ٤ + و = ٦ + ل = ٣٠ الناتج = ٤٣ =

جداً ، يولد له اثنا عشر عظيماً ، وأجعله لأمة عظيمة » [1] .

وهذا التعظيم المبالغ فيه والذى صار به ولد إسماعيل فوق الناس لم يظهر إلا بنبوة محمد ﷺ فدل ذلك على أنها حق مبشر به ، وأن إسماعيل عظمه الله بما جعل فى ذريته من الأيمان ،النبوة ، لقوله – تعالى – فى الخليل : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [2] .

= فيكون مجموع الحروف فى كل منهما = ٩٢ ، وهو نفس عدد حروف محمد :
م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤ والمجموع = ٩٢ حرفاً .
ويذهب بعض مستخرجى هذه البشارة إلى أن كلمة « بماد ماد » هى صريح اسم محمد ﷺ فيكون معنى البشارة :
« أما فى إسماعيل فقد قبلت دعاك ها أنا قد باركت فيه وأثمره وأكبره بمحمد » .
وذلك لتقارب ألفاظ العبرية من العربية ، فإسماعيل فى العبرية « شماعيل » وسمعتك « شمعتينى » ، وقدسك « قدشيخا » ، وإسرائيل « سيرائيل » .
تأمل قول التوراة : « نابى أقيم لا هيم تقارب أخيهم كانوا أخاً ايلاؤه شماعون »
تثنية (الإصحاح ١٨/١٨) .
ومعناه : « نبياً أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك به يؤمنون »
وكذلك قوله : « أنتم عابرتم بعيولى اجيخيم نبوا عيصاه » تثنية (الإصحاح الثانى / ٤) .
ومعناه : « أنتم عابرون فى تخم إخوتكم بنى العيص » .
فإذا أخذنا لفظة « بمود مود » – وهى تكتب أحياناً وتنطق هكذا بالضم – وجدناها أقرب شئ إلى لفظ « محمد » .
وعلى كلا التقديرين فالنص أشهر وأظهر البشارات بمحمد ﷺ . وفى ذلك راجع :
- السموأل بن يحيى : إفحام اليهود ، ص ١١٥ – ١١٦ ،
بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، طبع دار الهداية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
- القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
- ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .
- رحمة الله الهندى : إظهار الحق ، ص ٦٠٠ – ٦٠١ .

(١) التكوين (٢٠/١٧) .
(٢) العنكبوت : (٢٧) .

(ب) سفر التثنية :

تقول التوراة [1] : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من فاران » [2] .

فمجيئه من طور سيناء إنزاله التوراة على موسى فيه ، وإشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى فيه ، واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن على النبى محمد ﷺ وبعثه منه .

وليس هناك خلاف فى أن فاران هى مكة كما تقول التوراة فى تصوير حال إسماعيل : « وكان الله معه ، ونما وسكن فى البرية ، وصار شاباً يرمى بالسهام ، وسكن برية فاران ، وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر » [3] .

ويشبه ابن تيمية مجئ التوراة بطلوع الفجر ، ونزول الإنجيل بإشراق الشمس ، ونزول القرآن بظهور الشمس فى السماء وعلوها فى مشارق الأرض ومغاربها ، لذلك سمى الله - تبارك وتعالى - النبىُّ محمداً ﷺ بالسراج المنير الذى يحتاجه الخلق أكثر

---

(١) استدل بهذا النص التوراتى كلُّ من تحدث عن نبوءات الكتب القديمة وبشاراتها ببعث محمد ﷺ من المهتدين إلى الإسلام أو من المسلمين (تقريباً) ، وكذلك من كتبوا فى دلائل النبوة وأعلامها ، راجع : مثلاً :

- عليا بن ربن الطبرى : الدين والدولة ، ص ٨٠ .
- السموأل بن يحيى المغربى : إفحام اليهود ، ص ١١٨ .
- أبا عبيدة الخزرجى : مقامع هامات الصلبان ، ص ٢١٦ .
- القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، ص ٢٦٤ .
- الشهرستانى : الملل والنحل (١٨/٢) بتحقيق عبدالعزيز الوكيل ، مطبعة الحلبى ، بدون تاريخ أو رقم .
- عبدالله الترجمان : تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، ص ١٣٥ .
- ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى ، ص ١١٢ .
- رحمة الله الهندى : إظهار الحق ، ص ٥٩٩ ، نشرة المستشار محمد كمال فراج .
- وقد انفرد السموأل بترجمة النص على النحو التالى : « تجلى الله من طور سيناء » مخالفاً بذلك الترجمة الشهيرة « جاء الله من طور سيناء » ، وتابعه ابن تيمية فى تلك الترجمة . انظر : الجواب الصحيح (٣٠٠/٣) .

(٢) التثنية (٢/٣٣) .

(٣) التكوين (٢١/٢٠ - ٢١) .

من حاجتهم للسراج الوهاج .

كما يربط بين هذه البشارة وبين قوله – تعالى – فى القرآن [1] : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ، فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ [2] .

إذ يقسم الله – تعالى – بالتين والزيتون والمراد الأرض التى ينبت فيها واشتهرت به وهى الشام ، وفيها أنزل الله الإنجيل ، ويقسم بطور سيناء ، وهو الجبل الذى كلم الله فيه موسى ، وناداه من واديه الأيمن فى البقعة المباركة ، وأقسم بالبلد الأمين وهى مكة ، البلد الذى أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه فيه : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ ، فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [3] .

وهو الذى جعله الله حرماً آمناً : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً ، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [4] .

كذلك يشير إلى أن الترتيب فى التوراة ترتيب زمانى ، تقدم فيه الأسبق فالأسبق بحسب الظهور .

أما الترتيب القرآنى فبحسب درجة الكتب الثلاثة ، فأقسم بها على وجه التدرج ، درجة بعد درجة ، فختمها بأعلى الدرجات ، فأقسم أولاً بالتين والزيتون ، ثم بطور سيناء ، ثم بمكة ، لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل [5] .

---

(١) الجواب الصحيح (٣/٣٠٢ – ٣٠٣) .
(٢) التين : (١ – ٨) .
(٣) إبراهيم : (٣٧) .
(٤) البقرة : (١٢٥ – ١٢٦) .
(٥) الجواب الصحيح (٣/٣٠٤) .

ثانياً : مزامير داود :

١ - « سبحوا لله تسبيحاً جديداً ، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحونه على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه »(١) .

فهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد ﷺ وأمته ، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة فى آذانهم للصلوات الخمس وعلى الأماكن العالية فى الحج والأعياد والخطب ، ليس هذا لأهل الكتاب ، فاليهود كانوا يجتمعون بالبوق أيام موسى ، والنصارى شعارهم الناقوس .

وقوله « يسبحونه على مضاجعهم » بيان لنعت المؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلا يتركون ذكر الله فى حال من الأحوال كما يقول - تعالى - فى القرآن : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢) .

ولا يمكن أن يكون ذلك للنصارى ، لأنهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة ، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ، لينتقم الله بهم من الأمم بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين من الأمم ، ولم يكونوا يجاهدون بالسيف ، بل يجعل النصارى القتال بالسيف من معايب

---

(١) جاء فى المزمور (١/١٤٩ - ٢) ما نصه : « سبحوا الرب وأنشدوا للرب إنشاداً جديداً ، فإن تسبيحه فى جميع الأصفياء ، وليفرح إسرائيل بخالقه ويبتهج بنو صهيون بملكهم » ، وهو يخالف ما نقله ابن تيمية ، لكنه يقارب رواية مستخرجى البشارات من مسلمة أهل الكتاب وغيرهم ، راجع مثلاً :

- عليا بن ربن الدولة الطبرى : الدين والدولة ، ص ٨٤ .
- أبا عبيدة الخزرجى : مقاطع هامات الصلبان ، ص ٢١٨ .
- القرطبى : الإعلام ، ص ٢٦٦ .

ويبدو لى من ذلك أن الإمام ربما قد اطلع على نسخة أخرى من نسخ الكتاب المقدس التى اطلع عليها هؤلاء إذ إن مخالفة نص البشارة لدى ابن تيمية ليس من قبيل الخطأ من أحد النساخ ، لأن ابن القيم قد نقل عنه نفس النص بنفس المخالفة ونفس تعليق الإمام على البشارة .
انظر : هداية الحيارى ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢) آل عمران : (١٩١) .

محمد ﷺ وأمته .

٢ - قول داود : « من أجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد فتقلد أيها الجبار بالسيف ، لأن البهاء لوجهك ، والحمد الغالب عليك .

اركب كلمة الحق وسمة التألُّه ، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يَخِرُّون تحتك »(١) .

فليس متقلد السيف من الأنبياء بعد داود سوى محمد (عليهما السلام) وهو الذى خرت تحته الأمم ، وقرنت شرائعه بالهيبة ، كما قال ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر »(٢) .

فهو ﷺ نبى المرحمة ونبى الملحمة ، وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين .

٣ - قول داود : « إن ربنا عظيم محمود جداً » ، وفى ترجمة أخرى « إلهنا قدوس ، ومحمد قد عمَّ الأرض كلها فرحاً »(٣) .

٤ - قول داود : « لترتاح البوادى وقراها ، ولتصر أرض قيدار مروجاً ، وليسبِّح سكان الكهوف ، ويهتفوا من قِمَمْ الجبال بحمد الرب ، ويذيعوا تسابيحه فى الجزائر »(٤) .

---

(١) مزامير داود (٤٥/٣ - ٥) .

(٢) البخارى (كتاب الصلاة : باب قول النبى ﷺ جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً)
- مسلم (كتاب المساجد : مواضع الصلاة ، مقدمة الكتاب) .

(٣) هذه البشارة ليست فى مزامير داود ، ولم يورد تلك الترجمة من مستخرجى البشائر سوى على ابن ربن الطبرى ، وقد تابعه ابن تيمية فى ذلك . انظر : الدين والدولة ، ص ٨١ ، ٨٢ .
أما النص المشهور بين المصنفين فهو « إن الله أظهر من صهيون إكليلاً محموداً » ، وهو أيضاً ليس موجوداً بلفظه فى المزامير ، بل بالمعنى فى المزمور ١٨/١٣٢ ، والمزمور ١٣٣ ، راجع :
- عليا بن ربن الطبرى : الدين والدولة ، ص ٨٢ .
- أبا عبيدة الخزرجى : مقامع هامات الصلبان ، ص ٢١٩ .
- القرطبى : الإعلام ، ص ٢٦٧ .
- ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى ، ص ١٤٦ .

(٤) هذا النص ليس فى مزامير داود ، بل هو فى نبوة أشعياء =

فلمن البوادى من الأمم سوى أمة محمد ؟ ومن « قيدار » سوى ابن إسماعيل جد رسول الله ﷺ ؟ ، ومن سكان الكهوف وتلك الجبال سوى العرب ؟

* * * * *

= « فلترفع البرية ومدنها والقرى التى يسكنها قيدار ، وليسبح قطان الصخر ، وليهتفوا من رؤوس الجبال ، فليؤدوا المجد لله ويخبروا بحمده فى الجزائر » الإصحاح الثانى والأربعين ١٠ - ١٢ .

ثالثاً : سفر أشعياء :

١ - قال أشعياء : « فقيل لى قم نظاراً ، فانظر ماذا ترى ؟ فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل وأصحابها للمنحر »(١) .

فراكب الحمار هو المسيح ، وراكب الجمل هو محمد ﷺ ، وهو أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار ، وبمحمد ﷺ سقطت بابل .

٢ - قال أشعياء فى شأن مكة : « ارفعى إلى ما حولك بصرك ، فستبتهجين وتفرحين من أجل أن يصير إليك ذخائر البحرين ، وتحج إليك عساكر الأمم ، حتى يعم بك قطر الإبل المؤبلة ، وتضيق أرضك عن القطرات التى تجتمع إليك ، وتساق إليك كباشُ مدين ، ويأتيك أهل سبأ ، ويسير إليك أغنام فاران ، ويخدمك رجال مأرب »(٢) .

فهذه الصفات كلها حصلت بمكة ، فحُمِلَت إليها ذخائر البحرين ، وحج إليها عساكر الأمم ، وسبقت إليها أغنام فاران ، (الهدايا والأضاحى) ، و« فاران » هى البرية الواسعة التى فيها مكة ، وضاقت الأرض عن قطرات الإبل المؤبلة حاملة الناس وأزوادهم إليها ، وأتاها أهل سبأ وهم أهل اليمن .

٣ - قال أشعياء معلناً اسم النبى ﷺ : « انى جعلت أمرك محمداً يا محمد يا قدوس الرب ، اسمك موجود من الأبد »(٣) .

٤ - قال أشعياء : « سأرفع علماً لأهل الأرض بعيداً ، فيصفر لهم من أقاصى الأرض ، فيأتون سراعاً »(٤) .

فالعلم المرفوع هو النبوة ، نبوة محمد ﷺ وصفيره هو دعاؤه إلى الحج وزيارة بيت الله الحرام ومسجد رسوله الكريم .

---

(١) أشعياء (٢١/٦ - ٩) .

(٢) أشعياء (٦٠/٣ - ٧) .

(٣) لم أعثر على هذا النص فى سفر أشعياء ، لكن أورده على بن ربن الطبرى فى كتابه (الدين والدولة ، ص ١٠٦) وربط بينه وبين قول المزمور الثانى والسبعين من مزامير داود : « اسمك موجود قبل الشمس » وقد تابعه ابن تيمية فى ذلك الربط أيضاً . انظر : الجواب الصحيح (٣/٣٢٦) .

(٤) أشعياء (٥/٢٦) .

٥ - قول أشعياء فى مكة شرفها الله : « سيرِى واهتزِّى أيتها العاقر التى لم تلدى ، وانطقى بالتسبيح ، وافرحى إذا لم تحبلى ، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلى » (١) .

فهو يعنى بأهله بيت المقدس ، ويعنى بالعاقر « مكة » لأنها لم تلد قبل محمد ﷺ نبياً ، ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس ، لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحى ، وقد وَلَدَ أنبياء كثيرين .

٦ - قول أشعياء فى وصف أمة محمد ﷺ :

« ستمتلئ البادية والمدن من أهل أولاد قيدار ، يسبحون ، ومن رؤوس الجبال ينادون ، هم الذين يجعلون لله الكرامة ويسبحونه فى البر والبحر » .

فقيدار هو ابن إسماعيل باتفاق الناس ، وربيعة ومُضَر من ولده ، ومحمد ﷺ من مُضَر .

وهذا الامتلاء ، والتسبيح فى البر والبحر لم يحصل لهم إلا بمبعث محمد ﷺ ، والتسبيح هو الصلوات الخمس ، وقد جعلت لهم الأرض مسجداً وطهوراً ، فهم يصلون الخمس فى البر والبحر (٢) .

٧ - قول أشعياء فى مكة : « أنا رسمتكِ على كَفِّى ، وسيأتيك أولادك سراعاً ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخربك ، فارفعى بصرك إلى ما حولك ، فإنهم سيأتونك ويجتمعون إليك ، فتسمى باسمى إنى أنا الحى ، لتلبسى الحلل ، تزينى بالإكليل مثل

---

(١) أشعياء (٥٤/١ - ٣) ، وانظر : بقية الإصحاح فهو أكثر دلالة ونصاً على نبوته ﷺ وعلى صفاته وخصائص أمته :

وقد ظن أحد الباحثين أن قوله : « أيتها العاقر التى لم تلد » كناية عن أورشليم التى سكنها أولاد إسحاق باعتبار أن والدته السيدة ساره كانت عاقراً قبل ولادته - المستشار : محمد عزت الطهطاوى (محمد نبى الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن) ، ص ٢٢ .

وهذا الظن لا يستقيم مع المعنى المراد والذى سيقت من أجله البشارة لأن :

١ - السيدة ساره لم تعد عاقراً بعد إنجابها إسحاق عليه السلام .

٢ - الخطاب كله فى الإصحاح لتلك العاقر التى تنطبق صفاتها على مكة .

٣ - المقابلة بين أورشليم ومكة لا مكان لها فى النص .

(٢) أشعياء (٤٢/١١ - ١٣) .

العروس ، ولتضيقن خراباتك من كثرة سكانك ، والداعين فيك ، وليهابن كل من يناويك وليكثرن أولادك حتى يقول : من رزق هؤلاء كلهم ، وأنا وحيدة ؟ (١) .

فمكة هى التى ألبسها الله الحلل الديباج الفاخرة ، ووكَّل بخدمتها الخلفاء والملوك ، وهى التى أخرج عنها كل من أراد أن يخيفها ويخربها ، فلم تزل عزيزة مكرمة محرمة ، لم يُهِنْها أحد من البشر قط ، بل أصحاب الفيل عندما قصدوها عذبهم الله العذاب المشهور ، ولم تزل عامرة محجوجة من لدن إبراهيم الخليل .

* * * * *

(١) أشعياء (الصحاح الستين) مع اختلاف يسير فى الترجمة .

رابعاً : سفر حبقوق :

١ - قول حبقوق : « إن الله جاء من التيمن والقدوس من جبال فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتلأت مع حمده ، شعاع منظره مثل النور ، يحوط بلاده بعزه ، تسير المنايا أمامه ، تصحب سباع الطير أجناده ، فأمَّ فسيح الأرض ، فتضعضعت له الجبال القديمة ، وانخفضت الروابى وتزعزعت ستور أهل مدين ، ولقد حاز المساعى القديمة »[1] .

فهذا تصريح بمحمد ﷺ ، ومن رام حذف تلك البشارة عن محمد ﷺ فقد رام ستر النهار وحبس الأنهار ، وأنَّى يقدر على ذلك ؟ فقد سماه باسمه ، وأخبر بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم . وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد ﷺ ، ولا تصلح إلا له ، ولا تدل إلا عليه ، فمن حاول صرفها عنه ، فقد حاول ممتنعاً .

وقد ذكر فيها مجئ نور الله من التيمن ، ومحمد ﷺ من ناحية اليمن فهى ناحية مكة والحجاز ، وجبال فاران هى جبال مكة .

أما امتلاء السماء من بهاء أحمد فأنوار الإيمان والقرآن ظهرت منه ، ومن أمته . وامتلاء الأرض من حمده وحمد أمته فى صلواتهم فأمر ظاهر ، فإن أمته هم الحمادون ، ولابد من حمدالله فى كل صلاة وكل خطبة ، ولا بد لكل مُصَلٍّ فى كل ركعة من أن يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[2] .

وكذلك تفتتح أمة محمد ﷺ القيام فى الصلاة بالتحميد ، ويختمونها بالتحميد ، وإذا رفعوا رؤوسهم من الركوع يقول إمامهم :

« سمع الله لمن حمده » ، ويقولون جميعاً : « ربنا ولك الحمد » ، ويختمون صلاتهم بتحميده .

وأنواع تحميدهم مما يطول وصفه .

---

(١) أشعياء (٣/٣ - ٧) مع إسقاط اسم محمد ﷺ من نص البشارة : وقد أورد نص البشارة كاملاً - وفيه اسم محمد ﷺ مرتين - على بن ربن الطبرى فى : الدين والدولة ، ص ١٠٩ .

(٢) الفاتحة : (٢ - ٣) .

خامساً : سفر دانيال :

١ - قال دانيال النبى حينما سأله (بخت نصر) عن تأويل رؤيا رآها ، ثم نسيها : « رأيتَ أيها الملكُ صنماً عظيماً قائماً بين يديك ، رأسه من ذهب وساعداه من فضة ، وبطنه وفخذاه من النحاس ، وساقاه من الحديد ، ورجلاه من الخزف ، ورأيتَ حجراً لم تَقْطَعْه يدُ إنسان قد جاء وصكَّ ذلك الصنم فتفتت وتلاشى ، وعاد رُفَاتاً ، ثم نسفته الرياح ، فذهب وتحول ذلك الحجر فصار جبلاً عظيماً حتى ملأ الأرض كلها ، فهذا ما رأيتَ . أيها المَلِكُ .

فقال بخت نصر : صدقتَ فما تأويلها ؟

قال دانيال : أنت الرأس الذى رأيتَه من الذهب ، ويقوم بعدك ولداك اللذان رأيتَ من الفضة ، وهما دونك ، وتقوم بعدهما مملكة أخرى وهى دونها وهى التى تشبه النحاس ، والمملكة الرابعة تكون قوية مثل الحديد الذى يدق كلَّ شئ .

فأما الرِّجْلان التى رأيت من خزف فمملكة ضعيفة وكلمتها سخيفة ، وأما الحجر الذى رأيتَ قد صكَّ ذلك الصنم العظيم ففتته فهو نبىٌّ يقيمه الله إله السماء والأرض من قبيلة بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلئ منه الأرض ومن أمته ، ويدوم سلطان ذلك النبى إلى انقضاء الدنيا ، فهذا تعبير رؤياك أيها الملك » (١) .

يقول ابن تيمية : « فهذا بعث محمد ﷺ لا بعث المسيح ، فهو الذى بعث بشريعة قوية دون جميع ملوك الأرض وأممها ، حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته فى مشارق الأرض ومغاربها ، وسلطانهم دائم لا يقدر أحد أن يزيله » (٢) .

---

(١) دانيال (٢/٣١ - ٤٦) .

(٢) الجواب الصحيح (٤/٤) .

القسم الثانى : البشارات الإنجيلية [1] :

يورد الإمام ابن تيمية عدداً من البشارات أهمها ما جاء فى :

١ - إنجيل متى :

« أما قرأتم أن الحجر الذى رذّله البنّاؤون صار رأس الزاوية ، من عند الله كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ، ومن أجل ذلك أقول لكم : إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى تثمر ثماره ، ومن سقط على هذا الحجر ينشرخ ، ومن يسقط عليه هو يطحنه » [2] .

٢ - إنجيل يوحنا :

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أسأل الآب فيعطيكم فارقليطاً آخر ، ليقيم معكم إلى الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه ، فأما أنتم فتعرفونه ، لأنه مقيم معكم ، وسيكون فيكم » [3] .

وقول المسيح :

« إن الفارقليط روحَ الحق الذى يرسله الآب باسمى هو يعلِّمكم كلَّ شئ ، وهو يذكركم كل ما قلته لكم ، السلام استودعكم » [4] .

وقول المسيح :

« إذا جاء الفارقليط الذى أرسله أنا إليكم من عند الآب ، روح الحق الخارج من عند الآب فهو يشهد لى » [5] .

وقول المسيح :

إن خيراً لكم أن أنطلق ، لأنى إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فإذا انطلقت أرسلته

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٦ - ٢٢) .
(٢) الإصحاح الواحد والعشرون ، ١٥ - ١٧ .
(٣) الإصحاح الرابع عشر ، ١٥ - ١٧ .
(٤) الإصحاح الرابع عشر ، ٢٦ - ٢٧ .
(٥) الإصحاح الخامس عشر ، ٢٦ - ٢٧ .

إليكم ، فهو يوبِّخ العالم على الخطيئة ، وإنّ لى كلاماً كثيراً أريد أن أقوله ، ولكنكم لا تستطيعون حمله ، لكن إذا جاء روح الحق ذاك الذى يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم مما يسمع ، ويخبركم بكل ما يأتى ، ويعرفكم جميع ما للآب »(١) .

٣ – أعمال الرسل :

١ – رسالة يوحنا العامة الأولى :

يقول يوحنا : « يا أحبائى إياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء ، وكان جسدانياً ، فهى من عند الله ، وكل روح لا يؤمن بأن يسوع المسيح جاء وكان جسدانياً فليست من عند الله ، بل من المسيح الكذاب الذى سمعتم به »(٢) .

ويلاحظ أن ابن تيمية قد أولى البشارة بالفارقليط – دون غيرها – من البشارات الإنجيلية والتوراتية اهتماماً بالغاً ، يفوق عنايته واهتمامه بالبشارات الأخرى ، وذلك لما تتميز به تلك البشارة من خصوصية تنبع من :

١ – دلالتها المباشرة (اسمية أو وصفية) على نبوة المصطفى ﷺ .

٢ – إشارة القرآن الكريم إلى تلك البشارة على لسان المسيح فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (٣) .

٣ – مجيئها فى معرض الحديث عن نهاية المسيح قبل القبض عليه وفى آخر أحاديثه مع الحواريين ، والذى انتهى بخطبة طويلة أفرد لها يوحنا الإنجيلى أربعة إصحاحات كاملة فى إنجيله (من ١٤ إلى ١٧) .

حيث تعالج تلك الإصحاحات – التى انفرد بها يوحنا – مسائل أساسية وآفاقاً مستقبلية ذات أهمية بالغة ، تعنى بمستقبل البشرية ، الذى يهتم به المسيح ، وبتوجيه

---

(١) الإصحاح السادس عشر ، ٧ – ١٥ .
(٢) الإصحاح الرابع ، ١ – ٣ .
(٣) الصف : (٦) .

تلامذته بل الإنسانية برمتها عبرهم ، معطياً إرشاداته وأوامره ، محدداً بشكل نهائى المرشد الذى على الإنسانية أن تتبعه بعد اختفائه (عليه السلام) .

وإنجيل يوحنا – وحده – هو الذى يسمى بشكل صريح هذا المرشد باسم يونانى هو (Parakletos) (البارقليط) أو (الفارقليط) .

والبار قليط (Parakletos) تعنى من الناحية اللغوية البحتة : « الأمجد والأشهر والمستحق للمديح » وهى اسم أو صفة لنبى يبشِّر به المسيح ، يأتى بعده ، تنطبق أوصافه على نبى الإسلام ، إذ تعنى الكلمة ما يعنيه اسمُ أحمد باللغة العربية أى المشهور والممجد وهذا الاسم لم يَتَسَمَّ به أحد قبل النبى محمد ﷺ .

وقد تُرْجِمَت كلمة (بارقليط) إلى (المُعَزِّى) – وليس المُعزُّ كما ظنها ابن تيمية – وأضيف إليها روح القدس حتى تنصرف إلى روح القدس الذى نزل على (تلاميذ المسيح) ، ولا تنصرف إلى النبى الذى يأتى بعد المسيح وهو محمد ﷺ .

والتحريف واضح جلىٌّ فى هذه الترجمة ، إذ لا يمكن أن تكون كلمة (البارقليط) تعنى (المعزى) أو المحامى ، أو الشخص الذى يُدْعى للمساعدة ، أو الوسيط ، فالكلمة اليونانية المرادفة لذلك المعنى هى (بارا كالون Paracalon) .

من الفعل (باراكالو Parakaloo) الذى يعنى : « ينادى ، يدعو ، يحث ، يعزى ، يرجو ، يناشد » .

ففى العبارة « الشخص الذى يعزينا فى جميع أحزاننا » – مثلاً – تستعمل كلمة Paracalon وليس Paraclytos .

كما أن هناك كلمة يونانية أخرى مرادفة لكلمة « معزى » وهى :

(باريجوريتس Parygorytys) بمعنى (أنا أعزى) .

وأيضاً فاللفظة اليونانية المرادفة لكلمة Advocate محامى هى Sanegorus ولكلمة « وسيط » أو « شفيع » هى « Meditea » ميديتا » .

ومن المثير للدهشة أن هذا الاسم الفريد الذى لم يُعْط لأحد من قبل ، كان محجوزاً بصورة مُعْجِزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء ، لذلك تناوله كلٌّ من تكلم فى البشارات

ودلائل النبوة (١) .

وقد قدم الإمام ابن تيمية - بصدد تفسير بشارة الإنجيل بالفارقليط - دراسةً متكاملة الجوانب ، لا أظن أحداً سبقه إليها فى شمولها ، وترتكز تلك الدراسة على محاور ثلاثة :

أولاً : المعنى اللغوى لـ « الفارقليط » :

فيذكر أن هنالك أقوالاً فى معنى « الفارقليط » ، منها : أنه الحمّاد ، والحمد والحامد ، والمعزِّ (فى لغة اليونان) ، والمخلص (فى السريانية) .

ثم يرفض القولين الأخيرين ، لأن المسيح لم يكن لسانه سريانياً ولا يونانياً ، بل تكلم بالعبرانية ، وترجم عنه باللغات الأخرى .

---

(١) راجع - فى ذلك - :
- الدين والدولة ، ص ١٢٤ .
- مقامع هامات الصلبان ، ص ٢٢٠ .
- الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، ص ٢٦٨ .
- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، ص ٣٩ ، ١٣٦ .
- النصيحة الإيمانية ، ص ١٣٩ .
- هداية الحيارى ، ص ١١٦ .
- إظهار الحق ، ص ٦٣٠ .
- محمد فى الكتاب المقدس : عبدالأحد داود ، ص ٢١٦ ، طبع رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- القرآن والتوراة والإنجيل والعلم : موريس بوكاى ، ص ١٢٥ ، طبع دار المعارف ، بدون تاريخ أو رقم .
- قصص الأنبياء : عبدالوهاب النجار ، ص ٤٧٣ ، مكتبة دار التراث ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

ثانياً : مناقشة تفسير النصارى للفارقليط :

يذهب النصارى إلى أن الفارقليط هو المعزى الروح القدس الذى نزل فى عيد الخمسين – عيد الحصاد – وبلبل ألسنة التلاميذ وأنطقهم بلغات مختلفة كما يحكى الإصحاح الثانى من سفر أعمال الرسل (١) :

« ولما جاء يوم الخمسين وفيما كانوا جميعاً متفقين فى مكان واحد ، فجاء من السماء بغتةً صوتٌ كصوت عصف ريح شديد فملأ كلَّ البيت الذى كانوا جالسين فيه ، وتراءت لهم ألسنةٌ منقسمة كأنها نار ، واستقرت على واحد فواحد منهم ، فامتلأوا كلهم من روح القدس ، وطفقوا ينطقون بلغات أخرى كما كان الروح القدس يؤتيهم النطق » .

ويرى الإمام أن ذلك التفسير باطل ، ووجوه بطلانه متعددة (٢) :

أولاً : أن الروح القدس مازالت تنزل على الأنبياء والصالحين قبل المسيح وبعده ، وهذا مما اتفق عليه أهل الكتاب ، ولكن لم يسمِّها أحدٌ أو يصفها بالفارقليط ، وهذا يدل على أن الفارقليط أمر غير هذا .

والثانى : أن الفارقليط موصوف بصفات لا تناسب روحاً وإنما تناسب رجلاً يأتى بعد المسيح من خصائصه :

١ – أنه « فارقليطاً آخر » (٣) وهذا يدل على أنه ثان لأول كان قبله ، ولم يكن معهم فى حياة المسيح إلا هو ، ولم تنزل عليهم الروح إلا بعد رفع المسيح كما يحكى سفر أعمال الرسل (٤) .

---

(١) راجع فى ذلك :
- ابن القيم : هداية الحيارى ، ص ١٢٠ – ١٢١ .
- عبد الأحد داود : محمد ﷺ فى الكتاب المقدس ، ص ٢١١ .
- رحمة الله الهندى : إظهار الحق ، ص ٦٣٣ .
- موريس بوكاى : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) الجواب الصحيح (٤/٩ – ١١) .

(٣) يوحنا (١٤/١٥ – ١٧) .

(٤) أعمال الرسل (٢/١ – ٤) .

٢ - أنه يشهد للمسيح أمام الناس ، ويعلّمهم كلّ شئ ، ويذكرهم كل ما قال المسيح ، ويوبخهم على الخطيئة .

وهذه الصفات لا تنطبق على شئ فى قلب بعض الناس لا يراه غيرهم ولا يسمع كلامه ، وإنما تنطبق على من يراه الناس ، ويسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ويعلمهم كل شئ ، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح ، ويوبخ الناس على الخطيئة ، ويرشد الناس إلى جميع الحق ، وهو لا ينطق من عنده ، بل يتكلم بما يسمع ، ويخبرهم بكل ما يأتى ، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين .

وهذا لا يكون ملكاً لا يراه أحد ، ولا يكون هدى ولا علماً فى قلب بعض الناس ، بل لا يكون إلا إنساناً عظيم القدر ، يخاطب الناس بما أخبر به المسيح وهذا لا يكون إلا بشراً رسولاً ، بل يكون أعظم من المسيح ، فالمسيح قد بين أنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح من خطاب الناس فى أمور عظيمة ، لا تحملها عقول أولئك .

وتوافق الدراسة الدقيقة للأناجيل ما ذهب إليه الإمام [1] من جهتين :

أولاهما : أن النسخة اليونانية للأناجيل تستخدم فى وصف البارقليط الروح القدس بالإصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا الفعل (Akouo) يسمع ويعنى استقبال أصوات ، والفعل (Laleo) يتحدث ، ومعناه العام إصدار أصوات وخاصة صوت الكلام ، ويستخدم هذا الفعل كثيراً فى النص اليونانى عند الحديث عن تبشير المسيح فى الجليل بملكوت الرب مما يؤكد أن مفهوم إصدار الأصوات المرتبط بالكلمة بعيد كل البعد عن إلهام الروح القدس .

إذن فالفعلان اليونانيان (Laleo , Akouo) يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام ، وبالتالى فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن .

كما أن نص الفقرة (٢٦) من الإصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا كما تسلّمه لنا

---

(١) أثبتت الدراسات النقدية الحديثة أن : مسألة بلبلة الألسنة خرافة أو أسطورة فلكلورية قديمة أقدم بكثير من حياة المسيح . انظر : الفلكلور فى العهد القديم : جميس فريزر : بترجمة سعادة إبراهيم ، نشر دار المعارف بالقاهرة .

المخطوطات اليونانية غير مفهوم بالمرة إذا ما قبلناه بتمامه مع كلمتى « الروح القدس » ، ولكن إذا حذفنا كلمتى « الروح القدس » من هذه الجملة (وهى الوحيدة فى الإنجيل التى تثبت تطابقاً بين البارقليط والروح القدس) فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح (١) .

والثانية : أن الروح القدس موصوف بأنه شئ آخر غير مشخص ، كما أنه ليس شخصية مستقلة (٢) :

(أ) فى إنجيل لوقا (١١/١١ - ١٣) يقال : إن الروح القدس « هبة » من الله ، والمفارقة بين الهبات الطيبة التى يعطيها الآباء الشريرون والروح القدس الذى يمنح للمؤمنين بالله تستبعد كلية فكرة وجود أية شخصية للروح .

(ب) فى رسالة بولس الأولى إلى أهل قرنثية (٢/١٤) يوصف هذا الروح بعدم استطاعة تمييزه إلا تمييزاً روحياً فقط ، ومن قِبَلِ الروحانيين وحدهم .

(جـ) وفى نفس الرسالة أيضاً (٦/١٩) نقرأ أن عباد الله الأتقياء يطلق عليهم : « هيكل الروح القدس » تلك التسمية التى « تلقوها من الله » وهذا دليل على أن الروح الإلهى ليس شخصاً أو ملاكاً ولكنه كلمة الله أو قداسة الله أو قوة الله ودينه .

(د) فى الرسالة الموجهة إلى الرومان (٨/٩) فإن هذه الروح نفسها التى تعيش داخل المؤمنين تسمى « روح الله » و « روح المسيح » بالتناوب ، وتعنى هذه العبارة أن الروح هى الإيمان ودين الله الحقيقى الذى نادى به عيسى .

ويجدر بنا أن نشير إلى أن كبار النصارى الأُوَل لم يكن لديهم تصور معين أو معرفة محددة أو اعتقاد واضح حول روح القدس إذ (٣) :

(أ) يفهم « هرماس » أن الروح القدس يعنى العنصر الإلهى فى المسيح .

(ب) يفهم « جوستين » المسمى بالشهيد (١٠٠ - ١٦٧م) (Justin the martyr) ، وتيوفيلس (Theophilus) أن الروح القدس تعنى أحياناً نوعاً غريباً من إظهار الكلمة

---

(١) موريس بوكاى : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، ص ١٢٨ .

(٢) عبد الأحد داود : محمد ﷺ فى الكتاب المقدس ، ص ٢١١ - ٢١٣ .

(٣) السابق ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

وأحياناً صفة إلهية ، ولكن لا تعنى شخصاً إلهياً أبداً .

(جـ) يقول « أثينا غوراس » (١١٠ - ١٨٠م) : إن الروح القدس هى فيض من الله يأتى منه ويعود إليه كأشعة الشمس .

(د) يقول « ايرينايوس » (Irenaeus) (١٣٠ - ٢٠٢م) : إن الروح القدس والابن خادمان لله ، وإن الملائكة يخضعون لهما .

(هـ) يعطى « أوريجن » (Origen) (١٨٥ - ٢٥٤م) شخصية للروح القدس ، ويجعله من مخلوقات الابن .

وظل هذا الخلط والتخبط فيما يتعلق بطبيعة الروح القدس سائداً طوال أربعة قرون ، فلم يتم تحديد سمات وخصائص هذا الروح إلا فى مجمع القسطنطينية سنة ٣٨٣م ، حيث أعلن المجمع (مصنع الآلهة النصرانى) أن الروح القدس أقنوم إلهى ثالث إلى جوار الآب وابنه ، مشارك لهما فى الطبيعة والزمن والحياة الأبدية ، خالق ، ممجد ، مسجود له مع الآب وابنه (١) .

أما الحقيقة ، فليس لدى النصارى فكرة محددة ، أو تصور دقيق أو اعتقاد واضح مستقيم بخصوص الروح القدس :

أهو إله كما يقول المجمع القسطنطينى ؟ أم هو ملاك كجبريل أو غيره ؟ أم هو نور يقذفه الله فى قلوب المخلصين من عباده ؟

فإذا كان إلهاً فكيف يجرؤ الشيطان على الاقتراب من الرجل المقدس المؤلّه إلى حدٍّ ما (المعمَّد) ؟ بل إغرائه وغوايته ؟ وكيف يستطيع الشيطان أن يطرد الروح القدس ويستقر هو فى قلب الزنديق المعمد ؟ ولماذا لا يعتقد النصارى جميعاً أنهم آلهة مقدسة لأن الروح القدس قد حلّ فيهم جميعاً بعد عمادهم ؟ .

---

(١) ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، ص ١٤٥ - ١٤٦ .
يخطئ النصارى - ومن تابعهم من الباحثين المسلمين - فى التأريخ بمجمع القسطنطينية بأنه كان عام ٣٨١م .
إذا أشار ابن البطريق إلى أن المدة من مجمع « نيقية » حتى مجمع القسطنطينية الأول هى « ثمان وخمسون سنة » ، ومن المعلوم أن مجمع نيقية كان عام ٣٢٥م ، فيكون مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨٣ م ، وليس ٣٨١م . راجع تاريخ ابن البطريق ، ص ١٤٦ .

وإذا كان ملاكاً كجبريل وغيره فكيف يزعمون أنه معهم دائماً ، وفى كل خطواتهم وتحركاتهم ؟ فالمعلوم أن جبريل مسكنه مع الملائكة فى السماء .

وإذا كان نوراً قذفه الله فى قلوب أتباع المسيح ، فما الحاجة إلى نزوله مرة أخرى على التلاميذ وتعليمهم اللغات المختلفة ما دام قد استقر فى قلوبهم ؟

* * * * *

ثالثاً : تطبيق البشارة على النبى محمد ﷺ :

وذلك من ثلاث نواح : من حيث اللغة ودلالة اللفظ ، ومن حيث التأويل والتفسير ، ومن حيث الوصف وسمات المبشر به .

(أ) من حيث اللغة :

فإن كان معنى الفارقليط هو الحامد أو الحماد أو الحمد ، فهذا الوصف ظاهر فى محمد ﷺ ، فإنه وأمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال والحمد مفتاح خطبته وافتتاح صلاته ، فلما كان حماداً جوزى بوصفه فكان محمداً أو أحمد .

أما محمد فهو الذى يحمد حمداً كثيراً مبالغاً فيه ويستحقه ، وفى شعر حسان بن ثابت :

وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ .. فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

وأما أحمدفهو أفعل التفضيل ، هو أحمد من غيره أى أحق بأن يكون محموداً أكثر من غيره ، يقال : هذا أحمد من هذا ، أى هذا أحق بأن يحمد من هذا ، فيكون فيه تفضيل له على غيره فى كونه محمداً .

ومن الناس من يقول : إن أحمد أى أكثر حمداً من غيره ، فعلى هذا يكون بمعنى الحامد والحماد .

فإن كان كذلك فهو ما جاء فى القرآن : ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١) .

(ب) من حيث التأويل والتفسير :

قدّم النصارى للفارقليط – كما سبق – تفسيرات عديدة ، منها : المعزّى ، المخلّص ، روح القدس .

فيجاريهم ابن تيمية للخروج بنتيجة مؤداهـا أن محمـداً ﷺ هو المعزى (٢) ،

---

(١) الصف : (٦) .

(٢) ابن تيمية يظن أنه المعزُ من العزّة ، وليس المعَزّى بمعنى النائب وهو محل نظر ، فالتفسيرات التى قدمها النصارى وتراجم أناجيلهم على أنه المعزّى .

المخلص ، روح القدس .

فإن كان معنى الفارقليط المعز . فلم يعرف قط نبى أعز أهل التوحيد والإيمان كما أعزهم محمد ﷺ ، فهو أحق - إذن - باسم المعز من كل إنسان على وجه الأرض .

وإن كان معناه المخلِّص ، فهو أيضاً ظاهر فيه ، فإن المسيح هو المخلص الأول كما يقول الإنجيل ، فيكون المسيح هو الفارقليط الأول ، والنبى محمد ﷺ هو الفارقليط الثانى المبشر به ، وقد وصف هذا الفارقليط بأنه يثبت إلى الأبد ، ومحمد ﷺ هو المخلص الذى جاء بشرع باقٍ إلى الأبد لا يُنْسَخ .

فإن فسر الفارقليط بروح الحق أو روح القدس ، فهو النبى محمد ﷺ الذى بشر به عيسى ، ذلك لأن الروح عند النصارى يتناول النبى المرسل من البشر والأرواح التى يرسلها الله ، كما قال يوحنا فى سفر أعمال الرسل [1] .

« يا أحبابى إياكم أن تؤمنوا بكل روح ، لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله من غيرها ، واعلموا أن كل روح يؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء فكان جسدانياً ، فهى من عند الله ، وكل روح لا يؤمن بأن المسيح قد جاء فكان جسدانياً ، فليس من عند الله ، بل من المسيح الكذاب الذى هو الآن فى العالم .

ومن جهة أخرى فإن جبريل الذى نزل بالوحى على محمد ﷺ هو روح القدس ، وهو روح الحق كما قال - تعالى - ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [2] .

وهذا الروح جاء بمجئ محمد ﷺ ، والكلام الذى نزل به هو الذى بلغه محمد ﷺ وهما متلازمان يلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر ، ومن الإيمان بأحدهما الإيمان بالآخر ، لأن كلاً منها يبلِّغ عن مُرْسله ، لذلك يشير الله - تعالى - إلى القرآن بنزوله على هذا تارة وعلى هذا تارة أخرى . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [3] ، فهذا الرسول جبريل .

ويقول تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ، وَلاَ

---

(٢) أعمال الرسل (١/٤ - ٣) .

(١) النحل : (١٠٢) .

(٢) التكوير : (٢٠ - ٢١) .

بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [1] ، فهذا الرسول هنا محمد ﷺ .

(جـ) من حيث الوصف وسمات المبشَّر به :

إذ وصف هذا الفارقليط بأنه :

- يشهد للمسيح .
- يعلم الناس كل شئ .
- يذكرهم بكل ما قال المسيح .
- يوبخ العالم على الخطيئة .
- لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من عند الله .

فهذه الصفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ .

فلم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس إلا محمد ﷺ ، فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق ، حتى سمع الناس شهادته فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعلموا أنه صدق المسيح ونزهه عما افتراه عليه اليهود ، وغلت فيه النصارى .

ولهذا عندما سمع « النجاشى » من الصحابة ما شهد به محمد ﷺ للمسيح قال لهم : « ما زاد عيسى على ما قلتم شيئاً » .

كذلك أرشد محمد ﷺ الناس إلى جميع الحق ، حتى أكمل الله به الدين ، وأتم به النعمة ، لهذا كان خاتم الأنبياء ، فإنه لم يبق شئ يأتى به غيره ، فقد أخبر ﷺ بكل ما يأتى من أشراط الساعة ، والقيامة والحساب والصراط ووزن الأعمال ، والجنة وأنواع نعيمها ، والنار وأنواع عذابها ، ففى القرآن من تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار ، وما يأتى من ذلك أمور كثيرة لا توجد لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ، وذلك تصديق قول المسيح : إنه يخبر بكل ما يأتى ويعلِّم كل شئ .

ولم يوجد أحد وبَّخ جميع العالم على الخطيئة إلا محمد ﷺ فإنه أنذر جميع العالمين

---

(١) الحاقة : (٤٠ -٤٣) .

من أصناف الناس ، ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ، ووبخ جميع المشركين من العرب والهند والترك والمجوس وأهل الكتاب اليهود والنصارى ، وقال فى الحديث الصحيح :

« إنَّ اللَّـهَ نَظَرَ إلى أهل الأرض ، فَمَقَتَهم ، عُرْبَهم وعَجَمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب » .

ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهى ، بل وبَّخَهم وقرعهم وتهدَّدهم .

وأيضاً محمد ﷺ لم ينطق إلا بما يسمعه من الوحى ، فهو مُبَلِّغ لما أرسل به ، وقد قيل له : ﴿ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١) ، فضمن الله له العصمة إذا بلغ رسالاته ، فلهذا أرشد الناس إلى جميع الحق وألقى إلى الناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء إلقاءه ، خوفاً أن يقتلوه ، كما يذكرون عن المسيح وغيره .

* * * * *

(١) المائدة : (٦٧) .

ثانياً : القرآن الكريم :

هو آية الله الكبرى ، الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كتاب ليس كالكتب ، آية ليست كالآيات ، سر ليس كالأسرار ، معجزة ليست كالمعجزات ، كلام ليس كالكلام .

هو كلام الله الحى القيوم ، تلقاه محمد النبى الأمى ﷺ عن ربه بواسطة الروح الأمين جبريل (عليه السلام) لهداية البشرية إلى طريق النور والفلاح ، وتطهير الإنسانية من دنس الفطرة ورجس الشرك والوثنية ، واستبداد البدع والتقاليد الجاهلية ، ولتحرير العقل البشرى والإرادة الإنسانية من رق العبودية للمنتحلين صفات الربوبية .

فجعل الله - تبارك وتعالى - حجة نبوة محمد ﷺ عين موضوع نبوته ، إذ في القرآن الدعوة وبه الحجة على الخلق ، فللنبى ﷺ به اختصاص على غيره ، فإن الخوارق - فى الغالب - تقع مغايرة للوحى الذى يتلقاه النبى ، ويأتى بالمعجزة شاهدة مصدقة لذلك الوحى (١) .

أما القرآن فهو بنفسه الوحى المدَّعى ، وهو الخارق المُعجز ، فشَاهدُه فى عينه ، لا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحى ، فهو أوضح دلالةً لاتحاد الدليل والمدلول فيه كما قال النبى ﷺ (٢) :

« مَا مِنْ نَبِىٍّ مِنَ الأَنْبِياءِ إِلاَّ وَقَدْ أُوتِىَ مِنَ الآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِه الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَىَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٢) .

وهو آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر ، معلومة لكل أحد ، وهى من أعظم الآيات على نبوته ﷺ إذ تتنوع دلائل إعجازه ووجوه إعجازه ، وكل وجه من وجوه إعجازه دليل إعجاز مستقل وهو كاف فى الدعوة والبيان وفى الحجج والبرهان ، لذلك قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ . قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ . إِنَّ فِى ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) الجواب الصحيح (٧١/٤) .

(٢) البخارى (كتاب فضائل القرآن / باب كيفية نزول الوحى وأول ما نزل) .

مسلم (كتاب الإيمان / باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) .

(٣) العنكبوت : (٥٠ - ٥١) .

ووجوه دلالة القرآن على نبوة المصطفى ﷺ لدى ابن تيمية متعددة [1] :

١ - جملة ، وهى ظاهرة لكل أحد .

٢ - تفصيلاً ، يعرفها من له تدبر ونظر من أهل العلم .

أما الجملة ، فقد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم علماً متواتراً أنه هو الذى أتى بهذا القرآن .

كما أن القرآن نفسه فيه تحدى الأمم بالمعارضة . قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لاَ يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [2] .

ثم تحداهم بعشر سور مثله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [3]. ثم تحداهم بسورة واحدة منه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ . قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [4] . وكان ذلك التحدى بمكة .

ثم أعاده فى المدينة بعد الهجرة فقال فى سورة البقرة :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [5] .

ثم قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [6] .

يقول ابن تيمية : « فذكر أمرين :

أحدهما : قوله ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ﴾ .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٧١ - ٧٩) .
(٢) الطور : (٣٢ - ٣٣) .
(٣) هود : (١٣) .
(٤) يونس : (٣٧ - ٣٨) .
(٥) البقرة : (٢٣) .
(٦) البقرة : (٢٤) .

أى إذا لم تفعلوا فقد علمتم أنه حق ، فخافوا الله أن تكذبوه ، فيحيق بكم العذاب الذى وعد به المكذبين .

والثانى : قوله ﴿ ولن تفعلوا ﴾ فـ ﴿ لن ﴾ لنفى المستقبل ، فثبت الخبر أنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بسورة من مثله »[1] .

كما أنه قد سبق خبره لهم فيما مضى : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [2] .

فعمَّ أمره له أن يخبر جميع الخلق بعجزهم عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك ، وهذا التحدى والدعاء لجميع الخلق ، وقد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه العام والخاص .

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد مرة ، وهى تبطل دعوته إن حدثت ، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها ، فإنه - مع قيام الداعى المؤكد التام - إذا كانت القدرة وجب قيام المقدور ، فإذا انتفى المقدور علم انتفاء القدرة على ذلك .

وهذا يوجب العلم البيِّن لكل أحد يعجز جميع أهل الأرض عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، وهذا أبلغ من الآيات التى يكرر جنسها كإحياء الموتى وغيره ، فإن هذا لم يأت أحد بنظيره .

ولا يتصور أن بشراً يجزم بهذا الخبر إلا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق ، إذ علم العالم بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة هو من أعظم دلائل كونه معجزاً ، وكونه آية على نبوته ، فهذا من دلائل نبوته عند من سمع هذا الكلام ، وعلم أنه من القرآن الذى أمر ببلاغه إلى جميع الخلق ، وهو - وحده - كافٍ فى العلم بأن القرآن معجز[3] .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٧٣) .

(٢) الإسراء : (٨٨) .

(٣) الجواب الصحيح (٤/٦٦) .

أما التفصيل فمعجزة القرآن بينهُ من وجوه متعددة :

١ - من جهة اللفظ .

٢ - من جهة النظم والأسلوب ، فأسلوب القرآن ونظمه عجيب بديع ، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الرسائل ولا الخطابة ، ولا نظمه نظم شئ من كلام الناس عربهم وعجمهم .

٣ - من جهة خلوه من التناقض .

٤ - من جهة فصاحته وبلاغته فى دلالة اللفظ على المعنى .

٥ - من جهة التشريعات التى جاء بها .

٦ - من جهة العلوم الخلقية والسياسية التى حواها .

٧ - من جهة المعانى التى أخبر بها عن الله - تبارك وتعالى - وأسمائه وصفاته .

٨ - من جهة المعانى التى أخبر بها عن الملائكة والجن وخلق آدم وغيره .

٩ - من جهة المعانى التى أخبر بها عن المعاد والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار .

١٠ - من جهة المعانى التى أخبر بها عن الغيب الماضى وأخبار الأمم السابقة وأحوالها .

١١ - من جهة المعانى التى أخبر بها عن الغيب المستقبل .

١٢ - من جهة ما فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية والأمثال المضروبة . كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً ﴾ (٢) .

---

(١) الكهف : (٥٤) .

(٢) الإسراء : (٨٩) .

ويذهب الإمام إلى أن تلك ليست كلَّ وجوه إعجاز القرآن بل كل ما يذكره الناس من وجوه إعجازه هو حجة على إعجازه ، فكل واحد يتنبه إلى ما لا يتنبه إليه الآخر [(١)] .

فالله يُظْهِر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية ما يبيّن به أن القرآن حق كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ؟ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ؟ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ . أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؟! ﴾ [(٢)] .

أخبر سبحانه – أنه سيرى العباد الآيات فى أنفسهم وفى الآفاق حتى يتبين لهم أن القرآن حق ، فالضمير عائد إليه ، إذ هو المتقدم ذكره فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [(٣)] فالضمير فى كان عائد إلى القرآن .

أما المتكلمون الذين ذهبوا إلى أن إعجاز القرآن فى الصرفة ، أى فى صرف الدواعى عن معارضته مع قيام الموجب لها ، وذلك بسلب القدرة المعتادة فى الإتيان بمثله [(٤)] ، كما قال – تعالى – لزكريا :

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٧٥) .

(٢) فصلت : (٥٢ – ٥٣) .

(٣) فصلت : (٥٢) .

(٤) نسب هذا القول إلى النظام من المعتزلة فقد ذهب إلى أن إعجاز القرآن من جهة صرف الدواعى عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً ، حتى لو خلاّهم لكانوا قادرين على أن يأتو بسورة من مثله : بلاغة وفصاحة ونظماً .

الشهرستانى : الملل والنحل (١/٥٦) .

وتابع جماعة من الأشاعرة النظام فيما ذهب إليه ، يقول الشهرستانى :

« ومن أصحاب الأشعرى من اعتقد أن الإعجاز فى القرآن من جهة صرف الدواعى وهو المنع من المعارضة » .

الشهرستانى : الملل والنحل (١/١٠٣) .

وذهب ابن حزم إلى ما ذهب إليه النظام إذ يقول ما نصه : « وقد ظن قوم أن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن فى أعلى طبقات البلاغة . وهذا خطأ شديد ، ولو كان ذلك – وقد أبى الله أن يكون – لما كان حينئذ معجزه ، لأن هذه صفة كل باسق فى طبقته ، والشئ الذى هو كذلك وإن كان قد سبق فى وقت ما فلا يؤمن أن يأتى فى غد ما يقاربه بل ما يفوقه ولكن الإعجاز فى ذلك إنما هو أن الله – عز وجل – حال بين العباد وبين =

﴿ أَيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [1] .

فيذهب الإمام إلى وهن حجتهم وضعف قولهم [2] ، ويرى أن الصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرون على ذلك ، ولا يقدر محمد ﷺ نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر [3] ، كما قد أخبر فى قوله : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [4] .

وأيضاً فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة ، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه .

وقد انتدب غير واحد لمعارضته ، لكنه جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلمة الكذاب الذى قال فيه : « يا ضفدع بنت ضفدعين ! نِقِّى كم تَنقِّين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ، رأسك فى الماء ، وذنبك فى الطين » .

كما أن حال قدرة العرب لم يختلف قبل سماعه وبعد سماعه ، فلم يجدوا أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه ، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه .

ويبدو أن الإمام فى دفاعه المتين عن وجوه الإعجاز القرآنى ، وتفنيده لأى شبهة - من جانب المتكلمين أو غيرهم - تحاول نقض وجه من وجوه إعجازه ، يرجع إلى أن دلالة القرآن على نبوة محمد ﷺ لديه من باب التلازم إذ يقول : « ولمَّا كان الرسول الملكى

= أن يأتوا بمثله ، ورفع عنهم القوة فى ذلك جملة .

وهذا مثل لو قال قائل إنى أمشى اليوم فى هذه الطريق ، ثم لا يمكن أحد بعدى أن يمشى فيها ، وهو ليس بأقوى من سائر الناس .

وأما لو كان العجز عن المشى لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشى لما كانت آية ومعجزة » .

ابن حزم الظاهرى : الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٨٧/١) ، وراجع أيضاً (١٢/٣) .

(١) مريم : (١٠) .

(٢) الجواب الصحيح (٧٥/٤) .

(٣) السابق (٧٥/٤) .

(٤) الإسراء : (٨٨) .

والرسول البشري والذكر المنزل أموراً متلازمة ، يلزم من ثبوت واحد ثبوت الآخرين ومن الإيمان بواحد الإيمان بالآخرين ، فيلزم من كون القرآن حقاً كون جبريل ومحمد حقاً »[1] .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٤/٢١ - ٢٢) .

ثالثاً : المعجزات :

المعجزة لدى ابن تيمية كل خارق للعادة ، ومجاله أركان الكمال الثلاثة : العلم ، القدرة ، الغنى .

فتلك الصفات لا تتحقق على وجه الكمال إلا لله وحده تبارك وتعالى ، فإنه الذى أحاط بكل شئ علماً ، وهو على كل شئ قدير ، وهو غنى عن العالمين (١) .

لذلك - عندما طالب المشركون الرسول ﷺ بعلم الغيب ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ (٢) .

وتارة بالقدرة على التأثير : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً ، أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴾ (٣) .

وعابوا عليه الحاجة والبشرية : ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ ، أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾ (٤) .

أمره الله أن يخبر أنه لا يعلم الغيب ، ولا يملك خزائن الله ، ولا هو ملك غنى عن الأكل والمال : ﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ (٥) .

وإنما ينال من هذه الأركان الثلاثة بقدر ما يعطيه الله - تعالى - فيعلم منه ما علمه إياه ، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه ، ويستغنى عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة (٦) .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/١٥٣) .
(٢) الأعراف : (١٨٧) .
(٣) الإسراء : (٩١) .
(٤) الفرقان : (٧ - ٨) .
(٥) الأنعام : (٥٠) .
(٦) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/١٥٤) .

ودلالة المعجزات لدى ابن تيمية ليست قاصرة على تأييد الرسل بل يُعْلم بها ثبوت الصانع وصدق رسوله معاً ، فمن نازع في إثبات صانع يقلب العادات ويغير العالم عن نظامه فأظهر المدعى للرسالة المعجز الدال على ذلك ، علم بالضرورة ثبوت الصانع الذى يخرق العادات ، ويغير العالم عن نظامه المعتاد .

فانقلاب العصا حية أمر يدل بنفسه على ثبوت صانع قدير عليم حكيم أعظم من دلالة ما اعتيد من خلق الإنسان من نطفة ، فإذا كان ذاك يدل بنفسه على إثبات الصانع ، فهذا أولى :

ذلك أن الآيات التى يستدل بها على ثبوت الصانع تدل المعجزة كدلالتها وأعظم .

لهذا عندما قال فرعون لموسى : ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [1] قال له موسى : ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ، وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [2] .

ففرعون كان منكراً للصانع ، مستفهماً عنه استفهام إنكار سواء كان فى الباطن مقراً به أو لم يكن ، ثم طلب من موسى آية فأظهر آيته ، ودل بها على إثبات إلهية ربه وإثبات نبوته جميعاً .

ولهذا قال السحرة لما عارضوا معجزته بسحرهم ، فبطل سحرهم وتبين أن تلك آية لا يقدر عليها المخلوقون : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [3] .

فكان إيمانهم بالله لما شاهدوا معجزة موسى – عليه السلام – فكانت المعجزة مبينة للعلم بالصانع وبصدق رسوله [4] .

وتدل المعجزات على الصانع – لدى الإمام – من جهتين [5] :

---

(١) الشعراء : (٢٩) .
(٢) الشعراء : (٣١ – ٣٣) .
(٣) الشعراء : (٤٧ – ٤٨) .
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٩/٤٣ – ٤٤) ، (٧/٣٠٧ – ٣٠٨) .
(٥) السابق (٩/٤١) .

أحدهما : أن الإقرار بالصانع فطرى ضرورى لا يحتاج إلى نظر ، فإذا شوهدت المعجزات أمكن أن يُعلم بها صدق الرسول المخبر عنه .

الثانى : أن نفس المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله ، لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها ، وأنه أحدثها لتصديق الرسول ، وإن لم يكن قبل ذلك فقد تقدم من العبد معرفة الإقرار بالصانع .

ويرى الإمام أن جميع أنواع المعجزات والخوارق قد جُمعت لنبينا محمد ﷺ سواء من جهة العلم أو القدرة (١) .

إلا أنه عند عَرْض المعجزات لم يورد أمثلة للقسم الثالث وهو المعجزات المتعلقة بنوع الاستغناء ، وما ذلك - فى نظرى - إلا لمتابعته السابقين من المصنفين فى دلائل النبوة .

غير أن تقسيم المعجزات إلى أبواب : العلم والقدرة والاستغناء قد انفرد به الإمام بلا شك ولم يُسْبَق إليه ، فالمصنفون السابقون كانوا يوردون دلائل النبوة مقسمة إلى أنواع على النحو التالى (٢) :

١ - القرآن الكريم .

٢ - البشارات .

٣ - إخباره عن الأمم السابقة .

٤ - إخباره عن الأخبار المستقبلة .

٥ - معجزاته .

٦ - موافقته لما جاءت به الأنبياء قبله .

٧ - أخلاقه .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/١٥٥) .
- الجواب الصحيح (٤/١٢٩ ، ٤/١٣٣) .

(٢) راجع مثلاً :
- على بن ربن الطبرى : الدين والدولة .
- القاضى عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة .
- القرطبى المفسر : الإعلام .

فكانوا يوردون معجزاته الخبرية عن الماضى والمستقبل كنوعين منفصلين من أنواع الدلائل ، دونما مبرر مقبول ، أو تعليل معقول ، أما الإمام فقد أخضع تقسيم الدلائل إلى التأصيل المنهجى الذى يضع كل نوع فى مقام يميزه عن غيره ولا يدخل فيه ما ليس فيه ، ولا يخرج منه ما هو منه .

وقد احتلت مسألة المعجزة مكاناً بارزاً فى فكر ابن تيمية ، لكونها من المسائل العظيمة التى تبنى عليها أصول العلم والإيمان ، كما أن الخطأ فيها يؤدى إلى فساد الشرائع والأديان (١) فالحديث فيها ليس قاصراً على النصارى وحدهم ، بل يتعداهم إلى المتكلمين وآرائهم فى المعجزات (٢) .

كذلك تبرز أهمية الحديث عن المعجزة فى مواجهة الفلاسفة الذين أنكروا كثيراً من المعجزات ، وزعموا أنها قوى نفسانية ضمن ثلاث قوى هى خصائص النبوة عندهم (٣) وهى :

١ - القوة القدسية .

٢ - القوة التخييلية .

٣ - القوة النفسانية .

وسنقتصر فى الأمثلة المؤيدة لمنهج الإمام على ما يبين ويوضح تقسيم المعجزات إلى جنس : العلم والقدرة والاستغناء وذلك على النحو التالى :

---

(١) الصفدية : بتحقيق الدكتور رشاد سالم (١/٢٣٦) طبعة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م على نفقة الملك فيصل .

(٢) خصص الإمام كتاب النبوات للرد على المتكلمين وآرائهم فى المعجزة .

(٣) الإشارات والتنبيهات بتحقيق د . سليمان دنيا (٢/٣٦٨ - ٣٧٠ ، ٣/٨٥٣ ، ٤/٩٠٣) طبع دار المعارف ١٩٥٧ - ١٩٥٨ .

وقد خصص الإمام للرد على مفكرى المعجزات من الفلاسفة جزءاً كبيراً من كتاب الصفدية .

(أ) معجزات العلم

(إخبــاره بالغيـــوب)

وهي تلك الأخبار الغيبية التي لا يعلمها إلا نبي أعلمه الله بها ، أو تعلمها من نبي أعلمها الله إياه ، وهذا الغيب هو الذي قال الله تعالى فيه في سورة الجن: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ، إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ﴾ (١).

فبين أنه غيب يضاف إليه يختص به لا يعلمه أحد إلا من جهته بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم ، فإن هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض أما تلك الأنباء الغيبية فلا يطلع عليها أحد من الملائكة أو البشر إلا من يرتضى الله - تبارك وتعالى - من الرسل (٢) .

وهذه الأخبار الغيبية من أخص الخصائص ، وأبين الأعلام ، وأول الدلائل على نبوة الأنبياء ، لذلك كانت موضع اختبار وامتحان أهل الكتاب لنبوة محمد ﷺ (٣) .

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال :

« جاء عبد الله بن سلام إلى رسول الله ﷺ فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ والولد ينزع إلى أمه تارة وإلى أبيه تارة ؟

قال النبي ﷺ :

أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ آنِفاً - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ - أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ ، وَأَمَّا الْوَلَدُ فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَ الْوَلَدُ إِلَى أُمِّهِ .

---

(١) الجن : (٢٦ - ٢٨) .

(٢) الجواب الصحيح (٥٨/٤) .

(٣) السابق (٥٩/٤) .

فقالَ : أشْهَدُ أنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهِ وأشْهَدُ أنَّكَ رَسُولُ اللهِ » [1] .

فهؤلاء السائلون كانوا يعلمون أن تلك المسائل لا يعلمها إلا الأنبياء أو من تعلم منهم ، لذلك كانوا يمتحنونه بها ، ليتبين : هل يعلمها ؟ فإذا كان يعلم ما لا يعلمه إلا نبى كان نبياً ، وكان ذلك له آية بينة وبرهاناً قاطعاً على نبوته .

فلما أجابهم عنها علموا أنه نبى ، وما ذاك إلا لأنهم يقطعون بأنه كان أمياً لا يقرأ ولا يخط كتاباً من الكتب المنزلة ولا من غيرها ، كما أنه لم يجلس إلى أحد من أهله أو من غيرهم ليتعلم منهم شيئاً تلقيناً وحفظاً ، وقد أشار القرآن إلى ذلك المعنى فى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلمُتَّقِينَ ﴾ [2] .

إذ لا يتم المقصود من امتحانه ، ولا يدل جوابه عن تلك المسائل على نبوته إلا إذا تم العلم بأنه لم يتعلم تلك الأخبار من أحد من أهل الكتاب أو ممن تعلم منهم ، فإنهم كانوا يعلمون إجاباتها [3] .

والغيب أقسام ثلاثة : ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل ، وذلك باعتبار الزمان والمكان ، فالغيب كما يقول الجوهرى : كل ما غاب عنك [4] . فيكون غيباً ما كان فى الأعصر الماضية ، وكذلك ما كان مستقبلاً لم يحدث بعد باعتبار الزمن ، ويكون غيباً باعتبار المكان ما يحدث فى الحاضر بعيداً عن متناول الحواس والمدارك .

وقد استوعبت آيات النبى ﷺ إخباره عن الغيب الماضى والحاضر والمستقبل بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله فضلاً عن غير النبيين [5] .

---

(١) البخارى (كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالى :﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ﴾ .

(٢) هود : (٤٩) .

(٣) الجواب الصحيح (٤/٦٢ – ٦٣) .

(٤) الجوهرى : الصحاح ، مادة غيب ، طبع دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ .

(٥) الجواب الصحيح (٤/١٣٣) .

(أ) الغيب الماضى :

وهذا كإخباره ﷺ عن قصة آدم وسجود الملائكة له وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة ، وهبط هو وزوجته إلى الأرض وعن نوح وطوفانه ، وعن قصة الخليل وما جرى له مع قومه ، وإلقائه فى النار وذبح ولده ومجئ الملائكة فى صورة ضيوف وتبشيره بإسحاق ويعقوب ، وذهاب الملائكة إلى لوط وما جرى للوط مع قومه وإهلاك الله قوم لوط ، وقصة يعقوب مع بنيه ، وقصة يوسف مع إخوته ، ودخولهم مصر ، وقصة موسى مع فرعون وتكليم الله إياه مرة بعد مرة ، وآياته كالعصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وتظليل الغمام على بنى إسرائيل وإطعامهم المن والسلوى ، وانفجار الماء من الحجر اثنى عشر عيناً لسقيهم وعبادتهم العجل ، وقتل بعضهم بعضاً لما تاب الله عليهم ، وقصة البقرة ، ورفع الجبل فوقهم .

وغير ذلك من أحوال بنى إسرائيل إلى أن أخبر عن قصة زكريا وابنه يحيى ، وعيسى ابن مريم وأحواله وآياته ودعوته لقومه .

وأخبر عن قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذى القرنين ، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة .

ولم تقتصر إخباراته ﷺ على ما يوجد مثله أو نظيره لدى أهل الكتاب ، بل أخبر بما لا يوجد عند أهل الكتاب مثل قصة هود ، وصالح ، وشعيب ، وبعض التفاصيل فى قصة إبراهيم وموسى وعيسى مثل تكليم المسيح فى المهد ، ومثل نزول المائدة ، ومثل إيمان امرأة فرعون وغير ذلك مما لا يعرفه أهل الكتاب [1] .

---

(١) الجواب الصحيح (٥٤/٤) .

(ب) الغيب الحاضر :

روى الشيخان فى صحيحيهما عن على - رضى الله عنه - قال :

« بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ . قَالَ : انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا . فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ ، فَقُلْنَا : أَخْرِجِى الْكِتَابَ ، فَقَالَتْ : مَا مَعِى مِنْ كِتَابٍ ، فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ : مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا حَاطِبُ ! مَا هَذَا ؟

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ عَلَىَّ . إِنِّى كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِى قُرَيْشٍ ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا ، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِى ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِى وَمَا فَعَلْتُ كُفْراً وَلاَ ارْتِدَاداً ، وَلاَ رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقَدْ صَدَقَكُمْ .

فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِى أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ .

قَالَ ﷺ : إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » (١) .

يقول ابن تيمية : « فكان فى هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبى ﷺ يريد غزوهم فأعلمه الله بذلك (٢) .

---

(١) الجواب الصحيح (١٥٢/٤) ، وانظر الحديث : البخارى (كتاب الجهاد والسير ، باب الجاسوس ، وقول الله تعالى : ﴿ لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾) .

- مسلم (كتاب الفضائل ، باب فضل أهل بدر رضى الله عنهم وقصة حاطب بن أبى بلتعة) .

(٢) الجواب الصحيح (١٥٢/٤) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال :

« نعى النبى ﷺ النَّجَاشِىَّ فى اليوم الذى مات فيه ، خرج إلى المُصَلَّى فصَفَّ بهم ، وكبَّر أربعاً »(١) .

* * * * *

(١) البخارى (كتاب الجنائز ، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه) .
ـ مسلم (كتاب الجنائز ، باب التكبير على الجنازة) .

(جـ) الغيب المستقبل

وهى أخباره كثيرة جداً ، ذكرها مفصلة كأنما رآها بعينه لم يأت منها خبر إلا كما أخبر به ، وهذا أمر لم يكن قط لنبى من قبل وتلك الأخبار قسمان : قسم وقع كما أخبر به وتحقق ، وقسم لم يتحقق بعد ، لأن وقته لم يحن بعد ، وقد ركز ابن تيمية على القسم الأول ، فأورد فيه الأخبار التالية (١) .

١ - من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ، فِى بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ (٢) .

فغلبت الروم فارس بعد سبع سنين .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

يقول الإمام : « وهذا دليل من وجهين : من جهة إخباره بأنه لا يكون أبداً ، ومن جهة صرف الله لدواعى اليهود عن تمنى الموت مع أن ذلك مقدور لهم ، وهذا من أعجب الأمور الخارقة للعادة ، فهم مع حرصهم على تكذيبه ﷺ لم تنبعث دواعيهم لإظهار تكذيبه بإظهار تمنى الموت » (٤) .

وقال تعالى فى سورة المدثر : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ، وَبَنِينَ شُهُوداً ﴾ ، إلى قوله ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ، لاَ تُبْقِى وَلاَ تَذَرُ ﴾ (٥) .

---

(١) الجواب الصحيح (١٢٩/٤ - ١٣٢) .
(٢) الروم : (١ - ٣) .
(٣) البقرة : (٩٤) .
(٤) الجواب الصحيح (١٣١/٤) .
(٥) المدثر : (٢٦ - ٢٧) .

وقال عن أبى لهب : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ (١) .

فكان كما أخبر ﷺ فمات الوليد كافراً ، ومات أبو لهب كافراً .

٢ - فى الحديث :

روى الشيخان فى صحيحيهما عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا التُّركَ صِغَارَ الأعين حُمْرَ الوجوه ، دلْفَ الأنف ، كأنَّ وجُوهَهم المجانُّ المُطْرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر » (٢) .

يقول ابن تيمية : « وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر ﷺ وأمر هذه الطوائف معروف ، فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور وحديثهم فى أكثر من عشرة الآف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين ، قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم ، التى لو كلف من رآهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة » (٣) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال :

« لا تقوم الساعة حتى تخرجَ نارٌ من أرض الحجاز تُضِيءُ لها أعناقُ الإبل ببصرى » (٤) .

وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستمائة ، ورآها الناس ، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى ، وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم (٥) .

---

(١) المسد : (١ - ٣) .

(٢) البخارى (كتاب الجهاد ، باب قتال الذين ينتعلون الشعر) .

- مسلم (كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء) .

(٣) الجواب الصحيح (٤/١٣٥ - ١٣٦) .

(٤) البخارى (كتاب الفتن ، باب خروج النار) .

- مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز).

(٥) الجواب الصحيح (٤/١٣٦) .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ لما قال له ذو الخويصرة : اعـدل يا محمد فإنكَ لم تَعْدل .

قال : ويحك خِبْتُ وخَسِرْتُ إن لم أعْدِلْ .

فقال بعض أصحابه : دعنى أضرب عنق هذا المنافق .

فقال النبى ﷺ : « إنه يخرج من ضنضئ هذا أقوامٌ يَحْقِرُ أحدُكم صَلَاتَه مع صلاتهم ، وصِيَامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرَهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرِقُ السَّهْمُ من الرميَّة ، آيتهم أن فيهم رجلاً مخدَّجَ اليدِ على عَضُدِه مِثْلُ البضْعَةِ من اللحم ، تدور عليها شَعْرَات » (١) .

يقول الإمام : « وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة فى أواخر خلافة علىّ لما افترق المسلمون وكانت الفتنة بين عسكر علىّ وعسكر معاوية ، وقتلهم على بن أبى طالب وأصحابه وهم أدنى الطائفتين إلى الحق ، والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر وهى الطائفة الباغية .

وكان على قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم ، وطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه حتى قام على بنفسه ، ففتش عليه فوجده مقتولاً ، فسجد لله شكراً » (٢) .

* * * * *

---

(١) البخارى (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة فى الإسلام) .
ـ مسلم (كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج) .
(٢) الجواب الصحيح (١٤٣/٤ - ١٤٤) .

(ب) معجزات القدرة

تختلف أنواع الخوارق المتعلقة بالقدرة - لدى الإمام - بحسب مكان الفعل ، فالفعل إما أن يكون فى العالم العلوى أو فيما دونه ، وما دون العالم العلوى إما أن يكون بسيطاً أو مركباً ، والبسيط إما الجو وإما الأرض والمركب إما الحيوان أو النبات أو الجماد ، والحيوان إما ناطق أو بهيم (١) .

كذلك تختلف الخوارق من جهة التأثير ، فهى إما أن تكون بتأثير النبى أو تكون من فعل الله الذى لا تأثير له فيه بحال ، كإهلاك أعداء الرسل وتذليل النفوس لهم ومحبتها إياهم .

فالتـأثير إمـا أن يكون قائمـاً بـه ، أو لا يكون قائماً به ، بل يصنع الله له من حيث لا يحتسب (٢) .

وقد رتبها على النحو التالى :

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (١٥٦/٤) .

(٢) السابق (١٥٤/٤ - ١٥٥) .

أولاً[1] : ما هو فى العالم العلوى :

وذلك كانشقاق القمر وحراسة السماء بالشهب والإسراء والمعراج إلى السماء فقد ذكر الله انشقاق القمر ، وبين أن الله فعله وأخبر به لحكمتين عظيمتين [2] .

إحداهما : كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية فأراهم انشقاق القمر .

الثانية : أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك ، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات ، ولهذا قال تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ، حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ، فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾ [3] .

فذكر اقتراب الساعة وانشقاق القمر ، وجعل الآية فى انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب ، لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم ، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك إذ هو الجسم المستنير الذى يظهر الانشقاق فيه لكل من يراه ظهوراً لا يتمارى فيه .

وكان النبى ﷺ يقرأ بهذه السورة فى المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين ، ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار بما فيها ، وكل الناس يقر بذلك ولا ينكره فعلم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة .

روى مسلم : (أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثى :

ما كان يقرأ رسول الله ﷺ فى الأضحى والفطر ؟

فقال : كان يقرأ فيها بـ ﴿ ق . والقرآن المجيد ﴾ و ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾) [4] .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/١٦١ - ١٧٢) .

(٢) السابق (٤/١٦١ - ١٦٢) .

(٣) القمر : (١ - ٧) .

(٤) مسلم (كتاب صلاة العيدين ، باب ما يقرأ فى صلاة العيدين) .

ومعلوم بالضرورة أنه لو لم يكن انشق لأسرع المؤمنون به إلى تكذيب ذلك ، فضلاً عن أعدائه الكفار والمنافقين .

ومعلوم أنه كان من أحرص الناس على تصديق الخلق له واتباعهم إياه فلو لم يكن انشق لما كان يخبر به ويقرأه على جميع الناس ، ويستدل به ويجعله آية له .

ومثل انشقاق القمر صعوده ليلة المعراج إلى ما فوق السموات ، ومسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وإقامته الدليل على ذلك لمن كذبه بأن وصف لهم المسجد الأقصى وصفاً دقيقاً وأخبرهم بخبر قافلتهم التى كانت فى الطريق ، فظهر لهم صدقه (١) .

وما حدث فى الإسراء والمعراج بصعوده إلى ما فوق السموات ، ورؤيته لما رآه من الآيات والجنة والنار والملائكة والأنبياء فى السموات والبيت المعمور وسدرة المنتهى وغير ذلك ، لم يكن لغيره من الأنبياء مثل هذا النوع من المعجزات ، إذ يظهر به تحقق قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ .

فالدرجات التى رفعها ﷺ ليلة المعراج ، وسيرفعها فى الآخرة كالمقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ليس لغيره مثلها (٢) .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/١٦٤) .

(٢) السابق (٤/١٦٥) .

النوع الثانى [1] : آيات الجو :

وذلك كاستسقائه ﷺ واستصحائه ، وطاعة السحاب فى حصوله وذهابه بدعائه ، ونزول المطر بدعائه .

ففى الصحيح عن أنس بن مالك : « أن رجلاً دخل المسجد فى يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائلاً : يا رسول الله ! هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يغثنا .

قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال : « اللهم أغثنا ! اللهم أغثنا ! اللهم أغثنا .

قال أنس : لا والله وما نرى فى السماء من سحاب ولا من قزعة ، وإن السماء لمثل الزجاجة . فو الذى نفسى بيده ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر عن لحيته .

ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة التالية ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً ، فقال : يا رسول الله ! هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله أن يمسكها عنا .

فرفع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشعر .

قال : فما يشير بيده إلى ناحية إلا تفرجت حتى رأيت المدينة فى مثل الجوبة ، وسال الوادى قناة شهراً ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود » [2] .

---

(١) الجواب الصحيح (١٧٢/٤ - ١٧٤) .

(٢) البخارى (كتاب الجمعة ، باب من تمطر فى المطر حتى يتحادر على لحيته) .

ـ مسلم (كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء فى الاستسقاء) .

النوع الثالث [1] : تصرفه فى الحيوان (الإنس والجن والبهائم) وفى النبات والجماد :

روى الشيخان عن سلمة بن الأكوع وسهل بن سعد عن النبى ﷺ فى غزوة خيبر :

« أنه أرسل إلى على وهو أرمد العين ، فقال لأعطين الراية رجلاً يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه .

فلما جاء بصق فى عينيه فبرئ كأن لم يكن به وجع قط ، وأعطاه الراية .

فقال على : يا رسول الله ! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟

قال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيهم ، فوالله لأن يهدى الله بك واحداً خير من حمر النعم » [2] .

وروى الشيخان عن جابر بن عبد الله قال :

« كان المسجد مسقوفاً على جذوع النخل ، فكان النبى ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع المنبر وكان عليه ، سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليه فسكن » [3] .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/١٧٤ - ١٨٣) .

(٢) البخارى (كتاب المغازى ، باب غزوة تبوك) .

ـ مسلم (كتاب الفضائل ، باب من فضائل على بن أبى طالب) .

(٣) البخارى (كتاب الجمعة ، باب الخطبة على المنبر) .

النوع الرابع [1] : تكثير الطعام والماء ونبع الماء من بين أصابعه :

يذكر فى هذا النوع ما رواه الشيخان عن أنس بن مالك ، قال :

« رأيت النبى ﷺ وقد حانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ ، بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ فى ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضئوا منه .

قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، حتى توضئوا عن آخرهم » [2] .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٤/١٨٥ - ٢٠٢) .

(٢) البخارى (كتاب الفضائل ، باب فى معجزات النبى ﷺ)

ـ مسلم (كتاب الوضوء ، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة) .

النوع الخامس [1] : تأثيره فى الأحجار وتصرفه فيها وتسخيرها له :

روى البخارى عن أنس ، قال :

« صعد النبى ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم الجبل .

فقال : اسكن ، وضربه برجله ، فليس عليك إلا نبى وصدّيق وشهيدان » [2] .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٢٠٢/٤ - ٢٠٥) .

(٢) البخارى (كتاب بدء الخلق ، باب مناقب عثمان بن عفان) .

النوع السادس [1] : تأييد الملائكة له :

يقول تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ [2] .

وقال – تعالى – فى شأنه ﷺ : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ [3] .

وروى عن عمر بن الخطاب ، قال :

« لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً ، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه : اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آتنى ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه ، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه .

فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، فقال :

يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز ما وعدك .

فأنزل الله – عز وجل – : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ : أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ، فأمده الله بالملائكة [4] .

* * * * *

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٢٠٥ – ٢٠٨) .

(٢) الأنفال : (٩) .

(٣) التوبة : (٤٠) .

(٤) مسلم (كتاب الجهاد ، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر) .

النوع السابع [1] : كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس :

أخبر الله – تبارك وتعالى – نبيه ﷺ بتبليغ رسالته إلى الناس ووعده بثلاثة أشياء :

١ – أنه يكفيه المستهزئين ، قال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [2] .

٢ – أنه يكفيه المشاقين له من أهل الكتاب ، قال – تعالى – : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [3] .

٣ – أنه يعصمه من الناس ، قال – تعالى – : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [4] .

ويرى الإمام أن تلك الأخبار الثلاثة آية على نبوته من وجوه [5] :

١ – أن القرآن الذى جاء به النبى ﷺ من الله حق وصدق ، لأن الله وعده فيه بتلك الوعود الثلاثة وقد تحققت جميعاً كما أخبر تعالى .

٢ – أن الله قد كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة المعروفة .

٣ – أن الله نصره على الرغم من كثرة أعدائه وقوتهم وتفوقهم .

وتفصيل ذلك مثبوت فى كتب التفسير ، ليطالع من شاء قصة المستهزئين ونهايتهم ، وكذلك كيفية عصمة الله له من أعدائه وخصومه .

---

(١) الجواب الصحيح (٢٠٨/٤ – ٢١٧) .
(٢) الحجر : (٩٤ – ٩٦) .
(٣) البقرة : (١٣٦ – ١٣٧) .
(٤) المائدة : (٦٧) .
(٥) الجواب الصحيح (٢٠٩/٤) .

النوع الثامن [1] : فى إجابة دعائه :

روى مسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - ، قال :

« كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة ، فدعوتها يوماً ، فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى ، فقلت :

يا رسول الله ! إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام . تأبى على ، فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم اهد أم أبى هريرة .

فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله ﷺ فصرت إلى الباب ، فإذا هو مجاف فسمعت أمى خشف قدمى .

فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ، فاغتسلت ، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب .

فقالت : يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

فأتيته وأنا أبكى من الفرح ، فقلت : يا رسول الله أبشر فقد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبى هريرة ، فحمد الله ، وقال : خيراً » [2] .

وفى الصحيحين « أن ابن عباس وضع للنبى ﷺ وضوءاً لما أتى الخلاء .

فقال لما خرج : من وضع هذا ؟

فقيل : ابن عباس .

فقال : اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » [3] .

يقول الإمام : « وقد ظهرت إجابة دعوته حتى كان يسمى البحر » [4] .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٢١٧ - ٢٢٧) .

(٢) مسلم (كتاب الفضائل ، باب فى إجابة دعائه ﷺ) .

(٣) البخارى (كتاب الوضوء ، باب فى وضع الماء عند الخلاء) .

- مسلم (كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن عباس) .

(٤) الجواب الصحيح (٤/٢٢٤) .

رابعاً : سيرته وأخلاقه ﷺ

لا بد لكل رسول من صفات أساسية يتصف بها حتى يكون أهلاً للرسالة ، وتلك الصفات وإن كان كل واحد منها لا يدل على نبوته ، لأن امتياز شخص بمزيد فضيلة عن سائر الأشخاص لا يدل على كونه نبياً ، لكن مجموعها لا يحصل إلا للأنبياء فقط ، لأن اجتماع هذه الصفات في ذاته من أعظم الدلائل على النبوة .

من هذه الصفات الصدق والأمانة بحيث لو امتحن كل قول له لكان مطابقاً للواقع إذا وعد ، أو عاهد ، أو جد ، أو داعب ، أو أخبر ، أو تنبأ ، وإذا انتقضت هذه الصفة أى نقض فإن دعوى الرسالة تنتقض ، لأن الناس لا تثق برسول كاذب .

ويعلل ابن تيمية لذلك بأن جماع الكلام فى النبوة متصل بالكلام فى جنس الخبر ، فقول القائل : إنى رسول الله إليكم خبر من الأخبار ، وكذلك وصول كلامه وأفعاله وآياته إلينا [١] .

والخبر قد يعلم صدقه ، وقد يعلم كذبه ، وقد لا يعلم أى منهما . والعلم بأن الخبر صدق له معنيان :

أحدهما : أن يعلم أنه مطابق لمخبره من جهة المخبر ، كمن أخبرنا بأمور نعلم أنها حق بدون خبره .

والثانى : أن يعلم أن المخبر به صادق .

وقد يجتمع الأمران بأن يعلم ثبوت ما أخبر به ، ويعلم أنه صادق فيه ، وقول محمد ﷺ : إنى رسول الله هو من هذا الباب [٢] .

وتلك الآية تظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث ، ومن حين بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده وأصله .

فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً ، من صميم سلالة إبراهيم الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبى من بعد إبراهيم إلا من ذريته ، وجعل له ابنين

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٢٨٧) .

(٢) السابق (٤/٢٨٨) .

إساعيل وإسحاق ، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث فيهم رسولاً منهم ، فجاء من قريش صفوة بنى إبراهيم ، ثم من بنى هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذى بناه إبراهيم ، ودعا الناس إلى حجه ، ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم مذكوراً فى كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفاً بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق ، وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، وممن آمن به أو كفر بعد النبوة (١) .

روى البخارى عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - : « أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه فى ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه بإيلياء ، فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعا بترجمانه :

فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبى ؟

فقال أبو سفيان فقلت : أنا أقربهم نسباً .

فقال : أدنوه منى ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عن ظهره ، ثم قال لترجمانه :

قل لهم : إنى سائل هذا عن هذا الرجل ، فإن كذبنى فكذبوه ، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا على كذباً لكذبت عنه .

ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب .

قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟

قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟

قلت : لا .

قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟

قلت : بل ضعفاؤهم .

---

(١) الجواب الصحيح (٤/٨٠) .

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : لا ، بل يزيدون .

قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا .

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قلت : لا .

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها .

قال : ولم تمكنى كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة .

قال : فهل قاتلتموه ؟

قلت : نعم .

قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟

قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه .

قال : بماذا يأمركم ؟

قلت : يقول « اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً . واتركوا ما يقول آباؤكم » ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فقال للترجمان :

قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها ، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ، فذكرت أن لا، فقلت : لوكان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله ، وسألتك : هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فعرفت أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

وسألتك : أأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل ، وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان

حتى يتم ، وسألتك : أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصدق والعفاف .

فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمى هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكن أظن أنه منكم ، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به دحية إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فقرأه ، فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم :

سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا ، فقلت لأصحابى حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن أبى كبشة ، إنه يخافه ملك بنى الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام »[1] .

فهذه كانت أخلاقه ، وتلك كانت شهادات أعدائه ﷺ قبل أصدقائه ، حيث شهد له المشركون مجتمعين بالصدق طيلة عمره معهم ، ثم شهدوا له أفراداً شهادات سجلها التاريخ عن ألد أعدائه منهم ، وأكثرهم خصومة له أبى سفيان بن حرب وأمية بن خلف .

ولم تقتصر شهادات الحق لمحمد ﷺ على خصومه فى القديم ، بل يشهد له خصومه فى العصر الحديث أيضاً :

---

(١) صحيح البخارى (كتاب بدء الوحى ، ص ٦) .

فقد درس علماء الغرب تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده على طريقتهم فى النقد والتحليل ودرسوا السيرة المحمدية ، وفلوها تفلية وقرأوا القرآن بلغته ، وقرأوا ما ترجمه به أقوامهم ، وكانوا على علم محيط بكتب الدين القديم والجديد ، وتاريخ الأديان لاسيما اليهودية والنصرانية وبما كتبه المتعصبون للكنيسة من الافتراء على الإسلام والنبى والقرآن ، فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية :

(إن محمداً كان سليم الفطرة ، كامل العقل ، كريم الأخلاق ، صادق الحديث ، عفيف النفس ، قنوعاً بالقليل من الرزق ، غير طموع بالمال ، ولا جنوح إلى الملك ، ولم يعن بما كان يعنى به قومه من الفخر والمباراة فى تحبير الخطب ولا قرض الشعر ، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية ، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية ، كالخمر والميسر وأكل أموال الناس بالباطل .

وبهذا كله ، وبما ثبت من سيرته ويقينه بعد النبوة ، جزموا بأنه كان صادقاً فيما ادعاه بعد استكمال الأربعين من سنه من رؤية ملك الوحى وإقرائه إياه هذا القرآن ، وإنبائه بأنه رسول من الله ، لهداية قومه ، فسائر الناس) [(١)] .

تقول الدكتورة لورافيشيا فاغليرى :

« كيف جاز أن يؤمن به هذا العدد الكبير من المسلمين النبلاء الأذكياء ، وأن يؤازروه ويدخلوا فى الدين الجديد ، ويشدوا أنفسهم بالتالى إلى مجتمع مؤلف فى كثرته من الأرقاء والعتقاء والفقراء المعدمين ، إذا لم يلمسوا فى كلمته حرارة الصدق ؟

ولسنا فى حاجة إلى أن نقول أكثر من ذلك ، فحتى بين الغربيين يكاد ينعقد الإجماع على أن صدق محمد ﷺ كان عميقاً وأكيداً » [(٢)] .

كتب إدوار مونتيه فى مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن :

« كان محمد نبياً صادقاً كما كان أنبياء بنى إسرائيل فى القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ، ويوحى إليه ، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا

---

(١) رشيد رضا : الوحى المحمدى ، ص ٦٥ .

(٢) دفاع عن الإسلام ، نقلاً عن : عبد الملك على الكليب (علامات النبوة) ، ص ٣٧ ، طبعة الرياض ١٩٨٥ م .

متمكنتين فى أولئك الأنبياء أسلافه »[1] .

يرى الكونت هنرى دى كاسترى أن :

« النبوة من حيث هى عبارة عن قيام رجل يملى على الناس أمر ربه ، ويعتقد حقاً أن ما يقوله آت من عند الله ، فلا أحد ينكر أن مظهر محمد ﷺ كان مظهر نبوة بالفعل .

ولو رجعنا إلى حديث الحكماء عن النبوة لأمكننا القطع بأن محمداً ﷺ لم يكن من المبتدعين[2] .

وقال البروفيسور بوسورث سميث :

« عندما ألقى نظرة إجمالية استعرض فيها صفاته وبطولاته ما كان منها فى بدء نبوته وما حدث منها فيما بعد ، وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة ، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا ، أجده أقدس الناس وأعلاهم مرتبة حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلاً »[3] .

واختتم « مايكل هارت » مؤلف كتاب « المائة » تلك الشهادات بتتويج قائمة الخالدين باسم محمد ﷺ كأعظم من عرفته الإنسانية[4] .

أما عن أخلاقه وأقواله وأفعاله وصفاته ﷺ التى يعتبرها ابن تيمية من آيات نبوته ﷺ ، فلا ينقل فى تفصيلها وبيانها إلا الصحيح من الأحاديث ، فيعزوه إلى مصدره ويتكلم فى بعض الأحيان عن سنده إن اقتضت الحاجة ذلك ، بخلاف من ينقل الأخبار ويطلقها على عواهنها من بعض مصنفى الدلائل الذين أشار إلى مناهجهم فى التأليف[5] .

ولا يقصر ابن تيمية الحديث فى دلالة سيرته على نبوته ﷺ على أخلاقه وأقواله

---

(١) الوحى المحمدى ، ص ٤٥ .

(٢) الإسلام خواطر وسوانح ، ص ٢٥ .

(٣) وحيدالدين خان : الإسلام يتحدى ، ص ١٧٩ ، طبعة بيروت ١٩٧٠م .

(٤) راجع طبعة دار المعارف بترجمة أنيس منصور .

(٥) الجواب الصحيح (٤/٢٤٣) .

وأفعاله ، بل يضيف إليها شريعته وأمته (علمها وكرامات الصالحين منهم) [1] ، لأن ذلك مستلزم لكونه رسولاً صادقاً ، وكل ملزوم دليل على لازمه [2] ، وفضل الأمة يستلزم فضل متبوعها [3] .

* * * * *

(١) الجواب الصحيح (٤/٨٠) .

(٢) السابق ، ص ٩٦ .

(٣) السابق ، ص ١١٧ .

خاتمة

القيمة العلمية لمنهجه

أمّا مَعْرِفَتُهُ بِالْمِلَلِ وَالنِّحَلِ ،

والأُصُولِ وَالكَلَامِ ،

فَلاَ أَعْلَمُ لَهُ نَظِيْراً .

شَمْسُ الدِّيْنِ الذَّهَبِيّ

المنهج باعتباره فَنٌّ التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة ، أو من أجل البرهنة عليها تقاس قيمته العلمية بشيئين :

١ - دقة النتائج التى كشف عنها ، ومدى قربها أو بعدها من معطيات الدراسات العلمية الحديثة .

٢ - مدى تميزه بين المناهج الأخرى فى بيان الحقائق والبرهنة عليها .

لذلك سندرس القيمة العلمية لمنهج ابن تيمية فى دراسة النصرانية فى مجالين :

أولاً : آراؤه فى ضوء الدراسات العلمية الحديثة .

ثانياً : مكانة منهجه فى حقل الجدل الدينى مع أهل الكتاب .

* * * * *

أولاً : آراؤه فى ضوء الدراسات العلمية الحديثة :

إن تأييد الدراسات العلمية الحديثة للحقائق القرآنية والمعالجات النبوية لكثير من القضايا قد غدا أمراً مألوفاً وشائعاً إذ ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى ﴾ (١) ، لكنْ غرضُنا الآن بيان مدى دقة المناهج التى اتبعها علماء الإسلام فى دراساتهم ، تلك المناهج الأصيلة التى تتخذ من الأصولية الإسلامية - كما حددنا معناها من قبل - سياجاً لها ، فمطابقة الدراسات العلمية الحديثة للنتائج التى قادت إليها تلك المناهج يعيد البرهنة من جديد على رسوخ القدم العلمية الإسلامية لا فى مجال العلوم التجريبية فحسب ، بل أيضاً فى مجال العلوم الإنسانية النظرية ، فإن كان علماء الأبحاث التطبيقية قد اتخذوا التجربة سبيلاً للتحقق لديهم ، فقد وضع علماء المسلمين أسساً لبناء اليقين فى العلوم الإنسانية ، قادتهم إلى أعظم النتائج وأصدقها وأقدرها على الحياة والثبات .

ولا شك أن صمود النتائج التى توصل إليها علماء الإسلام الأصوليون أمام معطيات الدرس العلمى الحديث واتفاقهما فى الأعم الأغلب من الأحيان ، لهو خير دليل على كذب الدعاوى الرامية إلى سحب البساط من تحت أقدام علماء الإسلام وخصوصاً الأصوليين بدعوى السلفية ، والجمود ، ومخاصمة العقل .

فأىُّ فكر ذاك ؟ أو أىُّ عقل ذاك الذى يخاصم مناهج أَيْنَعَتْ ثماراً ثبت للمحدثين جدتها ، وتزهو هى بأصالتها وعراقتها ، وتقطع بتفرد من توصلوا إليها رغم بُعْد الشُّقَة وطول الزمن ؟

ومن ثمَّ فقد أوجبت دراسة القيمة العلمية لمنهج الإمام ابن تيمية فى دراسة النصرانية وضع أهم النتائج التى قاده إليها ذلك المنهج أمام معطيات الدرس العلمى الحديث لبيان مدى اقترابها أو ابتعادها عنه ، ومدى صمودها وأصالتها أمام الفحص والمناقشة ولن نكتفى بعرض نتائجه فقط ، بل سنعرض لبعض القواعد التى اتبعها فى صياغة أسس منهجه لدراسة النصرانية لنتبين مدى توافق منهجه بجانبيه النظرى والتطبيقى مع تلك المعطيات و سنعالج هذه المسائل فى الترتيب التالى :

١ - الإسلام هو الدين الموثق :

وذلك البند ليس من النتائج التى قاده إليها منهجه ، بل يمثل واحدة من أهم قواعد منهجه التى خالف فيها من سبقوه ، فقد نزع علماء الجدل الدينى مع أهل الكتاب خصوصاً المعتزلة ومتأخرى الأشاعرة إلى الاعتماد بصفة أساسية على الدليل العقلى ، والتهوين من قيمة الدليل النقلى وتحديد مجاله فى مباحث الجدل الدينى انطلاقاً من فكرتين :

أولاهما : أن العقل أصل للنقل ، فلا ينبغى الاعتماد على الدليل النقلى فى أية مسألة من مسائل العقيدة المتعلقة بوجود الله - تعالى - وبصفاته ، وبسائر ما تتوقف عليه صحة النبوة ، وإلاَّ صار الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وذلك دور باطل (١) .

الثانية : أن المخالفين لا يسلِّمون بحجية القرآن وربانية مصدره .

فتصدى الإمام لدحض هذه الأفكار ، مرسياً دعائم فكرة جديدة على حقل الجدل الدينى مع غير المسلمين ، وهى أن الإسلام هو الدين الموثق لغيره من الأديان والذى تؤخذ منه أصول العقائد والشرائع السابقة ، لأن القرآن لما ثبت عجز البشر عن الإتيان بمثله عُلِم أنه من عند الله ، فإذا كان من عند الله فالله يقول الحق وهو أصدق القائلين(٢) .

كذلك فقد اشتمل القرآن على جميع ما فى الكتب من المحاسن ، وعلى زيادات كثيرة لا توجد فى الكتب السابقة ، لهذا كان مصدِّقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها ، يقرر ما فيها من الحق ، ويبطل ما حُرِّف منها ، فيُقِرُّ الدين الحق ويبطل الدين الباطل المُبَدَّل (٣) .

ونتيجة لذلك أصبح القرآن وحده هو المصدر الوحيد الذى يُرْجَع إليه فى معرفة الكتب الإلهية بالتفصيل الحق الثابت إذ هو الكتاب المحفوظ حفظاً لا يتطرق إليه الشك بالزيادة

---

(١) النجم : (٤) .

(١) د . حسن الشافعى : من قضايا المنهج فى علم الكلام ، ص ٤١ - ٤٢ ، مجلة دراسات عربية وإسلامية (١) ، سلسلة يصدرها د . حامد طاهر .

ـ د . محمد السيد الجليند : قضية التأويل ، ص ٢٢٨ ، ٢٣١ .

(٢) الجواب الصحيح (٧٣/٤) .

، ولا النقص ، ولا التحريف ، ولا التغيير أو التبديل ، بحال من الأحوال ، لأنه من وقت نزول أول آية منه وقد توفر الكثيرون على كتابته وحفظه فى الصدور بإشراف النبى ﷺ ومراجعة أمين الوحى جبريل للنبى ﷺ حتى تم نزوله وحفظه فى السطور والصدور فى آن واحد [1] .

ولذلك يعتبر القرآن الكتاب الوحيد الذى ثبتت نسبته بصورة قطعية إلى الرسول محمد ﷺ الذى أوحى إليه به ، فقد نقل هذا الكتاب بسوره وآياته ، وطريقة ترتيبه ، وكيفية تلاوته ، إلى كل عصر جاء بعد عصر نزوله بالتواتر الذى يقطع الشك باليقين أن القرآن الذى نتلوه هو الذى نزّله الله على محمد نبيه ورسوله الكريم ﷺ [2] .

وهذا ما تكاد كلمة المستشرقين وعلماء الغرب المنصفين ممّن لهم دراسات فى هذا المجال ، ولا يؤمنون بكون القرآن منزلاً من الله ، أن تتفق على صحة نقله وانتهائه بنصّه إلى النبى ﷺ [3] .

فهناك شهادات من كبار العلماء والمستشرقين تؤكد على أن القرآن هو الكتاب الوحيد فى الدنيا الذى بقى نصه محفوظاً من التحريف من بين كتب الديانات جميعاً :

فقرر « نولدكه » : أن النص القرآنى على أحسن صورة من الكمال والمطابقة [4] ، وأكد « لوابلوا » الفرنسى : « أن القرآن هو اليوم الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر » [5] .

ويقول موريس بوكاى : « لم يتعرض النص القرآنى لأى تحريف من يوم أن أنزل على الرسول ﷺ حتى يومنا هذا » [6] .

---

(٣) ابن تيمية : معارج الوصول ، ص ٢٠ .

(١) د . محمد عبدالله الشرقاوى : الإيمان ، ص ٢٢٤ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٠ .

(٣) د . محمد حسين على الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، ص ٨٨ ، طبع المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

(٤) نقلاً عن د . محمد عبدالله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، ص ٣٩ .

(٥) السابق ، ص ٤٠ .

وقد انتهى البروفسور بلاشير فى كتابه « مدخل إلى القرآن » إلى أن : جميع التبليغات التى تلقاها محمد ﷺ صادرة عن الله ذاته وأن الله كان قد ثبتها فى لوح محفوظ [1] .

لكل ذلك لم يجد أحد فلاسفة الروحانيات المسيحية المعاصرة بُدّاً من التسليم بأن : « الإسلام هو الدين الموثّق الذى من خلاله تُوَثَّق بقية الأديان وأن أكبر دليل على المسيحية نفسها هو ما جاء فى القرآن » [2] ، لأن القرآن على حد قول مستر « ستنفاس » مؤلف أحد القواميس الإنجليزية : « سِجِلٌّ جامع لأسس الأخلاق والعقائد » [3] .

* * * * *

(٦) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ١٥١ .

(١) د . محمد حسين الصغير : المستشرقون والدراسات القرآنية ، ص ٣٧ .

(٢) نقلاً عن د . رشدى فكار ، ص ٤٥ ، مجلة الأمة القطرية ، العدد (٦٧) رجب ١٤٠٦هـ - مارس١٩٨٦م .

(٣) نقلاً عن المشير أحمد عزت باشا : الدين والعلم ، بترجمة حمزة طاهر ، ص ١٥٥ ، مطبعة لجنة

٢ – تأثير الوثنية :

أكد الإمام ابن تيمية بشدة على أن مصدر العقائد والعبادات المسيحية هو الأصول الوثنية القديمة التى كانت مسيطرة على البيئة الجديدة التى خرجت إليها المسيحية (١) .

ولم تَعُد – اليوم – الأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية فرضاً علمياً أو تخميناً أو استنتاجاً ، لكنها بعد تقدم العلوم النقدية واكتشاف الوثائق وقراءة المخطوطات والنقوش قطع علماء الأديان الغربيون بأن هذه العقائد النصرانية إنْ هى – فى حقيقة الأمر وواقع الحال – إلا خرافات وأساطير عرفتها الأمم الوثنية القديمة وسجلتها فى آثارها ، ثم استمدتها النصرانية منها ونقلتها نقلاً حرفياً (٢) .

فيكاد الإجماع بين الباحثين يكون منعقداً على أن هناك تطابقاً بين المسيحية البولسية الحالية وبين ديانات العالم الوثنى القديم سواء من ناحية المعتقدات والأفكار أو نواحى العبادات والطقوس التى تعكس تلك المعتقدات (٣) .

فباسم المسيح يبدو أن حياة الوثنية كلها بكل ما انطوت عليه من تناقضات وفوضى قد دبت فيها الحياة من جديد سواء فى ميدان الفلسفة أو الدين ، فنشطت وانتصرت على دين الروح والحق الذى بشر به وعاشه نبى الجليل (٤) .

وذلك على كافة مستويات الديانة ، حتى ألقاب المسيح لم تسلم الألفاظ التى أطلقها النصارى عليه من تأثير الوثنية ، فقد انتهت الدراسات الحديثة إلى أن مجموعة ألقاب يسوع والمعانى الممكنة فى الخلفية المعاصرة وفى إطار الأناجيل لكلمات : (مسيح ، ابن الإنسان ، ابن الله ، السيد ، كلمة الله) ، قد نتج من دراستها ما يلى (٥) :

---

(١) انظر : ص ١٨٢ .

(٢) د . محمد عبدالله الشرقاوى : الإيمان ، ص ٢٠٢ .

(٣) أحمد عبدالوهاب : حقيقة التبشير ، ص ٧٨ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، وانظر نماذج كثيرة للكتب والنقول الغربية التى تثبت وثنية الديانة النصرانية فى مقدمة وتعليق أستاذنا الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى على كتاب الطاهر البيرونى : (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) نشر دار الصحوة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م ، وفى كتاب (الإيمان) ، ص ٢٠١ – ٢٠٣ .

(٤) شارل جينيبر : المسيحية ، ص ٢٤٠ .

(٥) أسطورة تجسد الإله فى السيد المسيح ، مجموعة من المؤلفين ، مقال (فرنسيس يونغ) ، ص ٤٤ ، شارل جينيبر : المسيحية ، ص ٥٠ – ٥٢ .

(أ) أن هذه الألقاب والأفكار كانت موجودة قبل أن يتبناها المسيحيون الأوائل ، أى يمكن الاطلاع عليها فى وثائق غير مسيحية وبتفسيرات غير مسيحية .

(ب) بتطبيق استعمالها على يسوع حملت هذه التعابير مضامين جديدة ، نظراً لامتزاج أفكار كانت من قبل متميزة كل على انفراد .

(جـ) كان هذا الامتزاج نتيجة لتفتيش المسيحيين عن تعابير وتصنيفات جديدة يستطيعون بواسطتها التعبير عن استجابتهم ليسوع ، أكثر مما كان نتيجة ادعاء يسوع أنه هو هذه الشخصيات .

(د) اختلاف الصورة والشخصية والكيان الخاص للمسيح فى الأناجيل بحسب طريقة المزج الخاصة بكل مجموعة من مجموعات الكتابات فى العهد الجديد .

وحينما نحاول الوقوف على عناصر وجوانب التأثير الوثنى على المسيحية وأصوله يرشدنا البروفيسور شارل جينيبر إلى أن المسيحية أنشئت على أساس يهودى من عناصر متباينة تبايناً شديداً ، وإن كان يجمع بين أشتاتها الأصل الشرقى ذو العناصر اليونانية فى كثير من الجوانب بالإضافة إلى عناصر من آسيا الصغرى وسوريا وما بين النهرين ومصر ، حيث تبدو المسيحية مشابهة لتلك الأسرار التأليفية التى أخرجها العالم الشرقى لتتجاوب مع تطلعه الصوفى المُلِحّ إلى الخلاص وحياة الخلود بديار السعادة فيما وراء الحياة الدنيا بآلامها وهمومها (١) .

ويوضح البروفيسور شارل جينيبر ذلك الأصل الشرقى بأنه التأليف الدينى القائم على بعض التصورات والخصائص الأساسية لمجموعة من الآلهة الأسطورية ذات الطابع العائلى ، والتى تقضى بعذاب وموت « المنقذ - المخلص - الوسيط » الإلهى الذى يرسله الإله الأكبر (الأب) كى يخلص البشر ويحل لهم مشكلة النجاة ويحقق لهم السعادة فى ديار الخلد الإلهى (٢) .

وقد احتل عدد من البشر الإلهيين مكان الصدارة فى تلك العائلات الإلهية مثل : أتيس فى بلاد الفريجيين ، أدونيس فى الشام ، ملكارت فى فينيقيا تموز ومردوك فى ربوع

---

(١) شارل جينيبر : المسيحية ، ص ٢٥٨ .

(٢) السابق ، ص ٩١ - ٩٦ .

ما بين النهرين ، أوزيريس فى مصر ، ميثرا فى بلاد فارس ، بعل فى بابل ، كونفوشيوس فى الصين ، بوذا وكرشنا فى الهند ، وغيرهم كثير [١] .

وسنورد مقارنة موسعة بين عيسى كما يتصوره النصارى وبين واحد من هؤلاء البشر الإلهيين لنرى مدى الصلة بين معتقد النصارى وبين عقيدة أولئك الوثنيين من أتباع تلك الشخصية الأسطورية ، ولتكن « كرشنا » الهندى ، وهذه الموازنة على سبيل المثال الذى تقاس عليه نتيجة بقية المقارنات [٢] :

أقوال الهنود فى كرشنا	أقوال النصارى فى المسيح
كرشنا هو المخلص ، والفادى ، الوسيط ، وابن الله ، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس .	يسوع هو المخلص ، والفادى ، والوسيط ، وابن الله ، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس .
١ - الملائكة مجدت ديفاكى أم كرشنا .	١ - الملاك بارك مريم والدة يسوع .
٢ - عرفت ولادة كرشنا بنجم ظهر فى السماء .	٢ - لما ولد يسوع ظهر نجمه فى المشرق .
٣ - حدثت تغيرات كونية بولادة كرشنا .	٣ - سبحت الأرض وغنت الملائكة والسحاب بمولد يسوع .
٤ - كان كرشنا من سلالة ملوكية رغم مولده فقيراً .	٤ - ولد يسوع فقيراً رغم كونه من سلالة الملوك .
٥ - آمن الناس بكرشنا واعترفوا بلاهوته .	٥ - آمن الناس بيسوع وأقروا بلاهوته .

---

(١) أسطورة تجسد الإله فى السيد المسيح ، مجموعة من المؤلفين ، ص ٦٦ ، ١٦٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .
- شارل جينيبر ، ص ٩١ .
- الطاهر البيروتى : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، ص ٩٣ - ١٠٤ .
- الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى : مدخل نقدى لدراسة الفلسفة ، ص ٢٢ - ٢٣ ، طبع مكتبة الزهراء ، القاهرة ١٩٨٨ م .

(٢) الطاهر البيروتى : العقائد الوثنية ، ص ١٨٥ - ٢٠٠ بتصرف .

أقوال الهنود فى كرشنا	أقوال النصارى فى المسيح
٦ - أمر ملاك الرب والدة كرشنا وخطيبها بالهرب خشية قتل الطفل .	٦ - أمر ملاك الرب مريم وخطيبها بالفرار بالصبى لأن الملك يطلب هلاكه .
٧ - أحيا كرشنا بعض الصبية الذين ماتوا .	٧ - شفى يسوع أحد الصبية الذى لسعته الحية .
٨ - مات كرشنا على الصليب .	٨ - صلب يسوع ومات على الصليب .
٩ - لما مات كرشنا حدثت مصائب كونية .	٩ - أظلمت الشمس وقام الموتى لموت يسوع .
١٠ - مات كرشنا وقام من بين الأموات .	١٠ - مات يسوع ثم قام من بين الأموات .
١١ - نزل كرشنا إلى الجحيم .	١١ - ونزل يسوع إلى الجحيم .
١٢ - وصعد كرشنا إلى السماء بجسده .	١٢ - وصعد يسوع إلى السماء .
١٣ - سيأتى كرشنا فى اليوم الأخير ليدين الأموات .	١٣ - وسيأتى يسوع ليدين الأموات فى اليوم الأخير .
١٤ - كرشنا هو الألف والباء وهو الأول والآخر والوسط .	١٤ - يسوع الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شئ .
١٥ - كرشنا هو برهما العظيم .	١٥ - يسوع هو يهوه العظيم القدوس .
١٦ - أمر كرشنا كل من يطلب الإيمان أن يترك كل ما يملك ويحب ويذهب إلى مكان خال يصلى فيه .	١٦ - أمر يسوع كل من يطلب الإيمان أن يبيع أملاكه ويحمل صليباً ويتبعه .
١٧ - قال كرشنا : أنا علة الوجود للكائنات ، فىّ كانت ، وفىّ تحل ، وعلىّ جميع ما فى الكون يتكل .	١٧ - من يسوع وفى يسوع وليسوع كل شئ « كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان » .

ويلاحظ أن علاقة التطابق بين عقائد الوثنيين وعقائد النصارى - كما توضحها المقارنة السابقة - تقوم على الاشتراك فى مجموعة من الأصول هى :

١ - الإيمان بإله مخلص يحقق انتصاراً على الموت والشر والعذاب .

٢ - خلاص المؤمن لا يتم إلا بالاتحاد الشخصىّ بينه وبين ذلك الإله المخلص الذى يموت دائماً ثم يقوم ثانية بعد الموت .

٣ - التثليث كأساس لتأليه ذلك المخلص .

وقد ارتبطت مجموعة العقائد التى نقلتها المسيحية عن الوثنية بمجموعة من الطقوس والشعائر التى يجدد بها أتباع أولئك الآلهة المخلصين ذكرى مأساة حياتهم على الأرض ومشاركتهم البشر فى ظروفهم الإنسانية ، ثم الموت فى نهاية الأمر بعد رحلة العذاب ، لأجل إنقاذ البشر وتخليصهم كى يتمتعوا بحياة السعادة فى ديار الخلد الإلهية (١) .

ولسنا بحاجة للتأكيد على نقل المسيحية لتلك الشعائر - أيضاً - نقلاً حرفياً ، فكبار رجال المسيحية ومؤسسوها بدءاً من بولس إلى أوغسطين لم ينكر أحدهم ذلك التطابق البيّن بين شعائر التعميد والقربان المقدس فى كل من المسيحية والوثنية ، وإنما لجأوا فقط فى تبريره إلى الزعم بأن الشيطان أراد التشبه بالمسيح ، وأن شعائر وطقوس الكنيسة كانت مثلاً أراد المشركون أن يحتذوه فى أسرارهم ، ويَرُدُّ المسيو شارل جينيير أستاذ الأديان بجامعة باريس هذا الزعم بأنه نظرية لا يمكن الدفاع عنها فى العصر الحاضر ، لأن الأساطير الجوهرية والمراسم الوثنية الأساسية والرموز والشعائر الفعالة كانت سابقة فى تلك الديانات على مولد المسيحية (٢) .

* * * * *

(١) شارل جينيير : المسيحية ، ص ٩٥ ، ٩٦ ، ١٤٠ .

(٢) السابق ، ص ١٠٠ ، وانظر : ص ٣٩ - ١٤٠ .

٣ - دور بولس فى المسيحية :

عرض ابن تيمية لبولس باعتباره مؤسِّساً لدعوة جديدة بهدف القضاء على دعوة المسيح عيسى ابن مريم نبى الجليل [١] ، فيقول الإمام [٢] :

« وهذا الغُلُوّ الذى فى النصارى حتى اتخذوا المسيح وأمه إلهين من دون الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قد ذكروا أن أوَّل من ابتدعه لهم بولس الذى كان يهودياً فأسلم ، واتبع المسيح نفاقاً ، ليلبس على النصارى دينهم ، فأحدث لهم مقالات غالية وكثرت البدع فى النصارى فى اعتقاداتهم وعباداتهم .

ويتضمن تقرير الإمام لدور بولس ، كما يشير النص السابق أن :

١ - بولس صاحب عقيدة تأليه المسيح ومجموعة العقائد الغالية فى المسيحية .

٢ - هو المسئول عن مجموعة من البدع فى العبادات النصرانية .

٣ - اتباع بولس للمسيح لم يكن إلا نفاقاً من أجل إفساد دين المسيح .

وسنناقش بنود تقرير الإمام عن دور بولس كلاً على حدة بالترتيب السابق لنقف على ما تقوله الدراسات الحديثة :

١ - بالنسبة للبند الأول : فإن بولس على الرغم من كونه أكثر الوجوه المسيحية مجالاً للنقاش ، إلا أنه لا خلاف على أنه كان بحق « منشئ المستقبل » للمسيحية الحالية [٣] ، وبدونه كان من المحتمل ألا توجد المسيحية [٤] .

فإليه يعود الفضل فى تأسيس المسيحية ، لأن المسيح - عليه السلام - إن كان قد أرسى دعائم المبادئ الأخلاقية للمسيحية ، وكذلك نظرتها الروحية وما يتعلق بالسلوك الإنسانى ، فبولس هو صانع مبادئ اللاهوت ، والذى أضاف عبادة المسيح ، كما ألف جانباً كبيراً من العهد الجديد ، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد وجعل المسيحية ديانة عالمية من الديانات الكبرى بعد أن كانت مجرد طائفة يهودية ،

---

(١) انظر ص : ١٨٠ .

(٢) جامع الرسائل والمسائل (المجموعة الأولى / ٢٦٠) .

(٣) شارل جينيير : المسيحية ، ص ١٠٨ .

(٤) السابق ، ص ١٤١ .

ولا يعرف أحد – قط – ما كان سيئول إليه أمر المسيحية لولا بولس [1] .

يقول « بيرى » أحد كبار علماء المسيحية : « كان عيسى يهودياً وقد ظل كذلك أبداً ، ولكن بولس كوَّن المسيحية على حساب عيسى ، فبولس هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة من اليهود ، كما أدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى مُنْقِذ ، ومُخَلِّص ، وسَيِّد ، استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة ... وعمد كذلك – ليرضى المثقفين اليونان – فاستعار من فلاسفة اليونان ، وبخاصة الفيلسوف (فيلو) فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة (اللوغوس) ، أو ابن الإله ، أو الروح القدس [2] .

وتبرز من خلال النقاط السابقة – فضلاً عن دور بولس – مجموعة العقائد التى وضعها بولس فى المسيحية ، وأشار إليها الإمام آنفاً ، وهى :

١ – أن المسيحية ليست ديناً لليهود فقط ، بل هى دين عالمى .

٢ – ألوهية المسيح .

٣ – بنوة المسيح لله ، ونزوله من السماء ، ليضحى بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر .

٢ – بالنسبة للبند الثانى ، فدور بولس فى تأسيس المسيحية الجديدة لم يقتصر على زرع مجموعة العقائد السابقة ، بل جعل من تناول النصارى للخبز – جماعة – غايةً كبرى لسرٍّ رفيع ، وتذكرة ورمزاً حياً لعذاب المسيح على الصليب من أجل تخليص البشر ، يقول بولس [3] : « إن الرب يسوع فى تلك الليلة التى أُسلِم فيها أخذ خبزاً وبعد أن شكر كسره وقال : خُذُوا فكُلُوا هذا هو جسدى الذى يكسر لأجلكم افعلوا هذا لذكرى ، وعلى مثال ذلك بعد أن تعشى أخذ الكأس أيضاً وقال : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى فافعلوا هذا كلما شربتم لذكرى ، لأنه كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس فإنما تعلنون موت الرب إلى أن يأتى » .

---

(١) مايكل هارت : المائة ، ص ٢٣ – ٢٤ ، وانظر : ص ١٧ ، ٣٦ – ٣٧ .

(٢) (الديانات فى العالم ، ص ٧٠) نقلاً عن د . أحمد شلبى / المسيحية ، ص ٧٦ .

(٣) الرسالة الأولى إلى أهل قرنثية (١١/٢٣ – ٢٦) .

وكذلك جعل من طقوس الاغتسال للتعميد معنى لا يقل عمقاً عما سبق ، فقوله فى الرسالة إلى أهل غلاطية : « لأنكم جملة مَنْ عُمِّدْتُم للمسيح قد لَبِسْتُم المسيحَ ، فليس ثَمَّ يهودىٌ ولا يونانىٌ ، وليس عَبْدٌ ولا حرٌ ، وليس ذكر ولا أنثى لأنكم جميعكم واحد بالمسيح يسوع » [١] ، يعنى أن المسيحى يتحد بالمسيح بواسطة التعميد .

فإذا أضفنا إلى ذلك وصيته بما نراه اليوم فى الكنائس من التسابيح والأغانى الروحية والمزامير والتراتيل [٢] ، وكذلك تعطيله سُنَّة الختان التى اعتبرها ليست شيئاً [٣]، لعلمنا أن دوره فى التشريع وسن العبارات لا يقل أهمية عن دوره فى وضع العقائد .

٣ - أما البند الثالث فيتعلق بالطريقة الدراماتيكية التى تحول على إثرها من يهودى متعصب ينفث غضباً وتهديداً وقتلاً لتلاميذ المسيح إلى داعية المسيحية الأول بين أتباع المسيح الحقيقيين ، تلك الحادثة التى لا يستطيع حديثه عنها وما ترويه أعمال الرسل بشأنها - وهما المصدر الوحيد لها - الوصول إلى تفسير مُرْضٍ لها ، وعلى افتراض الوصول إلى تصور ما لعملية التحول تلك فإن السبب الحقيقى المباشر يبدو لبعض الباحثين فى طى المجهول [٤] .

لكن ليس الأمر كذلك بالنسبة لنا ، فأبعاد ذلك المجهول لا بد ستتكشف لو ألقينا الضوء على أمرين كلاهما عامل مؤثر ودور فعال فى تحديد هويّة انقلاب بولس المفاجئ وتحوله من عدو للمسيح وتلاميذه إلى داعية لدينه .

أولهما : طبيعة بولس الشريرة المسيطرة على فكره وعمله ، لدرجة أنه لا يستطيع عمل خير قط إذا ما همَّت نفسه بفعله يوماً ما [٥] ، مما جعله منافقاً يتخذ من الغاية مبرراً للوسيلة ، منهجاً لدعوته يسير عليه ، لاقتناص الأتباع الجدد بأى وسيلة كان ذلك لا يهم [٦] ، فالمهم لديه هو رضاء الجميع وموافقتهم [٧] ، وإن جره ذلك إلى الكذب : « إن

(١) الرسالة إلى غلاطية (٣/٢٧ - ٢٨) .
(٢) الرسالة الأولى إلى أهل قرنثية (١٤/٢٦ - ٣٣) .
- رسالة إلى إفسس (٥/١٩) .
(٣) الرسالة الأولى إلى أهل قرنثية (٧/١٩) .
(٤) شارل جينيير : المسيحية ، ص ١٢٤ - ١٢٧ .
(٥) رسالة إلى أهل رومية (٧/١٨ - ٢٤) .
(٦) الرسالة الأولى إلى أهل قرنثية (٩/١٩ - ٢٢) .
(٧) السابق (١٠/٣٣) .

كان حق الله قد ازداد بكذبي لمجده فلماذا أُدَانُ أنا بعدُ كخاطئ » (١) .

الثاني : تمسكه بعقيدته الفريسية ، فمن المؤكد أن « رؤيا طريق دمشق لم تغير من ذات بولس ، بل دفعته فحسب إلى تطبيق مبادئه القديمة في اتجاه جديد ، لقد ضم عيسى إلى مجال نشاطه وتبنّاه في عنف ، فراح يكمل معلوماته عنه ، ولعله بدأ بدراسته هذه في دمشق أولاً ، وراح يُعْمل فكره وخياله ويطبق أساليبه التي اعتادها كيهودي وفريسيٍّ من أهل المهجر على ما تلقاه هناك ، وهو حتى في دفاعه عن عقيدته الجديدة وهجومه على الشريعة اليهودية قد بقي يهودياً كما كان من قبل ، وهذا ما يعبر عنه (رينان) بحق عندما يقول : إن بولس لم يغير سوى موضوع تعصبه » (٢) .

ويقودنا مجموع الأمرين إلى أن بولس اليهودي ما كان ليترك عقيدته الفريسية من أجل دعوة يَكِنُّ الحقد والكراهية والعداوة الشديدة لصاحبها وأتباعها ، مما جعله بوازع من طبيعة نفسه الشريرة (بولس) يفتعل قصة وهمية كجواز مرور إلى أتباع الدعوة (المسيحية - اليهودية) كما يحلو للبعض تسميتها ، ليفسد عليهم دعوتهم ، وينقلهم عنها حسداً من عند نفسه .

وتؤكد الدراسات الحديثة أن تلك الطائفة من أتباع المسيح الحقيقيين الذين يسمونهم (المسيحيون - اليهود) قد رفضت ما يدعو إليه بولس وانفصلت تماماً عنه (٣) ، مما يرجح أنهم قد وقفوا على حقيقة تحوله إلى المسيحية وغرضه منها .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الحواريين قد نظروا إليه كخائن ، ووصفته وثائق (مسيحية - يهودية) بـ « العدو » ، واتهمته بـ « التواطؤ التكتيكي » (٤) لتبين لنا صحة وصف الإمام ابن تيمية له بالنفاق وبقَصْر مهمة دخوله المسيحية على إفساد دعوة نبي الجليل ، وأن ذلك لم يكن خافياً على أتباع المسيح الحقيقيين .

---

(١) رسالة إلى أهل رومية (٣/٧) .
(٢) شارل جينيير : المسيحية ، ص ١٢٧ .
(٣) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٧١ .
(٤) السابق .

٤ - دراسته النقدية للكتاب المقدس :

عرض الإمام ابن تيمية - كغيره من علماء المسلمين [١] - لدراسة الكتاب المقدس دراسة نقدية على أسس علمية منهجية ، دعامتها الموضوعية وهدفها الفرقان بين الحق والباطل ، والصحيح والزائف ، مما نسب من قول أو فعل إلى الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم بالكتاب المقدس .

وتقوم دراسة الإمام النقدية للكتاب المقدس على النقد الداخلى لنصوصه أكثر من اعتمادها على وجوه النقد الخارجى والتاريخى ، كما سيتبين لنا من خلال عرض نظراته النقدية للكتاب المقدس [٢] .

وقد وضع الإمام مجموعة من الأسس والمعايير المنهجية التى تتوقف عليها معرفة الكتب الإلهية التى أوحى بها الله - تعالى - إلى أنبيائه ورسله ، بالدليل القاطع والبرهان اليقينى والحجة البالغة ، تتمثل فى المقدمات التالية [٣] :

١ - ثبوت نبوة من تُنْسَب إليه هذه الكتب .

---

(١) توفر كثير من علماء الإسلام على الدراسة النقدية للكتاب المقدس مثل :
- الجاحظ .
- على بن ربن الطبرى .
- القاضى عبدالجبار .
- القرطبى المفسر .
- الجوينى .

ويأتى على رأسهم الإمام ابن حزم الأندلسى صاحب الجهد العظيم فى بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس ، مما يجعله الدارس الأكبر فى هذا الحقل العلمى :
للمزيد من التفاصيل عمن عرض للدراسة النقدية لأسفار الكتاب المقدس من علماء الإسلام وعلماء الأديان الغربيين ، انظر : « مقارنة الأديان » لأستاذنا الدكتور / محمد عبدالله الشرقاوى .

(٢) يجدر بنا أن نشير إلى أن نظرات الإمام النقدية للكتاب المقدس قد يكون سبقه إليها بعض علماء الإسلام ممن ذكرنا فى السطور السابقة لكن هذا لا يقف حائلاً أمام مناقشتها باعتبارها - أيضاً - من نتاج الإمام ، وإن لم يكن أول من وقف عليها ، وذلك لسببين :
١ - أن الإمام ابن تيمية قد تأكد منها بنفسه كما سنرى من تأكيده على : « رأيت ذلك بنفسى » .
٢ - أنه أقرها ولم يعترض عليها أو يوجه إليها انتقاداته وفق منهجه التحليلى النقدى لكل ما يعرض له سواء أكان من نتاج المسلمين أم غيرهم ، وبذلك تكون مُطَابِقَةً لآرائه .

(٣) الجواب الصحيح (١/٣٥ ، ٣٥٢) ، (١٩/٢ ، ٤٩ - ٥٠ ، ١٢٢) ، (٢٥٨/٣ ، ٢٦٤) .

٢ - العلم القطعي بإملاء النبيّ أو كتابته تلك الكتب بناء على وحي إلهي .

٣ - اتصال السند المتواتر لهذه الكتب حتى وصولها إلينا .

٤ - نقل متونها دون تغيير أو تبديل .

٥ - صحة ترجمتها من لسان النبي المعين إلى اللغات الأخرى .

وقد أدار الإمام دراسته النقدية للكتاب المقدس على أساس مجموعة المقدمات والضوابط المنهجية التي أرساها ، فلمّا عرض أسفار الكتاب المقدس على تلك المعايير انتهى إلى أن تلك الأسفار قد وقع بها التحريف : إما عمدا وإما خطأ : في ترجمتها ، وفي تفسيرها ، وشرحها ، وتأويلها ، وذلك باتفاق اليهود والنصارى [1] .

فهل توافقه الدراسات اليهودية والنصرانية - بالفعل - على ما انتهى إليه ؟ لا جدال أن ذلك يتضح بعد مناقشة حيثياته التي دفع بها لإثبات التحريف وتتمثل في :

١ - الطعن في سند الكتاب المقدس :

قرر الإمام بعد فحصه أسفار الكتاب المقدس (التوراة ، كتب الأنبياء ، الأناجيل) أنها مقطوعة الإسناد ليس لها سند متصل متواتر النقل ، فيقول : « ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بألفاظ هذه الأناجيل ، لا نقل متواتر ، ولا آحاد بأكثر مما هم عليه من الشرائع ، ولا عندهم ولا عند اليهود نقل متواتر بألفاظ التوراة ونبوات الأنبياء » [2] .

وهو يعتمد في تقريره هذا على وجهين من وجوه النقد :

أولهما : النقد الخارجي ، ويتمثل في انقطاع النقل المتواتر للتوراة عقب الخراب الأول لبيت المقدس ، فبعد أن يورد أقوال العلماء في كيفية كتابة التوراة بعد خراب بيت المقدس يعلق قائلاً : « وهذا كله لا يوجب تواتر جميع ألفاظها ، ولا يمنع وقوع الغلط في بعضها ، كما يجري مثل ذلك في الكتب التي يلي نسخها ومقابلتها وحفظها القليل :

---

(١) الجواب الصحيح (١/٣٤٧ - ٣٤٨ ، ٣٥٢ ، ٣٦٣) ، (٢/٥) ، (٣/٢٦٤) .
- الفرقان بين الحق والباطل ، ص ٨٦ .
(٢) الجواب الصحيح (١/٣٦٠) ، وانظر : (١/٣٥٦ ، ٢/١٨ ، ١٩) .

الاثنان والثلاثة »[1] .

أما الأناجيل فينطلق من إقرار النصارى بأنها من إملاء أربعة من أتباع المسيح لم يبلغوا حد التواتر ، كما أن منهم من لم ير المسيح ، إلى أن نَقْل هذا العدد القليل يجوز فيه الغلط ، لأنهم ليسوا بمعصومين [2] .

الثاني : النقد الداخلى ، ويتمثل فيما ورد بالكتاب المقدس من نصوص تقطع بأن من نسبت إليه من الأنبياء لا يصح أن يكون هو كاتبها ، وذلك مثل ما ذُكِر فى التوراة عن وفاة موسى - عليه السلام - فى سفر التثنية : « فمات موسى عبدُ الرب هناك فى أرض مواب بموجب كلمة الرب ، فدفنه فى واد بأرض مواب قُبَالة بيت فعور ، ولم يعلم إنسان بقبره إلى اليوم »[3] .

فيعلق الإمام على ذلك قائلاً : « ومعلوم أن هذا الذى فى التوراة والإنجيل من الخبر عن موسى وعيسى - بعد توفيهما - ليس هو مما أنزله الله ، ومما تلقوه عن موسى وعيسى ، بل هو مما كتبوه مع ذلك للتعريف بحال توفيهما ، وهذا خبر محض من الموجودين بعدهما عن حالهما ، ليس هو مما أنزله الله عليهما ، ولا هو مما أمرا به فى حياتهما ، ولا مما أخبرا به الناس »[4] .

وقد عكف الفيلسوف باروخ سبينوزا الذى يعتبر أكبر ناقد للتوراة من علماء اليهود على فحص سند العهد القديم ، بالإضافة إلى جهده فى شرح وتحليل الفكر النقدى لابن عزرا [5] فى دراسة سند التوراة ، والذى يمثل فى الوقت نفسه رأى سبينوزا .

---

(١) الجواب الصحيح (٣٥٦/١) ، وانظر : (١٨/٢ ، ١٩) .

(٢) السابق (٣٥٦/١) .

(٣) التثنية (٥/٣٤ - ٦) .

(٤) الفرقان بين الحق والباطل ، ص ٨٦ .

(٥) ابن عزرا هو الحبر اليهودى الغرناطى إبراهيم بن عزرا ، ولد سنة ١٠٩٢م وتوفى فى غرناطة سنة ٥٦٢ هـ - ١١٦٧م .

وقد شرح سبينوزا فكر ابن عزرا النقدى لسند التوراة والذى يتخلص فى :

١ - أن موسى - عليه السلام - لم يكتب أسفار التوراة الموجودة لدى اليهود والنصارى .

٢ - أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جداً .

٣ - أن موسى - عليه السلام - قد كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار الخمسة المشهورة .

انظر : سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٦ - ٢٦٨ ، ترجمة د . حسن حنفى ، طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١م .

وكانت نتيجة فحصه كالتالى :

١ – الأسفار الخمسة (تكوين ، خروج ، لاويين ، العدد ، تثنية) لا يستطيع أحد أن يؤكد – عن حق – أن موسى مؤلفهما ، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة .

٢ – سفر يشوع ، كُتِب بعد يشوع بقرون عديدة [١] .

٣ – سفر القضاة ، لا يظن شخص سليم العقل أن القضاة أنفسهم قد كتبوه [٢] .

٤ – سفر صموئيل ، كُتِب بعده بقرون عديدة [٣] .

ويلخِّص سبينوزا نتيجة فحصه بقوله : « وبذلك ننتهى إلى أن كل الأسفار التى عرضنا لها حتى الآن قد كتبها مؤلِّفون آخرون غير الذين تحمل هذه الأسفار أسماءهم ، وأن الروايات التى تتضمنها تقص علينا حوادث قديمة » [٤] .

أما بالنسبة للدراسات المسيحية فقد توفر عدد من علماء الأديان على دراسة سند الكتاب المقدس [٥] :

– ففى القرن الخامس عشر كشف الأسقف الأسبانى « توستاتوس » بعض النصوص الموضوعة فى العهد القديم ، كما أعلن « بودنشتين » سنة ١٥٢٠م أن مؤلف الأسفار الخمسة مجهول .

– فى القرن السابع عشر كانت الأعمال العظيمة للراهب « زيتشارد سيمون » فاتحة خير للنقد العلمى الحديث ، مثل كتابه (التاريخ النقدى للعهد القديم) الذى أكد فيه على صعوبة التسلسل والتكرار والاختلافات فى الأسلوب ، وقد فقد بسببه منصبه .

– وفى القرن الثامن عشر وضع « إيكهارن » سنة ١٧٨١م نظرية البحث عن مصادر

---

(١) رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٥ .
(٢) السابق .
(٣) السابق .
(٤) السابق ، ص ٢٧٦ .
(٥) انظر ترجمة الدكتور حسن حنفى لرسالة سبينوزا ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ .
وانظر : الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى : مقارنة الأديان ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ١١٠ .
ولتفصيلات أكثر حول الدراسات النقدية لعلماء البروتستانت راجع : رحمة الله الهندى : إظهار الحق ، الجزء الأول .

الكتاب المقدس ، ووضع « فلهاوزن » نظرية المصادر الأربعة للكتاب المقدس ، وشك « فولتير » فى أسفار نشيد الأنشاد والجامعة .

ونشطت الدراسات النقدية على أيدى النقاد البروتستانت الذين تأثروا بمدرسة « هيجل » التى روَّج لها « إرنست رينان » ، وأهم كتاب نقدى ظهر فى مطلع هذا القرن هو « جوهر المسيحية » لهرناك ، وقد أثار جدلاً واسعاً .

ويلخص باحث غربى معاصر هو الدكتور « أوين كول » موقف علماء الغرب اليوم من سند التوراة فيقول [1] : « هناك عدد كبير من علماء الأديان الغربيين فى القرنين الأخيرين يرون أن التوراة إن هى إلا مجموعة من المكتوبات التاريخية الموروثة ، قد جمعت معاً فى كتاب خلال فترة طويلة تصل إلى ستة قرون ، وأن توراة موسى الأصلية هى التى أدرجت فى سفر التثنية الحالى » .

وفيما يخص إسناد العهد الجديد ، فإن المدخل إلى العهد الجديد والذى يمثل آراء السلطات الدينية المسيحية - اليوم - يقول بالحرف الواحد تحت عنوان (نص العهد الجديد) :

« بَلَغَنا نَصُّ الأسفار السبعة والعشرين فى عدد كبير من الكتب الخط (المخطوطة) التى أنشئت فى كثير من مختلف اللغات ، وهى محفوظة الآن فى المكتبات فى طول العالم وعرضه ، وليس فى هذه الكتب الخط كتاب واحد بخط المؤلف نفسه ، بل هى كلها نسخ ، أو نسخ النسخ للكتب التى خطها يد المؤلف نفسه ، أو أملاها إملاء .

وجميع أسفار العهد الجديد من غير أن يستثنى واحد منها كتب باليونانية ، وهناك أكثر من خمسة آلاف كتاب خَطٍّ بهذه اللغة ، أقدمها كُتِب على أوراق البردى وسائرها كتب على الرق ، وليس لدينا على البردى سوى أجزاء من العهد الجديد بعضها صغير .

وأقدم الكتب الخط التى تحتوى معظم العهد الجديد أو نصه الكامل كتابان مقدسان على الرق يعودان إلى القرن الرابع ، وأجلهما (المجلد الفاتيكانى) ، سمى كذلك لأنه محفوظ فى مكتبة الفاتيكان ، وهذا الكتاب الخط مجهول المصدر ، وقد أصيب بأضرار لسوء الحظ ، ولكنه يحتوى العهد الجديد ما عدا الرسالة إلى العبرانيين والرسالتين الأولى

---

(١) نقلاً عن الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى : مقارنة الأديان ، ص ١٣٨ .

والثانية إلى طيموتاوس والرسالة إلى طيطس والرسالة إلى فيلمون والرؤيا .

والعهد الجديد كامل في الكتاب الخط الذي يقال له (المجلد السينائي) ، لأنه عثر عليه في دير القديسة كاترينا ، وكُتب هذان المجلدان بخط جميل يقال له الخط الكبير ، وهما الأشهران بين نحو ٣٥٠ كُتِبَتْ على الرق بالخط نفسه » [١] .

كما يؤكد هذا المدخل عدم وجود هذه النصوص المكتوبة قبل القرن الثاني ، فيقول ما نصه : « ومهما يكن من أمر فليس هناك قبل السنة ١٤٠م أي شهادة تثبت أن الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيلية المكتوبة ، ولا يُذْكر أن لمؤلَّف من تلك المؤلفات صفة ما يلزم فلم يَظْهر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني شهادات ازدادت وضوحاً على مر الزمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأن لها صفة ما يلزم وقد جرى الاعتراف بتلك الصفة على نحو تدرجي » [٢] .

٢ - الشك في صحة بعض نصوصه :

وذلك كالقول المنسوب إلى المسيح - عليه السلام - : « اذهبوا وعلِّموا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح » [٣] ، والذي يعتبره ابن تيمية عمدة النصارى على التثليث [٤] ، ومن هنا فقد أولاه عناية خاصة بالشرح والفحص والتفسير في مواضع متعددة من الجواب الصحيح [٥] .

وتناولُ الإمامِ لهذا النص يسبقه الشك المستمر في صحة نسبته إلى المسيح وصدوره منه عليه السلام ، لذلك يصدر تناوله للنص بعبارة : « وهذا إذا قاله المسيح » [٦] ، « إن

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد (للكاثوليك) اعتماد بولس باسيم النائب الرسولي للاتين ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٥م ، الطبعة العاشرة ، ص ٦ ، ٧ .

(٢) مدخل إلى العهد الجديد للكاثوليك ، ص ٣ .

وانظر : ما تقوله مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشورة عام ١٩٧٢م نقلاً عن : موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٧٥ .

(٣) متى (١٩/٢٨) .

(٤) الجواب الصحيح (١٣١/٢) .

(٥) السابق (٢٠١/١ ، ٦٧/٢ ، ٩١ ، ٩٥ - ٩٧ ، ١٣١ - ١٣٢) .

(٦) السابق (٦٧/٢) .

هذا القول إن كان المسيح لم يقله »[1] ، « إن صحت هذه العبارة عن المسيح المعصوم عليه السلام »[2] .

ومبعث شك ابن تيمية فى هذا النص أمران :

أولهما[3] : عدم وروده إلا فى إنجيل متى .

الثانى[4] : أن هذه العبارة يفهم منها المعانى الباطلة عند الإطلاق .

وقد انتهت الدراسات الحديثة إلى الشك فى هذا النص واعتباره دخيلاً على إنجيل متى ، ويرجع السبب فى ذلك الشك كما يقول « أدولف هرنك » أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين إلى الآتى[5] :

١ - لم يَرِدْ إلا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا .

٢ - أن صيغة التثليث هذه التى تتكلم عن : الآب والابن والروح القدس ، غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل وهو الشئ الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً .

كما أن إنجيل مرقس الذى يُجْمِع الباحثون على اعتماد متى عليه فى تدوين إنجيله[6] ، قد بات مقطوعاً لدى العلماء المحدثين أن خاتمة إنجيله التى تتضمن الدعوة إلى التبشير بين الأمم دخيلة على الإنجيل الأصلى لمرقس[7] :

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٩٥) .
(٢) السابق (٢/٩٧) .
(٣) السابق (١/٢٠١) .
(٤) السابق (٢/٩٥ - ٩٦) .
(٥) أحمد عبدالوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، ص ٦١ ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
وانظر له أيضاً : حقيقة التبشير ، ص ١٨ .
(٦) بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٨١ - ٨٢ ، د . محمد عبدالله الشرقاوى ، مقارنة الأديان ، ص ١٦٣ .
(٧) بوكاى : ص ٨٦ ، د . محمد عبدالله الشرقاوى ، مقارنة الأديان ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

فالتراجـــم الحديثـــة للكـــتاب المقـــدس ، ومنها الترجمة الإنجليزية (Revised Standard Version) وكـــذلك الترجمـــة الفرنســـــيـة (Traduction Oecumeneniqu de la Bible) تقرر أن إنجيل مرقس ينتهى عند الآية الثامنة من الإصحاح السـادس عشـر ، أى أن بقية آيات الإصحاح (من ٩ إلى ٢٠) لم تُعْرف بالإنجيل إلا بعد أكثر من ١٠٠ سنة بعد كتابته (١) .

كذلك يقول « جون فنتون » عميد كلية اللاهوت بليتشفيلد بإنجلترا : فى تفسيره لإنجيل متى : « على حسب معلوماتنا فإن إنجيل مرقس الذى كان بين يدى متى قد انتهى عند (١٦ : ٨) ، وعلى هذا فإن ظهور يسوع للنساء فى إنجيل متى (٢٨ : ٩) قد أضافه متى ، وحسبما نعلم فإن إنجيل مرقس لم يحتو على أية روايات تتكلم عن ظهور الرب المقام من الأموات » (٢) .

ويقول « نينهام » أستاذ اللاهوت بجامعة لندن ورئيس تحرير سلسلة « بليكان » لتفسير الإنجيل أثناء تفسيره لإنجيل مرقـس : « إنه على الرغـم من أن هذه الأعداد (٩ : ٢٠) تظهر فى أغلب النسخ الموجودة لدينا من إنجيل مرقس ، إلا أن النسخة القياسية المراجعة مصيبة تماماً فى اعتبارها غير شرعية مُنْزِلة إياها من النص إلى الهامش » (٣) .

ويقول المدخل إلى إنجيل مرقس (٤) :

« وهناك سؤال لم يلق جواباً : كيف كانت خاتمة الكتاب ؟ من المسلَّم به - على العموم - أن الخاتمة كما هى الآن (١٦/٩ : ٢٠) قد أضيفت لتخفيف ما فى نهاية الكتاب من توقف فجائى فى الآية ٨ » .

---

(١) أحمد عبدالوهاب : حقيقة التبشير ، ص ١١٣ .
(٢) أحمد عبدالوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، ص ٢٩٥ .
(٣) السابق ، ص ٢٩٤ .
(٤) مقدمة إنجيل مرقس (العهد الجديد للكاثوليك) اعتماد بولس باسيم ، ص ١٥٣ .

٣ - اختلاف نسخ وتراجم الكتاب المقدس :

يولي الإمام ابن تيمية هذه المسألة عناية فائقة ، فاختلاف نسخ الكتاب المقدس في : نصوصها ، وترجمتها ، وتفسيرها ، هي أبرز دليل - لديه - على تغيير وتبديل وتحريف الكتاب المقدس [١] .

كما تعتبر مسألة اختلاف نسخ وتراجم الكتاب المقدس أبرز وجوه النقد الداخلي لدى الإمام ، لاعتمادها على الفحص الشخصي والرؤية والمشاهدة أكثر من الاعتماد على المباحث التاريخية ، أو مقررات العلماء والباحثين ممن عرضوا لنقد الكتاب المقدس ، لذلك فهو يحرص دائماً على إثبات معاينته لاختلاف النسخ والتراجم ، وتأكيده على رؤيته مواضع الاختلاف بنفسه [٢] .

ووجوه اختلاف الكتاب المقدس التي وقف عليها الإمام هي :

١ - [٣] اختلاف النسخ المعتمدة لدى كل من : اليهود ، النصارى ، السامرة [٤] .

ولا يحتاج إثبات اختلاف نسخ الكتاب المقدس لدى طوائف اليهود والنصارى والسامرة إلا إلى العودة لقائمة أسفار العهد القديم المعتمدة عند كل طائفة [٥] .

---

(١) الجواب الصحيح (١/٣٦٣ ، ٣٨٠) ، (٢/٢٠ ، ٢١) .
(٢) السابق (١/٣٨٠) ، (٢/٢٢ ، ٢٧) .
(٣) السابق (١/٣٨٠) ، (٢/٢١ ، ٢٢ ، ٢٦) .
(٤) السامرة هي إحدى فرق اليهود وتضم بقية أسباط بني اسرائيل عدا سبطي يهوذا وبنيامين وبعض بني لاوي ، وهم لا يعترفون بنبي بعد موسى - عليه السلام - إلا بيوشع فقط ، ويكذبون بباقي أنبياء بني اسرائيل ، ولا يقرون بالبعث ، ولهم قبلة غير قبلة بني إسرائيل .
انظر : ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/٨٢) .
الشهرستاني : الملل والنحل (٢/٢٣ - ٢٤) .
د . محمد عبدالله الشرقاوي : مقارنة الأديان ، ص ٢٣ .
(٥) الكتاب المقدس : نسخة البروتستانت : نشرة وليم واطس بلندن ، سنة ١٨٥٧م : وأعادت تصويره مكتبة السائح ، بيروت ، ١٩٨٣م .
- كتب الشريعة الخمسة : (توراة الكاثوليك) اعتماد بولس باسيم ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- التوراة السامرية ، نشر دار الأنصار بترجمة الكاهن السامري (أبو الحسن إسحاق الصوري) القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- مدخل إلى العهد القديم (ترجمة التوراة للكاثوليك) اعتماد بولس باسيم ، ص ٤٦ - ٤٧ .
وانظر : الدكتور محمد عبدالله الشرقاوي : مقارنة الأديان ، ص ٢٤ ، ٣٨ .

فالسامرة لا تسلّم من أسفار العهد القديم - التى ذكرناها عند التعريف بالكتاب المقدس [١] إلا بسبعة أسفار فقط هى : التوراة (تكوين ، خروج ، تثنية ، عدد ، لاويين) ، يشوع ، القضاة ، وتعتبر السفرين الأخيرين تاريخيين فحسب ، كما تَرُدُّ بقية أسفار التوراة وتراها محرّفة أو موضوعة .

ويؤمن الكاثوليك بستة وأربعين سفراً من أسفار العهد القديم ، أى يسلّمون بعدد من الأسفار أكثر مما يسلّمه اليهود أنفسهم ، بينما يرفض الأرثوذكس منها ثلاثة أسفار هى : سفر باروخ ، المكابيين الأول ، المكابيين الثانى .

أما البروتستانت فلا يسلّمون بسبعة أسفار من قائمة العهد القديم التى يؤمن بها الكاثوليك هى : أسفار طوبيا ، يهوديت ، الحكمة ، باروخ ، المكابين الأول ، المكابين الثانى ، كهنوت عيسى بن سيراخ المسمى إيكليزيا استيكس .

ويلاحظ أن الأسفار غير المعتمدة عند البروتستانت ليست معتمدة - أيضاً - لدى اليهود العبرانيين .

بالنسبة للعهد الجديد فإن أسفاره المعتمدة - اليوم - لدى طوائف النصارى لا تمثل إلا نَزْراً يسيراً وغَيْضاً من فَيْض من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها ، والتى استبعدها علماء النصارى فى القرن الخامس الميلادى [٢] .

فالفرق النصرانية القديمة أقرّت أناجيل تخالف الأناجيل المعروفة اليوم ، فكان لأصحاب مرقيون إنجيل ، ولأصحاب ديصان إنجيل ، ولأصحاب مانىّ إنجيل ، وهنا إنجيل يقال له (السبعين) ، وهناك آخر اشتهر باسم التذكرة ، وإنجيل اشتهر باسم (سرن تهس) [٣] .

وكان آباء الكنيسة الأقدمون يستشهدون بنصوص من أناجيل عديدة غير المعروفة اليوم : كإنجيل بطرس ، والنصارى ، والعبرانيين والمصريين ، وإنجيل الحق ، وفيلبس ، وتوما ، ويعقوب .

---

(١) راجع ص ٤٣ .

(٢) بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٩٨ - ١٠٠ .

(٣) أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، ص ٤٧ .

وهذه الأناجيل تختلف اختلافاً واضحـاً عن الأناجـيل المعتمدة لدى النصـارى ، وقد حظى بعضها بتقدير جميع الكنائس فحفظ فى حالة حسنة كإنجيل برنابا والديداكى(١) .

كما تكشف لفائف مخطوطات نجع حمادى التى اكتشفت عام ١٩٤٥م عن مكتبة كاملة من النصـوص والكتب التى لم تعترف بها الكنيسة ، وقد نشـرت محتـويات هذه اللفائـف بعد ترجمتـها إلى الإنجلـيزية فى كتاب ضخـم بعـنوان : The Nag Hammadi Libraryin English. ويضم الكتاب أناجيل منسوبة إلى: بولس ، توماس ، جيمس يوحنا ، فيليب ، كما يضم رسائل وكتب رؤيا وأسفاراً أخرى على غرار المعتمدة ، وهناك مرجع آخر يضم كثيراً من هذه الكتب التى لم تقرها الكنيسة وهو :
The lost Books of the Bible and the forgotton Books of Eden.
وقد نشر فى الولايات المتحدة الأمريكية فى عدة طبعات منذ ١٩٢٦م - ١٩٧٤م ، وهو يشكِّل مع سابقه قيمة تاريخية عظيمة لتاريخ الأسفار والكتب المسيحية التى كانت مقدسة ثم ألغتها الكنيسة (٢) .

٢ - اختلاف النصوص والألفاظ (٣) :

تقول دائرة المعارف الأمريكية : « لدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا بقصد أو بدون قصد فى الوثائق والأسفار التى كان عملهم الرئيسى هو كتابتها أو نقلها : وقد حدث التغيير بدون قصد حيث أخطأوا فى قراءة أو سمع بعض الكلمات ، أو فى هجائها ، أو أخطأوا فى التفريق بين ما يجب فصله من الكلمات وما يجب أن يكون تركيباً واحداً .

كذلك فإنهم كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين ، وأحياناً ينسون كتابة كلمات ، بل فقرات بأكملها .

وأما تغييرهم فى النص الأصلى عن قصد فقد مارسوه مع فقرات بأكملها حين كانوا يتصورون أنها مكتوبة خطأ فى صورتها التى بين أيديهم ، كما كانوا يحذفون بعض

---

(١) مدخل إلى العهد الجديد ، للكاثوليك ، اعتماد بولس باسيم ، ص ٥ - ٦ .
(٢) د . محمد عبدالله الشرقاوى : مقارنة الأديان ، ص ٢٥ - ٢٦ .
(٣) الجواب الصحيح (١/٣٨٠) ، (٢/٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧) .

الكلمات أو الفقرات ، أو يزيدون على النص الأصلى فيضيفون فقرات توضيحية »[1] .

ويذكر المدخل إلى العهد القديم : « أن هناك عدداً من النصوص المشوهة التى تفصل النص العبرى الأول عن النص الأصلى ، فمن المحتمل أن تقفز عين الناسخ من كلمة إلى كلمة تشبهها وترد بعد بضعة أسطر مهملة كل ما يفصل بينهما ، ومن المحتمل أيضاً أن تكون هناك أحرف كتبت كتابة رديئة فلا يحسن الناسخ قراءتها فيخلط بينها وبين غيرها ، وقد يُدْخل الناسخ فى النص الذى ينقله لكن فى مكان خاطئ تعليقاً هامشياً يحتوى على قراءة مختلفة أو على شرح ما »[2] .

وقد شمل الاختلاف بين نسخ الكتاب المقدس أهم أسفاره وأعلاها قدراً لدى طوائف اليهود والنصارى والسامرة ، وهى أسفار التوراة الخمسة ، بل تطرق الخلاف إلى أهم المواضع فيها ، والتى تمثل أساس العقيدة الشريعة فى الكتاب المقدس ألا وهى الوصايا العشر أو الكلمات العشر كما يسمونها ، والتى كان الإمام ابن تيمية سبّاقاً فى رصد وتسجيل الاختلاف بين نسخ الكتاب فى شأنها[3] .

فكما يذكر الإمام لم يرد فيها ذكر لاستقبال جبل (جريزيم) إلا فى نسخة السامرة[4] ، ولاحظ سبينوزا اختلافات بين نصوص الوصايا العشر ليس على مستوى نسخ السامرة واليهود فقط ، بل بين أسفار النسخة الواحدة فكتب قائلاً :

« والواقع أننى عندما أقارن الوصايا العشر وحدها فى التثنية بالوصايا العشر فى الخروج (وفيه تروى قصتها صراحة) أجد اختلافات من جميع النواحى ، فالوصية الرابعة قد صيغت بطريقة مخالفة ، وليس هذا فحسب بل لقد كانت فى عباراتها أطول كثيراً »[5] .

ويؤكد بوكاى أن الاختلافات النصية بين الوصايا فى السفرين واضحة جداً[6] .

---

(١) نقلاً عن أحمد عبدالوهاب : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ، ص ١٩ - ٢٠ ، الطبعة الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢) مدخل إلى العهد القديم (للكاثوليك) ، اعتماد بولس باسيم ، ص ٥٢ .

(٣) الجواب الصحيح (١/٣٨٠) .

(٤) التوراة السامرية ، سفر الخروج ، (١٧/٢٠) .

(٥) سبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٩ - ٢٨١ .

(٦) بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٢١ .

أما العهد الجديد فيسجل المدخل إليه : « أن نسخ العهد الجديد التى وصلت إلينا ليست كلها واحدة ، بل يمكن المرء أن يلاحظ فيها فوارق مختلفة الأهمية ولكن عددها كثير جداً على كل حال .

هناك طائفة من الفوارق لا تتناول سوى بعض قواعد الصرف والنحو أو الألفاظ أو ترتيب الكلام . لكن هناك فوراق أخرى بين الكتب الخط (المخطوطة) تتناول معنى فقرات برمتها .

واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسير ، فإن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التى تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت – مهما بذل فيها من الجهد – بالموافقة التامة للمثال الذى أخذت عنه يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أحياناً – عن حسن نية – أن يصوبوا ما جاء فى مثالهم وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة أو قلة دقة فى التعبير اللاهوتى »[1] .

ومن أبرز الأمثلة على اختلاف النصوص فى النسخ المختلفة للعهد الجديد ، ذلك الادخال الزائف فى رسالة يوحنا الأولى ، والذى كان يعتبر من أسس عقيدة التثليث .

ونصّه حسب الترجمة البروتستانتية التى ننقل عنها :

« فى السماء ... الآب والكلمة وروح القدس وهؤلاء الثلاثة واحد ، والشهود فى الأرض ثلاثة »[2] .

فهذا النص لا يظهر إلا فى ترجمة الملك جيمس الإنجليزية فقط ، لكنه اختفى من كل من[3] :

١ – الترجمة القياسية الإنجليزية .

٢ – الترجمة الفرنسية المسكونية .

---

(١) مدخل إلى العهد الجديد (للكاثوليك) ، ص ٧ ، وانظر مزيداً من التفصيلات عن اختلاف النسخ : بوكاى ، ص ١٠١ – ١٠٢ .

(٢) رسالة يوحنا الأولى (٥/٧ – ٨) .

(٣) أحمد عبدالوهاب : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ، ص ٤١ .

٣ - ترجمة لوى سيجو الفرنسية .

٤ - التراجم الكاثوليكية الفرنسية الحديثة التى ظهرت منذ أكثر من ٧٥ عاماً .

٥ - التراجم البروتستانتية الحديثة التى ظهرت منذ أكثر من ٤٠ عاماً .

٦ - التراجم الكاثوليكية العربية الحديثة : كالعهد الجديد للكاثوليك ، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية .

بينما لا يزال فى الترجمة العربية للكتاب المقدس للبروتستانت ، وقد وضعته بين هلالين علامة على عدم أصالته (١) .

٣ - اختلاف المعانى وتناقضها (٢) :

وتبرز هذه المشكلة الخطيرة فى الأناجيل الأربعة ، مما دفع دائرة المعارف الأمريكية إلى أن تقرر أن : « الاختلاف بينهم عظيم ... لدرجة أنه لو قبلت الأناجيل المتشابهة (متى ، مرقس ، لوقا) باعتبارها صحيحة وموثوقاً فيها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا » (٣) .

ويؤكد شارل جينيبر أن تصفح الأناجيل - وحده - يكفى للإقناع بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث ، والأحاديث ، مما يتحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية (٤) .

ويحذر الأب كانينجسر الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس من الأخذ بحرفية الأحداث الواردة فى الأناجيل ، لأنها كتابات ظرفية أو خصامية تمثل آراء جماعات مختلفة ينقل عنها كاتبوا الأناجيل أحداثاً لم يَرَوْها (٥) .

وقد نتج عن هذا أن احتوت الأناجيل عدداً هاماً من الروايات التى تسرد أحداثاً إما أن تكون مذكورة فى إنجيل واحد ، وفى هذه الحالة تطرح مشاكل كثيرة ، وإما أن

---

(١) العهد الجديد للبروتستانت ، ص ٣٦٦ .
(٢) الجواب الصحيح (١/٣٥٢ - ٣٨٠) .
(٣) أحمد عبدالوهاب : حقيقة التبشير ، ص ٤١ .
(٤) شارل جينيبر : المسيحية ، ص ٣٧ .
(٥) بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ٦٨ .

يذكرها أكثر من واحد من كتاب الأناجيل ، وحينئذ تسرد بشكل مختلف ، وأحياناً بشكل مختلف جداً يخلق تناقضات تثير البلبلة [1] .

ومن أبرز الأمثلة الوفيرة على اختلاف روايات الأناجيل وتناقضها رواية ظهور المسيح بعد قيامته من بين الموتى والتى علق عليها الأب روجى فى كتابه (مقدمة إلى الإنجيل) قائلاً :

« لا تتطابق تماماً فى الأناجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر ، فليس هناك إلا امرأة واحدة فى إنجيل يوحنا وهى مريم المجدلية ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات ، فهى تقول (لا نعرف أين وضعوه) ، أما فى إنجيل متى فملاك هو الذى يعلن للنساء أنهن سيرين المسيح بالجليل ، ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر ، ولاشك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدّل قليلاً فى مصدره ، يقول الملاك : وتذكرون كيف تحدث إليكنّ عندما كان بالجليل .

والواقع أن لوقا لا يشير إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته ، أما يوحنا فيقول إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت المقدس ثم فى المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة ... إذن بالجليل .

أما متى فإنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل » [2] .

ويضيف بوكاى أن كل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح المتضمنة فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥/٥ – ٧) ، إذ يصرح فيها أن المسيح قد ظهر لأكثر من خمسمائة شخص فى وقت واحد ، وليعقوب ولجميع الرسل دون أن ينسى بولس نفسه فيمن تراءى لهم المسيح [3] .

---

(١) بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ، ص ١١٧ .
(٢) السابق ، ص ١٢١ .
(٣) السابق .

ثانياً : مكانة منهجه فى حقل الجدل الدينى مع أهل الكتاب :

يجدر بنا - قبل أن نبدأ فى الكشف عن مكانة منهج الإمام ابن تيمية فى حقل الجدل الدينى مع أهل الكتاب بعقد مقارنة موسعة مع أحد أعلام ذلك الحقل - أن نطرح بين يدى تلك المقابلة مقدمات ضرورية تُحْكَم وتَتَحكَّم بموضوع المقابلة وطبيعتها ، وتتمثل فى سمات عامة تميز موضوع الجدل الدينى مع النصارى وهى :

١ - وحدة الموضوع :

ذلك بأن المناظرات والكتابات الجدلية الإسلامية ضد المسيحية تجمعها الأهداف والموضوعات التالية (١) :

- إثبات التحريف والتبديل فى الكتاب المقدس لدى النصارى ، وبيان وجوه التناقض والاختلاف فيه .
- إبطال ألوهية المسيح والثالوث المقدس لدى النصارى .
- إدانة العبادات والشعائر المسيحية القائمة على اعتقادات باطلة مبتدعة .
- تثبيت نبوة محمد ﷺ بالدلائل والبراهين المتعددة .
- الرد على شبهات النصارى حول الإسلام ، ونبيه ﷺ .

---

(١) انظر مثلاً :
- الجاحظ : الرد على النصارى ، بتحقيق الدكتور : محمد عبدالله الشرقاوى .
- الحسن بن أيوب: رسالة إلى أخيه يشرح فيها سبب إسلامه ، الجواب الصحيح (٢/٢١٣-٣/٤)
- القاضى عبدالجبار : الجزء الخامس من موسوعته المغنى ، بتحقيق : محمود الخضرى ، تثبيت دلائل النبوة : بتحقيق د . عبدالكريم عثمان .
- الجوينى : شفاء الغليل فى الرد على من بدل التوراة والإنجيل .
- الغزالى : الرد الجميل ، بتحقيق الدكتور : محمد عبدالله الشرقاوى .
- ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل .
- أبو الوليد الباجى:الجواب على رسالة راهب فرنسا ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى
- القرطبى : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام .
- الخزرجى : مقاطع هامات الصلبان ، بتحقيق : محمد شامة تحت عنوان (بين الإسلام والمسيحية) .
- عبدالله الترجمان : تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، بتحقيق الدكتور : محمود حماية .
- نصر بن يحيى المتطيب : النصيحة الإيمانية ، بتحقيق الدكتور : محمد عبدالله الشرقاوى .

٢ - وحدة الدوافع والمنطلقات :

فذلك المجال يعنى فى المقام الأول الدفاع عن الدين الإسلامى فى مواجهة النصارى الذين هاجموه أو حاولوا الطعن فيه بعد رفضهم قبول دعوته والإيمان بشريعته وذلك استجابة لتوجيهات القرآن الكريم فى مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن ، ويعنى ذلك بيان الحق لهم وإبطال الباطل مما يعتقدون ويعملون بالحجة والمنطق والبرهان وفق المقررات القرآنية فى بطلان دينهم .

٣ - الإفادة من كتابات المهتدين للإسلام :

إذ مثّلت كتابات هذه الجماعة المباركة من المهتدين للإسلام الذين انتقلوا إليه من علماء اليهود والنصارى وكتبوا فى مجادلة أصحاب دياناتهم السابقة ، رافداً هاماً ومصدراً قيماً خصوصاً فى مجال نقل الأدلة السمعية والنصوص الدينية من الكتب القديمة ومجادلة أهل الكتاب بها ، ولفت أنظار الدارسين المسلمين إلى هذه النصوص وفحصها واستنباط الدلائل منها (١) .

٤ - تقارب المنهج والأدلة :

وهذا نتيجة طبيعية لوحدة الموضوع والهدف واتفاق الدوافع والمنطلقات والاشتراك فى نفس المصادر ، إذ يقود ذلك إلى مناهج جدلية متقاربة وأدلة نقلية وعقلية مشتركة وإن اختلفت مذاهب وتوجهات المفكرين والعلماء ، يقول أحد الباحثين :

« وهنا نلاحظ ظاهرة هامة ، وهى اختفاء الخلافات المذهبية بين العلماء الذين تصدوا لهذا العمل الجليل وتقاربهم فى المنهج والأدلة » (٢) .

وتقودنا تلك المقدمات إلى التسليم بوقوع التشابه - ضرورةً - بين مؤلفات وآراء علماء الجدل الدينى مع أهل الكتاب ، أما فيصل التفرقة فى تلك المشابهات والفارق المميز بين تلك الكتابات فيرجع إلى منهج البحث العلمى عند المؤلف وأسلوبه فى الجدل والإبانة وطريقته فى التأليف والكتابة مما سيتضح عندما نشرع فى تدوين وجوه المقابلة

---

(١) د . محمد عبدالله الشرقاوى : مقدمته لتحقيق النصيحة الإيمانية ، ص ٢١ .

(٢) د . حامد طاهر : مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٥ ، مؤسسة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

بين الإمام ابن تيمية وشهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن أبو العباس القرافى [1] .

والمقارنة بين الإمام ابن تيمية وبين القرافى ضرورة تفرضها مقتضيات البحث ومنهجية الدراسة ، لما بين دراسة الإمام ابن تيمية للنصرانية ، وبين دراسة القرافى من مناسبات وعلاقات تجعل المقابلة بينهما ضرباً من التأصيل والبيان لقيمة دراسة ابن تيمية ، وذلك للأسباب التالية :

١ - أن حياة الرجلين متقاربة تقارباً يكاد يكون معاصرة فى جزء منها . فالقرافى عاش فى الفترة من (٦٢٦ - ٦٨٢ هـ) وابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ) مما يرجح استفادة اللاحق من السابق .

٢ - أن كلا الرجلين قد أجاب على رسالة بولس الأنطاكى .

٣ - اتهام دى ماتيو المستشرق الإيطالى لابن تيمية بأنه قد نقل فى الجواب الصحيح مباحث القرافى [2] .

* * * * *

---

(١) هو أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن بن عبدالله ، ويكنى أبا العباس ، ويلقب بشهاب الدين ينسب إلى القرافة من بقاع مصر ، وأصله من صنهاجة بأرض المغرب ، وكان مولده ونشأته بمصر سنة ست وعشرين وستمائة هجرية ، وكانت وفاته بمصر سنة ٦٨٢هـ .

(٢) نقلاً عن فايزة محمد بكرى : ابن تيمية ونقده للنصرانية ، رسالة ماجستير ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٥ .

« بين ابن تيمية والقرافى »

نسجل – فى البداية – أنه لا يمكننا ولا يمكن لغيرنا أن ينكر تأثر الإمام ابن تيمية بمن سبقوه فى حقل الجدل الدينى مع النصارى بخاصة وأهل الكتاب على العموم ، وإلا كان من يزعم ذلك كاذباً على شيخ الإسلام متهماً إياه بالقعود عن طلب المعرفة والانقطاع عن التماسها .

فإذا كان الأسد – كما يقولون – إن هو إلا مجموعة شِيَاهٍ مهضومة فأسدنا قد أجمع من عرفه من المؤيدين ومخالفيه فى الرأى على سعة فكره وغزارة علمه وموسوعية معرفته فى مختلف فروع العلم والبحث (١) .

فهو يستفيد من كل المفكرين والنظار ، فيما يكون فيه التأييد والتدعيم لمذهب أهل السنة ، ولما يؤمن بأنه الحق ، سواء أكان مصدره فيلسوفاً أم متكلماً سُنِّياً ، أم مجادلاً شيعياً ، وقد دعاه ذلك النهج إلى الاعتراف لكل مذهب ولكل عالم بما فيه من خير ، وبيان ما هو عليه من باطل ، فلم تمنعه خلافاته مع المفكرين والعلماء من الإفادة بآرائهم ودراساتهم(٢) .

لذلك نقطع بتأثر الإمام بسابقيه من علماء الجدل الدينى مع أهل الكتاب لكنه تأثر اقتباس لا متابعة ، والبون شاسع بينهما ، تقوم دون سد فراغه خصائص ابن تيمية الشخصية والعلمية والمنهجية ، والتى تحقق له استقلالاً فكرياً يظل بمنأى عن التبعية والتقليد .

وليس ذلك حكماً مسبقاً يحدد نتيجة المقارنة بين الإمام والقرافى ، لكنها اعتبارات هامة يجب أن تؤخذ فى الحسبان ، بل نضيف إليها احترازاً آخر ، وهو أن الإمام ابن تيمية لم يعرض – مطلقاً – للقرافى ، لا فى مجال الجدل الدينى مع أهل الكتاب ، ولا فى مجال العقائد أو الفقه وهو ما اشتهر فيه القرافى ، فالقرافى ليس من مصادر ابن تيمية المباشرة أو غير المباشرة فى دراسة النصرانية ، كما أن الإمام لم يذكره ولو مرة

---

(١) انظر فى ذلك : العقود الدرية : ابن عبد الهادى .
ـ الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية .
(٢) د . رشاد سالم : مقارنة بين الغزالى وابن تيمية ، ص ٢٤ – ٢٥ .

واحدة فى مؤلفـاته الأخرى ، على الرغم من أن القرافى قد شـرح كتابين [١] للرازى كثيراً ما تناولهما الإمـام فى مؤلفـاته [٢] ، وهما : (الأربعيـن فى أصول الدين) ، (المحصول) ، وكانت عادة الإمام أن يذكر مع الكتاب ما تعرض له من تصانيف تؤيده أو تعارضه أو تشرحه [٣] .

نأتى بعد ذلك إلى طبيعة المقابلة بين الإمام والقرافى وهى أمر تكتنفه صعوبات عدة ليس أقلها شأناً ، إغراء الانسياق وراء العاطفة الشخصية التى تحيد بنا عن الطريق الموضوعى ، وليس أعلاها قدراً محاولة الجدل والتلفيق لإثبات المخالفات ونفى الموافقات ما دامت تحقق الهدف المطلوب .

لأننا نبغى لمقابلتنا ألا تقف عند حدود الإدراك الظاهر للمسائل فحسب ، بل نأمل ونهدف إلى العودة بموضوعات المقارنة إلى أسس الفكر الذى طرحها ، لذلك ستكون المقابلة من خلال :

١ - الهدف :

وفيه يتبين لنا أن دراسة القرافى للنصرانية دراسة مختصرة ، لم يُرِدْ لها صاحبها أكثر من أن تكون رداً على رسالة ، أو جواباً لمجموعة من الأسئلة الدائرة على الألسن أو المفترضة ، وذلك من قبيل رد الشبهات والمطاعن ، يقول القرافى :

« الجواب عن الأسئلة على وجه الاختصار دون الإكثار فى الانتصار » [٤] .

لذلك لم يتعد حجم كتابه « الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة » أربعمائة وخمسين صفحة فى النسخة المحققة التى نعتمد عليها .

---

(١) ذكر صاحب هدية العارفين أن للقرافى كتابين هما : (شرح الأربعين فى أصول الدين للراز (نفائس الأصول فى شرح المحصول) له أيضاً .

(٢) انظر مثلاً : درء تعارض العقل والنقل (٢/٢٠٧ ، ٢٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩) ، (١/٧ ٢/٣٢٧ ، ٣٢٨) .

(٣) انظر مثلاً : تناوله كتاب الإرشاد للجوينى مع شرحه لأبى القاسم الأنصارى ابن أبى موس تعارض العقل والنقل ٢/١٨٨ ، ٩/٣) .

(٤) القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، بتحقيق د . بكر زكى ، ص ٥١ ، ٦٦ .

بينما جاءت دراسة الإمام ابن تيمية وأهم سماتها الشمول كما بيّنا [1] ، لذلك فقد استوعبت قضايا النصرانية بإفاضة تامة حتى جاوزت صفحات موسوعته « الجواب الصحيح » – وحده – وهو أحد مؤلفاته فيها ، جاوزت ألفاً وأربعمائة من الصفحات فى النسخة غير المحققة التى نعتمد عليها .

٢ – المنهج :

وهذا يختلف من ناحية ويقترب من ناحية أخرى :

فمن ناحية التناول يقوم منهج الإمام على تناول النصرانية فى مستويين :

- تبديل دين المسيح .
- تكذيب محمد ﷺ .

بينما يتناول القرافى النصرانية فى مقامات أربعة [2] :

- بيان وتفسير مواضع غلط النصارى فى الاستدلال بالقرآن على صحة مذهبهم .
- الرد على أسئلتهم التى اعتادوا طرحها على المسلمين .
- معارضتهم بأسئلة تصعب الإجابة عليها .
- إثبات نبوة محمد ﷺ من خلال كتبهم .

بينما يقترب المنهج فيما يتعلق بمجادلة النصارى فى مواطن النزاع والخلاف بين الإسلام والنصرانية ، فنجد الإمامين يشتركان فى :

(أ) النقد الداخلى للنصوص :

فيدفع القرافى القول بصحة الإنجيل ، بما حواه من تضارب بين نصوصه ، فيقول : فى هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها لبعض تد عظيم ، حتى أن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من

---

(١) انظر ص ١٥٠ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ، ص ٤٧ – ٥٠ .

عند الله »[1] ثم يورد خمسة عشر مثالاً لذلك التناقض [2] .

ويعتبر النقد الداخلى من أبرز قواعد منهج الإمام فى دراسة النصرانية [3] .

(ب) الاحتجاج على النصارى بما فى كتبهم :

ويبرز ذلك فى مسألتين :

أولهما : البشارة بمحمد ﷺ فى الكتاب المقدس ، فيورد كل من الإمامين ما استطاع من بشارات فى كتب النصارى ، لأنها ألزم فى إفحامهم بإثبات نبوته [4] .

الثانية : إبطال التثليث وألوهية المسيح وإثبات عقيدة التوحيد [5] .

(جـ) الاعتماد على المنهج التاريخى :

وذلك فى مجال إثبات :

- ضياع التوراة الأصلية بعد استيلاء بختنصر على بيت المقدس [6] .
- تبديل دين المسيح بإقرار الأمانة فى مجمع نيقية [7] .
- بعض دلائل نبوة محمد ﷺ [8] .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ، ص ١٠٥ .

(٢) السابق ، ص ١٠٨ – ١١٨ .

(٣) انظر ص ١٣٢ .

(٤) الأجوبة الفاخرة ، ص ٤١١ – ٤٥٧ .
- الجواب الصحيح (٢٩٩/٣ – ٣٣٢ ، ٣/٤ – ٢١) .

(٥) الأجوبة الفاخرة ، ص ٢١٠ – ٢٢١ ، ٣١٣ ، ٣٩١ – ٣٩٢ .
- الجواب الصحيح (٢١٧/٢ – ٢١٨) .

(٦) الأجوبة الفاخرة ، ص ٢٣٧ – ٢٣٩ ، ٣٧٠ .
- الجواب الصحيح (٣٥٦/١ ، ١٨/٢ – ١٩) .

(٧) الأجوبة الفاخرة ، ص ٣٠٤ – ٣١٣ .
- الجواب الصحيح (١١٤/١ – ١١٥ ، ١١٦/٢) .

(٨) الأجوبة الفاخرة ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .
- الجواب الصحيح (٨٠/٤ – ٩٦) .

(د) المنهج المقارن :

ويعتمد عليه القرافى فى رد دعوى النصارى بعدم الحاجة إلى رسالة محمد ﷺ بعد مجئ موسى - عليه السلام - بشريعة العدل ، ومجئ المسيح بشريعة الفضل ، ويقصر المقارنة على اليهودية والنصرانية والإسلام (١) .

بينما يعتبر النهج المقارن والمقابلات بين الشرائع والأمم من ركائز الإمام ابن تيمية لا فى مجال رد دعوى النصارى السابقة فقط ، بل يعمم ذلك النهج فى مختلف المسائل والقضايا التى عرض لها ، كما لا يقصره على الرسالات السماوية فقط . بل تعداه إلى المقارنة والمقابلة مع الديانات الوضعية ومذاهب الطوائف الدينية (٢) .

٣ - المصادر :

تمثل قضية المصادر حجر الزاوية لمن يرغب فى أى دراسة مقارنة على وجه العموم ولمن يبحث فى حقل الجدل الدينى مع أهل الكتاب على وجه الخصوص لاعتماد كثير من الكتب على بعضها البعض فى مجال نقل مذاهب وعقائد أهل الكتاب أو الرد عليها وهو ما أشار إليه ابن تيمية عند تعليله لأخطاء هذه الكتب واختلافها فيما بينها (٣) .

وهذا ما وقع فيه القرافى بالضبط ، فقد اعتمد على المؤلفات الإسلامية فى نقل مذاهب وعقائد النصارى وفى الرد عليهم .

فنقل عن القرطبى صاحب الإعلام - نقلاً حرفياً بدون أن يذكر - وبنفس الترتيب الوارد بالإعلام عقائد النصارى وردود القرطبى عليها فى مسائل :

- الصلب (٤) .

- الختان (٥) .

- الصوم (٦) .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ، ص ١٥٣ - ١٧٤ .
(٢) انظر ص ١٤٠ .
(٣) انظر ص ٥١ .
(٤) الأجوبة ، ص ١٩٤ - ١٩٧ ، قارن الإعلام ، ص ٤١٤ - ٤١٩ .
(٥) الأجوبة ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦ ، قارن الإعلام ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
(٦) الأجوبة ، ص ٣٢٩ - ٣٣١ ، قارن الإعلام ، ص ٤٢٢ .

- الأعياد [1] .

- القربان [2] .

- تقديس بيوتهم بالملح [3] .

- التصليب على الوجه [4] .

ونقل عن أبى عبيدة الخزرجى صاحب مقامع هامات الصلبان - أيضاً بدون أن يذكر وبنفس الألفاظ والترتيب - حيل النصارى فى تثبيت دينهم ، وتفسيره لتلك الحيل [5] .

بينما نجد الإمام ابن تيمية على النقيض من ذلك ، فهو يعتمد فى إثبات عقائد النصارى على كتبهم ، ويظهر ذلك من قائمة مصادره النصرانية التى أوردناها فى فصل المصادر ، كما أنه اعتاد الإشارة إلى مصادره دائماً إما بالتصريح أو التلميح .

فقد اعتمد - مثلاً - على القرطبى صاحب الإعلام ، واقتبس منه مذهب القديس أوغسطين فى كتابه (مصحف العالم الكائن) والرد عليه ، لكنه أشار إلى القرطبى وكتابه مرتين ، كلما استفاد شيئاً ذكر ذلك [6] .

وقد استدل الإمام أيضاً بمجموعة الحيل التى أوردها صاحب مقامع هامات الصلبان لكنه ألمح إليه بقوله : « وقد صنف بعض الناس مصنفاً فى حيل الرهبان مثل الحيلة ... » [7] .

ويبدو لى أن اشتراك القرافى وابن تيمية فى هذين المصدرين ، بالإضافة إلى اعتماد كل منهما واحتفائه البالغ برسالة الحسن بن أيوب ، كان وراء التشابه الظاهرى بين

---

(١) الأجوبة ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، قارن الإعلام ، ص ٤٢٤ - ٤٢٧ .
(٢) الأجوبة ، ص ٤٠١ - ٤٠٤ ، قارن الإعلام ، ص ٤٢٧ - ٤٢٩ .
(٣) الأجوبة ، ص ٤٠٥ ، قارن الإعلام ، ص ٤٣٠ .
(٤) الأجوبة ، ص ٤٠٦ - ٤٠٩ ، قارن الإعلام ، ص ٤٣٠ - ٤٣٢ .
(٥) الأجوبة ، ص ٥٩ - ٦٣ ، ٣٢٧ ، قارن : د . محمد شامة : بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢٦٧ - ٢٧٢ .
(٦) انظر ص ٦٠ .
(٧) الجواب الصحيح (١/٣٢٥) قارن بين الإسلام والمسيحية ، ص ٢٦٧ - ٢٧٢ ، الرسالة القبرصية ، ص ٤٤ - ٤٥ .

كتابيهما ، ذلك التشابه الذى دفع دى ماتيو إلى اتهام ابن تيمية بالنقل عن القرافى ، وذلك لعجز المستشرق عن فهم تباين منهج الاستدلال لديهما ، وكذلك لقعوده عن البحث فى قضية المصادر ، فلم يجد تفسيراً لذلك سوى القول بالنقل .

٤ - الدقة العلمية :

وقد جانبت القرافى - كثيراً - نظراً لاعتماده على النقل دون فحص وتمحيص ، ولعدم رجوعه إلى المصادر الأصلية لكتب النصارى ، مما أوقعه فى مجموعة من الأخطاء العلمية والتاريخية مثل :

أ - عدم الدقة فى نسبة النصوص إلى الكتاب المقدس :

فهو يذكر قصة داود مع زوجة أوريا الحثى ، وينسبها إلى سفر (ملاحيم) [١] ، وعلى فرض أن الاسم المذكور تصحيف وخطأ من الناسخ وأن صحته (ملاكى ، أو ناحوم) فإن النسبة خطأ فى الحالين ، إذ وردت القصة فى سفر (صموئيل الثانى / الإصحاح الحادى عشر) .

ب - تاريخ مجمع نيقية :

يذكر القرافى قصة انعقاده وتاريخه فيذهب إلى أنه بعد رفع المسيح بمائتى وثلاثة وثلاثين عاماً [٢] ، والمعروف أن تاريخ انعقاد المجمع ٣٢٥ م .

جـ - المعلومات التى أوردها عن بولس :

- فيذكر أنه كان ملكاً [٣] ، ولم يكن بولس كذلك حسبما يروى سفر أعمال الرسل .
- قصة تنصره على يد الراهب [٤] ، وهى تخالف ما يرويه سفر أعمال الرسل فى ذلك [٥] .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ، ص ٢٥٨ .
(٢) السابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .
(٣) السابق ، ص ٣١٩ .
(٤) الأجوبة الفاخرة ، ص ٣١٧ .
(٥) يذكر سفر أعمال الرسل أن بولس قد تنصر وهو فى الطريق إلى دمشق بعد ظهور المسيح له .
انظر : أعمال الرسل (الإصحاح : ٩ ، ٢٢ ، ٢٦) .

- اجتماع بولس مع يعقوب الذى تُنْسب إليه اليعقوبية ، نسطور الذى تُنْسب إليه النسطورية ، وملكاً الذى يظن البعض أنه الذى تُنْسب إليه الملكانية [1] .

وهذا خطأ فاحش فبولس قتل سنة ٦٨م على عهد نيرون فى روما ، بينما لم تظهر هذه الفرق ومؤسسوها إلا بعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م فكيف يجتمع بولس بنسطور أو يعقوب البراذعى بعد مماته ؟

- دعوة بولس للتثليث واستجابة الحكام له [2] .

وهذا خطأ فاحش أيضاً ، إذ لم يَدْعُ بولس للتثليث ، ولم يتقرر التثليث إلا فى مجمع القسطنطينية عام ٣٨٣م بعد تأليه الروح القدس [3] .

ويدل مجموع هذه الأخطاء - فى الحقيقة - على ضعف المصادر التى اعتمد عليها القرافى فى دراسته .

وفى المقابل نجد دراسة ابن تيمية للنصرانية تتسامى عن مثل هذه الأخطاء العلمية ، بل تؤيدها الدراسات الحديثة فيما ذهبت إليه من آراء وتوجيهات وما ذلك إلا لأمرين :

أولهما : اعتماد الإمام على مصادر أصيلة موثوق بها .

ثانيهما : اعتماده على الفحص والتحليل ، لا على مجرد النقل والتسليم دونما نقد أو تمحيص .

ويقوم ذلك دليلاً على عدم متابعته للقرافى أو نقله عنه كما ذكر دى ماتيو ، فلو كان الإمام مجرد ناقل ، لنقل الأخطاء التى وقع فيها القرافى أو بعضها على الأقل ، لكن ذلك لم يحدث .

فإذا أضفنا إلى ذلك مسألة الاشتراك فى بعض المصادر التى أشرنا إليها من قبل ، تأكد لنا أن اتهام دى ماتيو للإمام دعوى لا تملك من الأدلة سنداً سوى الزعم ، بل تُثْبِت الأدلة تهافتها وبطلانها .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ، ص ٣٢١ .

(٢) السابق ، ص ٣١٨ .

(٣) انظر ص ٢٠٢ .

نتـائج الدراسـة

درج الباحثون - فى ختام دراساتهم - على تسجيل مجموعة من النقاط التى يطلقون عليها « نتائج » ، وإن كانت - فى الحقيقة - لا تجاوز كونها خلاصة أبحاثهم بعد صياغتها فى قوالب جيدة .

ومن هذا الفهم الواقعى للمسمّيات والحقائق ، لن ندعى أن لبحثنا نتائج عدة تتمثل فى كذا وكذا من النقاط ، لأن موضوع بحثنا - ومثله معه - ليست له - فى الغالب - نتائج ملموسة كنتائج العلوم التجريبية والطبيعية ، إلا إذا اعتبرنا استخلاص منهج ابن تيمية - وهو هدف البحث - نتيجةً فى حد ذاته .

لكننا سنشير إلى أهم النقاط التى سجلها البحث ، أو أبرزها ، أو كشف عنها - ربما لأول مرة - فى حقل الدراسات العلمية حول موضوع الجدل الدينى ومقارنة الأديان .

فمن تلك النقاط :

١ - التأكيد على نسبة وصحة تسمية (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والذى يُشكّل بأجزائه الأربعة مجتمعة أغزر وأعمق ما كُتِب ضد المسيحية فى الإسلام .

٢ - دعوة الباحثين والمهتمين بدراسة موضوع الجدل الدينى والمقابلة بين الأديان إلى البحث والتنقيب عن باقى أجزاء (مسألة الكنائس) التى يرجّح البحث أنها مفقودة من كتاب ابن تيمية ، وكذلك الدعوة للعناية بتحقيق ودراسة رسالته المخطوطة « كلمة الله عيسى ابن مريم وخلق القرآن » .

٣ - إبراز دور ابن تيمية ، وجهوده ، وإسهاماته فى حق الجدل الدينى ومقارنة الأديان ، باعتباره رائداً من روّاد ذلك الحقل ، أضاف إليه عدداً من الأطروحات التى لم يُسبَق إليها ، مثل :

أ - إرسائه قاعدة جديدة على حقل الجدل الدينى مع المِلَل المخالفة وهى أن الإسلام هو الدين الموثّق لغيره من الأديان .

ب - تَنَاولِه النُّصْرانيَّة فى مَقَامين أو على مستويين :

- تبديلهم لدين المسيح .

- تكذيبهم لمحمد ﷺ .

جـ - نَصُّه على دَوْر بولس الخطير فى تبديل دين المسيح .

د - كَشْفُهُ لتأثير الوثنية الشامل فى المسيحية ، ورَبْطُه وإشارتُه الدقيقة المحكمة إلى نَصٍّ القرآن على ذلك التأثير فى قوله تعالى :

﴿ يُضَاهِئُوْنَ قَوْلَ الّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ [1] .

هـ - تَقْسِيمُه المُبْتَكَرُ لأنواع المعجزات إلى :

- معجزات القدرة .

- معجزات العلم .

- معجزات الغنى .

* * * * *

(١) التوبة : (٣٠) .

ملاحـق الدراسـة

[illegible] in Bibliotheca [illegible] Maronitarum [illegible]

الجزء الثاني من كتاب الرد على النصارى المسمى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ... عليه الصلاة والسلام تأليف الشيخ الامام شيخ الاسلام

احمد بن ... عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد ...

[illegible] respondere Christiani, qui allegabant verba Alcorani pro Christi divinitate asserenda quibus vocatur كلمة الله et روح الله et dicitur quod خلق [illegible] creare proprium est Dei. Respondet [illegible] obijciendo alia loca Alcorani quibus [illegible] Christi fuisse hominem et servum et quando fuit creatione [illegible] respondet multis modis; [illegible] respondere [illegible] ex [illegible]

بكلمة الله خلقت السموات والارض [illegible] citabant Christiani verba [illegible] probabant Messiam esse creatorem et consequenter Deum: ille ita respondet.

يقال لهم هذا النص عن داود حجة عليكم كما ان التوراة والقرآن وسائر ما ثبت عن الانبياء حجة عليكم فان داود عليه السلام قال بكلمة الله خلقت السموات والارض ولم يقل ان كلمة الله هي الخالقة كما قلتم انتم انه اشار بالخالق الى كلمة الله . والفرق بين الخالق للسموات والارض وبين الكلمة التي بها خلقت السموات والارض امر ظاهر معروف كالفرق بين القادر والقدرة فان القادر هو الخالق وقد خلق الاشياء بقدرته وليست القدرة هي الخالقة

et ita prosequitur [illegible] Deum. [illegible] respondet [illegible]

الوجه السابع قولهم لانه ليس خالق الا الله وكلمته وروحه ان ارادوا بكلمته كلامه وروحه حياته فهذه من صفات الله كعلمه وقدرته ومشيئته فالخالق هو الله وحده بصفاته داخلة في مسمى اسمه لا يحتاج ان يجعل صفاته معطوفة على اسمه بواو التشريك التي تؤذن ان لله شريكا في خلقه فان الله لا شريك له . ويبين هذا انه لما قال الله تعالى الله خالق كل شيء دخل كل ما سواه في مخلوقاته ولم يدخل صفاته كعلمه وقدرته ومشيئته وكلامه

ملحق رقم (١)

صورة لمخطوط المتحف البريطاني

كتاب تخجيل أهل الإنجيل

والنصح الصحيح في الرد على

من بدل دين عيسى ابن مريم المسيح

تأليف شيخ الإسلام أبي العباس

تقي الدين بن أحمد

ابن تيمية الحراني

رضي الله عنه

آمين

Abu'l Abbâs Takio'ddin Ebn Ahmed Ebn Teimya Al-Harâni
Contra Religionem Christianam
H. 3¼

ملحق رقم (٢)

صورة لمخطوط المكتبة الأهلية بباريس

الصيغة المستعملة فى الكنيسة اليونانية

لخروج المسلم عن دينه

رأينا اتماماً للفائدة أن نقرن الصيغة السابقة بصيغة غريبة مستعملة فى الكنيسة اليونانية نقلناها من كتاب سيلبورج المطبوع سنة ١٥٩٥ وبلاحظ القارئ ما احتوت عليه من الخرافات فى صيغ السباب الموجهة إلى محمد ودينه وفى الواقع لا يفهم الرجل الذى يخرج عن الإسلام ذى المبادىء السهلة البسيطة من تلك اللعنات المتتابعة شيئاً ومن المحتمل ان هذه الشتائم وضعت ليقولها من يخرج عن النصرانية ثم يعود إليها لاننا رأينا فيما تقدم ان المسلمين لا يعدلون عن دينهم كما شهد به المرسلون فى بلاد الشرق والجزائر وإذ كان هذا شأن المسلمين فى هذه الأيام حيث الأمم المسيحية ذات اليد العليا فى الممالك الاسلامية فما ظنك بها أيام القرون الوسطى حيث كان الإسلام يتهدد بقاء الديانة النصرانية فى الوجود والصيغة المذكورة مكتوبة باللغة اللاتينية وقد ترجمناها إلى اللغة الفرنساوية وهى بنصها .

الصيغة الواجبة ملاحظتها على من ينتقل من

دين بنى سارة إلى ديانتنا الطاهرة

الحقة المسيحية

فأولا يجب على المريد أن يصوم أسبوعين ويتعلم الصلاة التى علمنا اياها سيدنا عيسى اليسوع فى أناجيله المقدسة وكذلك علامة الدين وبعد ذلك يلبس القس ثوبه الكهنوتى ويأتى بالمريد فى حضيرة التكريز بحضور المؤمنين الذين يرغبون فى الحضور ويوقفه أمام الهيكل مكشوف الرأس ثم يقول له أنت يا من يترك اليوم ديانة بنى ساره من غير ان تكون مجبورا على ذلك ولا خائفاً أو مغشوشاً بل باختيارك عن طيب نفس وقلب طاهر محب للمسيح ودين المسيح قل كما أقول انى أقلع عن ديانة بنى سارة

كلها وألعن محمدا الذى يمجده بنو ساره ويقولون انه نبى الله ورسوله فيظهر المريد رضاه بنفسه ان كان يعرف اللغة اليونانية أو بواسطة مترجم ان جهلها أو بواسطة وصيه ان كان قاصراً ويتلو القس بعد ذلك الصيغة الآتية والمريد يكررها من بعده فاذا تم القول قال القس فلندع الرب والناس يجيبونه رب ارحم إلى آخر صيغة الدعاء ويختمون بلفظة آمين ويبارك القس المريد ويصرفه ويصير نصرانياً من اليوم الثانى لهذا الاحتفال .

أما ما يقوله القس ويكرره المتنصر فهو ما يأتى .

أنا الذى فى هذا اليوم أترك ديانة بنى سارة حباً فى الديانة المسيحية بغير ادنى اكراه ولا اضطرار ولا غرور ولا غواية بل عن طيب نفس محبة فى المسيح ودين المسيح انى أقلع عن ديانة بنى ساره ويقولون انه نبى الله ورسوله والعن علياً صهر النبى والحسن والحسين ولديه وابا بكر وعمر وطلحة ومعاوية وزيداً واليزيد والسيد وعثمان وجميع صحابة محمد وأنصاره وخلفائه وألعن سيدة وعائشة وزينب وأم كلثوم زوجات محمد الاولى ثم البقية التى هن أكثر جرماً ومعهن ابنته فاطمة وألعن ما يقال له القرآن أعنى به سفر محمد أو كتابه جرماً ومعهن ابنته فاطمة وألعن ما يقال له القرآن أعنى به سفر محمد أو كتابه الذى ادعىٰ انه نزل عليه من السماء على لسان الملك جبريل وكذلك مذهبه بأجمعه وقواعد دينه وقصصه الكاذبة وأسراره وسننه وما أتى به من الكفريات .

وألعن جنة محمد التى يقول ان فيها أربعة أنهار تجرى فيها المياه العذبة ولبن لا يحمض وخمر لذيذ وعسل نقى ويقيم فيها بنو ساره يوم القيامة التى تقوم بعد خمسمائة ألف عام مع نسائهم منهمكين فى الشهوات البدنية ويجلسون تحت شجرة سدرة ويأكلون من الطيور ما يشتهون وجميع فواكه الخريف ويشربون من عين الكافور وعين الزنجبيل التى تسمى سلسبيلا ويشربون أيضاً نبيذاً مزاجه من تسنيم وتعظم

ملحق رقم (٣)

الصيغة المستعملة فى الكنيسة لخروج المسلم عن دينة ودخولة فى المسيحية والتى اوردها الكونت هنرى دى كاسترى فى كتابة " الاسلام خواطر وسوانح "

أجسامهم حتى تبلغ السماء طولا رجالا ونساء ويتمتعون بالعشق والغرام بدون ملل بحضرة الله لأنه يقول ان الله فوق كل حياء .

وألعن الملائكة الذين بسببهم محمد هاروت وماروت وألعن أحاديث محمد وما نقله عن العهد القديم وألعن ذلك المذهب الكاذب وذلك الوعد الذى يدعى فيه محمد انه سيكون فاتح الجنة و به يدخلها سبعون ألفاً من بنى ساره الصادقين وان الله يحكم فى المجرمين فيغلون بسلاسل من رقابهم ثم يدخلون الجنة أيضاً ويقال لهم عتقاء محمد .

وألعن شريعة محمد فى الزواج والطلاق وتطهير الزانيات وعدد الزوجات والسرارى وجميع مذهبه المنجس فى جميع هذه الأشياء .

وألعن ما جاء به محمد من السب فى الله حيث يقول انه يضل من يشاء ويهدى من يشاء وان الله لو شاء لقتلنا بعضنا بعضاً وانه يفعل ما يريد وانه فاعل الخير والشر معاً وهكذا الصدفة والبخت هما المؤثران فى كل شىء .

وألعن أكذوبة محمد التى يقول فيها ان سيدنا والهنا عيسى اليسوع هو ابن مريم أخت موسى وهارون وانه ما ولد من اللحم بل حملته أمه من روح الله وانه قلد الطيور لما كان صبياً من الطين ونفخ فيها فصارت حية وألعن مذهب محمد الذى يقول فيه ان المسيح ليس ابن الله بل نبى الله ورسوله لانه ليس لله شريك وان الذين يقولون ان المسيح شريك الله سيعذبون فى نار جهنم .

وألعن قول محمد ان لله فى مكة بيتاً للصلاة بناه ابراهيم واسماعيل يسمونه الكعبة ويأمر بأن المصلين يولون وجوههم قبله أينما كانوا وألعن ذلك المعبد نفسه الذين يقولون ان فى وسطه حجراً كبيرا يمثل الزهراء ويقدسون هذا الحجر كما يقدسون الحجر الذى يقال بان ابراهيم تعرف عليه بهاجر أو عقل فيه جمله لما أراد أن يقرب اسحاق وبأن الذين يزورون هذا المعبد يضعون احدى اليدين فوق الحجر ويمسكون الاذن

بالثانية ثم يدورون حوله حتى يأخذهم الدوار فيخرون إلى الأرض وألعن مكة ذاتها وأرضها كلها والحجارة السبعة التى يرميها فيها بنو ساره ضد المسيحيين وجميع صلواتهم وعباداتهم وشعائرهم ومذاهبهم .

وألعن قصة محمد فى الناقة التى يقول انها خصصت لله فعقروها فانتقم منهم لاجلها وألعن الذين يعبدون نجم الصباح أعنى بها الزهراء والشعرى التى يسمونها الكبرى .

وألعن جميع قواعد محمد التى يشتم فيها النصارى ويقول انهم كافرون ومشركون ويهيج بنى ساره على قتلهم وابادتهم ويقول ان مقاتلتهم هى طريق الله وان من مات من بنى ساره فى محاربتهم يكونون من أبناء الله ولهم الجنة .

وألعن تعاليم محمد النجسة فى الصلاة حيث يقول ان من يجد ماء فليأخذ تراباً دقيقاً ويمسح به وجهه ويديه وألعن قول محمد ان الإنسان خلق من طين وقطرة ماء ودود الحكة ومادة متأكلة .

وفوق ذلك كله ألعن اله محمد الذى يقول عنه إنه إله فرد كامل لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وعليه ألعن ما تقدم كله ومحمدا نفسه وإلهه الكامل وأبتعد عنه والتحق بالمسيح وهو الحق وحده وأعتقد بالاب والابن وروح القدس .

ثم يتبع ذلك تلخيص المذهب المسيحى ويختم المريد الصيغة بالعبارة الاتية .

وإذا كنت أقول ما أقول عن غش أو خيانة لا عن اعتقاد ويقين وقلب يحب اليسوع فعلى اللعنة ولتكن روحى مع الشيطان .

تابع ملحق رقم (٣٠)

مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: السنة النبوية :

١ - جامع الترمذى .

٢ - صحيح البخارى .

٣ - صحيح مسلم .

ثالثاً: الكتاب المقدس :

١ - التوراة السامرية : نشرة دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٢ - العهد الجديد (للكاثوليك) اعتماد بولس باسيم : منشورات دار المشرق ، بيروت ١٩٨٥م .

٣ - العهد القديم (للكاثوليك) اعتماد بولس باسيم : النائب الرسولى للاتين ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٤م .

٤ - العهد القديم والعهد الجديد (للبروتستانت) : نشرة وليم واطس ، لندن ١٨٥٧ مسيحية ، بتصوير من مكتبة السائح ، بيروت ، ١٩٨٣م .

رابعاً: كتب ابن تيمية :

١ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم : الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، على نفقة الأمير فهد بن عبد العزيز ، مطبعة السنة ، مصر .

٢ - جامع الرسائل : مكتبة المدنى ، جدة ، الطبعة الثانية ، بتحقيق الدكتور رشاد سالم .

٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : طبع المدنى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : مخطوط بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠٦٠٧ .

٥ - درء تعارض العقل والنقل : طبع جامعة الإمام محمد بن سعود ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٦ - الرد على المنطقيين : طبع دار المعرفة ، بيروت ، بدون ترقيم .

٧ - رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : المكتبة القيمة ، مصر ، بدون ترقيم .

٨ - الرسالة القبرصية : طبع المدنى ، جدة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٩ - رسالة كلمة الله عيسى ابن مريم وخلق القرآن : مخطوط بدار الكتب المصرية ، محفوظ تحت رقم ٣٠٢٨٣ ميكروفيلم .

١٠ - العقيدة الواسطية : من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، بشرح الدكتور محمد خليل هراس ، الطبعة الرابعة .

١١ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

١٢ - الفرقان بين الحق والباطل : مطبعة المدنى ، مصر ، بدون ترقيم .

١٣ - مجموعة الرسائل والمسائل : دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة أولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٤ - مجموع الفتاوى : مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ، تصويرا عن طبعة الرياض .

١٥ - معارج الوصول ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

١٦ - مقدمة فى أصول التفسير ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٧ - منهاج السنة النبوية : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون ترقيم .

١٨ - النبوات : مكتبة السنة المحمدية بالقاهرة ، بدون ترقيم .

١٩ - نقض المنطق : طبع السنة المحمدية ، بدون ترقيم .

خامساً : كتب النصارى :

١ - الأريوسية : البروفيسور ب . ك فريستو أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى باليونان ، نشر مركز دراسات الآباء ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٢ - استحالة تحريف الكتاب المقدس : كنيسة القديسة دميانة بالهرم ، بتقديم القس مرقس حبيب ١٩٥٧م .

٣ - أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح : مجموعة من المؤلفين ، نشرة جون هك ، طبع دار القلم ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٤ - الإسلام خواطر وسوانح : الكونت هنرى دى كاسترى ، ترجمة أحمد فتحى زغلول باشا ، طبع دار الفرجانى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٥ - الإسلام فى القرون الوسطى : دومينيك سورديل ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٦ - بدايات الرهبانية اللبنانية : الأب جوزف قزى ، مركز النشر والتوزيع ، الكسليك بيروت ١٩٨٨م .

٧ - تاريخ الأقباط : زكى شنودة : بدون ترقيم .

٨ - تاريخ الحروب المقدسة : مكسيموس مونروند ، طبع أورشليم ١٨٦٥م .

٩ - تاريخ كنيسة أنطاكية : بابا دوبولس ، منشورات النور ١٩٨٤م ، ترجمة استفانس حداد .

١٠ - التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق : البطريرك سعيد بن البطريق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٥م .

١١ - تفسير الأمانة : ساويرس بن المقفع ، مصورة عن نسخة مطبوعة بباريس عام ١٩١٠م .

١٢ - دراسات فى الكتب المقدسة : الأنبا اثناسيوس أسقف بنى سويف ، مطبعة دار العالم العربى ، مصر ، بدون ترقيم .

١٣ - الرؤية الأرثوذكسية لوالدة الإله : مجموعة من المؤلفين ، سلسلة تعرف إلى كنيستك (٩) ، منشورات النور ، بيروت ، ١٩٨٢م .

١٤ - رسالة حنا مقار العيسوى إلى ابن عبيدة الخزرجى : نشرها الدكتور محمد شامة ضمن كتاب (بين الإسلام والمسيحية) ، مكتبة وهبه ، الطبعة الثانية .

١٥ - رسالة يحيى بن عدى فى الرد على أبى عيسى الوراق : مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس وتوجد مصورته بمكتبة قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم .

١٦ - الصحائح فى جواب النصائح : الصفى ابن العسال ، طبع على نفقة مرقس جرجس ، عام ١٦٤٣ قبطية .

١٧ - فلسفة الفكر الدينى : لويس غرديه ، ج . قنواتى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

١٨ - الفلكلور فى العهد القديم : جيمس فريزر ، نشر دار المعارف بالقاهرة ، ترجمة سعادة إبراهيم ، بدون ترقيم .

١٩ - القرآن والمسيحية : البابا شنودة ، مطبعة المجد ، الإسكندرية ، بدون ترقيم .

٢٠ - قيصر والمسيح : ول ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، طبع لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٢١ - كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى : الدكتور أسد رستم ، منشورات النور ، بيروت ، بدون ترقيم .

٢٢ - اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ، يوحنا سلامة ، مكتبة مارى جرجس بشبرا ، الطبعة الثالثة .

٢٣ - المائة مقالة فى الإيمان الأرثوذكس : يوحنا الدمشقى ، بترجمة الأرشمندريت إدريانوس ، المكتبة البولسية ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٢٤ - المائة : مايكل هارت ، بترجمة أنيس منصور ، المكتب المصرى الحديث ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٤م .

٢٥ - مباحث فلسفية دينية : جمعها بولس سباط ، طبع القاهرة ١٩٢٩م .

٢٦ - مجلة المشرق المسيحى : القاهرة ، السنة السابعة - العدد (١٥) عام ١٩٠٤م، (السنة الثانية - العدد (٩) عام ١٨٩٩م .

٢٧ - محاورة المعلم : القديس أوغسطين - أمن كى تعقل / القديس أنسليم ، نشرهما الدكتور / حسن حنفى ضمن نماذج من الفلسفة المسيحية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية عام ١٩٧٨م .

٢٨ - المخطوطات العربية لكتبة النصرانية : لويس شيخور ، طبع الآباء اليسوعيين ، بيروت عام ١٩٢٤م .

٢٩ – المســــيحية : شارل جينيبر ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، بترجمة الإمام عبدالحليم محمود .

٣٠ – مصـباح الظلمة فى إيضاح الخدمة : أبو البركات المعروف بابن كبر ، تحقيق الأب سمير خليل ، مكتبة الكاروز ، بالقاهرة عام ١٩٧١م .

٣١ – مصباح العقل : ساويرس بن المقفع ، سلسلة التراث العربى المسيحى ، دار العالم العربى ، بتحقيق الأب سمير خليل ، القاهرة ، عام ١٩٧٨م .

٣٢ – مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى : نشرها لويس شيخور ، طبع الآباء اليسوعيين ، بيروت ، عام ١٩٠٦م .

٣٣ – مقـالة فى التوحيــــــد : يحيى بن عدى ، سلسلة التراث المسيحى ، المكتبة البولسية ، لبنان عام ١٩٨٠م .

٣٤ – مقالة فى نفى الشـك والكفر عن النصارى : بطرس السدمنتى ، نشرها الأب سمير خليل ، السنة التاسعة عشرة ، بالعدد الأول ، يناير ١٩٧٩م .

٣٥ – موجـز الاعتقـاد فى وحــدانيـة الإلـه : الأنبا غريغور يوس ، من منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية (٣٣) ، القاهرة ، مارس ١٩٨٦م .

٣٦ – ميامر تيودور أبى قرة : نشرة الخورى قسطنطين باشا ، مطبعة الفوائد ، بيروت ، بدون ترقيم .

٣٧ – ميمـر فى وجـود الخالـق والـدين القويـم : تيودور أبو قرة ، بتحقيق الدكتور اغناطيوس ديك ، المكتبة البولسية ، لبنان ١٩٨٢م .

سادساً : كتب الجدل الدينى :

١ – الأجوبة الفاخرة عن الأسـئلة الفاجرة : القرافى ، تحقيق الدكتور بكر عوض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، القاهرة ، بدون بيانات .

٢ – إظهـار الحـق : رحمـة الله الهندى ، نشــرة محمد كمال فراج ، بتقديم الإمام عبدالحليم محمود ، توزيع الأهرام ١٩٧٠م .

٣ – الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام : القرطبى ، نشــرة الدكتور أحمد السقا ، طبع دار التراث العربى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٤ – إفحام اليهود : السموأل بن يحيى ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، طبع دار الهداية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٥ – تثبيت دلائل النبوة : القاضى عبدالجبار ، بتحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان ، نشر دار العروبة ، بيروت ، بدون ترقيم .

٦ – تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب : عبدالله الترجمان ، تحقيق الدكتور محمود حماية ، دار المعارف ١٩٨٤م .

٧ – التمهيد : الباقلانى ، تحقيق الخضيرى ، دكتور عبدالهادى أبى ريدة ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م .

٨ – الدين والدولة فى إثبات نبوة محمد ﷺ : على بن ربن الطبرى ، المكتبة العتيقة ، تونس ، بدون ترقيم .

٩ – الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل ، الغزالى بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، دار الهداية ، مصر ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

١٠ – الرد على النصارى : الجاحظ ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، دار الصحوة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م .

١١ – الرد على النصارى : الجعفرى ، مكتبة وهبه ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م .

١٢ – رسالة أبى الوليد الباجى فى الرد على راهب فرنسا : تحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، دار الصحوة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

١٣ – شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل : الجوينى ، نشرة الدكتور أحمد السقا ، مكتبة الكلية الأزهرية ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

١٤ – الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ابن حزم ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، بدون ترقيم .

١٥ – مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء : أحمد ديدت ، طبع دار الاعتصام ، سنة ١٩٨٩م ، بترجمة على الجوهرى .

١٦ – المغنى (الجزء الخامس) ، القاضى عبدالجبار ، بتحقيق محمود الخضيرى ، طبع المؤسسة المصرية العامة عام ١٩٦٥م .

١٧ - مقامع هامات الصلبان : أبو عبيدة الخزرجى ، نشرة الدكتور محمد شامة تحت عنوان بين الإسلام والمسيحية ، مكتبة وهبه ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

١٨ - النصيحة الإيمانية فى فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن عيسى بن سعيد المتطبب ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، دار الصحوة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٩ - هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى : ابن القيم ، نشرة الدكتور أحمد حجازى السقا ، المكتبة القيمة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ .

٢٠ - الوحى المحمــــدى : رشيد رضا ، مكتبة القاهرة بالأزهر ، الطبعة السادسة ١٣٨٠هـ .

سابعاً : كتب مقارنة الأديان :

١ - اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس : أحمد عبدالوهاب ، مكتبة وهبه ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢ - الأسفار المقدسة : الدكتور على عبدالواحد وافى ، دار نهضة مصر ، بدون ترقيم .

٣ - الإسلام والنصرانية : المستشار محمد عزت الطهطاوى ، مكتبة النور ، القاهرة الطبعة الثانية عام ١٩٨٧م .

٤ - التعصب والتسامح بين الإسلام والمسيحية : الشيخ محمد الغزالى ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، بدون ترقيم .

٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه : ظفر الإسلام خان ، طبع دار النفائس ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٦ - حقيقة التبشير : أحمد عبدالوهاب ، مكتبة وهبه ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٧ - حول القــرآن الكريم والكتاب المقدس : الدكتور هاشم جوده ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٨ - دراسة الكتب المقدسة : موريس بوكاى ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٩ - رسالة فى اللاهوت والسياسة : سبينوزا ، طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف ، بترجمة الدكتور حسن حنفى ، الطبعة الأولى ١٩٧١م .

١٠ - طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون : أحمد عبدالوهاب ، مكتبة وهبه ، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

١١ - العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية : محمد طاهر التنير البيروتى ، بتحقيق الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، طبع دار الصحوة ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

١٢ - الكنز المرصود فى قواعد التلمود : ترجمة يوسف حنا مسعد ، نشر المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

١٣ - محاضرات فى النصرانية : أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الثالثة عام ١٩٦٦م .

١٤ - محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن : المستشار محمد عزت الطهطاوى ، مكتبة النور ، القاهرة ، طبعة ثانية .

١٥ - محمد ﷺ فى الكتاب المقدس : عبدالأحد داود ، طبع رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٦ - المسيح فى مصادر العقائد المسيحية : أحمد عبدالوهاب ، مكتبة وهبه ، طبعة أولى ، رمضان ١٣٩٨هـ - أغسطس ١٩٧٨م .

١٧ - المسيحية : دكتور أحمد شلبى ، مكتبة النهضة المصرية ، طبعة ثانية ١٩٦٥م.

١٨ - مقارنة الأديان : الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، دار الهداية ، طبعة أولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٩ - الملل والنحل : الشهرستانى ، طبع الحلبى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

ثامناً : دوائر المعارف والموسوعات :

١ - دائرة المعارف الإسلامية : مجموعة من المستشرقين ، الطبعة الثانية ١٣٠٣هـ .

٢ - الموسوعة الفلسفية العربية : يصدرها معهد الإنماء العربى ، طبعة أولى عام ١٩٨٦م .

تاسعاً : المعاجم وكتب اللغة :

١ - الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهرى ، دار العلم للملايين ، طبعة ثانية عام ١٣٩٩هـ .

٢ - المعجم الفلسفى : أصدره المجمع اللغوى بالقاهرة ، عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣ - المورد : منير البعلبكى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة (١٤) عام١٩٨٠م .

عاشراً : السير والتراجم :

١ - الأعلام : خير الدين الزركلى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م .

٢ - السيرة النبوية : ابن هشام ، بتحقيق الدكتور محمد فهمى السرجانى ، طبع المكتبة التوفيقية بمصر ، بدون ترقيم .

٣ - الشهادة الذكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية : مرعى بن يوسف الكرمى ، دار الفرقان ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٤ - العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ابن عبدالهادى ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٥ - الفهرست ابن النديم : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

٦ - المستشرقون : نجيب العقيقى ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة .

حادى عشر : الدوريات :

١ - إسلامية المعرفة (١) يصدرها المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، بالقاهرة .

٢ - دراسات عربية وإسلامية (١) ، سلسلة أبحاث يشرف على إصدارها دكتور حامد طاهر ، مكتبة الزهراء ، القاهرة .

٣ - مجلة عالم الفكر : إصدار وزارة الإعلام بالكويت ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثالث .

٤ - مجلة كلية الآداب : تصدرها كلية الآداب بجامعة القاهرة ، العدد التاسع (المجلد الأول) مايو ١٩٤٧م .

ثانى عشر : رسائل جامعية :

١ – ابن تيميـــة ونقــده للنصرانية : فايزه محمد بكرى ، ماجستير بكلية البنات ، جامعة الأزهر .

٢ – بولـــس ودوره فى تحريف النصرانية : وهيب البكرى ، ماجستير بكلية الدعوة بالرياض .

٣ – قضيــة الألوهية عند ابن تيمية وموقفه من تثليث النصارى : عزه محمد حسن ، ماجستير بكلية البنات ، جامعة الأزهر .

٤ – منهـــج البحث الاجتماعى بين الوضعية والمعيارية : محمد أمزيان ، ماجستير بكلية دار العلوم .

ثالث عشر : مصادر عامة :

١ – أحكام أهل الذمة : ابن القيم ، مطبعة جامعة دمشق ، طبعة أولى .

٢ – الإرشاد : الجوينى ، طبع الخانجى ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م .

٣ – أساليب الغزو الفكرى : الدكتور على جريشة ، دار الاعتصام ، مصر ، طبعة ثانية .

٤ – أسباب النزول : الواحدى ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٥ – أسس البحث العلمى بين المنهج وطبيعة الروح العلمية ، دكتور السيد رزق الحجر ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٦ – الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان ، طبع بيروت ١٩٧٠م .

٧ – الإشـــارات والتنبيهات : ابن سينا ، طبع دار المعارف بتحقيق الدكتور سليمان دنيا ، ١٩٥٧ – ١٩٥٨م .

٨ – أوربا العصـــور الوسطى : الدكتور سعيد عاشور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السابعة .

٩ – الإيمــان : الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

١٠ - البداية والنهاية : ابن كثير ، تصوير عن مطبعة السعادة ، بمصر ، دون ترقيم

١١ - ابن تيمية : أبو الحسن الندوى ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م .

١٢ - ابن تيمية : الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون ترقيم

١٣ - ابن تيمية : الدكتور محمد يوسف موسى ، سلسلة أعلام العرب (٥) .

١٤ - ابن تيمية السلفى : محمد خليل هراس ، المطبعة اليوسفية ، القاهرة ، طبعة أولى .

١٥ - ابن حزم : أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون ترقيم .

١٦ - ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان : د . محمود حماية ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

١٧ - تاريخ ابن خلدون : طبعة بولاق ١٢٨٤هـ .

١٨ - تاريخ الطبرى : طبع دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

١٩ - تاريخ الفلسفة الغربية : برتراند رسل ، الكتاب الثالث (الفلسفة الحديثة) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م .

٢٠ - التراث والمعاصرة : الدكتور أكرم ضياء العمرى ، كتاب الأمة (١٠) ، طبع رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٢١ - تفسير ابن كثير : نشر المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٢٢ - تهافت الفلاسفة : الغزالى ، طبع دار المعارف بالقاهرة ، بتحقيق دكتور سليمان دنيا ، عام ١٩٦٦م .

٢٣ - الحركة الصليبية : الدكتور سعيد عاشور ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٦٣م .

٢٤ - حول إعادة تشكيل العقل المسلم : دكتور عماد الدين خليل ، كتاب الأمة (٤) ، الطبعة الأولى .

٢٥ - خصائص التصور الإسلامى : سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة (٩) ، عام ١٤٠٧هـ .

٢٦ - دمروا الإسلام .. أبيدوا أهله : جلال العالم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م .

٢٧ - الديـن والعلـم : المشير أحمد عزت باشا ، مطبعـة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠م .

٢٨ - السـلفية : الدكتـور مصطـفى حلمى ، مكتبة دار الدعوة بالإسكندرية ، عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢٩ - الاستشـراق : الدكتور حمدى زقزوق ، كتاب الأمة (٥) ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

٣٠ - الاستشراق والمستشرقون : الدكتور مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

٣١ - الشامل فى أصول الدين : الجوينى ، بتحقيق الدكتور على سامى النشار ، طبع منشأة المعارف بالإسكندرية ، عام ١٩٦٩م .

٣٢ - الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف : دكتور يوسف القرضاوى ، كتاب الأمة (٢) .

٣٣ - علامات النبوة : عبدالملك على الكليب ، طبعة الرياض ، ١٩٨٥م .

٣٤ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال : ابن رشد ، طبع دار المعارف ، بتحقيق محمد عمارة ، الطبعة الثانية .

٣٥ - الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى : الدكتور محمد البهى ، دار القلم ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠م .

٣٦ - الفكـر المنهجى عند المحدثين : الدكتور همام عبد الرحيم سعيد ، كتاب الأمة (١٦) .

٣٧ - فى الأدب المقـارن : دراسة فى المصادر والتأثيرات ، الدكتور رجاء جبر ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٣٨ - القرآن والكون : الدكتور محمد عبدالله الشرقاوى ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، بدون ترقيم .

٣٩ - قذائف الحق : محمد الغزالى ، منشورات دار الكتب العصرية ، بيروت ، بدون ترقيم .

٤٠ - القسطاس المستقيم : الغزالى ، سلسلة الثقافة الإسلامية (٣٧) ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٤١ - قصة الاضطهاد الدينى : الدكتور توفيق الطويل ، دار الفكر العربى ، مصر ، بدون ترقيم .

٤٢ - قصص الأنبياء : عبدالوهاب النجار ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

٤٣ - قضية التأويل : الدكتور محمد السيد الجليند ، مكتبة عكاز ، السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م .

٤٤ - قواعد المنهج السلفى : الدكتور مصطفى حلمى ، دار الدعوة ، بالإسكندرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥م .

٤٥ - الكامل : ابن الأثير ، دار صادر بيروت .

٤٦ - ماذا يعنى انتمائى للإسلام : فتحى يكن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، طبعة ثانية .

٤٧ - مجموعة رسائل الإمام حسن البنا : طبع المؤسسة الإسلامية ، بيروت ، بدون ترقيم .

٤٨ - مجموعة الوثائق السياسية فى عصر النبوة والخلافة الراشدة : الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، بدون ترقيم .

٤٩ - مدخل إلى القرآن الكريم : الدكتور محمد عبدالله دراز ، دار القلم ، الكويت ، طبعة أولى ١٩٥٧ - ١٩٥٨م .

٥٠ - مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية : الدكتور حامد طاهر ، مؤسسة هجر بالقاهرة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٥١ - المذهبية الإسلامية : الدكتور محسن عبدالحميد ، كتاب الأمة (٦) ، الطبعة الثانية .

٥٢ - المستشرقون والدراسات القرآنية : الدكتور محمد حسن على الصغير ، طبع المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٥٣ - المسلمون والعصر : كتاب العربى (١٤) ، تصدره مجلة العربى بالكويت .

٥٤ - معالم فى الطريق : سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة (١١) عام ١٩٨٧م .

٥٥ - مقـــارنة بين الغزالى وابن تيمية : الدكتور رشاد سالم ، دار القلم ، الكويت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٥٦ - مقدمة ابن خلدون : طبع دار الشعب ، بدون ترقيم .

٥٧ - مناهج البحث العلمى : الدكتور عبدالرحمن بدوى ، وكالة المطبوعات بالكويت ، الطبعة الثالثة ، عام ١٩٧٧م .

٥٨ - المنطق الحديث ومناهج البحث : الدكتور محمود قاسم ، دار المعارف القاهرة الطبعة السادسة ، عام ١٩٧٠م .

٥٩ - نحو فلسفة علمية : الدكتور زكى نجيب محمود ، الطبعة الأولى ١٩٥٨ القاهرة

٦٠ - نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية فى السياسة والاجتماع : هنرى لاووست ، دار الأنصار ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٨٦م ، بتقديم وتعليق د. مصطفى حلمى .

٦١ - نظرية المنطق : دكتور محمد السيد الجليند ، مطبعة التقدم ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٦٢ - وعود الإسلام : جارودى ، مكتبة مدبولى ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

رابع عشر : مراجع أجنبية :

1 - Alister kee, Constantine Versus Christ, SCM, 1982.

2 - B Aldwin F.M. : Dictionary of Philosophy and Psychology, New York, 1977.

3 - Dean Spence : Early Christianity and Paganism, Hoo-Vince.

4 - Edwyn Bevan : Hellenism and Christianity, London, George Allen and Unuin LTD.

5 - Jenkins : The Contradiction of Christianity, SCM Press, 1985.

6 - Robin Lane Fox : Pagans and Christians, Viking, 1986.

7 - The New Encyclopaedia Britannica, 15 Th editon, University of Chicage, U. S. A., 1985.

الفهـــــرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع

الموضـــــــــوع